# تَهْذِيبُ:
# «مُذَكِّرَةِ الْعَقِيدَةِ الْوَاسِطِيَّةِ»

لِلشَّيْخِ الْعَلَّامَةِ:

محمَّدِ بن صالحٍ العُثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى

وَيَليهِ مُلْحَقٌ يَحْتَوِي بَعْضَ المُتُونِ الْمُهِمَّةِ في أَبْوابِ الاعْتِقادِ:

| | |
|---|---|
| **متن: «الْعَقِيدَةِ الْوَاسِطِيَّةِ»** | **لِشَيْخِ الإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ** رَحِمَهُ اللَّهُ |
| **متن: «الْفَتْوَى الْحَمَوِيَّةِ الْكُبْرَى»** | **لِشَيْخِ الإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ** رَحِمَهُ اللَّهُ |
| **«فَتْحُ رَبِّ الْبَرِيَّةِ بِتَلْخِيصِ الْحَمَوِيَّةِ»** | **لِلعَلَّامَةِ مُحَمَّدِ بْنِ صَالِحٍ الْعُثَيْمِينِ** رَحِمَهُ اللَّهُ |
| **متن: «الْعَقِيدَةِ التَّدْمُرِيَّةِ»** | **لِشَيْخِ الإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ** رَحِمَهُ اللَّهُ |
| **«تَقْرِيبُ التَّدْمُرِيَّةِ»** | **لِلعَلَّامَةِ مُحَمَّدِ بْنِ صَالِحٍ الْعُثَيْمِينِ** رَحِمَهُ اللَّهُ |


جَمَعها وهذَّبها ووضَّحها الفقير إلى عفو ربِّه:

## هيثم بن محمَّد سرحان

المُدرِّس بمعهد الحرم بالمسجد النَّبويّ -سابقًا- والمُشرف على معهد السُّنَّة

mahadsunnah.com
sarhaan.com


غفر الله له ولوالديه ولمن أعانه على إخراج هذا الكتاب



الطَّبعة الأولى



الرَّجاء التَّواصل على:

islamtorrent@gmail.com

فسح وزارة الإعلام



# فِهْرسُ الْمَوْضُوعَاتِ











## المُقَدِّمَةُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إنَّ الحمدَ لله، نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شُرور أنفسِنا، ومن سيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ اللهُ فلا مُضلَّ له، ومن يُضللْ فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللهُ وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله ﷺ، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[آل عمران]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾[النِّساء]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾[الأحزاب].

أمَّا بعد؛ فإنَّ أهمَّ ما يعتني به المسلم عمومًا وطالب العلم خصوصًا ضبط مسائل التَّوحيد والاعتقاد، إذ إنَّ الاعتقاد هو أساس الدِّين الَّذي بعث الله به المُرسلين، وقد كتب أهل العلم من أهل السُّنَّة والجماعة المُتقدِّمين والمُتأخِّرين في الاعتقاد كتبًا كثيرةً، ومن أكثر ما انتفع به النَّاس في هذا الباب كتب شيخ الإسلام أبي العبَّاس أحمد بن عبد الحليم بن تيميَّة الحفيد رَحِمَهُ اللَّهُ، فقد تلقَّاها أهل العلم بالقبول، واعتنوا بتدريسها للطلَّاب، وتحفيظهم إيَّاها، ومن أخصر هذه الكتب رسالة «العقيدة الواسطيَّة» هذه الَّتي بين أيدينا، والَّتي قال فيها شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ كما في «مجموع الفتاوى» (٣/ ١٦٤): (**كَانَ سَبَبُ كِتَابَتِهَا أَنَّهُ قَدِمَ عَلَيَّ مِنْ أَرْضِ وَاسِطٍ بَعْضُ قُضَاةِ نَوَاحِيهَا، شَيْخٌ يُقَالُ لَهُ رَضِيُّ الدِّينِ الواسطيُّ، مِنْ أَصْحَابِ الشَّافِعِيِّ، قَدِمَ عَلَيْنَا حَاجًّا، وَكَانَ مِنْ أَهْلِ الْخَيْرِ وَالدِّينِ، وَشَكَا مَا النَّاسُ فِيهِ بِتِلْكَ الْبِلَادِ وَفِي دَوْلَةِ التَّتَرِ مِنْ غَلَبَةِ الْجَهْلِ وَالظُّلْمِ، وَدُرُوسِ الدِّينِ وَالْعِلْمِ، وَسَأَلَنِي أَنْ أَكْتُبَ لَهُ عَقِيدَةً تَكُونُ عُمْدَةً لَهُ وَلِأَهْلِ بَيْتِهِ، فَاسْتَعْفَيْت مِنْ ذَلِكَ وَقُلْت: قَدْ كَتَبَ النَّاسُ عَقَائِدَ مُتَعَدِّدَةً؛**



**فَخُذْ بَعْضَ عَقَائِدِ أَئِمَّةِ السُّنَّةِ، فَأَلَحَّ فِي السُّؤَالِ وَقَالَ: مَا أُحِبُّ إِلَّا عَقِيدَةً تَكْتُبُهَا أَنْتَ، فَكَتَبْتُ لَهُ هَذِهِ الْعَقِيدَةَ وَأَنَا قَاعِدٌ بَعْدَ الْعَصْرِ، وَقَدْ انْتَشَرَتْ بِهَا نُسَخٌ كَثِيرَةٌ فِي مِصْرَ، وَالْعِرَاقِ، وَغَيْرِهِمَا**)، فانظر يا رعاك الله كيف لرسالةٍ يكتبها في جلسةٍ واحدةٍ بعد صلاة العصر أن يجعل الله فيها من النَّفع ما لا يُعدُّ ولا يُحصىٰ، ويقيِّض لها الخلق الكثير من أهل العلم يشرحونها، ويعلِّقون علىٰ مسائلها، ويحفِّظونها لطلَّابهم، فاللَّهمَّ اجز شيخ الإسلام خير ما جزيت عالمًا ربَّانيًّا ناصحًا، وبالإضافة إلىٰ كون السَّائل الَّذي أجابه شيخ الإسلام إلىٰ كتابة هذه الرِّسالة من واسطٍ، فإنَّ لتسمية «الواسطيَّة» مُناسباتٍ أخرىٰ نلخِّصها فيما يلي:

**سبب تسمية هذه الرِّسالة بالواسطيَّة:**

| [١] كون السَّائل من واسطٍ بالشَّام. | [٢] أنَّه ذكر فيها وسطيَّة أهل السُّنَّة في أمورٍ مُتفرِّقةٍ. | [٣] أنَّه رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتبها في وسط عمره. | [٤] أنَّ شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ توسَّط فيها، ويُقال: إنَّه توسَّط بالواسطيَّة، ثمَّ حمىٰ بالحمويَّة، ثمَّ دمَّر بالتَّدمُريَّة. | [٥] أنَّه كتبها عند الصَّلاة الوُسطىٰ -صلاة العصر-، وانتهىٰ منها قبل المغرب، وهذا من تمام بركة هذه الرِّسالة. |
|---|---|---|---|---|

**سبب دراسة العقيدة الواسطيَّة:**

| [١] نصيحة العلماء بها. | [٢] التَّدرُّج في الدِّراسة، فهي تلي كتاب التَّوحيد. | [٣] أنَّها من أسهل كتب شيخ الإسلام. | [٤] أنَّها تضبط مُعتقد أهل السُّنَّة في أمورٍ مُتفرِّقةٍ. | [٥] أنَّها مدخلٌ لفهم كتب العقيدة. | [٦] أنَّ الله وضع لها القبول. | [٧] عناية العلماء بها وكثرة شروحها |
|---|---|---|---|---|---|---|



# كَيْفَ نَقْرَأُ كُتُبَ شَيْخِ الإِسْلَامِ؟

يُنبَّهُ هنا إلىٰ أنَّ كلام شيخ الإسلام ابن تيميَّة ﵀ في كثيرٍ من كتبه صعب الفهم لطالب العلم المُبتدئ، ولهذا يُنصح بالتَّدرُّج في قراءة كتبه، فنبدأ بالكتب السَّهلة مثل «رفع الملام عن الأئمَّة الأعلام» و«العقيدة الواسطيَّة»، فإذا أشكلت هذه الكتب علىٰ الطَّالب وما استطاع أن يفهم كلام شيخ الإسلام فيها فلابدَّ أن يطلب تُرجمانًا يُترجم له، فكأنَّ شيخ الإسلام يتكلَّم بغير اللُّغة العربيَّة الَّتي يفهمها عامَّة النَّاس، وخير تُرجمانٍ له هو تلميذه العلَّامة ابن قيِّم الجوزيَّة ﵀؛ لأنَّ الطَّالب إذا تتلمذ علىٰ ابن القيِّم فإنَّه بإذن الله يوصله إلىٰ شيخ الإسلام، فإذا أشكل علىٰ الطَّالب فهم كلام ابن القيِّم ﵀ فليتتلمذ علىٰ كتب العلَّامة ابن عثيمين ﵀، فإنَّ كلامه سهل العبارة كثير الفائدة، والله تعالىٰ أعلم.

وقد كتب الشَّيخ العلَّامة محمَّد بن صالح العثيمين ﵀ مُذكِّرةً علىٰ «العقيدة الواسطيَّة» لطلَّاب المعاهد العلميَّة، وهي مذكِّرةٍ قيِّمةٌ رتَّب فيها أبواب الرِّسالة، وشرحها شرحًا مُختصرًا يبيِّن مقصود شيخ الإسلام ﵀، كما أنَّه ﵀ شرح العقيدة الواسطيَّة شرحًا مبسوطًا عرض فيه لدقائق مسائلِها، فرأينا أن نخرج المُذكِّرة في حُلَّةٍ جديدةٍ عن طريق جدولة المُحتوىٰ، وتوضيح ما يحتاج إلىٰ توضيحٍ بشيءٍ من الاختصار، وألحقنا بها اختبارًا يتمكَّن الطَّالب من خلاله من مُراجعة مَقروئِه، وتقييم تحصيلِه.

نسأل الله الحيَّ القيُّوم أن يجزي الشَّيخين خير الجزاء، وأن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به القارئ والكاتب والمُساهم، إنَّه وليُّ ذلك والقادر عليه، وصلَّىٰ الله وسلَّم وبارك علىٰ محمَّدٍ النَّبيِّ الأمِّيِّ، وعلىٰ آله وصحبه ومن تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدِّين، والحمد لله ربِّ العالمين، قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة ﵀ في «مجموع الفتاوىٰ» (٣/ ١٢٨): (**نَسْأَلُ اللهَ الْعَظِيمَ أَنْ يَهْدِيَنَا وَسَائِرَ إِخْوَانِنَا صِرَاطَهُ الْمُسْتَقِيمَ؛ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ النَّبِيِّينِ، وَالصِّدِّيقِينَ، وَالشُّهَدَاءِ، وَالصَّالِحِينَ، وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا، وَحَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا**).





# فِهْرِسُ الْعَقِيدَةِ الْوَاسِطِيَّةِ

## أقسامُ «العقيدة الواسطيَّة»:

| [١] المُقدِّمة: | [٢] الأدلَّة من القرآن: | [٣] الأدلَّة من السُّنَّة: | [٤] وسطيَّة أهل السُّنَّة: | [٥] فصولٌ متفرِّقةٌ في الاعتقاد: | [٦] الخاتمة: |
|---|---|---|---|---|---|
| من قوله: (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) إلىٰ: (مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ والصَّالِحِينَ) | ساق رَحِمَهُ اللهُ أدلَّةً كثيرةً من القرآن في إثبات الأسماء والصِّفات. | ساق رَحِمَهُ اللهُ أدلَّةً كثيرةً من السُّنَّة الصَّحيحة في إثبات الأسماء والصِّفات. | ذكر رَحِمَهُ اللهُ وسطيَّة أهل السُّنَّة والجماعة بين الأمم في أمورٍ خمسةٍ. | ذكر المُصنِّف رَحِمَهُ اللهُ عددًا من الفصول في: | دعا فيها الله عَزَّوَجَلَّ أن يجعله ومن يقرأ الكتاب من أهل السُّنَّة الَّذين ذكر اعتقادهم. |

معيَّة الله عَزَّوَجَلَّ، وقربه، وإجابته، والإيمان بأنَّ القرآن كلام الله مُنزَّلٌ غير مخلوقٍ، ورؤية المؤمنين ربَّهم عيانًا بأبصارهم، والإيمان باليوم الآخر، وبالقدر، وحقيقة الإيمان، واعتقاد أهل السُّنَّة في الصَّحابة، وكرامات الأولياء، وطريقة أهل السُّنَّة والجماعة العمليَّة.





# تَرْجَمَةُ شَيْخِ الإسْلاَمِ رَحِمَهُ اللهُ

هذه التَّرجمة مُختصرةٌ من مَداخل الشَّيخ بكر بن عبد الله أبو زيدٍ رَحِمَهُ اللهُ.

## مُلخَّص حياتِه رَحِمَهُ اللهُ:

هو تقيُّ الدِّين أبو العبَّاس أحمدُ بنُ عبد الحليمِ بنِ عبدِ السَّلامِ ابنُ تيميَّةَ، الحَرَّانيُّ نسبةً إلىٰ حَرَّانَ، وهي مدينةٌ تقع بتركيَّا اليوم.

**[١] مَولدُه:** وُلد رَحِمَهُ اللهُ في عاشر ربيع الأوَّل سنة ٦٦١هـ.

**[٢] أوصافُه:** كان جَهوريَّ الصَّوتِ، فصيحًا، سريعَ القراءةِ، تعتريه حِدَّةٌ ثمَّ يقهرها بحِلمٍ وصَفحٍ، كأنَّ عينيه لسانان ناطقان، إذا أخذ يتكلَّمُ ازدحمت العبارة في فَمِه، نشأ في تَصوُّنٍ تامٍّ، وعفافٍ، وتألُّهٍ، واقتصادٍ في المَأكلِ والمَلبسِ، بَرًّا بوالدَيه، تقِيًّا، وَرِعًا، عابدًا، ناسكًا، صوَّامًا، قوَّامًا.

**[٣] وفاتُه:** تُوفِّي رَحِمَهُ اللهُ ليلة الاثنين العشرين من ذي القعدة سنة ٧٢٨هـ، عن ٦٧ عامًا و٨ أشهرٍ و١٠ أيَّام.

## نُبُوغه فـي العلم:

[١] حَفظ القُرآنَ في الصِّغرِ.

[٢] أتقن العلوم مِن: التَّفسير، والحديث، والفقه، والأصول، والعربيَّة، والتَّاريخ، والجبر، والمُقابلة، والمنطق، وغيرها.

[٣] ناظر وهو دون البُلوغِ.

[٤] أفتىٰ وبدأ في التَّأليف في ١٧ من عُمُرِه.

[٥] درَّس في ٢١ من عُمُرِه، وبدأ درس التَّفسير وعُمُرُه ٣٠ سنةً.



## مِن مَواطن القوَّة لديه رَحِمَهُ اللهُ:

التَّوحيد، والثَّبات، واللَّهج بذكر الله، وطاعة رسوله ﷺ، والاتِّفاق مع أنصار الإسلام والسُّنَّة، والصَّبر.

ما رزقه الله من قوَّة البدن، واعتداله، وقوَّة الأداء في صوته، فكان جهوريًّا يستولي على القلوب.

قوَّةُ الحفظ، فكان قلَّما حفظ شيئًا فنسيه، وفرطُ الذَّكاء، وسيلان الذِّهن، وسرعة الإدراك.

قُوَّته في الطَّلب والتَّلقِّي، والأخذ عن الشُّيوخ، حتَّىٰ دار في دمشق علىٰ أكثر من مائتي شيخ.

قُوَّتُه في مَواقفِه الجهاديَّة، والمَغازي الإسلاميَّة، وكسر شوكة المَلاحِدة والباطنيَّة.

قُوَّتُه في تفجير دلالات النُّصوص، وشقِّ الأنهار منها، واستخراج كنوزها.

قُوَّتُه في البحث والقراءة والمُطالعة.

قُوَّتُه في ضبط النَّفس، فلا لذَّة له أكبر من نشر العلم، وتدوينه، والعمل به، والدَّعوة إليه، والوقوف أمام المفسدين. رفض الأُعطيات، وقنع بما يأتيه من أخيه ممَّا يسُدُّ حاجته، ما تزوَّج ولا تسرَّىٰ قطُّ؛ لا رغبةً عن هذه السُّنَّة؛ ولكنَّه مُثقَلُ الظَّهر بهموم الدَّعوة والجهاد.

قُوَّتُه في حياته الجادَّة، الَّتي لا تعرف الهزل، فضلًا عن سافل الأخلاق من الغيبة والنَّميمة، مَجالِسُه عامِرةٌ بالخير.

قُوَّتُه في التَّأليف (كتب جُلَّ مُؤلَّفاتِه من حفظِه).

قُوَّتُه في تَعبُّدِه، وتَألُّهِه، ومُداومة الذِّكر والأوراد، لا يشغله عنها شاغلٌ.

قُوَّتُه في مَواقِفِه مع الوُلاة، في النُّصح والأمر والنَّهي.



**سَبقُه العِلميُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:**

**[١] التَّجديد في تحقيق التَّوحيد:** بعد طول غيابٍ، وحمايةِ جنابه، وحماية حِمَاه بدقائق أصبحت نورًا يقتدي به المُصلِحون.

**[٢] التَّجديد في الفقهيَّات:** وهي لا تُحصىٰ كثرةً.

**[٣] التَّجديد في علوم الـمَنطق والفلسفة:** هدم من خلالها أقوالَهم وقواعدَهم.

**التَّأليفُ:**

تأليفه أَلْفِيٌّ عن اجتهادٍ مُطلَقٍ، وتعدُّدِ مَعارفَ، وتجديدٍ، بقلمٍ مَطبوعٍ قائلٍ لا ناقلٍ، فلا يُعرَف مثلُه في كثرة التَّأليف.

**مَوضوعُ تآليفه رَحِمَهُ اللَّهُ:**

[١] لم يُؤلِّف ابتداءً مُتونًا علىٰ الجادَّة المَعهودة في الفقه مثلًا علىٰ الأبواب، وإنَّما هي فتاوىٰ وأجوبةٌ وردودٌ وبحوثٌ في مسائلَ حقَّق فيها.

[٢] جُلُّ تآليفه في دائرة الرُّدودِ - وهي غيرُ مَردودةٍ -، والفتاوىٰ وأجوبة السَّائلين والمُعترضين - وهي أجوبةٌ مُسدَّدةٌ مَحمودةٌ -.

[٣] ربَّما كتب تأليفًا للتَّذكُّر.

[٤] كتب ابتداءً رسائله وهو في السِّجن (مُناصحَتُه للوُلاة، ووَصاياهُ للعُلَماءِ).

[٥] كتب ابتداءً بعض الشُّروح.

[٦] بلغت فتاويه مَبلغًا عظيمًا في الفقهيَّات، وتحرير الخلاف فيها؛ ممَّا شمِلَ جميع أبوابِ الفقهِ.



**مَزايا مُؤلَّفاته رَحِمَهُ اللَّهُ:**

[١] هو في تآليفه قائلٌ لا ناقلٌ، إنَّما النَّقل عنده للتَّدليل والإسنادِ، لا أنَّه مادَّة الكتاب. وليس له فيها علىٰ غير الدَّليل مُعوَّلٌ.

[٢] تقديم أقوال الصَّحابة علىٰ مَن سواهم، وعِنايتُه بعلل الأحكام، وأوصافِها المُناسبةِ، ومَدارِكِها، ووُجوهِ الاستدلالِ مِنها.

[٣] تميُّزها بالفقه المَقاصِديِّ للتَّشريع، ونشرِ مَحاسن الشَّريعة، وحِكمِها، والسَّعةِ والشُّمولِ مِن ذكر الخلاف، وأدلَّته، ووُجوهِ الاستدلالِ.

[٤] تنوُّع الفَوائِدِ في بحث المسألةِ الواحدةِ بالاستِطرادِ التناسُبِيِّ، وحُسنُ التَّرتيبِ، وجَودةُ التَّصنيفِ، ومَزيَّةُ التَّكرارِ.

[٥] العدلُ، والإنصافُ، والدِّقَّة في بحث المَسائل، وحالَ مُقارَعَةِ الخُصومِ، وعدمُ الافتراء عليهم، نفسُه تَوَّاقَةٌ إلىٰ إصلاح أحوال النَّاس.

[٦] السَّجِيَّةُ المُتدفِّقةُ بالجاذبيَّةِ في صياغته وأُسلوبه؛ لما فيها من الجَزالَةِ مِن جهةٍ، والعُذوبةِ من جهةٍ أُخرىٰ، وإحياءُ الألفاظ المَوروثةِ أصالةً عن صَدر هذه الأمَّة.

**ممَّا أُوذِيَ بسببه رَحِمَهُ اللَّهُ:**

[١] «الواسطيَّة».

[٢] «الحمويَّة».

[٣] مسألة منع شدِّ الرِّحال إلىٰ القبور.

[٤] فتاواه في الطَّلاق، لاسيما جعلُ الطَّلاق الثَّلاث بلفظٍ واحدٍ واحدةً.



**مَكان تَأليفه رَحِمَهُ اللَّهُ:**

[١] بعضُها في دِمشقَ.

[٢] بعضُها في مِصرَ.

[٣] بعضُها في السِّجن فيهما، وكانت أكثرَ سَجنةٍ ألَّف فيها السَّجنةُ الأخيرةُ.

**هل رجعَ رَحِمَهُ اللَّهُ عن شيءٍ من كتُبِه؟**

لا يُعلَم أنَّه ألَّف شيئًا ورجع عنه؛ سوىٰ ما أشار إليه في مَنسَكِه الأخير بقوله: (كنتُ كتبتُ مَنسكًا في أوائلِ عُمري، فذكرتُ فيه أدعيةً كثيرةً، وقلَّدتُ في الأحكام من اتَّبعتُه قبلي مِن العلماء، وكتبتُ في هذا ما تبيَّنَ لي مِن سُنَّة رسولِ الله ﷺ). «مجموع الفتاوىٰ» (٢٦/ ٩٨).

**من أهمِّ مُؤلَّفاته رَحِمَهُ اللَّهُ:**

**[١] في بيان اعتقاد أهل السُّنَّة والرَّدِّ على أهل الزَّيغ:**

«الواسطيَّة»، «الحمويَّة»، «التَّدمريَّة»، «الفرقان بين أولياء الرَّحمن وأولياء الشَّيطان»، «الرَّدُّ علىٰ المَنطق»، «منهاج السُّنَّة النَّبويَّة»، «درء تعارض العقل والنَّقل»، «الجواب الصَّحيح لمن بدَّل دين المَسيح»، «اقتضاء الصِّراط المُستقيم مُخالفة أصحاب الجحيم»، «تلبيس الجهميَّة»، «الصَّارم المَسلول علىٰ شاتم الرَّسول»، «الوسيلة»، وغيرها كثيرٌ...

**[٢] في الفقه والأصول:**

«شرح عمدة الفقه»، «شرح المُحرَّر»، «السِّياسة الشَّرعيَّة»، «رفع المَلام عن الأئمَّة الأعلام».

**[٣] الرَّسائل والفتاوىٰ:**

عددها كبيرٌ، جمع أكثرها الشَّيخ عبد الرَّحمن بن محمَّد بن قاسمٍ العاصميُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «**مجموع الفتاوىٰ**» الَّذي طُبع في ٣٥ مُجلَّدًا.



**له تلاميذُ كثيرٌ جداًّ، برزوا في علومٍ شتَّى من علوم الشَّريعة، وأشهرُهم:**

- شمسُ الدِّين أبو عبد الله مُحمَّدُ بنُ أبي بكرٍ ابنُ قيِّم الجوزيَّة رَحِمَهُ اللهُ (ت ٧٥١هـ).
- شمسُ الدين أبو عبد الله مُحمَّدُ بنُ أحمد رَحِمَهُ اللهُ (ت ٧٤٨هـ).
- شمسُ الدِّين أبو عبد الله مُحمَّد بنُ أحمد بنِ عبد الهادي المَقدسيُّ رَحِمَهُ اللهُ (ت ٧٤٤هـ).
- عمادُ الدِّين أبو الفداء إسماعيلُ بنُ عمر بنِ كثيرٍ رَحِمَهُ اللهُ (ت ٧٧٤هـ).
- جمالُ الدِّين أبو الحجَّاج يوسفُ بنُ الزَّكِيِّ عبد الرَّحمن بن يوسفَ المِزِّيُّ رَحِمَهُ اللهُ (٧٤٢هـ).
- شمسُ الدِّين أبو عبد الله مُحمَّدُ بنُ مُفلحٍ المَقدسيُّ رَحِمَهُ اللهُ (٧٦٣هـ).
- علم الدين القاسم بن محمد بن يوسف البرزليُّ رَحِمَهُ اللهُ (ت ٧٣٩هـ).

**ممَّا قاله في مَدحه تلميذُه ابنُ القيِّم رَحِمَهُ اللهُ:**

فَـاقْرَأْ تَصَـانِيفَ الْإِمَـامِ حَقِيقَـةً ... شَـيْخِ الْوُجُـودِ الْعَـالِمِ الرَّبَّـانِي

أَعْنِـي أَبَـا الْعَبَّـاسِ أَحْمَـدَ ذَلِـكَ الْـ ... بَحْـرِ الْمُحِـيطِ بِسَـائِرِ الْخُلْجَـانِ

...

وَلَـهُ الْمَقَامَـاتُ الشَّـهِيرَةُ فِـي الْـوَرَىٰ ... قَـدْ قَامَهَـا لِلَّـهِ غَيْـرَ جَبَـانِ

نَصَـرَ الْإِلَـهَ وَدِينَـهُ وَكِتَابَـهُ ... وَرَسُـولَهُ بِالسَّـيْفِ وَالْبُرْهَـانِ

أَبْـدَىٰ فَضَـائِحَهُمْ وَبَـيَّنَ جَهْلَهُـمْ ... وَأَرَىٰ تَنَاقُضَـهُمْ بِكُـلِّ زَمَـانِ

وَمِـنَ الْعَجَائِـبِ أَنْ بِسِـلَاحِهِمْ ... أَرْدَاهُـمُ تَحْـتَ الْحَضِـيضِ الـدَّانِي

كَانَـتْ نَوَاصِـينَا بِأَيْـدِيهِمْ فَمَـا ... يَلْقَوْنَنَـا إِلَّا بِحَبْـلِ أَمَـانِ

فَغَـدَتْ نَوَاصِـيهِمْ بِأَيْـدِينَا فَمَـا ... يَلْقَوْنَنَـا إِلَّا بِحَبْـلِ أَمَـانِ

وَغَـدَتْ مُلُـوكُهُمُ مَمَالِيكًـا لِأَنْـ ... صَـارِ الرَّسُـولِ بِمِنَّـةِ الـرَّحْمَنِ





## مُقَدِّمَةُ المُذكِّرة

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام علىٰ نبيِّنا محمَّدٍ، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

أمَّا بعد؛ فهذه مُذكِّرةٌ للمُهمِّ من مُقرَّر السَّنة الثَّانية الثَّانويَّة في المعاهد العلميَّة في التَّوحيد علىٰ «العقيدة الواسطيَّة» لشيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ اللهُ، نسأل الله أن ينفع بها كما نفع بأصلها إنَّه جوادٌ كريمٌ.

### شَيْخُ الإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَةَ:

هو العالم العلَّامة شيخ الإسلام تقيُّ الدِّين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السَّلام بن تيميَّة، وُلد في حرَّان في العاشر من ربيعٍ الأوَّل سنة ٦٦١هـ، ثمَّ تحوَّلت عائلته إلىٰ دمشقَ فكانت مَوطن إقامته، وقد كان رَحِمَهُ اللهُ عالمًا كبيرًا، وعَلَمًا مُنيرًا، ومُجاهدًا شهيرًا، جاهد في الله بعقله وفِكرِه، وعلمِه وجسمِه، وكان قويَّ الحُجَّة لا يصمد أحدٌ لمُحاجَّته، ولا تأخذه في الله لومة لائمٍ إذا بان له الحقُّ أن يقول به؛ ومِن ثمَّ حصلت له مِحَنٌ من ذوي السُّلطان والجاهِ، فحُبِس مِرارًا، وتُوفِّي مَحبوسًا في قلعة دمشق في ٢٠ من شوَّالٍ ٧٢٨هـ.

### «الْعَقِيدَةُ الْوَاسِطِيَّةُ»:

كتابٌ مُختصرٌ جامعٌ لخلاصة عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة من أسماء الله وصفاته، وأمر الإيمان بالله واليوم الآخر، وما يتَّصل بذلك من طريقة أهل السُّنَّة العمليَّة، وسبب تأليفها أنَّ بعض قضاة واسطٍ شكوا إلىٰ شيخ الإسلام ما كان عليه النَّاس من بدعٍ وضلالٍ، وطُلب منه أن يَكتب عقيدةً مُختصرةً تُبيِّن طريقة أهل السُّنَّة والجماعة فيما يتعلَّق بأسماء الله وصفاته، وغير ذلك ممَّا سيُذكَر في تلك العقيدة؛ ولذلك سُمِّيت «العقيدة الواسطيَّة».





**أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ**: هم من كان علىٰ مثل ما عليه النَّبيُّ ﷺ وأصحابه:

[١] اعتقادًا.

[٢] وقولًا.

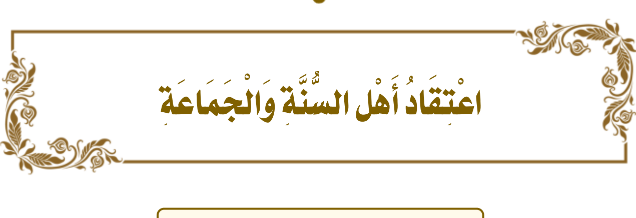
[٣] وعملًا.

**لـماذا سُمُّوا أهل السُّنَّة والجماعة؟**

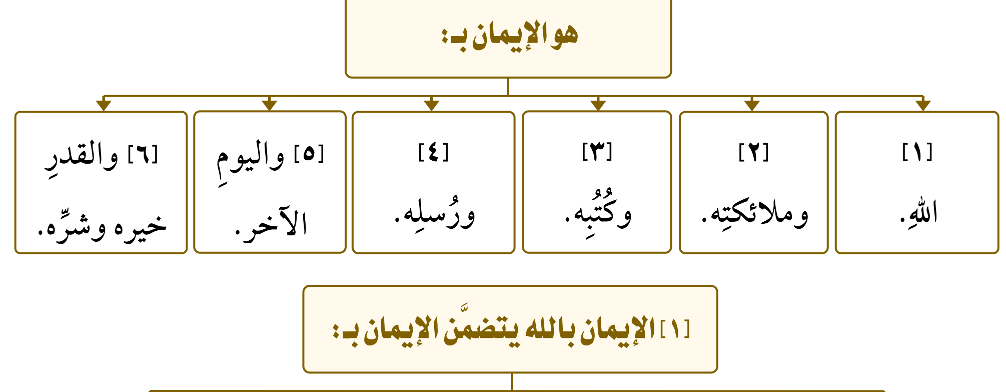
[١] لتَمسُّكِهم بالسُّنَّة.

[٢] ولاجتماعهم عليها.





# اعْتِقَادُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ




### [١] الإيمان بالله يتضمَّن الإيمان بـ:

- [أ] وُجودِه.
- [ب] ورُبوبيَّتِه.
- [ج] وأُلوهيَّتِه.
- [د] وأسمائِه وصفاتِه.

### [٢] الإيمان بالملائكة يتضمَّن الإيمان بـ:

- [أ] وُجودِهم.
- [ب] اسمِ من عُلِمَ اسمُهُ؛
- [ج] صفةِ من عُلِم وَصفُهُ؛ كجبريلَ.
- [د] أعمالهم ووظائفهم؛ فجبريلُ مُكلَّفٌ بالوحي، ومالكٌ خازن النَّار.

### [٣] الإيمان بالكتب يتضمَّن:

- [أ] تصديقَ كونها مِن عند الله.
- [ب] تصديقَ ما أخبرت به.
- [ج] الإيمان بأسماءِ ما عُلم مِنها؛ كالتَّوراة، وما لم يُعلَم فيُؤمن به إجمالًا.
- [د] التزامَ أحكامِها، إذا لم تُنسَخْ.



**[٤] الإيمان بالرُّسل يتضمَّن الإيمان بـ:**

[أ] الإيمانَ بأنَّهم صادقون في رسالتهم.

[ب] الإيمانَ بأسماء من عُلِمَت أسماؤُه منهم، وما لم يُعلَم فيُؤمن به إجمالًا.

[ج] تصديقَ ما أَخبَروا به.

[د] التزامَ أحكام شرائعهم غير المَنسوخة.
والشَّرائع السَّابقة كلُّها مَنسوخةٌ بشريعة محمَّدٍ ﷺ.

**[٥] الإيمان باليوم الآخر**

الإيمانَ بكُلِّ ما أخبر به النَّبيُّ ﷺ ممَّا يكون بعد الموت.

**[٦] الإيمان بالقدر يتضمَّن:**

الإيمانَ بأنَّ كلَّ شيءٍ واقعٌ بقضاء الله وقدرِه.





## طَريقةُ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي أَسْمَاءِ اللهِ وَصِفاتِهِ

**طريقتهم:**

إثباتُ ما أثبتَه اللهُ لنفسه في كتابه، أو علىٰ لسان رسوله ﷺ، من غير:

**[١] تحريفٍ:** وهو **لغةً:** التَّغيير، **واصطلاحًا:** (تغيير لفظ النَّصِّ أو معناه).

**[٢] ولا تعطيلٍ:** وهو **لغةً:** التَّرك والتَّخلية، **واصطلاحًا:** (إنكار ما يجب لله من الأسماء والصِّفات).

**[٣] ولا تكييفٍ:** وهو: (إثبات كيفيَّة الصِّفة)؛ كقول: استواء الله علىٰ عرشه كيفيَّته كذا وكذا!

**[د] ولا تمثيلٍ:** وهو: (إثبات مُماثلٍ للشَّيء)؛ كقول: يد الله مثل يد الإنسان.

**الفرق بينهما:** أنَّ التَّمثيلَ ذكر الصِّفة مُقيَّدةً بمُماثلٍ، والتَّكييفَ ذكرُها غيرَ مُقيَّدةٍ به.

**أقسام التحريف:**

**[أ] تغيير اللَّفظ:** تغيير قوله تعالىٰ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾ [النِّساء] من رفع الجلالة إلىٰ نصبها؛ ليكون التَّكليمُ من موسىٰ لا من الله.

**[ب] تغيير المعنى:** تغيير معنىٰ استواء الله علىٰ عرشه من العُلُوِّ والاستقرار إلىٰ الاستيلاء والملك؛ لينتفي عنه معنىٰ الاستواءِ الحقيقيِّ.

**أقسام التعطيل:**

**[أ] تعطيلٌ كُلِّيٌّ:** كتعطيل الجهميَّة.

**[ب] تعطيلٌ جزئِيٌّ:** كتعطيل الأشعريَّة، الَّذين لم يثبتوا من صفات الله إلَّا سبع صفاتٍ.

حَيٌّ عَلِيمٌ قَدِيرٌ وَالْكَلَامُ لَهُ
إِرَادَةٌ وَكَذَاكَ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ

**هذه الأربعة الـمُتقدِّمة:** كلُّها حرامٌ، ومنها ما هو كفرٌ أو شركٌ، ومن ثَمَّ كان أهل السُّنَّة والجماعة مُتبرِّئين من جميعِها.





# الْوَاجِبُ فِي نُصُوص الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ

**الواجبُ:**

إجراؤُها علىٰ ظاهرِها، وإثباتُ حقيقتِها لله علىٰ الوجه اللَّائق به، وذلك لوجهين:

[١] أنَّ صرفها عن ظاهرها مُخالفٌ لطريقة النَّبيِّ ﷺ وأصحابه.

[٢] أنَّ صرفها إلىٰ المجاز قولٌ علىٰ الله بلا علمٍ، وهو حرامٌ.

**أَسْمَاءُ اللهِ وَصِفَاتُهُ تَوْقِيفِيَّةٌ:**

والتَّوقيفيُّ: (ما توقَّف إثباتُه أو نفيُه علىٰ الكتاب والسُّنَّة)، بحيث لا يجوز إثباتُه ولا نفيُه إلَّا بدليلِ منهما، فليس للعقل في ذلك مَجالٌ؛ لأنَّه شيءٌ وراء ذلك.

**أَسْمَاءُ اللهِ وَصِفَاتُهُ:**

[١] **مُحكَمةٌ:** في معناها؛ فإنَّ مَعناها معلومٌ، والمُحكَم ما كان واضحًا.

[٢] **مُتشابهةٌ:** في حقيقتِها؛ لأنَّ حقائقها لا يعلمها إلَّا اللهُ، والمُتشابهُ ما ليس واضحًا.



## أَسْمَاءُ اللهِ تَعَالَى غَيْرُ مَحْصُورَةٍ [بِعَدَدٍ مُعَيَّنٍ]

أسماءُ الله تعالىٰ غيرُ مَحصورةٍ بعددٍ مُعيَّنٍ؛ لقوله ﷺ في الدُّعاء المَأثور: «**أَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ**». أخرجه أحمد.

وما استأثر اللهُ عَزَّوَجَلَّ بعلمِه فلا سبيل إلىٰ حصرِه والإحاطةِ به.

### كيف الجمع بين هذا وما جاء في السُّنَّة من أنَّها تسعةٌ وتسعون؟

جاء في الحديث: «**إِنَّ لِلهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ**». مُتَّفقٌ عليه.

معنىٰ الحديث: أنَّ مِن أسماء الله تسعةً وتسعين اختُصَّت بأنَّ من أحصاها دخل الجنَّة، فلا يُنافي أن يكون له أسماءُ أخرىٰ غيرُها، ونظيرُ ذلك أن تقولَ: عندي خمسون درعًا أعددتها للجهاد، فلا ينافي أن يكون عندك دُروعٌ أخرىٰ.

ومعنىٰ إحصاء أسماء الله أن يُعرَف لفظُها ومعناها، ويُتعبَّدَ لله بمُقتضاها.

### القاعدة أنَّ العدد إذا ذُكر في الكتاب أو السُّنَّة أو كلام أهل العلم:

[١] ولم نجدْ في نُصوصِ الكتابِ والسُّنَّةِ ما يزيدُ علىٰ هذا العددِ؛ صارَ العددُ له مَفهومٌ، أي: لا يُزادُ عليه، مثلَ: أركانِ الإسلامِ، وأركانِ الإيمانِ؛ كما في حديثِ جبريلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

[٢] وإنْ وجدْنا في نُصوصِ الكتابِ والسُّنَّةِ ما يزيدُ علىٰ هذا العددِ؛ صارَ العددُ ليس له مَفهومٌ، أي: يُزادُ عليه بما وردَ في الكتابِ والسُّنَّةِ، مثلَ قوله ﷺ: «**خَمْسٌ مِنَ الْفِطْرَةِ...**»، وقولِه: «**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ...**».





## كَيْفَ يَتِمُّ الإيمَانُ بأَسْمَاءِ اللهِ؟

**إذا كان الاسمُ الأحسَنُ:**

- [١] **مُتعدِّيًا:** فتمامُ الإيمان به إثباتُ:
  - [أ] الاسم.
  - [ب] الصِّفةِ الَّتي تضمَّنها.
  - [ج] الأثرِ الَّذي يترتَّبُ عليه.

  مثل: (**الرَّحيم**)، فتثبتُ الاسم وهو الرَّحيمُ، والصِّفةَ وهي الرَّحمةُ، والأثرَ وهو أنَّه سبحانه يرحمُ بهذه الرَّحمة.

- [٢] **لازمًا:** فتمامُ الإيمان به إثباتُ:
  - [أ] الاسمِ.
  - [ب] الصِّفةِ الَّتي تضمَّنها.

  مثل: (**الحيِّ**)، تثبت الاسمَ وهو الحيُّ، والصِّفةَ وهي الحياةُ.

وعلىٰ هذا فكلُّ اسمٍ مُتضمِّنٌ لصفةٍ، ولا عكسَ.





## صِفَاتُ اللهِ تَعَالَى بِاعْتِبَارِ الثُّبُوتِ وَعَدَمِهِ

**تنقسم إلى:**

[١] **ثبوتيَّةٍ:** وهي الَّتي أثبتها الله لنفسه؛ كالحياة، والعلم.

[٢] **سَلبيَّةٍ:** وهي الَّتي نفاها الله عن نفسه؛ كالإعياء، والظُّلم.

**الصِّفة السَّلبيَّة يجب فيها:**

[١] الإيمان بما دلَّت عليه من نفيٍ.

[٢] وإثبات ضدِّه.

فقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ٤٩﴾ [الكهف]، يجب الإيمان بانتفاء الظُّلم عن الله، وثبوت ضدِّه وهو العدل الَّذي لا ظُلمَ فيه.





# صِفَاتُ اللَّهِ باعْتِبَارِ الدَّوَامِ وَالْحُدُوثِ

**تنقسمُ الصِّفاتُ إلى:**

[١] **صفاتٍ دائمة:**
لم يزل الله عَزَّوَجَلَّ ولا يزالُ مُتَّصفًا بها؛ كالعلم، والقدرة.
وتُسمَّىٰ: (**صفاتٍ ذاتيَّةً**).

[٢] **صفاتٍ تتعلَّق بالمَشيئةِ:**
إن شاء فعلها، وإن شاء لم يفعلها؛ كنزوله إلىٰ السَّماء الدُّنيا.
وتُسمَّىٰ: (**صفاتٍ فعليَّةً**).

**وربَّما تكون الصِّفةُ ذاتيَّةً وفعليَّةً معًا؛ كالكلام فإنَّه:**

[١] **صفةٌ ذاتيَّةٌ:**
بالنَّظر إلىٰ أصله؛ لأنَّ الله لم يزل ولا يزال مُتكلِّمًا.

[٢] **صفةٌ فعليَّةٌ:**
باعتبار آحاده وأفراده الَّتي يتكلَّم بها شيئًا فشيئًا؛ لأنَّه يتعلَّق بمَشيئتِه.



# الإِلْحَادُ في الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ

**تعريفُه:**

[١] **لغةً:** الميل.

[٢] **اصطلاحًا:** (الميل عمَّا يجب اعتقادُه أو عملُه).

**يكون الإلحادُ في:**

[١] **أسماء الله:**
لقوله تعالىٰ: ﴿وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَـٰٓئِهِۦۚ﴾[الأعراف:١٨٠].

[٢] **وآياته:**
لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ﴾[فصِّلت:٤٠].

**أنواعُ الإلحادِ في أسماءِ الله:**

[١] أن يُنكر شيئًا منها، أو ممَّا تضمَّنته من الصِّفات؛ كما فعل الجَهميَّة.

[٢] أن يُسمِّي الله بما لم يُسمِّ به نفسَه؛ كما سمَّاه النَّصارىٰ أبًا.

[٣] أن يَعتقد دَلالتَها علىٰ مُماثلة الله لخلقه؛ كما فعل المُشبِّهة.

[٤] أن يشتقَّ منها أسماء للأصنام؛ كاشتقاق المُشركين العُزَّىٰ من العزيز.

**أنواعُ الإلحادِ في آياتِ الله:**

[١] **الكونيَّة (المَخلوقاتُ):** وهو إنكارُ انفراد الله بها، بأن يعتقد أنَّ أحدًا انفرد بها أو ببعضها دونَه، وأنَّ معه مُشاركًا في الخلق أو مُعِينًا.

[٢] **الشَّرعيَّة (الوحيُ النَّازل على الأنبياء):** وهو تحريفُها، أو تكذيبُها، أو مُخالفتُها.



# طَرِيقَةُ القُرْآنِ وَالسُّنَّةِ فِي صِفَاتِ اللَّهِ [ مِنْ حَيْثُ الإِجْمَالُ وَالتَّفْصِيلُ ]

**طريقتُهما غالبًا:**

**[١] الإجمالُ في النَّفيِ:**
لأنَّ الإجمالَ في النَّفي أكملُ وأعمُّ في التَّنزيه من التَّفصيل.

**[٢] والتَّفصيلُ في الإثباتِ:**
لأنَّ التَّفصيلَ في الإثباتِ أبلغُ وأكثرُ في المَدح من الإجمالِ.

**هل الصِّفات الثُّبوتيَّة أكثر في القرآن والسُّنَّة أم السَّلبيَّة؟**

**[١] الصِّفات الثُّبوتيَّة:**
كثيرةٌ في الكتاب والسُّنَّة؛ كالسميع البصير، والعليم القدير، والغفور الرَّحيم... إلخ.

**[٢] الصِّفات السَّلبيَّة:**
قليلةٌ، مثل نفي: الظُّلم، والتَّعب، والغفلة، والولادة، والمُماثل، والنِّدِّ، والمُكافِئ.





# سُورَةُ الإخْلاص

هي: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الاخلاص].

## لماذا سُمِّيت سورةَ الإخلاصِ؟

[١] لأنَّ الله أخلصَها لنفسه، فلم يذكر فيها إلَّا ما يتعلَّق بأسمائِه وصفاتِه.

[٢] لأنَّها تُخلِّصُ قارئها من الشِّركِ والتَّعطيل.

## سبب نُزولِها:

أنَّ المشركين قالوا للنَّبيِّ ﷺ: انسُب لنا ربَّك من أيِّ شيءٍ هو! أخرجه أحمد والتِّرمذيُّ.

## صحَّ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّها «تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ»؛ وذلك لأنَّ القرآن يتضمَّنُ:

[١] الإخبارَ عن الله عَزَّوَجَلَّ.

[٢] والإخبارَ عن مَخلوقاتِه.

[٣] والأحكامَ -وهي: الأوامرُ والنَّواهي-.

وسورة الإخلاص تضمَّنت النَّوعَ الأوَّل وهو الإخبار عن الله عَزَّوَجَلَّ.

## ما تضمَّنته سورةُ الإخلاصِ من أسماءِ الله عَزَّوَجَلَّ:

[١] **الله**: المَألوهُ المَعبودُ حُبًّا وتعظيمًا.

[٢] **الأحد**: المُنفرِدُ عن كلِّ شريكٍ ومُماثِلٍ.

[٣] **الصَّمد**: الكاملُ في صِفاتِه، الَّذي افتقرت إليه جميعُ مَخلوقاتِه.



## ما تضمَّنته سورة الإخلاص من صِّفات الله عَزَّوَجَلَّ:

[١] الألوهيَّة.

[٢] الأحديَّة.

[٣] الصَّمديَّة.

[٤] نفي الولد منه؛ لأنَّه غنيٌّ عن الولد، ولا مثيل له.

[٥] نفي أن يكون مولودًا؛ لأنَّه خالق كلِّ شيءٍ، وهو الأوَّل الَّذي ليس قبله شيءٌ.

[٦] نفي المُكافئ له، وهو المُماثل له في الصِّفات؛ لأنَّ الله ليس كمثله شيءٌ لكمال صفاتِه.





## آية الكُرسيِّ

هي: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥﴾[البقرة].

### لماذا سُمِّيت آية الكُرسيِّ؟

لذكر الكُرسِيِّ فيها (ولم يُذكَر في غيرِها من آيِ القرآنِ).

### مِن فَضلِها:

[١] أنَّها أعظم آيةٍ في كتاب الله؛ لحديث أُبيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مُسلم.

[٢] أنَّ من قرأها في ليلة لم يزل عليه من الله حافظٌ، ولا يقربه شيطانٌ حتَّىٰ يُصبح. أخرجه البخاريُّ.

### ما تضمَّنته آية الكُرسيِّ من أسماء الله عَزَّ وَجَلَّ:

[١] **الله**: تقدَّم معناه.

[٢] **الحيُّ**: ذو الحياةِ الكاملةِ، المُتضمِّنةِ لأكملِ الصِّفاتِ الَّتي لم تُسبَق بعدمٍ، ولا يَلحَقُها زَوالٌ.

[٣] **القَيُّومُ**: القائمُ بنفسِه القائمُ علىٰ غيره، فهو غنيٌّ عن كلِّ شيءٍ، وكلُّ شيءٍ مُحتاجٌ إليه.

[٤] **العَلِيُّ**: العالي بذاته فوق كلِّ شيءٍ، العالي بصفاته كمالًا، فلا يَلحَقُه عيبٌ ولا نقصٌ.

[٥] **العَظيمُ**: ذو العظمة، وهي: الجلالُ، والكِبرِياءُ.



## ما تضمَّنته آية الكُرسيِّ من صفات الله عَزَّوَجَلَّ:

[١] انفرادُ الله بالأُلوهيَّة.

[٢] المَشيئةُ.

[٣] انفرادُه بالمُلك الشَّامل لكُلِّ شيءٍ: ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾.

[٤] كمالُ قُدرَته بعِظَم مَخلوقاتِه: ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ﴾.

[٥] كمالُ عَظمَتِه وسُلطانِه، حيث لا يشفعُ أحدٌ عنده إلَّا بإذنِه.

[٦] نفيُ النَّومِ والسِّنَةِ -وهي: النُّعاس- عنه؛ لكمالِ حياتِه وقَيُّوميَّته.

[٧] كمالُ عِلمِه، وشُمولُه لكلِّ شيءٍ: ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ﴾ وهو الحاضر والمُستقبل، ﴿وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ﴾ وهو الماضي.

[٨] كمالُ عِلمِه، وقُدرَته، وحِفظِه، ورَحمَتِه؛ من قوله: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ﴾، أي: لا يُثقِلُه ولا يُعجِزُه.

## الكُرسيُّ وعِظَمُه:

الكُرسِيُّ مَوضِعُ قَدَمي الرَّحمن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وهو مِن أعظم المَخلوقاتِ؛ كما جاء في الحديث: «**مَا السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرَضُونَ السَّبْعُ بِالنِّسْبَةِ إِلَىٰ الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَحَلَقَةٍ أُلْقِيَتْ فِي فَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَرْشِ عَلَىٰ الْكُرْسِيِّ كَفَضْلِ الْفَلَاةِ عَلَىٰ تِلْكَ الْحَلَقَةِ**».

وهذا يدلُّ علىٰ عظمة الخالقِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

والكُرسِيُّ غيرُ العرشِ؛ لأنَّ الكُرسِيَّ مَوضِعُ القدمين، والعرش هو الَّذي استوىٰ عليه اللهُ، ولأنَّ النُّصوصَ دلَّت علىٰ المُغايَرَةِ بينهما.





# الأوَّلُ والآخِرُ والظَّاهِرُ والبَاطِنُ

قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾ [الحديد].

**هذه الأسماءُ الأربعةُ فسَّرَها النَّبيُّ ﷺ كما في «صحيح مسلمٍ»:**

**[١] الأوَّلُ:** «أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ».

**[٢] الآخِرُ:** «وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ».

**[٣] الظَّاهِرُ:** «وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ».

**[٤] الباطِنُ:** «وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ».

**معنى قوله ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾:**

أي: محيطٌ عِلمُه بكُلِّ شيءٍ جملةً وتفصيلًا.





## عِلْمُ اللَّه عَزَّوَجَلَّ

**معنى العلم:**

[١] **لغةً:** (إدراكُ الشَّيء علىٰ حقيقتِه).

[٢] **علم اللّه تعالى:** كاملٌ، محيطٌ بكلِّ شيءٍ:

[أ] جملةً.

[ب] وتفصيلًا.

**الأدلَّة من القرآن على العلم:**

[١] **الجمليّ:** قولُه تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ١٧٦﴾ [النِّساء].

[٢] **التَّفصيليّ:** قولُه تعالىٰ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٥٩﴾ [الأنعام].

ومن أدلَّة علم الله بأحوال خلقه قولُه تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٌ ٢٨٣﴾ [البقرة]، وقولُه: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٦﴾ [هود].

**مفاتِحُ الغَيبِ:** خَزائنُه أو مَفاتيحُه، وهي:

[١] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾.

[٢] ﴿وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ﴾.

[٣] ﴿وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ﴾.

[٤] ﴿وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ﴾.

[٥] ﴿وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ٣٤﴾ [لقمان]، **والخَبيرُ** هو: (العليمُ ببَواطِنِ الأُمورِ).





# قُدْرَةُ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ وقُوَّتُه

## مَعنى القُدرةِ والقُوَّةِ لغةً:

**[١] القُدرةُ:**

هي التَّمكُّن من الفعلِ بلا عجزٍ.

**[٢] القُوَّةُ:**

هي التَّمكُّن من الفعلِ بلا ضعفٍ.

**قُدرةُ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ شاملةٌ كلَّ شيءٍ:**

قال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٢٨٤﴾[البقرة].

**قُوَّةُ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ شاملةٌ كلَّ شيءٍ:**

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ٥٨﴾[الذَّاريات]، واسم الله (المَتينُ) معناه: (الشَّديدُ القُوَّة).

## الفرقُ بينَ القُدرةِ والقُوَّةِ:

**[١] أنَّ القوَّةَ أخصُّ من القُدرةِ من وجهٍ:**

القُوَّة بالنِّسبة للقادر ذي الشُّعور أخصُّ؛ لأنَّها قُدرَةٌ وزيادةٌ.

**[٢] وأعمُّ منها من وجهٍ:**

بالنِّسبة لعموم مكانها؛ لأنَّها يوصف بها ذو الشُّعور وغيرُه، فيُقال للحديد مثلًا: قويٌّ، ولا يُقال له: قادرٌ.





# الحِكمةُ والحَكيمُ

**مَعنى كلٍّ منهما:**

**[١] الحكمة:**

هي: (وضعُ الأشياء في مَواضِعِها علىٰ وجهٍ مُتقَنٍ)، ودليل اتِّصاف الله عَزَّوَجَلَّ بها قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢﴾ [التَّحريم].

**[٢] الحكيم:** له معنيان:

**[أ] ذو الحِكمة:**

فلا يأمرُ بشيءٍ ولا يخلق شيئًا إلَّا لحكمةٍ، ولا ينهىٰ عن شيءٍ إلَّا لحكمةٍ.

**[ب] الحاكمُ:**

الَّذي يحكم بما أراد، ولا مُعقِّب لحُكمِه.

**أنواعُ حِكمةِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ:**

**[١] الشَّرعيَّة:**

مَحِلُّها الشَّرعُ، وهو ما جاءت به الرُّسل من الوحي؛ فكلُّه في غاية الإتقانِ والمَصلحةِ.

**[٢] الكونيَّة:**

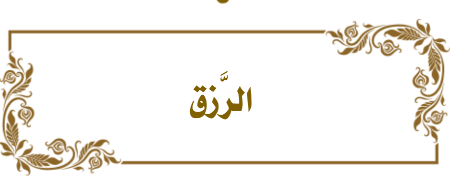
مَحِلُّها الكونُ، أي: مخلوقات الله، فكلُّ ما خلقه الله فهو في غاية الإتقانِ والمَصلحةِ.

**أنواعُ حُكمِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ:**

**[١] الشَّرعيُّ:** ما يقضي به الله شرعًا، ودليله قوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكُمۡ حُكۡمُ ٱللَّهِۖ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡۚ﴾ [المُمتحنة:١٠].

**[٢] الكونيُّ:** ما يقضي به الله تقديرًا وخلقًا، ودليله قوله تعالىٰ عن أحد إخوة يوسف: ﴿فَلَنۡ أَبۡرَحَ ٱلۡأَرۡضَ حَتَّىٰ يَأۡذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوۡ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ لِيۖ﴾ [يوسف:٨٠].





## الرِّزق

**الرِّزقُ:**

**[١] تعريفُه:**

(إعطاءُ المَرزوقِ ما ينفعُه).

**[٢] دليلُه:**

قولُه تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ﴾[الذَّاريات: ٥٨]، وقولُه: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا﴾[هود:٦].

**الرِّزقُ نوعان:**

**[١] عامٌّ:**

ما يقوم به البدن من طعامٍ وغيره، وهو شاملٌ لكلِّ مَخلوقٍ.

**[٢] خاصٌّ:**

ما يصلُحُ به القلبُ من الإيمان، والعلم، والعمل الصَّالح.





# مَشِيئةُ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ وإرادتُه

**مَشِيئَةُ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ هي إرادتُه الكونيَّةُ، وهي عامَّةٌ في:**

**[١] أفعال الله عَزَّوَجَلَّ:**

لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾[السَّجدة:١٣].

**[٢] أفعال العباد:**

لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ﴾[الأنعام:١٣٧].

**إِرادَةُ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ صفةٌ من صفاتِه، وتنقسمُ إلى:**

**[١] إرادةٍ كونيَّةٍ:**

وهي الَّتي بمعنىٰ المَشيئة.

ودليلُها قولُه تعالىٰ: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ [الأنعام:١٢٥].

**[٢] إرادةٍ شرعيَّةٍ:**

وهي الَّتي بمعنىٰ المَحبَّةِ.

ودليلها قوله تعالىٰ: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾[النِّساء: ٢٧].

**الفرقُ بين إِرادَةِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ الكونيَّةِ وإرادتِه الشَّرعيَّة:**

**[١] الكونيَّةُ:**

لابدَّ فيها من وُقوع المُرادِ.

وقد يكون المُرادُ فيها مَحبوبًا إلىٰ الله، وقد يكون غير مَحبوبٍ.

**[٢] الشَّرعيَّةُ:**

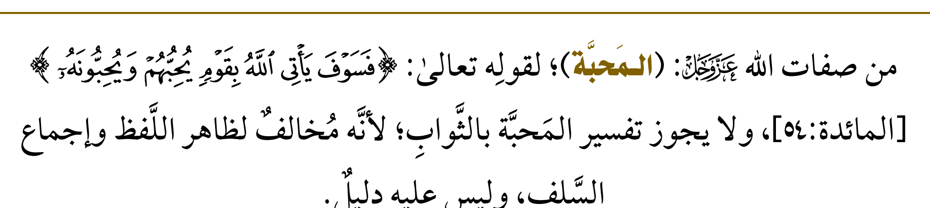
لا يلزم فيها وُقوعُ المُرادِ.

ولا يكون المُرادُ فيها إلَّا مَحبوبًا لله.





## الْمَحَبَّةُ والْمَغْفِرَةُ والرَّحْمَةُ



من صفات الله عَزَّوَجَلَّ: (**المَحبَّة**)؛ لقولِه تعالىٰ: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة:٥٤]، ولا يجوز تفسير المَحبَّة بالثَّوابِ؛ لأنَّه مُخالفٌ لظاهر اللَّفظ وإجماع السَّلف، وليس عليه دليلٌ.

ومن أسماء الله عَزَّوَجَلَّ: (**الْوَدُودُ**)؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ١٤﴾[البروج]، والوُدُّ: (خالصُ المَحبَّة).

**قالَ تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ٩٦﴾[النِّساء:٩٦]، فيها صِفتَان:**

[١] **المغفرة**: هي: (سَترُ الذَّنب والتَّجاوُز عنه).

[٢] **الرَّحمة**: وهي صفةٌ تقتضي الإحسان والإنعام، وتنقسم إلىٰ:

[أ] **عامَّة**: وهي الشَّاملة لكلِّ أحدٍ، ودليلُها قولُه تعالىٰ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[الأعراف:١٥٦]، وقوله: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾[غافر:٧].

[ب] **خاصَّة**: وهي الَّتي تختصُّ بالمُؤمنين، ودليلُها قولُه تعالىٰ: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ٤٣﴾ [الأحزاب].

ولا يصحُّ تفسير الرَّحمة بالإحسان؛ لأنَّه مُخالفٌ لظاهر اللَّفظ وإجماع السَّلف، ولا دليل عليه.





# الرِّضَا وَالْغَضَبُ وَالْكَرَاهَةُ وَالْمَقْتُ وَالأَسَفُ [وَالانْتِقَامُ]

**من صفات الله عَزَّوَجَلَّ:**

**[١] الرِّضا:** مُقتَضاها: مَحبَّة المَرضِيِّ عنه، والإحسان إليه، ودليلُها: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾ [المائدة:١١٩].

**[٢] الغضب:** مُقتَضاها: كراهةُ المَغضوبِ عليه، والانتقامُ منه، ودليلُها: ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ﴾ [النِّساء:٩٣].

**[٣] السُّخط:** معناها قريبٌ من صفة الغضب، ودليلُها: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضۡوَٰنَهُۥ﴾ [محمَّد:٢٨].

**[٤] الكراهة:** من صفات الله الفعليَّة، مُقتَضاها: إبعادُ المَكروه، ومُعاداتُه، والدَّليل عليها: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ﴾ [التَّوبة:٤٦].

**[٥] المقت:** وهو أشدُّ البُغض، والبُغضُ قريبٌ من معنىٰ الكراهية، ودليل المقت: ﴿كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٣﴾ [الصَّفّ].

**ومن صِفات اللَّه عَزَّوَجَلَّ الأسفُ، وله في اللُّغة مَعنيان:**

**[١] الغضب:** وهذا جائزٌ علىٰ الله، والدَّليل قوله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ﴾ [الزُّخرُف:٥٥]، أي: أغضبونا.

**[٢] الحُزن:** وهذا لا يجوز علىٰ الله، ولا يصحُّ أن يُوصَف به؛ لأنَّ الحُزن صفة نقصٍ، والله عَزَّوَجَلَّ مُنزَّهٌ عن النَّقص.

ولا يجوز تفسير الرِّضا بالثَّواب، والغضبِ بالانتقامِ، والكَراهةِ والمَقتِ بالعُقوبةِ؛ لأنَّه مُخالفٌ لظاهر اللَّفظ وإجماع السَّلف، وليس عليه دليلٌ.





# الْمَجِيءُ وَالإِتْيَانُ

**من صِفات الله عَزَّ وَجَلَّ الفعليَّة الثَّابتة له على الوجه اللائق به:**

[١] **الْمَجِيءُ:** لقوله تعالىٰ: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ٢٢﴾[الفجر].

[٢] **الإِتْيَانُ:** لقوله تعالىٰ: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾[البقرة:٢١٠].

ولا يصحُّ تفسير هاتين الصِّفتين بمَجيءِ أو إتيانِ أمرِه عَزَّ وَجَلَّ، لأنَّه مُخالفٌ لظاهر اللَّفظ وإجماع السَّلف، ولا دليل عليه.

والمُراد بقوله تعالىٰ: ﴿أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ﴾[الأنعام:١٥٨] = طُلوعُ الشَّمس من مَغربِها الَّذي به تنقطع التَّوبة؛ كما جاء تفسيره بذلك مَرفوعًا إلىٰ النَّبيِّ ﷺ. أخرجه أحمد والتِّرمذيُّ.

**ما وجه ذكر المُؤلِّف رَحِمَهُ اللَّهُ من أدلَّة مَجيء الله عَزَّ وَجَلَّ قوله تعالىٰ: ﴿وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلۡغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ٢٥﴾[الفرقان]، مع أنَّه ليس في الآية ذكرُ المَجيء؟**

وجه ذلك أنَّ تشقُّقَ السَّماء بالغمام وتنزيلَ المَلائكة إنَّما يكونان عند مَجيءِ الله عَزَّ وَجَلَّ للقضاء بين عباده؛ فيكون من باب الاستدلال بأحد الأمرين علىٰ الآخر لما بينهما من التَّلازُم.



## بعض الصِّفات الذَّاتيَّة

### من صِفات الله عَزَّوَجَلَّ الوجهُ:

[١] **ثبوتُها:** من صفات الله الذَّاتيَّة الثَّابتة له حقيقةً علىٰ الوجه اللَّائق به.

[٢] **دليلُها:** ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ٢٧﴾ [الرَّحمن].

[أ] **والجلالُ:** العظمةُ.

[ب] **والإكرامُ:** إعطاءُ الطَّائعين ما أُعِدَّ لهم من الكرامة.

### ومن صِفات الله عَزَّوَجَلَّ اليدان:

[١] **ثبوتُها:** من صفاته الذَّاتيَّة الثَّابتة له حقيقةً علىٰ الوجه اللَّائق به، يَبسُطُهما كيف يشاء، ويقبِضُ بهما ما شاءَ.

[٢] **دليلُها:** قوله تعالىٰ: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾[المائدة:٦٤]، وقولُه: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ [ص:٧٥].

ولا يجوز تفسير اليدين بالقُوَّة؛ لأنَّه مُخالفٌ لظاهر اللَّفظ وإجماع السَّلف، وليس عليه دليلٌ، وفي السِّياق ما يمنعه وهو التَّثنية؛ لأنَّ القُوَّة لا يُوصَف اللهُ بها بصيغةِ التَّثنية.

### ومن صِفات الله عَزَّوَجَلَّ العينان:

[١] **ثبوتُها:** من صفاتِه الذَّاتيَّةِ الثَّابتة له حقيقةً علىٰ الوجه اللَّائق به، ينظُرُ بهما ويُبصِرُ ويرىٰ.

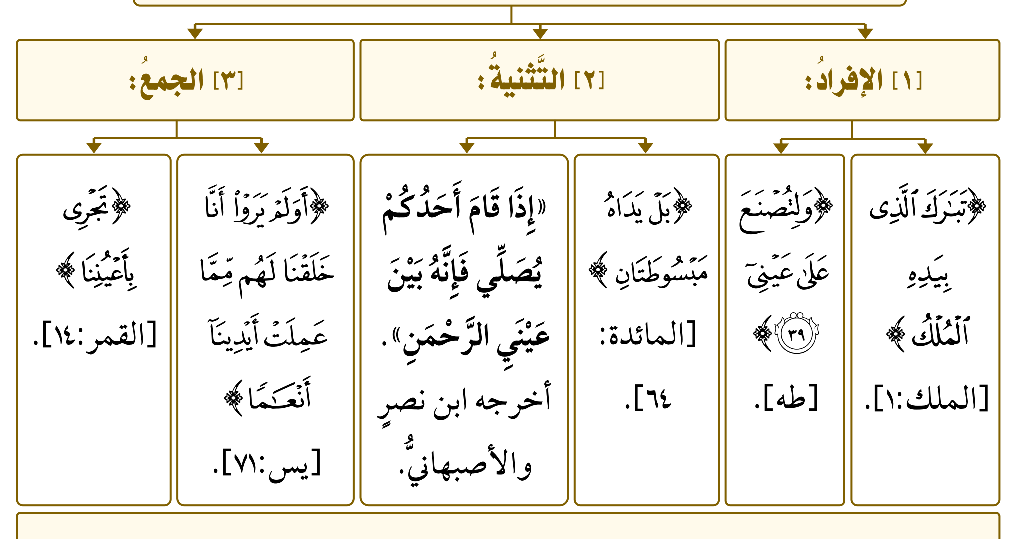
[٢] **دليلُها:** قوله تعالىٰ: ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ٣٩﴾ [طه]، وقوله: ﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾ [القمر:١٤].



ولا يجوز تفسيرُ العينين بالعلم ولا بالرُّؤية مع نفي العين؛ لأنَّه مُخالِفٌ لظاهر اللَّفظ وإجماع السَّلف علىٰ ثبوتِ العين لله، ولا دليل عليه.

والجواب عن تفسير بعض السَّلف قوله تعالىٰ: ﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾[القمر:١٤] أي: بمرأًى منَّا = أنَّهم لم يُريدوا بذلك نفي حقيقة مَعنىٰ العينِ، وإنَّما فسَّروها باللَّازم مع إثباتِهم العينَ، وهذا لا بأس به، بخلاف الَّذين يُفسِّرون العين بالرُّؤية ويُنكرون حقيقة العين.

**الوجوه الَّتي وردت عليها صفتا اليدين والعينين ثلاثةٌ:**

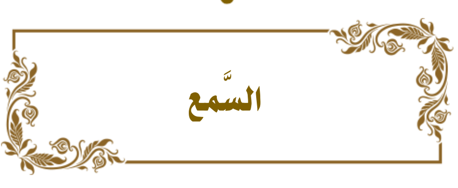



**والجمع بين هذه الوجوه:**

أنَّه لا مُنافاة بين الإفراد والتَّثنية؛ لأنَّ المُفرد المُضاف يَعُمُّ، فإذا قيل: (يد الله وعين الله) شمل كلَّ ما ثبت له من يدٍ أو عينٍ.

وأمَّا التَّثنية والجمع فلا مُنافاة بينهما أيضًا؛ لأنَّ المَقصود بالجمع هنا التَّعظيم، وهو لا يُنافي التَّثنية.





# السَّمع

**صفة السَّمع لله عَزَّوَجَلَّ:**

[١] **ثبوتُها:** من الصِّفات الثَّابتة لله عَزَّوَجَلَّ حقيقةً علىٰ الوجه اللَّائق به.

[٢] **دليلُها:** قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ١٣٧﴾[البقرة].

**لسمع الله عَزَّوَجَلَّ معنيان:**

[١] **الإجابة:** من الصِّفات الفعليَّة، ومثالُه: ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ٣٩﴾[إبراهيم:٣٩].

[٢] **إدراك المَسموع:** من الصِّفات الذاتيَّة، مثاله: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾[المجادلة:١]، وقد يُراد به:

[أ] **النَّصر والتَّأييد:** كقوله تعالىٰ لموسىٰ وهارون: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ٤٦﴾[طه].

[ب] **التَّهديد:** كقوله تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾[آل عمران:١٨١]، وقوله تعالىٰ: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمۚ﴾[الزُّخرف:٨٠].





## الرُّؤْيَةُ

**الرُّؤية صفةٌ ثابتةٌ لله عَزَّوَجَلَّ حقيقةً على الوجه اللائق به، ولها معنيان:**

[١] **البصر:** وهو: (إدراكُ المَرئيَّاتِ والمُبصَراتِ)، ودليلها قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [طه]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشُّورىٰ]، وقد يُرادُ به:

[أ] **النَّصر والتَّأييد:** مثل قوله تعالىٰ: ﴿لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [طه].

[ب] **التَّهديد:** كقوله تعالىٰ: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾﴾ [العلق].

[٢] **العلم:** ودليلها قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا ﴿٧﴾﴾ [المعارج]، أي: نَعلَمُه.



## العَفُوُّ

**اسم الله العَفُوُّ:**

[١] **مَعناه:** هو: (المُتجاوِزُ عن سيِّئاتِ الغيرِ).

[٢] **دليلُه:** قوله تعالىٰ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾﴾ [النِّساء].



# المَكْرُ وَالْكَيْدُ وَالمِحالُ

معنىٰ هذه الكلمات مُتقاربٌ، وهو: (التَّوصُّل بالأسباب الخفيَّة إلىٰ الانتقام من العَدُوِّ).

**حكمُ إطلاقِها علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ:**

[١] **عند الإطلاق:** لا يجوز وصف الله بها وصفًا مُطلقًا؛ لأنَّها تحتمل المَدح والذَّمَّ، والله سبحانه مُنزَّهٌ عن الوصف بما يحتمل الذَّمَّ.

[٢] **عند التَّقييد:** يجوز وصفُه عَزَّوَجَلَّ بها مُقيَّدةً، فيوصَفُ الله بها علىٰ وجهٍ تكون مدحًا لا يحتمل الذَّمَّ دالًّا علىٰ علمِه، وقُدرتِه، وقُوَّتِه، فهذا جائزٌ؛ لأنَّه يدلُّ علىٰ كمال الله عَزَّوَجَلَّ.

**دليلُ هذه الصِّفات:**

[١] **المَكرُ:** ﴿وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ٣٠﴾ [الأنفال].

[٢] **الكيدُ:** ﴿إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ١٥ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ١٦﴾ [الطَّارق].

[٣] **المحالُ:** ﴿وَهُمۡ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ ١٣﴾ [الرَّعد].

**المَكرُ والكَيدُ والمِحالُ صفاتٌ:**

[١] **مدحٍ:** إذا كانت لإثبات الحقِّ، وإبطال الباطل.

[٢] **ذمٍّ:** فيما عدا ذلك.

ولا يجوز أن يُشتَقَّ من هذه الصِّفات أسماءُ لله فيُقال: الماكر، والكائد؛ لأنَّ أسماء الله الحُسنىٰ لا تحتمل الذَّمَّ بأيِّ وجهٍ، وهذه عند إطلاقِها تحتمل الذَّمَّ كما سبق.





## مِنْ نُصوص الصِّفَاتِ السَّلْبِيَّةِ

ذكر المُؤلِّف رَحِمَهُ اللَّهُ آياتٍ كثيرةً في الصِّفات السَّلبيَّة، منها ما نذكره هنا:

### نفى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عن نفسِه:

**[١] السَّمِيَّ:** ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم].

**[٢] الكُفْءَ:** ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص].

**[٣] النِّدَّ:** ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة:٢٢].

معنىٰ هذه الألفاظ الثَّلاثةِ مُتقاربٌ، وهو: (الشَّبيه والنَّظير)، ونفيُ ذلك عن الله يتضمَّن: انتفاءَ ما ذُكر، وإثباتَ كمالِه؛ حيثُ لا يُشابِهُه أحدٌ لكمالِه.

### نفيُ الولدِ والشَّريكِ والوَليِّ عن الله عَزَّ وَجَلَّ:

قال تعالىٰ: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾﴾ [الإسراء]، فأمر اللهُ بحمدِه لانتفاءِ صفاتِ النَّقصِ عنه، وهي:

**[١] الولدُ:** ونفيُه عن الله عَزَّ وَجَلَّ يتضمَّن مع انتفائِه كمالَ غِناهُ.

**[٢] الشَّريك:** ويتضمَّنُ كمالَ وَحدانيَّتِه وقُدرَتِه.

**[٣] الوليُّ من الذُّلِّ:** ويتضمَّنُ كمالَ عِزِّه وقَهرِه.

**تنبيهٌ:** نفي الوليِّ هنا لا ينافي إثباتَه في مَوضعٍ آخرَ؛ كقولِه تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[البقرة:٢٥٧]، وقولِه: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾[يونس]؛ لأنَّ المَنفيَّ هو الَّذي سببُه الذُّلُّ، أمَّا الوليُّ بمعنىٰ الوَلايَةِ فليس بمَنفِيٍّ.



**الأمرُ بتسبيحِ الله عَزَّوَجَلَّ وتنزيهِه عن كلِّ نقصٍ:**

قاله تعالىٰ: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾[الجمعة:١]، والتَّسبيحُ: (تنزيهُ الله عن النَّقص والعيب)، وذلك يتضمَّن كمال صِفاتِه.

وفي الآية دليلٌ علىٰ أنَّ كلَّ شيءٍ يُسبِّح الله تسبيحًا حقيقيًّا بلسانِ الحالِ والمَقالِ؛ إلَّا الكافرَ، فإنَّ تسبيحَه بلسانِ الحالِ فقط؛ لأنَّه يصفُ الله بلسانِه بما لا يليقُ باللهِ عَزَّوَجَلَّ .

**نفيُ الولدِ وتعدُّد الآلهة والأمر بتنزيه الله :**

قال تعالىٰ: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾﴾[المؤمنون]، ففي هذه الآية:

[١] **نفيُ اتِّخاذِ الولدِ.**

[٢] **نفيُ تعدُّدِ الآلهةِ.**

[٣] **تنزيهُ اللَّه :** عمَّا وصفه به المُشركون.

وهذا يتضمَّن مع انتفاءِ ما ذُكِرَ: كمالَ الله، وانفرادَه بما هو من خصائصِه.

**برهن الله على امتناعِ تعدُّدِ الآلهةِ ببُرهانَين عقلِيَّين:**

[١] لو كان معه إلهٌ لانفرَدَ عن الله بما خلق، ومن المَعلوم عقلًا وحِسًّا أنَّ نظامَ العالَم واحدٌ، لا يتصادَمُ ولا يتناقَضُ، وهو دليلٌ علىٰ أنَّ مُدبِّرَه واحدٌ.

[٢] لو كان مع الله إلهٌ آخرُ لطلبَ أن يكون العُلُوُّ له، وحينئذٍ: إمَّا أن يغلب أحدهما الآخر فيكون هو الإله، وإمَّا أن يعجز كلُّ منهما عن الآخر فلا يستحقَّ واحدٌ منهما أن يكون إلهًا؛ لأنَّه عاجزٌ.



## تحريم الفواحش:

قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف].

وهذه المُحرَّماتُ الخمسُ أجمعت عليها الشَّرائع.

وفي تحريم الله عَزَّوَجَلَّ لهذه المُحرَّمات الخمس إثبات صفتين لله عَزَّوَجَلَّ:

[١] **الحكمة.**

[٢] **الغيرة.**

ومعنىٰ قوله: ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ أي: ما لم يُنزِّل به دليلًا، وهو قيدٌ لبيان الواقع؛ لأنَّه لا يمكن أن يقوم الدَّليل علىٰ الإشراك باللهِ، وعلىٰ هذا فلا مَفهومَ له.

وفي هذه الآية ردٌّ علىٰ:

[١] **المُشبِّهة:**

في قوله: ﴿وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾؛ لأنَّ المُشبِّهة أشركوا به حيث شبَّهوه بخلقِه.

[٢] **المُعطِّلة:**

في قوله: ﴿وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾؛ لأنَّ المُعطِّلة قالوا علىٰ الله ما لا يعلمون، حيث نَفَوا صفاتِه عنه بحُجَج باطلةٍ.

وهذا هو وجهُ مُناسبةِ ذِكرِ هذه الآيةِ في العقيدةِ.





## العُلُوُّ وأقسامُه

**العُلُوُّ هو الارتفاع، وأقسامُ عُلُوِّ الله تعالى ثلاثةٌ:**

[١] **عُلُوُّ الذَّات:** ومَعناهُ أنَّ الله بذاتِه فوقَ خلقِه.

[٢] **عُلُوُّ القَدْرِ:** ومَعناهُ أنَّ الله ذو قدرٍ عظيمٍ، لا يُساويه فيه أحدٌ من خَلقِه، ولا يعتريه معه نقصٌ.

[٣] **عُلُوُّ القَهْرِ:** ومَعناهُ أنَّ الله تعالىٰ قَهَرَ جميع المَخلوقاتِ، فلا يَخرُجُ أحدٌ منهم عن سُلطانِه وقَهرِه.

**أدلَّة عُلُوِّ الله عَزَّوَجَلَّ:**

[١] **الكتاب:** قولُه تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة].

[٢] **السُّنَّة:** قولُه ﷺ: «**رَبَّنَا اللهُ الَّذِي فِي السَّماءِ**». أخرجه أحمد وأبو داود. وإقرارُه الجارية حين سألها: «**أَيْنَ اللهُ؟**»، قالت: في السَّماء، فلم يُنكر عليها، بل قال لسيِّدها: «**أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ**». أخرجه مسلمٌ. وفي حجَّة الوداع أشهدَ النَّبيُّ ﷺ ربَّه علىٰ إقرار أمَّته بالبَلاغ، وجعل يرفع إصبعه إلىٰ السَّماء ثمَّ ينكُتُها إلىٰ النَّاس وهو يقول: «**اللَّهُمَّ اشْهَدْ**». مُتَّفقٌ عليه.

[٣] **الإجماع:** فهو مَعلومٌ بين السَّلف، ولم يُعلَم أنَّ أحدًا منهم قال بخلافِه.

[٤] **العقل:** لأنَّ العُلُوَّ صفةُ كمالٍ، واللهُ سبحانه مُتَّصِفٌ بكلِّ كمالٍ، فوجب ثبوتُ العُلُوِّ له.

[٥] **الفطرة:** فإنَّ كلَّ إنسانٍ مَفطورٌ علىٰ الإيمان بعُلُوِّ الله، ولذلك إذا دعا ربَّه وقال: يا ربِّ؛ لم ينصرف قلبُه إلَّا إلىٰ السَّماء.

والَّذي أنكرَه الجهميَّةُ من أقسام العُلُوِّ عُلُوُّ الذَّات، ونرُدُّ عليهم بما سبقَ في الأدلَّة.



## اسْتِوَاءُ اللَّهِ عَلَى عَرْشِهِ

**الاستواء:**

[١] **مَعناهُ:**

عُلُوُّه واستقرارُه عليه، وقد جاء عن السَّلف تفسيرُه بـ: العُلُوِّ، والاستقرارِ، والصُّعودِ، والارتفاعِ، والصُّعودُ والارتفاعُ يرجعان إلىٰ مَعنىٰ العُلُوِّ.

[٢] **دليلُه:**

قوله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه]، وقد ذُكِرَ في سبعة مَواضِعَ من القرآنِ، في: سورة الأعراف، ويونس، والرَّعد، وطه، والفرقان، وتنزيل السَّجدة، والحديد.

**يُرَدُّ على من فسَّرَ الاستواءَ بالاستيلاءِ والـمُلكِ بأمورٍ:**

[١] أنَّه خلافُ ظاهر النَّصِّ.

[٢] أنَّه خلافُ ما فسَّرَه به السَّلفُ.

[٣] أنَّه يلزم عليه لوازمُ باطلةٌ.

**العرشُ:**

[١] **لغةً:** سريرُ المُلكِ الخاصُّ به.

[٢] **شرعًا:** ما استوىٰ اللهُ عليه.

وهو من أعظم مَخلوقاتِ الله، بل أعظم ما علمنا منها، فقد جاء عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرَضُونَ السَّبْعُ بِالنِّسْبَةِ إِلَىٰ الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَحَلَقَةٍ أُلْقِيَتْ فِي فَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَرْشِ عَلَى الْكُرْسِيِّ كَفَضْلِ الْفَلَاةِ عَلَى تِلْكَ الْحَلَقَةِ**». أخرجه ابن حبَّان. فتبارك الله ربُّ العالمينَ.



# الْمَعِيَّةُ وَالْجَمْعُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْعُلُوِّ





## الـمَعيَّة:

**[١] مَعناها لغةً:**

المُقارنَةُ والمُصاحبةُ.

**[٢] دليل ثُبوتِها لله عَزَّوَجَلَّ:**

قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ﴾[الحديد:٤].

## تنقسم المعيَّة إلى قسمين:

**[١] عامَّةٍ:**

هي: الشَّاملة لجميع الخلق؛ كقوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ﴾.

ومُقتَضاها: الإحاطةُ بالخلقِ علمًا، وقُدرةً، وسُلطانًا، وتدبيرًا.

**[٢] وخاصَّةٍ:**

هي: الَّتي تختصُّ بالرُّسل وأتباعهم؛ كقوله تعالىٰ: ﴿لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾[التَّوبة:٤٠]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨﴾[النَّحل].

ومُقتَضاها مع الإحاطةِ: النَّصرُ، والتَّأييدُ.

## الجمعُ بين الـمَعِيَّةِ والعُلُوِّ من وجهين:

[١] أنَّه لا مُنافاةَ بينهما في الواقعِ، فقد يجتمعان في شيءٍ واحدس، ولذلك تقول: (ما زلنا نسيرُ والقمرُ معنا)؛ مع أنَّه في السَّماءِ.

[٢] أنَّه لو فُرِضَ أنَّ بينهما مُنافاةً في حقِّ المَخلوقِ لم يلزم أن يكون بينهما مُنافاةٌ في حقِّ الخالقِ؛ لأنَّه ليس كمثلِه شيءٌ، وهو بكلِّ شيءٍ مُحيطٌ.



**لا يصحُّ تفسيرُ مَعِيَّةِ الله بِكونِه معنا بذاتِه في المَكانِ؛ لأمورٍ:**

[١] أنَّه مُستحيلٌ علىٰ الله، حيث يُنافي عُلُوَّه، وعُلُوُّه مِن صِفاتِه الذَّاتيَّةِ الَّتي لا ينفكُّ عنها.

[٢] أنَّه خلافُ ما فسَّرَها به السَّلفُ.

[٣] أنَّه يلزَمُ علىٰ هذا التَّفسيرِ لوازِمُ باطلةٌ.



## مَعْنَى كَوْنِ اللَّهِ فِي السَّمَاءِ

**يحتمل أنَّ (في) بمعنى:**

[١] **على**: فتكون بمعنىٰ (علىٰ السَّماء) أي: فوقها؛ كما جاءت بهذا المعنىٰ في قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[الأنعام:١١]، أي: عليها.

[٢] **الظَّرفيَّة**: والسَّماء يُقصد بها:

[أ] **العُلُوُّ**: فيكون المعنىٰ أنَّ الله في العُلُوِّ، وقد جاءت السَّماء بمعنىٰ العُلُوِّ في قوله تعالىٰ: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾[الرَّعد:١٧].

[ب] **الأجرامُ المَحسوسةُ**: وهذا لا يصحُّ؛ لأنَّه يوهم أنَّ السَّماء تحيطُ بالله، وهذا مَعنًىٰ باطلٌ؛ لأنَّ الله أعظمُ من أن يُحيطَ به شيءٌ من مَخلوقاتِه.



## قَوْلُ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي كَلَامِ اللهِ تَعَالَى

**قولُهم:** أنَّه صفةٌ من صفاته، لم يزل ولا يزال يتكلَّم بكلامٍ حقيقيٍّ، بصوتٍ لا يُشبه أصواتَ المَخلوقينَ، وحروفٍ، يتكلَّمُ بما شاءَ، ومتىٰ شاءَ، وكيف شاءَ.

### أدلَّة أهل السُّنَّة على إثبات:

[١] **صفة الكلام:** كثيرةٌ، منها قوله تعالىٰ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾ [النِّساء]. وقوله: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف:١٤٣].

[٢] **أنَّه بصوتٍ:** قولُه تعالىٰ: ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ٥٢﴾ [مريم]. وقولُه ﷺ: «**يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، فَيُنَادِي بِصَوْتٍ: إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعْثًا إِلَى النَّارِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّي، وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟...**». مُتَّفقٌ عليه.

[٣] **أنَّه بحروفٍ:** قولُه تعالىٰ: ﴿وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ﴾ [البقرة:٣٥]، فمَقولُ القولِ هنا حُروفٌ.

[٤] **أنَّ كلامه** عَزَّوَجَلَّ **بمشيئته:** قوله تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف:١٤٣]، فالتَّكليمُ حصل بعد مَجيءِ موسىٰ عليه الصَّلاة والسَّلام.

### كلامُ اللهِ تعالى:

[١] **صفةُ ذاتٍ:** باعتبار أصلِه، فإنَّ اللهَ لم يزلْ ولا يزالُ قادرًا علىٰ الكلام مُتكلِّمًا.

[٢] **صفةُ فعلٍ:** باعتبار آحادِه؛ لأنَّ آحاد الكلام تتعلَّق بمَشيئتِه، متىٰ شاء تكلَّم.

أكثَرَ المُؤلِّفُ من ذِكر أدلَّةِ الكلام؛ لأنَّه أكثرُ ما حصلت فيه الخُصومةُ ووقعت به الفتنة.





## قَوْلُ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

**القرآنُ الكريمُ:**

| [١] كلامُ اللَّه: | [٢] مُنزَّلٌ: | [٣] غير مَخلوقٍ: | [٤] منه بدأ: | [٥] وإليه يعود: |
|---|---|---|---|---|
| دليلُهم قولُه تعالىٰ: ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التَّوبة:٦]، يعني: القرآنَ. | ودليلُهم قولُه تعالىٰ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ﴾ [الفرقان:١]. وقولُه: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٥٥﴾ [الأنعام]. | والدَّليلُ قولُه تعالىٰ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ﴾ [الأعراف:٥٤]، فجعل الأمرَ غيرَ الخلقِ، والقرآنُ من الأمرِ؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ﴾ [الشُّورىٰ:٥٢]، ولأنَّ القرآنَ من كلامِ الله؛ وكلامُ اللهِ صفةٌ من صِفاتِه؛ وصِفاتُ اللهِ غيرُ مَخلوقةٍ. | ومَعناهُ: أنَّ اللهَ تكلَّم به ابتداءً. | ومَعناهُ: أنَّه يرجعُ إلىٰ اللهِ في آخرِ الزَّمانِ حينما يُرفَعُ من المَصاحفِ والصُّدورِ؛ تكريمًا له إذا اتَّخذه النَّاسُ هُزُوًا ولَهْوًا. |



## السُّنَّةُ -وَقَدْ وَرَدَ فِيهَا صِفَاتٌ لَيْسَتْ فِي الْقُرْآنِ

### معنى السُّنَّة:

[١] **لغةً:** الطَّريقة.

[٢] **اصطلاحًا:** (شريعة النَّبيِّ ﷺ من: قوله، أو فعله، أو إقراره؛ خبرًا كانت أو طلبًا).

### الواجبُ تجاه سنَّة النَّبيِّ ﷺ:

[١] **الواجب:** الإيمانُ بما جاء فيها واجبٌ؛ كالإيمان بما جاء في القرآن، سواءٌ في أسماء الله وصفاته، أو في غيرها.

[٢] **الدَّليل:** لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾[الحشر:٧]، وقوله: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾[النِّساء:٨٠].





## صِفَةُ النُّزُولِ

### نزولُ اللهِ إلى السَّماءِ الدُّنيا:

[١] **دليلُه:** قوله ﷺ: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ حِينَ يَبْقَىٰ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ؛ فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟**». مُتَّفقٌ عليه.

[٢] **مَعناه عند أهل السُّنّة:** أنَّه ينزلُ بنفسِه سُبحانَه نُزولًا حقيقيًّا يليقُ بجَلالِه، ولا يَعلَمُ كيفيَّتَه إلَّا هو.

[٣] **علاقتُه بالعُلُوِّ:** نزولُه سُبحانَه إلىٰ السَّماء الدُّنيا لا يُنافي عُلُوَّه؛ لأنَّ الله سُبحانَه ليس كمثلِه شيءٌ، ولا يُقاسُ نُزولُه بنُزولِ مَخلوقاتِه.

### ذهبَ أهلُ التَّأويلِ إلى أنَّه نزولُ أمرِه، ونردُّ عليهم بما يأتي:

[١] أنَّه خلافُ ظاهرِ النَّصِّ، وإجماعِ السَّلف.

[٢] أنَّ أمرَ اللهِ ينزلُ كلَّ وقتٍ، وليس خاصًّا بثُلثِ اللَّيلِ الآخرِ.

[٣] أنَّ الأمرَ لا يُمكنُ أن يقول: (مَن يدعوني فأستجيب له؟) إلخ.





# الْفَرَحُ والضَّحِك

## الفرح صفةٌ لله عَزَّ وَجَلَّ:

[١] **مَعناها:** فرحٌ حقيقيٌّ يليقُ بالله، ولا يصحُّ تفسيرُه بالثَّوابِ؛ لأنَّه مُخالفٌ لظاهر اللَّفظ، وإجماع السَّلف.

[٢] **دليلُها:** قوله ﷺ: «**للهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ بِرَاحِلَتِهِ...**». أخرجه مسلمٌ.

## الضَّحك صفةٌ لله عَزَّ وَجَلَّ:

[١] **مَعناها:** ضحكُ حقيقيٌّ يليق بالله، وفسَّره أهلُ التَّأويل بالثَّواب، ونردُّ عليهم بأنَّه مُخالفٌ لظاهر اللَّفظ وإجماع السَّلف.

[٢] **دليلُها:** قوله ﷺ: «**يَضْحَكُ اللهُ إِلَىٰ رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ، كِلَاهُمَا يَدْخُلَانِ الْجَنَّةَ**». مُتَّفقٌ عليه.

صورة المسألة الَّتي في الحديث: أنَّ كافرًا يقتُلُ مُسلمًا في الجهادِ، ثمَّ يُسلِم ذلك الكافرُ، ويموتُ علىٰ الإسلام، فيَدخُلانِ الجنَّةَ كلاهما.





# الْعَجَبُ

**العَجَبُ صفةٌ لله عَزَّوَجَلَّ:**

**[١] معنى العَجَبِ في حقِّه عَزَّوَجَلَّ:**

**[أ] الـمُثْبَتُ:** عجبٌ حقيقيٌّ يليقُ بالله، سببُه خروجُ الشَّيء عن نظائرِه، أو عمَّا ينبغي أن يكونَ عليه.

**[ب] الـمَنفيُّ:** ما كان سببُه الجهلُ بسبَبِ المُتعجَّب منه؛ لأنَّ اللهَ لا يخفىٰ عليه شيءٌ.

**[٢] دليلُه من الكتابِ:** قولُه تعالىٰ: ﴿بَلْ عَجِبْتُ﴾ علىٰ قراءة ضمِّ التَّاء.

**[٣] دليلُه من السُّنَّة:** قولهُ ﷺ: «**عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ وَقُرْبِ غِيَرِهِ**». أخرجه أحمد وابن ماجه.

وفسَّر أهلُ التَّأويل العَجَبَ بثوابِ الله أو عُقوبَتِه، ويُرَدُّ عليهم بأنَّه خلافُ ظاهرِ النَّصِّ وإجماعِ السَّلفِ.





# الْقَدَمُ

**القَدَمُ صفةٌ لله عَزَّوَجَلَّ:**

**[١] مَعناها:**

فسَّر أهلُ السُّنَّة الرِّجْلَ والقَدَمَ بأنَّها حقيقيَّةٌ على الوجه اللَّائق بالله.

وفسَّر أهلُ التَّأويلِ الرِّجلَ بالطَّائفة -أي: الطَّائفةُ الَّذين يضعُهم اللهُ في النَّار-، والقدم بالمُقدَّمين إلى النَّار.

ونردُّ عليهم بأنَّ تفسيرَهم مُخالِفٌ لظاهر اللَّفظ وإجماع السَّلف، وليس عليه دليلٌ.

**[٢] دليلُها:**

قولُه ﷺ: «**لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَىٰ فِيهَا وَهِيَ تَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟ حَتَّىٰ يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا رِجْلَهُ** -وفي روايةٍ: **عَلَيْهَا قَدَمَهُ**-؛ **فَيَنْزَوِيَ بَعْضُهَا إِلَىٰ بَعْضٍ، وَتَقُولُ: قَطْ، قَطْ!**». مُتَّفقٌ عليه.





## حَدِيثَان فِي الصِّفَات

### الحديث الأوَّل:

قال ﷺ: «رَبَّنَا اللهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ، تَقَدَّسَ اسْمُكَ، أَمْرُكَ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، كَمَا رَحْمَتُكَ فِي السَّمَاءِ اجْعَلْ رَحْمَتَكَ فِي الأَرْضِ، اغْفِرْ لَنَا حُوبَنَا وَخَطَايَانَا، أَنْتَ رَبُّ الطَّيِّبِينَ، أَنْزِلْ رَحْمَةً مِنْ رَحْمَتِكَ، وَشِفَاءً مِنْ شِفَائِكَ عَلَى هَذَا الْوَجِعِ؛ فَيَبْرَأَ».

أخرجه أبو داود.

وفيه إثبات جملةٍ من صفات الله عَزَّوَجَلَّ:

[١] ربوبيَّةُ الله عَزَّوَجَلَّ.

[٢] عُلُوُّه في السَّماءِ.

[٣] تَقَدُّسُ أسمائِه عن كلِّ نقصٍ.

[٤] الرَّحمة.

[٥] أنَّ له الأمر في السَّماءِ والأرضِ، فحكمُه فيهما نافِذٌ.

[٦] الشِّفاءُ، وهو رفعُ المَرضِ.

### الحديث الثَّاني:

قَوْلُهُ لِلْجَارِيَةِ: «أَيْنَ اللهُ؟»، قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ، قَالَ: «مَنْ أَنَا؟»، قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، قَالَ: «أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وفيه إثبات صفتين من صفات الله عَزَّوَجَلَّ:

[١] إثباتُ المكانِ لله.

[٢] أنَّه في السَّماء.



# كَوْنُ اللَّهِ تَعَالَى قِبَلَ وَجْهِ الْمُصَلِّي

## المُقابلةُ صفةٌ لله عَزَّوَجَلَّ:

[١] **إثباتها:** ثابتةٌ لله حقيقةً علىٰ الوجه اللَّائق به، ولا تُنافي عُلُوَّه.

[٢] **دليلُها:** قولُه ﷺ: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلَاةِ فَلَا يَبْصُقْ قِبَلَ وَجْهِهِ؛ فَإِنَّ اللهَ قِبَلَ وَجْهِهِ...». مُتَّفقٌ عليه.

## الجمعُ بين المُقابلة والعُلُوِّ من وجهين:

[١] أنَّ الاجتماعَ بينهما مُمكنٌ في حقِّ المَخلوق؛ كما لو كانت الشَّمسُ عند طُلوعِها، فإنَّها قِبَلَ وجهِ مَن استقبلَ المَشرِقَ، وهي في السَّماءِ، فإذا جاز اجتماعُها في المَخلوقِ فالخالقُ أَولىٰ.

[٢] أنَّه لو لم يُمكنِ اجتماعُها في حقِّ المَخلوقِ، فلا يَلزَمُ أن يمتنعَ في حقِّ الخالقِ؛ لأنَّ الله ليس كمثلِه شيءٌ.





# القُرْبُ

## قُربُ الله تعالى من عِباده:

**[١] مَعناهُ:**

هو دُنُوُّه منهم، وهو قُربٌ حقيقيٌّ يليق بالله تعالىٰ، ولا يُنافي عُلُوَّه؛ لأنَّه تعالىٰ بكلِّ شيءٍ مُحيطٌ، ولا يُقاسُ بخَلقِه؛ لأنَّه ليس كمثلِه شيءٌ.

**[٢] دَليلُه من القرآنِ:**

قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[البقرة:١٨٦].

**[٣] دَليلُه من السُّنَّةِ:**

قوله ﷺ: «**إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا**». مُتَّفقٌ عليه.



# رُؤْيَةُ الْعِبَادِ لِرَبِّهِمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى

## رُؤية المُؤمنين لله عَزَّ وَجَلَّ ثابتةٌ بـ:

[١] **الكتاب:** قال تعالىٰ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[يونس:٢٦]، وقد فسَّر النَّبيُّ ﷺ الزِّيادة بالنَّظر إلىٰ وجهِ اللهِ. أخرجه مسلمٌ.

[٢] **السُّنَّة:** قوله ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَلَّا تُغْلَبُوا عَلَىٰ صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَصَلَاةٍ قَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا». مُتَّفقٌ عليه.

التَّشبيهُ في هذا الحديث للرُؤيَةِ بالرُّؤيَةِ، لا للمَرْئِيِّ بالمَرْئِيِّ؛ لأنَّ كافَ التَّشبيه داخلةٌ علىٰ فِعلِ الرُّؤيةِ المُؤوَّلِ بالمَصدرِ، ولأنَّ اللهَ ليس كمِثلِه شيءٌ.

والمُرادُ بالصَّلاتين المَذكورَتَين صلاتا الفَجرِ والعَصرِ.

## رُؤية اللَّه عَزَّ وَجَلَّ خاصَّةٌ بـ:

[١] **بالآخرة:** ولا تكونُ في الدُّنيا؛ لقولِه تعالىٰ لمُوسىٰ حينَ سألَه رُؤيتَه ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾[الأعراف:١٤٣]، وقولِه ﷺ: «وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ لَنْ تَرَوْا رَبَّكُمْ حَتَّىٰ تَمُوتُوا». أخرجه ابن ماجه والحاكم.

[٢] **بالمُؤمنينَ:** ولا تشمَلُ الكُفَّارَ؛ لقوله تعالىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين].



**دَليلُ كَونِ الرُّؤيةِ بالعين:**

[١] أنَّ اللهَ أضافَ النَّظر إلىٰ الوجهِ الَّذي هو مَحلُّ العين؛ فقال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾[القيامة].

[٢] أنَّه جاء في الحديث: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ عِيَانًا**». أخرجه البُخاريُّ.

وفسَّره أهلُ التَّأويلِ برُؤيةِ الثَّواب، أي: إنَّكم سترون ثوابَ ربِّكم، ونرُدُّ عليهم بأنَّه خلافُ ظاهر اللَّفظ وإجماع السَّلف، وليس عليه دليلٌ.



## مَذْهَبُ الْجَهْمِيَّةِ وَالأَشْعَرِيَّةِ وَالْكلابيَّةِ فِي كَلَامِ الله

**مَذاهب الفِرق الثَّلاث في كلامِ الله:**

[١] **الجهميَّة:** أنَّه خلقٌ مِن مَخلوقاتِه، لا صفةٌ من صِفاتِه، وإنَّما أضافَهُ الله إليه تشريفًا وتكريمًا؛ كما أضاف إليه البيتَ والنَّاقة في قولِه: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ﴾[الحج:٢٦]، وقولِه: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف:٧٣].

[٢] **الأشعريَّة:** أنَّ الكلام صِفةٌ من صِفاتِه، لكنَّه هو المَعنىٰ القائمُ بالنَّفس، وهذه الحُروفُ مَخلوقةٌ لتُعَبِّر عنهُ.

[٣] **الكُلاَّبيَّة:** مثل قول الأشعريَّة، إلَّا أنَّهم سَمَّوُا الألفاظَ حكايةً لا عبارةً.

وعلىٰ مَذهبيهما: ليس كلامُ الله تعالىٰ بحَرفٍ وصوتٍ، وإنَّما هو المَعنىٰ القائمُ بنفسِه.





## وَسَطِيَّةُ هَذِهِ الأُمَّةِ بينَ الأُمَمِ

### هذه الأُمَّةُ وسطٌ بين الأُمَمِ:

ودليل ذلكَ قولُه تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا﴾[البقرة:١٤٣]، وقولُه: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ﴾[آل عمران:١١٠].

**[١] مِثالُ وسطيَّتها في العِباداتِ:**

ما رفعَه اللهُ عن هذه الأمَّة من الحرجِ والمشقَّة اللَّذَين كانا علىٰ مَن قبلها، فهذه الأمَّة إذا عَدِموا الماءَ تيمَّموا وصَلَّوْا في أيِّ مَكانٍ، بينما الأممُ الأخرىٰ لا يُصَلُّون حتَّىٰ يجدوا الماءَ، ولا يُصَلُّون إلَّا في أمكِنَةٍ مُعيَّنةٍ.

**[٢] مِثالُ وسطيَّتها في غيرِ العِباداتِ:**

القصاصُ في القتل كان مَفروضًا علىٰ اليَهودِ، ومَمنوعًا عند النَّصارىٰ، ومُخيَّرًا بينه وبين العَفوِ أو الدِّية عند هذه الأمَّة.



# أَهْلُ السُّنَّةِ والْجَمَاعةِ وَسَطٌ بَيْنَ فِرقِ الأُمَّةِ

## فِرَقُ هذه الأُمَّةِ:

فِرَقُ هذه الأمَّةِ ثلاثٌ وسبعونَ فرقةً، والنَّاجي مِنها مَن كانَ علىٰ مِثلِ ما عليه النَّبيُّ ﷺ وأصحابُه، وكلُّها في النَّارِ إلَّا النَّاجيةُ؛ لقوله ﷺ: «**افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ إِحْدَىٰ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَسَتَفْتَرِقُ هَذِهِ الْأُمَّةُ عَلَىٰ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةٌ**»، قَالُوا: مَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**مَنْ كَانَ عَلَىٰ مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي**». [حديثٌ مُلفَّقٌ - يُنظر «العرش» للذَّهبيِّ.]

## أهلُ السُّنَّةِ والجَماعةِ وسطٌ بين فِرَقِ الأمَّةِ في أُصولٍ خَمسَةٍ:

| [١] أسماءِ الله وصِفاتِه. | [٢] القضاءِ والقَدرِ. | [٣] الوَعيدِ بالعَذابِ. | [٤] أسماءِ الإيمانِ والدِّينِ. | [٥] أصحابِ النَّبيِّ ﷺ. |
|---|---|---|---|---|

## [١] في بابِ أسماءِ اللَّهِ وصِفاتِه:

| [أ] أهل التَّعطيل: | [ب] أهلُ السُّنَّة: | [ج] أهل التَّشبيه: |
|---|---|---|
| يُنكِرونَ صِفاتِ اللهِ. | يُثبِتونَها بلا تشبيهٍ. | يُثبِتونَها مع التَّشبيهِ. |



**[٢] في بابِ القضاءِ والقَدرِ (الَّذي عبَّرَ عنهُ الـمُؤلِّفُ بأفعالِ الله):**

**[أ] الجَبريَّة:** يُثبِتونَ قضاءَ الله في أفعالِ العبدِ، ويقولون: إنَّه مُجبَرٌ لا قُدرةَ له، ولا اختيارَ.

**[ب] أهلُ السُّنَّة:** يُثبِتونَ قضاءَ اللهِ في أفعالِ العَبدِ، ويقولون: إنَّ له قُدرَةً واختيارًا أودَعَهُما اللهُ فيه، مُتعلِّقَين بقضاءِ اللهِ.

**[ج] القَدَريَّة:** يُنكِرونَ قضاءَ الله في أفعالِ العبدِ، ويقولون: إنَّ العبدَ قادرٌ مُختارٌ، لا يتعلَّق فِعلُه بقضاءِ اللهِ.

**[٣] في بابِ الوَعيدِ بالعَذابِ:**

**[أ] الوَعيديَّة:** يقولونَ: فاعلُ الكَبيرةِ مُخلَّدٌ في النَّارِ.

**[ب] أهلُ السُّنَّة:** يقولونَ: مُستحِقٌّ لدُخولِ النَّارِ دونَ الخُلودِ فيها.

**[ج] الـمُرجِئة:** يقولونَ: لا يدخُلُ النَّارَ، ولا يستحِقُّ ذلكَ.

**[٤] في بابِ أسماءِ الإيمانِ والدِّين:**

**[أ] الـمُرجئة:** يُسَمُّون فاعلَ الكَبيرةِ مُؤمنًا كاملَ الإيمانِ.

**[ب] أهلُ السُّنَّة:** يقولون: إنَّه مُؤمنٌ ناقصُ الإيمانِ، أو: مُؤمنٌ بإيمانِه فاسِقٌ بكَبيرَتِه.

**[ج] الـمُعتَزلة والحَروريَّة:** يُسَمُّون فاعلَ الكَبيرةِ غيرَ مُؤمنٍ، لكنَّ:

- **الـمُعتَزلة:** يقولونَ: لا مُؤمِنٌ ولا كافرٌ، في مَنزلةٍ بين مَنزلتين.
- **الحَروريَّة:** يقولونَ: إنَّه كافرٌ.



**[٥] في بابِ أصحابِ النَّبيِّ ﷺ:**

**[أ] الرَّوافض:**

بالَغوا في حُبِّ آلِ النَّبيِّ ﷺ، وغَلَوْا فيهم حتَّىٰ أنزَلوهُم فوقَ مَنزلَتِهم.

**[ب] أهلُ السُّنَّةِ:**

يُحبُّونَ الصَّحابة جميعَهم، ويُنَزِّلون كلَّ واحدٍ مَنزلَتَه الَّتي يستحقُّها من غير غُلُوٍّ ولا تَقصير.

**[ج] الخَوارج:**

يُبغِضون آلَ النَّبيِّ ﷺ ويَسُبُّونَهم.



## طَوَائِفُ الْمُبْتَدِعَةِ الذينَ أَشَارَ إِلَيهِمُ الْمُؤَلِّفُ فِي هَذِهِ الأُصُولِ السَّابِقَةِ

ذكر رَحِمَهُ اللَّهُ أربع طوائفَ:

[١] **الجهميَّة:** وهم أتباعُ الجهم بن صفوان، الَّذي أخذ التَّعطيل عن الجعد بن درهم، وقُتِل في خُراسان سنة ١٢٨هـ.

[٢] **الـمُعتزلة:** وهم أتباعُ واصل ابن عطاءَ، الَّذي اعتزل مجلس الحسن البصريِّ حين كان الحسنُ يُقرِّر أنَّ فاعل الكبيرة مُؤمنٌ ناقص الإيمان، فاعتزله واصلٌ وجعل يُقرِّر أنَّ فاعلَ الكبيرةِ في منزلةٍ بين مَنزلتينِ.

[٣] **الخوارج:** سُمُّوا بذلك لخُروجهم علىٰ إمام المسلمين، ويُقال لهم: الحَرورِيَّة؛ نسبةً إلىٰ حَروراء، مَوضعٌ بالعراق قرب الكوفة، خرجوا فيه علىٰ عليِّ بن أبىٰ طالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كانوا من أشدِّ النَّاس تَديُّنًا في الظَّاهر، حتَّىٰ قال فيهم النَّبيُّ ﷺ لأصحابِه: «**يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ**»، «**يَقْرَءُونَ الْقُرْءَانَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ؛ فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ؛ فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا لِمَنْ قَتَلَهُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ**». مُتَّفقٌ عليهما.

[٤] **الرَّوافض:** سُمُّوا شيعةً لتَشيُّعِهم لآل البيتِ، وسُمُّوا روافض لأنَّهم رفضوا زيد بن عليِّ بن الحسين بن عليِّ بن أبىٰ طالبٍ، حين سألوه عن أبي بكرٍ وعمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فأثنىٰ عليهما، وقال: (هما وزيرا جدِّي)، يعني: النَّبيَّ ﷺ؛ فانصرفوا عنه ورفضوه.



**[١] مذهبُ الجهميَّة:**

**[أ] في الصِّفاتِ:** إنكارُ صفاتِ الله، وغُلاتُهم يُنكِرون حتَّىٰ الأسماءَ، ولذلك سُمُّوا بالمُعطِّلة.

**[ب] في أفعالِ العبادِ:** أنَّ العبدَ مَجبورٌ علىٰ عمله، ليس له قُدرةٌ ولا اختيارٌ، ومِن ثَمَّ سُمُّوا جَبريَّةً.

**[ج] في الوعيدِ وأسماءِ الإيمانِ والدِّينِ:** أنَّ فاعل الكبيرةِ مُؤمنٌ كاملُ الإيمانِ، ولا يدخل النَّارَ، ولذلك سُمُّوا مُرجِئَةً.

فهم أهلُ الجيماتِ الثَّلاث: تجهُّمٌ، وجَبرٌ، وإرجاءٌ.

**[٢] مذهبُ المُعتزلةِ:**

**[أ] في الصِّفاتِ:** إنكارُ صفاتِ الله كالجهميَّة.

**[ب] في أفعالِ العبادِ:** أنَّ العبد مُستقِلٌّ بفعلِه، يفعل بإرادةٍ وقُدرةٍ مُستقِلًا عن قضاء الله وقدره، عكس الجهميَّة؛ ولذلك سُمُّوا قدريَّةً.

**[ج] في الوعيدِ:** أنَّ فاعل الكبيرة مُخلَّدٌ في النَّار، عكس الجهميَّة القائلين بأنَّه لا يدخلُ النَّارَ، ولذلك سُمُّوا الوَعيديَّة.

**[د] في أسماءِ الإيمانِ والدِّينِ:** أنَّ فاعل الكبيرة في مَنزلةٍ بين مَنزلتين، ليس مُؤمنًا ولا كافرًا، عكس الجهميَّة القائلين بأنَّه مُؤمنٌ كامل الإيمان، ولذلك سُمُّوا أصحاب المَنزلة بين مَنزلتينِ.

**[٣] مذهبُ الخَوارج:**

**في الوعيدِ:** أنَّ فاعلَ الكبيرةِ مُخلَّدٌ في النَّار، كافرٌ يحِلُّ دمُه ومالُه، ومِن ثَمَّ استباحوا الخُروجَ علىٰ الأئمَّة إذا فسقوا.



[٤] مذهبُ الرَّوافضِ:

في الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: أنَّهم يغلُونَ في آلِ بيت النَّبيِّ ﷺ، ويُفضِّلون عليَّ بن أبي طالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على جميع الصَّحابةِ، ومنهم من يُفضِّلُه على النَّبيِّ ﷺ، ومنهم من يجعله ربًّا.



## الْيَوْمُ الآخِرُ

الْيَوْمُ الآخِرُ:

هو يومُ القيامةِ.

ويدخلُ في الإيمان به: كلُّ ما أخبر به النَّبيُّ ﷺ ممَّا يكونُ بعد الموتِ؛ كفتنة القبرِ، وعذابه، ونعيمه، وغير ذلك.

والإيمانُ به واجبٌ.

ومَنزِلتُه من الدِّين أنَّه أحدُ أركان الإيمانِ السِّتَّةِ.





## فِتْنَةُ الْقَبْرِ

**فِتْنَةُ الْقَبْرِ:** سُؤالُ المَلَكين (مُنكَرٍ ونكيرٍ) المَيِّتَ عن: ربِّه، ودينِه، ونبيِّه:

[١] **جوابُ المُؤمنِ:**
يُثبِّتُ الله الَّذين آمنوا بالقول الثَّابت، فيقول المُؤمن: (ربِّيَ اللهُ، وديني الإسلامُ، ونبيِّي مُحمَّدٌ ﷺ).

[٢] **جوابُ المُرتابِ أو الكافرِ:**
يقول: (هاه هاه، لا أدري، سمعتُ النَّاسَ يقولون شيئًا فقُلتُه).

**فِتنةُ القَبرِ عامَّةٌ لكلِّ ميِّتٍ إلاَّ:**

[١] الشَّهيدُ.

[٢] من مات مُرابطًا في سبيلِ اللهِ.

[٣] الرُّسل لا يُسأَلونَ؛ لأنَّهم المَسؤولُ عنهم.

واختُلِفَ في غيرِ المُكلَّفِ؛ كالصَّغير:

[أ] فقيلَ: يُسألُ؛ لعُمومِ الأدلَّةِ.

[ب] وقيلَ: لا؛ لعدمِ تكليفِهِ.

**قَولُ أهلِ السُّنَّةِ في نعيمِ القبرِ وعذابِهِ:**

أنَّه حقٌّ ثابتٌ.
لقولِه تعالىٰ في آلِ فِرعونَ: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۖ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ٤٦﴾[غافر]، وقولِه في المُؤمنين: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠﴾ [فصِّلت].



ولقولِه ﷺ في الكافر حين يُسأَلُ في قبره فيُجيبُ: «فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ عَبْدِي؛ فَأَفْرِشُوهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَىٰ النَّارِ»، وقولِه في المُؤمن إذا سُئلَ في قبره فأجابَ: «فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ صَدَقَ عَبْدِي؛ فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا مِنَ الْجَنَّةِ».

أخرجه أحمد وأبو داود.



**هل عذابُ القبرِ ونعيمُه على الرُّوحِ أم البدَنِ؟**

[١] علىٰ الرُّوحِ فقط.

[٢] وقد تتَّصلُ بالبدن أحيانًا.

**هل عذابُ القبرِ ونعيمُه يستمرَّان؟**

[١] **العذاب:**

[أ] **على الكافرين:** مُستمِرٌّ.

[ب] **على المُؤمنين:** بحسبِ ذُنوبِهم.

[٢] **النَّعيم:**

للمُؤمنين خاصَّةً.

والظَّاهرُ استمرارُه.

**الجوابُ على ما ثبت من توسيع قبر المُؤمن وتضييقه على الكافر، مع أنَّه لو فُتِح لوُجِد بحالِه:**

[١] أنَّ ما ثبتَ في الكتاب والسُّنَّة وجب تصديقُه والإيمانُ به، سواءٌ أدركته عقولُنا وحَواسُّنا أم لا؛ لأنَّه لا يُعارَضُ الشَّرعُ بالعقل، لا سيما في الأمور الَّتي لا مجالَ للعقلِ فيها.

[٢] أنَّ أحوالَ القبر مِن أمورِ الآخرة الَّتي اقتضَت حكمةُ الله أن يَحجُبَها عن حواسِّ الخلقِ وعقولِهم امتحانًا لهم، ولا يجوز أن تُقاسَ بأحوالِ الدُّنيا؛ لتَبايُنِ ما بين الدُّنيا والآخرةِ.





# القِيَامَةُ

## القِيامةُ نوعان:

[١] **صُغرى:** كالموت، فكلُّ مَن ماتَ فقد قامت قِيامَتُه.

[٢] **كُبرى:** وهي المَقصودُ هنا، وهي: (قيامُ النَّاس بعد البعثِ للحسابِ والجزاءِ)، وسُمِّيت بذلك:

[أ] لِقيامِ النَّاسِ فيها.

[ب] وقيامِ العَدلِ.

[ج] وقِيامِ الأشهادِ.

## أدلَّة ثُبوتِ القِيامةِ:

[١] **الكتابُ:** قوله تعالىٰ: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ۝٤ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ۝٥ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٦﴾[المُطَفِّفين].

[٢] **السُّنَّة:** قوله ﷺ «**إِنَّكُمْ تُحْشَرُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا**». مُتَّفقٌ عليه.
وفيه ذِكرُ ثلاثِ صفاتٍ للنَّاس يوم الحشَّر:

[أ] **حُفَاةً:** غيرَ مُنتَعِلِينَ.

[ب] **عُرَاةً:** غيرَ مُكتَسِين.

[ج] **غُرْلًا:** غيرَ مَختونينَ.

[٣] **الإجماع:** فقد أجمعَ المُسلمونَ وجميعُ أهل الأديان السَّماويَّةِ علىٰ إثباتِ يوم القيامةِ، فمَن أنكرَه أو شكَّ فيه فهو كافرٌ.

## أشراطُ السَّاعةِ:

للقِيامةِ عَلامات تُسمَّىٰ الأشراطَ؛ كخُروج الدَّجَّال، ويَأجوجَ ومَأجوجَ، وطُلوعِ الشَّمس من مَغرِبها، وجُعِلت لها هذه الأشراطُ؛ لأنَّها يومٌ عظيمٌ وهامٌّ، فكان لها تلك المُقدِّماتُ.





## الأَشْياء الّتِي ذَكَرَ الْمُؤلِّفُ أَنَّهَا تَكُونُ يَوْمَ الْقِيامَةِ

ذكر المُؤلِّف رَحِمَهُ اللَّهُ سبعة أمورٍ تكون يوم القِيامةِ:

### الأوَّل: دُنُوُّ الشَّمس مِن الخَلقِ

بقَدرِ ميلٍ أو ميلَينِ، فيَعرقُ النَّاس بقَدرِ أعمالِهم، فمنهم:

[١] مَن يَصِلُ عرقُه إلىٰ كعبيه.

[٢] مَن يُلجِمُه

[٣] مَن بين ذلِك.

[٤] مَن يسلَمُ مِن الشَّمسِ، فيُظِلُّهم اللهُ في ظلِّه يومَ لا ظلَّ إلَّا ظلُّه؛ مثل: الشَّابِّ إذا نشأ في طاعةِ الله، والرَّجلِ المُعلَّقِ قلبُه بالمَساجِدِ.

### الثَّاني: وضعُ الـمَوازينِ (جمعُ ميزانٍ)

[١] **عملُها:** يضعُها اللهُ لتُوزَنَ فيها أعمالُ العِبادِ، ﴿فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٢ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ١٠٣﴾[المؤمنون].

[٢] **حقيقةُ الميزان:** حقيقيٌّ، له كِفَّتان، خلافًا للمُعتزلة القائلين بأنَّه العدل لا ميزانٌ حقيقيٌّ.

[٣] **تعدُّدها:** ذُكر في القرآن مجموعًا، وفي السُّنَّة مَجموعًا ومُفردًا:

- [أ] **فقيل:** إنَّه ميزانٌ واحدٌ، وجُمِع باعتبارِ المَوزونِ.
- [أ] **وقيل:** مُتعدِّدٌ بحسب الأمم أو الأفراد، وأُفرِدَ باعتبارِ الجنسِ.



## الثَّالث: نشرُ الدَّواوينِ

أي: فتحُها وتوزيعُها، وهي: (صحائف الأعمال الَّتي كتبتها المَلائكةُ علىٰ الإنسانِ)، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ ﴾[الإسراء].

[١] **فالمُؤمن:** يأخذُ كتابَه بيمينه، قال تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾﴾[الانشقاق].

[٢] **والكافرُ:** يأخذ كتابه:

[أ] **من وراء ظهره:** قال تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾﴾[الانشقاق].

[ب] **بشماله:** قال تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾﴾[الحاقَّة].

والجمعُ بين هذه والَّتي قبلها إمَّا باختلاف النَّاس، وإمَّا بكَونِ الَّذي يأخُذُها بشِمالِه تُخلَعُ يدُه من وراءِ ظهرِه.

## الرَّابع: الحسابُ، وهو مُحاسَبةُ الخَلائقِ على أعمالِهم، وكيفيَّته:

[١] **للمُؤمن:** أنَّ الله يخلو به فيُقَرِّرُه بذُنوبه، ثمَّ يقول: «**قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ**». مُتَّفقٌ عليه.

[٢] **للكافر:** أنَّه يُوقَفُ علىٰ عملِه، ويُقرَّرُ به، ثمَّ يُنادىٰ علىٰ رؤوسِ الأشهادِ: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾﴾[هود].

وأوَّل ما يُحاسَبُ عليه العبدُ من حُقوقِ الله الصَّلاةُ.

وأوَّل ما يُقضىٰ بينَ النَّاس الدِّماءُ.



ومن النَّاسِ من يدخُلُ الجنَّة بلا حسابٍ، وهم الَّذين «**لَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَكْتَوُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**». مُتَّفقٌ عليه. ومنهم عُكاشة بن مِحصَنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

## الخامسُ: الحَوضُ المَورودُ

يُعطَىٰ للنَّبيِّ ﷺ في عَرَصاتِ القِيامةِ -أي: مَواقِفِها-، يَرِدُه المُؤمنون من أمَّته، ومن شرب منه لم يظمأ أبدًا، طولُه شهرٌ وعَرضُه شهرٌ، وآنيتُه كنُجومِ السَّماءِ، وماؤُه أشدُّ بياضًا من اللَّبَنِ، وأحلىٰ من العسل، وأطيب من رائحة المِسكِ.

ولكلِّ نبيٍّ حوضٌ يرِدُه المُؤمنون من أُمَّتِه، لكنَّ الحوضَ الأعظمَ حوضُ النَّبيِّ ﷺ.

وقد أنكر الُمعتزلةُ وُجودَ الحَوضِ، وقَولُهم مَردودٌ بما تواترت به الأحاديثُ من إثباتِه.

## السَّادس: الصِّراطُ

وهو الجسرُ المَنصوبُ علىٰ جهنَّمَ، أدقُّ من الشَّعر وأحدُّ من السَّيف، عليه كلاليبُ تخطِفُ النَّاس بأعمالِهم.

يمرُّون عليه علىٰ قدر أعمالهم: فمنهم من يمُرُّ كلَمحِ البصرِ، ومنهم من يمُرُّ كالبَرقِ، ومنهم من يمُرُّ كالرِّيحِ، ومنهم من يمُرُّ كالفرسِ الجَوادِ، ومنهم من يمُرُّ كرَكائبِ الإبلِ، ومنهم من يَعدو عَدْوًا، ومنهم من يَمشي مَشيًا، ومنهم من يزحَفُ زَحفًا، ومنهم من يُخطَفُ فيُلقىٰ في النَّارِ فيُعَذَّبُ بقَدرِ عَمَلِه.

فإذا عبروا الصِّراطَ وُقِفوا علىٰ قنطرةٍ بين الجنَّةِ والنَّارِ، فيُقتَصُّ لبَعضِهم من بعضٍ قصاصًا تزولُ به الأحقادُ والبغضاءُ؛ ليدخلوا الجنَّةَ إخوانًا مُتَصافِّينَ.



## السَّابع: الشَّفاعة

**[١] حقيقتُها:**

هي: (التَّوسُّطُ للغيرِ بجلبِ المَنفعَةِ، أو دَفعِ المَضرَّةِ)، ولا تكون إلَّا:

- **[أ]** بإذنِ الله للشَّافع.
- **[ب]** ورِضاهُ عن المَشفوعِ له.

**[٢] أقسامها:**

تنقسم إلىٰ قسمين:

- **[أ] خاصَّة:** بالنَّبيِّ ﷺ.
- **[ب] عامَّة:** له، ولغيره من: النَّبيِّينَ، والصِّدِّيقينَ، والشُّهداءِ، والصَّالحينَ.

ذكرَ المُؤلِّفُ منها نَوعينِ (الخاصَّة):

- **الشَّفاعةُ العُظمى:** حيثُ يشفعُ في أهلِ المَوقفِ إلىٰ الله ليقضِيَ بينهم، بعد أن تُطلَبَ الشَّفاعةُ من آدمَ، فنوحٍ، فإبراهيم، فموسىٰ، فعيسىٰ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ؛ فلا يَشفعونَ، حتَّى تنتهي إلىٰ النَّبيِّ ﷺ فيَشفعَ، فيَقبلَ اللهُ منه.
  وهذا من المَقامِ المَحمودِ الَّذي وعدَهُ اللهُ بقولِه: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا ۝٧٩﴾ [الإسراء].
- **شفاعتُه في أهل الجنَّة:** أن يَدخُلوها.

ذكرَ المُؤلِّفُ منها نَوعينِ (العامَّة):

- **الشَّفاعةُ فيمن استحقَّ النَّارَ:** من المُؤمنين ألَّا يدخُلَها.
- **الشفاعة فيمن دخلها:** من المُؤمنينَ أن يَخرجَ منها.

وهذان النَّوعان يُنكرُهما المُعتزلةُ والخَوارجُ؛ بناءً علىٰ قولهم: إنَّ فاعلَ الكَبيرةِ مُخلَّدٌ في النَّارِ، فلا تنفَعُه الشَّفاعةُ.

ويُخرِجُ الله أقوامًا من النَّارِ بغير شَفاعةٍ؛ بل بفضلِه ورحمَتِه، ويبقىٰ في الجنَّة فضلٌ عمَّن دخلَها من أهل الدُّنيا، فيُنشئُ اللهُ لها أقوامًا، فيُدخِلُهم الجنَّةَ.





# الإيمانُ بالْقَضاءِ وَالْقدر

## حُكمُه ومَعناه:

### [١] حُكمُه:

الإيمانُ بالقضاءِ والقَدَرِ واجبٌ، ومَنزِلَتُه مِن الدِّين أنَّه أحدُ أركانِ الإيمانِ السِّتَّةِ؛ لقول النَّبيِّ ﷺ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ». أخرجه مسلمٌ.

### [٢] مَعناه:

أن تُؤمِنَ بأنَّ كُلَّ ما في الكَونِ من مَوجوداتٍ ومَعدوماتٍ، عامَّةٍ وخاصَّةٍ = فإنَّه بمَشيئة اللهِ وخَلقِه، وتعلَمَ أنَّ ما أصابكَ لم يكُن ليُخطِئكَ، وما أخطأكَ لم يكُن ليُصيبَكَ.

## درجاتُ الإيمانِ بالقَدَرِ:

### [١] درجةُ العلم والكتابة:

ودليلها قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الحج].

#### [أ] العلمُ:

أن تُؤمِنَ بعلمِ الله المُحيطِ بكُلِّ شيءٍ جُملةً وتفصيلًا.

#### [ب] الكتابة:

أن تُؤمِنَ بأنَّ الله كتب مَقاديرَ كلِّ شيءٍ في اللَّوحِ المَحفوظِ بحسب علمِه.

### [٢] درجةُ المَشيئةِ والخَلق:

ودليلُ المَشيئةِ قولُه تعالىٰ: ﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ [إبراهيم]، ودليلُ الخلقِ قولُه تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الرَّعد:١٦].

#### [ج] المَشيئة:

أن تُؤمِنَ بمَشيئةِ الله العامَّةِ، وأنَّ ما شاء كانَ وما لم يشأ لم يكُن، سواءٌ في أفعالِه أو أفعالِ الخَلقِ.

#### [د] الخَلقُ:

أن تُؤمِنَ أنَّ الله خالقُ كلِّ شيءٍ سواءٌ ممَّا فعلَه أو فعلَه عبادُه.



**أنواعُ الكِتابةِ:**

**[١] الكِتابةُ في اللَّوحِ المَحفوظِ:**

قبلَ خلقِ السَّماواتِ والأرضِ بخمسين ألف سنةٍ، ودليلُها قولُه ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَمَّا خَلَقَ الْقَلَمَ قَالَ لَهُ: اكْتُبْ، قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ**». أخرجه بنحوه أصحاب «السُّنن».

**[٢] الكِتابةُ العُمريَّةُ:**

وهي ما يكتُبُه الملَكُ المُوكَّلُ بالأرحام علىٰ الجنين في بطن أمِّه إذا تمَّ له أربعة أشهرٍ، فيُؤمَرُ المَلَكُ بكتب رِزقِه، وأجلِه، وعملِه، وشقيٌّ أم سعيدٌ، ودليله حديث ابن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الثَّابتُ في «الصَّحيحين». وهذه الدَّرجة يُنكرها غُلاةُ القَدريَّةِ قديمًا.

**المَشيئةُ والخَلقُ ثابتان في أفعالِ اللهِ وأفعالِ الخَلقِ:**

**دليلُ المَشيئةُ:**

**[أ] في فعل اللَّه:**

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾ [السَّجدة:١٣].

**[ب] في فعل العبد:**

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ [الأنعام:١١٢].

**دليلُ الخَلقِ:**

**[أ] في فعل اللَّه:**

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الأعراف:٥٤].

**[ب] في فعل العبد:**

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصَّافَّات٩٦].



## مَشِيئَةُ العَبْدِ وَقُدْرَتُه:

**[١] ثبوتُهما:** أثبت الله للعبد مَشيئةً وإرادةً، وهي القُدرةُ.

**[٢] دليلُهما:** لقوله تعالىٰ: ﴿فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [البقرة:٢٢٣]، وقوله: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التَّغابن:١٦].

**[٣] علاقتُهما بمَشيئة الله:** تابعتان لمشيئة الله تعالىٰ؛ لقوله: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التَّكوير].

## ضلَّ في درجةِ المَشيئةِ والخَلقِ طائفتان:

**[١] القدريَّةُ:** زعموا أنَّ العبد مُستقِلٌّ بإرادتِه وقُدرَتِه، ليس لله في فِعلِه مَشيئةٌ ولا خَلقٌ.

**والرَّدُّ عليهم:** بقولِه تعالىٰ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾[التَّكوير]، وقولِه: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾[الأنعام:١١٢].

**[٢] الجبريَّةُ:** زعموا أنَّ العبدَ مَجبورٌ علىٰ فِعلِه، ليس له فيه إرادةٌ ولا قُدرةٌ.

**والرَّدُّ عليهم:** بقولِه تعالىٰ: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾﴾[التَّكوير]، وقولِه: ﴿فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾[البقرة:٢٢٣].

## الاعْتِمَادُ عَلَى القْضَاءِ السَّابقِ وَتَرْكُ العَمَلِ:

لا يجوزُ الاعتمادُ علىٰ القضاءِ السَّابقِ وتركُ العملِ؛ لأنَّ الصَّحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُم قالوا: يا رسولَ الله؛ أفلا نتَّكلُ علىٰ الكتاب الأوَّلِ وندعُ العملَ؟ فقال رسول الله ﷺ: «**اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ، أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ**»، وتلا قوله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾﴾[اللَّيل].



### مَجوسُ هذه الأمَّةِ القَدريَّةُ:

الَّذين يَقولونُ: إنَّ العبدَ مُستقِلٌّ بفِعلِه.

سُمُّوا بذلكَ لأنَّهم يُشبِهون المَجوسَ القائلين بأنَّ للعالَمِ خالِقَينِ: النُّور يخلُقُ الخيرَ، والظُّلمَةُ تخلُقُ الشَّرَّ.

وكذلك القدريَّة قالوا: إنَّ للحَوادِثِ خالِقَينِ، فالحَوادِثُ الَّتي مِن فعلِ العبدِ يخلُقُها العبدُ، والحَوادِثُ الَّتي مِن فعل الله يخلُقُها اللهُ.

### الْجَبْرِيَّةُ يُخْرِجُونَ عَنْ أَحْكَامِ اللهِ حِكَمَهَا وَمَصَالِحَهَا، فَمَا وَجْهُ ذَلِكَ؟

وجه ذلك أنَّ الجبريَّة لا يُفرِّقون بين فعلِ العبد اختيارًا وفعلِه بدون اختيارٍ، كلاهُما عندهم مُجبَرٌ عليه كما سبق، وإذا كان كذلك صارَ ثوابُه علىٰ الطَّاعةِ وعقابُه علىٰ المَعصيةِ لا حِكمةَ له، إذ الفعلُ جاءَ بدون اختيارِه، وما كان كذلك فإنَّ صاحبَه لا يُمدَحُ عليه فيَسْتحِقُّ الثَّوابَ، ولا يُذَمُّ عليه فيستحِقُّ العِقابَ.





# الإيمَانُ

## الإيمَانُ:

[١] **لغةً:** التَّصديق.

[٢] **اصطلاحًا:** (قولُ القلبِ واللِّسانِ، وعملُ القلبِ والجَوارحِ).

[أ] **قولُ القلبِ:** تصديقُه وإقرارُه.

**الدَّليل:** قولُه ﷺ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ... إلخ». أخرجه مسلمٌ.

[ب] **قولُ اللِّسانِ:** إرادتُه، وتوكُّلُه، ونحوُ ذلك من حَركاتِه.

[ج] **عملُ القلبِ:** نُطقُه.

[د] **عملُ الجَوارحِ:** الفعلُ والتَّركُ.

**الدَّليل:** قولُه ﷺ: «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، أَعْلَاهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ**». أخرجه مسلمٌ.

فقولُ: (لا إله إلَّا اللهُ) قولُ اللِّسانِ، وإماطةُ الأذىٰ عن الطَّريقِ عملُ الجَوارحِ، والحياءُ عملُ القلبِ.

## زيادةُ الإيمانِ ونُقصانُه:

الإيمانُ يزيدُ وينقُصُ؛ لقولِه تعالىٰ: ﴿لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْۗ﴾[الفتح:٤]، وقولِ النَّبيِّ ﷺ في النِّساء: «**مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ!**». أخرجه البخاريُّ.

[١] **وسببُ زيادتِه:** الطَّاعةُ، وهي: (امتثالُ أمرِ الله، واجتنابُ نَهيِه).

[٢] **وسببُ نَقصِه:** مَعصيةُ اللهِ بالخُروجِ عن طاعَتِه.



**الكَبيرةُ:**

[١] **تعريفُها:** (كلُّ ذنبٍ قُرِنَ بعُقوبةٍ خاصَّةٍ)؛ كـ: الزِّنى، والسَّرقة، وعُقوق الوالِدَين، والغشِّ، ومحبَّة السُّوء للمسلمين، وغيرِ ذلك.

[٢] **حُكم فاعلها:**

[أ] **من حيثُ الاسمُ:** أنَّه مُؤمنٌ ناقصُ الإيمانِ، أو مُؤمنٌ بإيمانِه فاسقٌ بكبيرتِه، وليسَ خارجًا من الإيمان.

لقولِه تعالىٰ في القاتلِ عمدًا: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة:١٧٨]، فجعلَ اللهُ المَقتولَ أخًا للقاتلِ، ولو كان خارجًا من الإيمان ما كان المَقتولُ أخًا له.

ولقولِه تعالىٰ في الطَّائفتين المُقتتِلَتَين: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات:٩] إلىٰ قولِه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾[الحجرات:١٠]، فجعلَ اللهُ الطَّائفتين المُقتَتِلَتَين مع فعلِهما الكبيرةَ إخوةً للطَّائفةِ الثَّالثةِ المُصلِحَةِ بينهما.

[ب] **من حيثُ الجزاءُ:** أنَّه مُستحِقٌّ للجَزاءِ المُرتَّبِ عليها، ولا يُخلَّدُ في النَّارِ، وأمرُه إلىٰ اللهِ؛ إن شاءَ عذَّبه بما يستحِقُّ، وإن شاء غفر له.

لقولِه تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النِّساء:٤٨].

**خَالَفَ أَهْلَ السُّنَّةِ فِي فَاعِلِ الْكَبِيرَةِ ثَلَاثُ طَوَائِف:**

[١] **المُرجئةُ:** قالوا: إنَّهُ مُؤمنٌ كاملُ الإيمانِ، ولا عقابَ عليه.

[٢] **الخَوارجُ:** قالوا: إنَّه كافرٌ مُخلَّدٌ في النَّارِ.

[٣] **المُعتزلةُ:** قالوا: لا مُؤمنٌ ولا كافرٌ، في مَنزلةٍ بين مَنزِلَتَينِ، وهو مُخلَّدٌ في النَّارِ.



## هَلِ الْفَاسِقُ يَدْخُلُ فِي اسْمِ الإِيمَانِ؟

**[١] الإيمانُ المُطلَقُ:**

الفاسقُ لا يدخُلُ في اسمِ الإيمانِ المُطلَقِ -أي: الكامل-؛ كما في قولِه تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾[الأنفال].

**[٢] مُطلَقُ الإيمانِ:**

وإنَّما يدخُلُ في مُطلَقِ الإيمانِ -أي: في أقلِّ ما يقعُ عليه الاسمُ-؛ كما في قولِه تعالىٰ: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾[النِّساء:٩٢]، فالمُؤمنُ هنا يشمَلُ الفاسِقَ وغيرَه.





## الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُم وآلُ بَيْتِ النبيِّ ﷺ

### من هو الصَّحابيُّ؟

هو: (من اجتمعَ مع النَّبيِّ ﷺ أو رآهُ -ولو لحظةً- مُؤمنًا، وماتَ علىٰ ذلك).

### مَوقِفُ أهلِ السُّنَّةِ من الصَّحابةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُم:

[١] مَحبّتُهم.

[٢] والثَّناءُ عليهم بما يَستحِقُّونَ.

[٣] وسلامةُ قُلوبِهم من البَغضاءِ والحِقدِ عليهم.

[٤] وسلامةُ ألسنتِهم من قولِ ما فيه نقصٌ أو شتمٌ للصَّحابةِ.

كما وصفَهم اللهُ بقولِه: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر]، وقالَ النَّبيُّ ﷺ: «**لا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ؛ لَوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ جَبَلِ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ**». مُتَّفقٌ عليه.

### اختِلافُ مَراتبِ الصَّحابةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُم:

تختلفُ مَراتِبُ الصَّحابةِ؛ لقولِه تعالىٰ: ﴿لَا يَسۡتَوِي مِنكُم مَّنۡ أَنفَقَ مِن قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ وَقَٰتَلَۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡظَمُ دَرَجَةٗ مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَقَٰتَلُواْۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾[الحديد:١٠].

وسببُ اختلافِ مَراتِبِهم:

[١] قوَّةُ الإيمان.

[٢] العلمُ.

[٣] العملُ الصَّالح.

[٤] السَّبقُ إلىٰ الإسلام.



## أفضل الصَّحابة رضي الله عنهم:

**[١] جنسًا:**

أفضلهم جنسًا المُهاجرونَ ثمَّ الأنصارُ؛ لأنَّ الله قدَّمَ المُهاجرين عليهم، فقال تعالىٰ: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ﴾[التَّوبة:١١٧]، ولأنَّهم جمعوا بين الهِجرةِ من دِيارِهم وأموالِهم والنُّصرةِ.

**[٢] عَينًا:**

أفضلُهم عينًا: أبو بكرٍ ثمَّ عمرُ بالإجماع، ثمَّ عثمانُ ثمَّ عليٌّ علىٰ رأي جمهور أهل السُّنَّةِ الَّذي استقرَّ عليه أمرُهم، بعدما وقعَ الخلافُ في المُفاضَلَةِ بين عليٍّ وعُثمانَ، فقدَّمَ قومٌ عُثمانَ وسكتوا، وقدَّم قومٌ عليًّا ثمَّ عُثمانَ، وتوقَّفَ قومٌ في التَّفضيل.

ولا يُضلَّلُ من قال بأنَّ عليًّا أفضلُ من عُثمانَ؛ لأنَّه قد قالَ به بعضُ أهلِ السُّنَّةِ.

## الخُلَفاءُ الأَرْبَعَةُ رضي الله عنهم بالتَّرْتِيب:

**[١] أبو بكرٍ:**

ثبتَتْ خلافته بإشارةٍ من النَّبيِّ ﷺ إليها، حيث قدَّمَه في الصَّلاة، وفي إمارةِ الحجِّ، وبكونِه أفضلَ الصَّحابة فكانَ أحقَّهم بالخِلافَةِ.

**[٢] ثمَّ عمر:**

ثبتَتْ خلافتُه بعهدِ أبي بكرٍ إليه بها، وبكونِه أفضلَ الصَّحابةِ بعد أبي بكرٍ.

**[٣] ثمَّ عثمان:**

ثبتت خلافتُه باتِّفاق أهلِ الشُّورىٰ عليهِ.

**[٤] ثمَّ عليٌّ:**

ثبتت خلافتُه بمُبايَعَةِ أهلِ الحلِّ والعَقدِ له، وبكَونِه أفضلَ الصَّحابةِ بعد عُثمانَ.



### أَهْلُ بَدْر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ:

هم الَّذين قاتلوا في غزوةِ بدرٍ مِن المُسلمينَ، وعددُهم ثلاثمائةٍ وبضعةَ عشرَ رجلًا.

والفضيلةُ الَّتي حصلت لهم أنَّ الله اطَّلع عليهم وقال: «**اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**». مُتَّفقٌ عليه.

ومَعناهُ أنَّ ما يحصُلُ منهم من المَعاصي يغفِرُه اللهُ بسبب الحسنةِ الكبيرةِ الَّتي نالوها في غزوة بدرٍ، ويتضمَّنُ هذا بِشارةً بأنَّه لن يَرتَدَّ أحدٌ مِنهم عن الإسلامِ.

### أَهْلُ بَيْعَةِ الرِّضْوانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ:

هم الَّذين بايعوا النَّبيَّ ﷺ عام الحُدَيبِيَةِ علىٰ قِتالِ قُريشٍ، وألَّا يفِرُّوا حتَّىٰ المَوت، وسببُها ما أُشيعَ مِن أنَّ عثمانَ قتلته قُريشٌ حين أرسله النَّبيُّ ﷺ إليهم للمُفاوضَةِ.

وسُمِّيت بيعةَ الرِّضوان لأنَّ اللهَ رضيَ عنهم بها، وعددُهم نحوُ ألفٍ وأربَعِمائةٍ.

والفضيلةُ الَّتي حصلت لهم هي:

**[١] رِضَا الله عنهُم:**

لقوله تعالىٰ: ﴿لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح:١٨].

**[٢] سَلامَتُهم من دُخولِ النَّار:**

لأنَّ النَّبيَّ ﷺ أخبر أنَّه: «**لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ**». أخرجه أحمد وأصحاب «السُّنن».



## آلُ بَيْتِ النَّبِيِّ ﷺ:

**[١] مَن هم؟**

هم: زوجاتُه، وكلُّ مَن تحرُمُ عليه الزَّكاةُ مِن أقارِبِه المُؤمِنينَ؛ كآلِ عليٍّ، وجعفرٍ، والعبَّاسِ، ونحوِهم.

**[٢] الواجبُ نحوَهم:** المَحبَّةُ والتَّوقيرُ والاحتِرامُ:

- [أ] لإيمانِهم بالله.
- [ب] ولقَرابتِهم من النَّبيِّ ﷺ.
- [ج] ولتنفيذِ الوَصيَّةِ الَّتي عَهِدَ بها رسولُ الله ﷺ، حيثُ قال: «**أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي**». أخرجه مسلمٌ.
- [د] ولأنَّ ذلك مِن كمالِ الإيمانِ؛ لقولِه ﷺ: «**وَاللهِ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحِبُّوكُمْ للهِ وَلِقَرَابَتِي**». [أخرجه أحمد بمعناه.]

## ضَلَّ فِي آلِ بيْتِ النَّبيِّ ﷺ طَائِفتَانِ:

**[١] الرَّوافِضُ:**

حيثُ غَلَوْا فيهم، وأنزلوهُم فوقَ مَنزِلَتِهم، حتَّىٰ ادَّعىٰ بعضُهم أنَّ عليًّا إلهٌ.

**[٢] النَّواصِبُ:**

وهم الخَوارجُ الَّذين نَصَبُوا العداوةَ لآلِ البيتِ، وآذَوْهُم بالقَولِ والفِعل.

## زوجاتُ النَّبيِّ ﷺ أفضلُ نساءِ هذه الأمَّة:

- [١] لمَكانتِهنَّ عند رسولِ الله ﷺ.
- [٢] ولأنهنَّ أمَّهاتُ المُؤمنينَ.
- [٣] ولأنَّهنَّ زوجاتُ النَّبيِّ ﷺ في الآخرةِ.
- [٤] ولطَهارتِهنَّ مِن الرِّجسِ.

ولذلك يَكفُرُ من قذَفَ واحدةً منهنَّ؛ لأنَّ ذلك يستلزِمُ نقْصَ النَّبيِّ ﷺ وتدنيسَ فِراشِه.



## مَن أفضلُ زوجاتِ النَّبيِّ ﷺ؟

أفضلُهُنَّ خديجةُ وعائشةُ، وكلٌّ واحدةٍ منهما أفضلُ من الأخرىٰ من جهةٍ:

### [١] مزيَّةُ خديجةَ:

- أنَّها أوَّلُ من آمن بالرَّسولِ ﷺ.
- وأنَّها عاضَدَتهُ علىٰ أمره في أوَّل رسالتِه.
- وأنَّها أمُّ أكثرِ أولادِه، بل كلِّهم إلَّا إبراهيمَ.
- وأنَّ لها منزلةً عاليةً عندَه، فكان يذكُرُها دائمًا.
- أنَّه لم يتزوَّج عليها حتَّىٰ ماتَتْ.

### [٢] مزيَّةُ عائشةَ:

- حُسنُ عِشرتِها مع النَّبيِّ ﷺ في آخرِ أمرِه.
- وأنَّ اللهَ برَّأها في كتابِه ممَّا رماها به أهلُ الإفكِ، وأنزل فيها آياتٍ تُتلىٰ إلىٰ يومِ القِيامَةِ.
- وأنَّها حَفِظتْ مِن هديِّ النَّبيِّ ﷺ وسُنَّتِه ما لم تحفظهُ امرأةٌ سِواها.
- وأنَّها نشرتِ العلمَ الكثيرَ بين الأُمَّةِ.
- وأنَّ النَّبيَّ ﷺ لم يتزوَّج بكرًا سواها، فكانت تربيتُها الزَّوجيَّةُ علىٰ يدِه.
- وأنَّ النَّبيَّ ﷺ قال فيها: «**فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَىٰ النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَىٰ سَائِرِ الطَّعَامِ**». مُتَّفقٌ عليه.

## مَوْقِفُ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي الْخِلَافِ وَالْفِتَنِ الَّتِي حَصَلَتْ بَيْنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ:

مَوقفُهم في ذلكَ أنَّ ما جرىٰ بينهم فإنَّه باجتهادٍ من الطَّرفين، وليسَ عن سوءِ قَصدٍ، والمُجتهِدُ إن أصابَ فله أجرانِ، وإن أخطأَ فله أجرٌ واحدٌ، وليسَ ما جرىٰ بينهُم صادرًا عن إرادةِ عُلُوٍّ ولا فسادٍ في الأرض؛ لأنَّ حال الصَّحابةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ تأبىٰ ذلك، فإنَّهم أوفَرُ النَّاسِ عُقولًا، وأقواهُم إيمانًا، وأشدُّهُم طلبًا للحقِّ، كما قال النَّبيُّ ﷺ: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي**». مُتَّفقٌ عليه. وعلىٰ هذا فطريقُ السَّلامةِ أن نسكُتَ عن الخَوضِ فيما جرىٰ بينهُم، ونرُدَّ أمرَهم إلىٰ اللهِ؛ لأنَّ ذلك أسلَمُ مِن وُقوع عَداوةٍ أو حِقدٍ علىٰ أحدِهم.



**مَوْقِفُ أَهْلِ السُّنَّةِ أنَّ الآثَارَ الْوَارِدَةَ فِي مَسَاوِئ بَعْضِ الصَّحَابَةِ عَلَى قِسْمَيْنِ:**

**[١] صحيحٌ:** لكنَّهم مَعذورونَ فيه؛ لأنَّه واقعٌ عن اجتهادٍ، والمُجتهِدِ إذا أخطأ فله أجرٌ، وإذا أصابَ فله أجرانِ.

**[٢] غيرُ صحيحٍ:** إمَّا لكَونِه كذبًا من أصله، وإمَّا لكَونِه زيدَ فيه، أو نُقِصَ، أو غُيِّرَ عن وجهِه، وهذا القسمُ لا يَقدحُ فيهم؛ لأنَّه مَردودٌ.

[١] تحقيقُ الإيمانِ والعملِ الصَّالحِ.

[٢] السَّبقُ إلىٰ الإسلامِ والفَضيلةُ، وقد ثبتَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّهم خيرُ القُرونِ.

[٣] الأعمالُ الجَليلةُ الَّتي لم تَحصُل لغيرِهم؛ كغزوة بدرٍ، وبيعةِ الرِّضوانِ.

[٤] التَّوبةُ من الذَّنبِ، فإنَّ التَّوبةَ تجُبُّ ما قبلَها.

**الصَّحابةُ ليسُوا معصومينَ من الذُّنوبِ، فإنَّهم يُمكنُ أن تقعَ منهم الـمَعصيةُ كما تقعُ مِن غيرِهم، لكنَّهم أقربُ النَّاسِ إلى الـمَغفرةِ لعدَّةِ أسبابٍ:**

[٥] الحَسَناتُ الَّتي تَمحو السَّيِّئاتِ.

[٦] البلاءُ، وهي المَكارِهُ الَّتي تُصيبُ الإنسانَ؛ فإنَّ البلاءَ يُكفِّرُ الذُّنوبَ.

[٧] دُعاءُ المُؤمنينَ لهُم.

[٨] شفاعةُ النَّبيِّ ﷺ الَّتي هم أحقُّ النَّاسِ بها.

وعلىٰ هذا فالَّذي يُنكَرُ مِن فعلِ بعضِهم قليلٌ مُنغمِرٌ في مَحاسِنِهم؛ لأنَّهم خيرُ الخَلقِ بعد الأنبياءِ، وصَفوةُ هذه الأمَّة الَّتي هي خَيرُ الأُمَمِ، ما كانَ ولا يكونُ مِثلُهم.





# الشَّهَادَةُ بالْجَنَّةِ أَو النَّار

## الشَّهادةُ بالجنَّةِ على نَوعينِ:

**[١] عامَّةٍ:**

أن نشهَدَ لعُمومِ المُؤمنينَ بالجنَّةِ دونَ شخصٍ بعَينِه، ودليلُها قولُه تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ١٠٧﴾ [الكهف].

**[٢] وخاصَّةٍ:**

أن نشهَدَ لشخصٍ مُعيَّنٍ بالجنَّةِ، وهذا يتوقَّفُ علىٰ دليلٍ مِن الكتابِ والسُّنَّةِ، فمَن شهِدَ له النَّبيُّ ﷺ شهدنا له؛ مثل: العشرة، وثابتِ بن قيسِ بن شمَّاسٍ، وعُكاشة بن مِحصَنٍ، وغيرِهم مِن الصَّحابةِ.

## الشَّهادةُ بالنَّارِ على نَوعينِ:

**[١] عامَّةٍ:**

أن نشهَدَ علىٰ عُمومِ الكُفَّارِ بأنَّهم في النَّارِ، ودليلُها قولُه تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارًا﴾ [النِّساء:٥٦].

**[٢] وخاصَّةٍ:**

أن نشهَدَ لشَخصٍ مُعيَّنٍ بالنَّارِ، وهذا يتوقَّفُ علىٰ دليلٍ من الكتابِ والسُّنَّةِ؛ مثل: أبي لهبٍ وامرأتِه، ومثَلَ: أبي طالبٍ، وعَمرِو بن لُحَيٍّ الخُزاعِيِّ.



## قَوْلُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فِي كَرَامَاتِ الأَوْلِيَاءِ

### القولُ في الكَراماتِ:

[١] **قولُ أهلِ السُّنَّةِ:** أنَّها ثابتةٌ واقعةٌ، ودليلُهم في ذلك ما ذكَرَه اللهُ في القُرآنِ عن أصحابِ الكهفِ وغيرِهم، وما يُشاهِدُه النَّاسُ في كُلِّ زمانٍ ومَكانٍ.

[٢] **قولُ المُعتَزلةِ:** خالف فيها المُعتزلَةُ مُحتَجِّينَ بأنَّ إثباتَها يوجِبُ اشتباهَ الوَلِيِّ بالنَّبيِّ، والسَّاحرِ بالوليِّ.

**والرَّدُّ عليهم بأمرين:**

[أ] أنَّ الكرامَةَ ثابتةٌ بالشَّرعِ والمُشاهدَةِ، فإنكارُها مُكابَرَةٌ.

[ب] أنَّ ما ادَّعَوْهُ:

**من اشتباهِ الوَلِيِّ بالنَّبيِّ:** غيرُ صَحيحٍ؛ لأنَّه لا نبيَّ بعد مُحمَّدٍ ﷺ، ولأنَّ النَّبيَّ يقولُ: إنَّه نبيٌّ، فيُؤَيِّدُه اللهُ بالمُعجِزةِ، والوَلِيُّ لا يَقُولُ: إنَّه نبيٌّ.

**من اشتباهِ السَّاحرِ بالوَلِيِّ:** غير صحيحٍ؛ لأنَّ الوَلِيَّ مُؤمنٌ تقيٌّ، تأتيه الكَرامَةُ مِن اللهِ بدونِ عملٍ لها، ولا يُمكنُ مُعارضَتُها، أمَّا السَّاحرُ فكافرٌ مُنحرِفٌ يحصُلُ له أثرُ سِحرِه بما يتعاطاهُ مِن أسبابِه، ويُمكِنُ أن يُعارَضَ بِسحرٍ آخرَ.

### مَعنى الوَلِيِّ والكَرامةِ:

[١] **الوَلِيُّ:** كلُّ مُؤمنٍ تقِيٍّ، قائمٍ بطاعةِ الله تعالىٰ علىٰ الوَجهِ المَطلوبِ شَرعًا.

[٢] **الكَرامَةُ:** أمرٌ خارقٌ للعادةِ، يُظهِرُه اللهُ علىٰ يدِ وليٍّ مِن أوليائِه تكريمًا له أو نُصرةً لدينِ اللهِ.



### فوائدُ الكَرامةِ:

[١] بيانُ قُدرَةِ اللهِ.

[٢] نُصرَةُ الدِّينِ، أو تكريمُ الوَليِّ.

[٣] زِيادَةُ الإيمانِ والتَّثبيتِ للوليِّ الَّذي ظهرَت علىٰ يدِه وغيرِه.

[٤] أنَّها مِن البُشرىٰ لذلك الوليِّ.

[٥] أنَّها مُعجزةٌ للرَّسولِ الَّذي تمسَّكَ الوليُّ بدينِه؛ لأنَّها كالشَّهادةِ للوليِّ بأنَّهُ علىٰ حقٍّ.

### الفرقُ بينَ الكَرامةِ والـمُعجِزةِ:

أنَّ الكَرامةَ تحصُلُ للوَلِيِّ، والمُعجزةَ للنَّبيِّ.

### الكَرامةُ نوعانِ:

**[١] في العُلومِ والـمُكاشَفاتِ:**

بأن يحصُلَ للولِيِّ مِن العلمِ ما لا يحصُلُ لغَيرِه، أو يُكشَفَ له من الأمورِ الغائبةِ عنه ما لا يُكشَفُ لغَيرِه؛ كما حصلَ لعُمرَ بنِ الخطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حينَ كُشِفَ له وهو يخطُبُ في المَدينةِ عن إحدىٰ السَّرايا المَحصورةِ في العِراقِ، فقال لقائدها -واسمُه: ساريةُ بنُ زُنَيمٍ-: (الجبلَ يا ساريةُ)، فسمِعَه القائدُ فاعتصمَ بالجبل.

**[٢] في القُدرةِ والتَّأثيرِ:**

بأن يَحصُلَّ للولِيِّ مِن القُدرةِ والتَّأثيراتِ ما لا يحصُلُ لغَيرِه؛ كما وقع للعلاءِ بن الحَضرمِيِّ حين عبَرَ البحرَ يمشي علىٰ مَتنِ الماءِ.





# طَرِيقَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ

## طَرِيقَتُهُمْ فِي سِيرَتِهِم وَعِلْمِهِمْ:

| [١] اتِّباعُ آثار النَّبيِّ ﷺ وآثار الصَّحابة رضي الله عنهم. | [٢] الأمرُ بالمَعروفِ والنَّهيُ عن المُنكَرِ، علىٰ ما توجِبُه الشَّريعةُ. | [٣] النُّصحُ لوُلاةِ الأُمورِ. | [٤] النُّصحُ لجَميعِ الأُمَّةِ. | [٥] الدَّعوَةُ إلىٰ مَكارِمِ الأخلاقِ ومَحاسِنِ الأعمالِ. | [٦] النَّهيُ عن مَساوِئِ الأخلاقِ. |
|---|---|---|---|---|---|

## الصِّفةُ الأولى: الاتِّباعُ

اتِّباعُ آثار النَّبيِّ ﷺ ظاهرًا وباطنًا، وآثارِ الأوَّلينَ السَّابقينَ مِن المُهاجِرينَ والأنصارِ؛ امتثالًا لقولِه ﷺ: «**عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي**...». الحديثُ أخرجه بعض أصحاب «السُّنن». والخُلَفاءُ الرَّاشدون هم الَّذين خَلَفوا النَّبيَّ ﷺ في أُمَّتِه في: العلمِ، والإيمانِ، والدَّعوةِ إلىٰ الحقِّ.

وأولىٰ النَّاس بهذا الوَصفِ الخُلفاءُ الأربعةُ: أبو بكرٍ، وعمرُ، وعثمانُ، وعليٌّ رضي الله عنهم.

## الصِّفةُ الثَّانية: الأمرُ بالمَعروفِ والنَّهيُ عن المُنكرِ

| [١] المَعروفُ: ما عُرِفَ حُسْنُه شَرعًا. | [٢] المُنكَرُ: ما عُرِفَ قُبحُه شَرعًا. |
|---|---|

فما به أمرَ الشَّارعُ به فهو مَعروفٌ، وما نَهىٰ عنه فهو مُنكَرٌ.



### شُروطُ الأمرِ بالـمَعروفِ والنَّهي عن الـمُنكَرِ:

[١] أن يكونَ المُتولِّي لذلك عالمًا بالمَعروفِ وبالمُنكَرِ.

[٢] ألَّا يخافَ ضررًا علىٰ نفسِه.

[٣] ألَّا يترتَّبَ علىٰ ذلك مَفسدَةٌ أكبَرُ.

### الصِّفةُ الثَّالثةُ: النُّصحُ لوُلاةِ الأُمورِ

طريقتُهم النُّصحُ لوُلاةِ الأُمورِ، وإقامةُ الحجِّ، والجِهادِ، والجُمَعِ، والأعيادِ معهم، سواءٌ كانوا أبرارًا أو فُجَّارًا، والتزامُ السَّمعِ والطَّاعةِ لهم؛ ما لم يَأمُرُوا بمَعصيَةِ اللهِ.

### الصِّفةُ الرَّابعةُ: النُّصحُ لجَميعِ الأُمَّةِ

طريقتُهم النُّصحُ لجميعِ الأُمَّةِ، وبَثُّ المَحبَّةِ، والأُلفَةِ، والتَّعاوُنِ بين المُسلِمينَ، مُطَبِّقِينَ في ذلك قولَ النَّبيِّ ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا**». مُتَّفقٌ عليه. وقولَه: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ = كَمَثَلِ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ، إِذَا اشْتَكَىٰ مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَىٰ لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَّىٰ وَالسَّهَرِ**». مُتَّفقٌ عليه.

### الصِّفةُ الخامسةُ: الدَّعوةُ إلى مَكارِمِ الأخلاقِ

الدَّعوَةُ إلىٰ مَكارِمِ الأخلاقِ، ومَحاسِنِ الأعمالِ؛ كالصِّدقِ، والبِرِّ، والإحسانِ إلىٰ الخَلقِ، والشُّكرِ عند النِّعَمِ، والصَّبرِ علىٰ البَلاءِ، وحُسنِ الْجِوارِ والصُّحبَةِ، وغيرِ ذلك من الأخلاقِ المَحمودةِ شرعًا وعُرفًا.



## الصِّفةُ السَّادسةُ: النَّهيُّ عن مَساوئ الأخلاق

النَّهيُ عن مَساوئِ الأخلاقِ؛ كالكذبِ، والعُقوقِ، والإساءةِ إلىٰ الخَلقِ، والتَّسخُّطِ مِن القَضاءِ، والكُفرِ بالنِّعمَةِ، والإساءةِ إلىٰ الجيرانِ والأصحابِ، وغيرِ ذلك من الأخلاقِ المَذمومَةِ شرعًا أو عُرفًا.

## الأُمورُ التِي يَزِنُ بِهَا أَهْلُ السُّنَّةِ مَا كَانَ عَلَيْهِ النَّاس مِنَ الْعَقَائِدِ وَالأَعْمَالِ وَالأَخْلاَقِ:

[١] **الكِتابُ:** وهو القُرآنُ.

[٢] **السُّنَّةُ:** وهي: (قولُ النَّبيِّ ﷺ، وفعلُه، وإقرارُه).

[٣] **الإجماعُ:** وهو: (اتِّفاقُ العُلماءِ المُجتَهِدينَ مِن هذه الأُمَّةِ بعد النَّبيِّ ﷺ علىٰ حُكمٍ شَرعِيٍّ).
والإجماعُ الَّذي ينضبِطُ ما كان عليه السَّلفُ الصَّالحُ؛ إذ بعدَهُم كثُرَ الاختِلافُ، وانتَشَرَتِ الأُمَّةُ.

ولم يَذكُرِ المُؤلِّفُ القياسَ؛ لأنَّ مَرَدَّهُ إلىٰ هذه الأصولِ الثَّلاثةِ.

## الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ وَالصَّالِحُونَ وَالأَبْدَالُ:

[١] **الصِّدِّيقُونَ:** الصَّادقونَ باعتقادِهم، وقولِهم، وعملِهم، والمُصدِّقونَ بالحقِّ.

[٢] **الشُّهَدَاءُ:** الَّذين قُتِلوا في سبيلِ الله، وقيلَ: العُلماءُ.

[٣] **الصَّالِحُونَ:** الَّذين صَلُحَتْ قُلوبُهم وجَوارِحُهم بما قاموا به مِن الأعمالِ الصَّالحةِ.

[٤] **الأَبْدَالُ:** الَّذين يخلُفُ بعضُهم بعضًا في نصرِ الدِّينِ، والدِّفاعِ عنهُ، كلَّما ذهب منهُم واحدٌ خلَفَه آخرُ بدَلَهُ.

وكلُّ هؤُلاءِ الأصنافِ الأربعةِ مَوجودونَ في أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ.



## الطَّائِفَةُ الْمَنْصُورَةُ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ:

### [١] الطَّائِفَةُ الْمَنْصُورَةُ:

هم: أهلُ السُّنَّةِ والجَماعةِ الَّذين قال فيهم النَّبيُّ ﷺ: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَىٰ الْحَقِّ مَنْصُورَةً، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّىٰ يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ**»، وفي روايةٍ: «**حَتَّىٰ تَقُومَ السَّاعَةُ**». أخرجه الشَّيخان بنحوه.

### [٢] الْمُرَادُ بِقِيَامِ السَّاعَةِ:

قُربُ قِيامِها، وإنَّما أوَّلناهُ بذلك لأجلِ أن يصِحَّ الجمعُ بينه وبين حديث: «**إِنَّ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ**». أخرجه البخاريُّ. وأهلُ السُّنَّةِ والجماعةِ هم خِيارُ الخَلقِ بعد الأنبياءِ، فلا يمكنُ أن تُدرِكَهُم السَّاعةُ.

**نسألُ اللهَ أن يجعلَنا من أهل السُّنَّة والجماعةِ، وألَّا يُزيغَ قُلوبَنا بعد إذ هدانا، وأن يهبَ لنا مِنه رحمةً؛ إنَّهُ هو الوَهَّابُ.**

**وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمَّدٍ، وعلىٰ آلِه وصَحبِه أجمعينَ.**



# اختبارٌ على الواسطيَّة

## [١] اخترِ الإجابة الصَّحيحة:

- لماذا ندرس قواعد الأسماء والصِّفات الَّتي وردت في «العقيدة الواسطيَّة»؟
  - ☐ لأنَّها طريقة أهل السُّنَّة والجماعة في دراسة الأسماء والصِّفات.
  - ☐ لأنَّ القواعد تجمع أمورًا كثيرةً مُتفرِّقةً في كلامٍ مُوجَزٍ مُختصرٍ.
  - ☐ لأنَّنا بهذه القواعدِ نستطيع الرَّدَّ على أهل البدع. ☐ الجميع.
- من وضع هذه القواعدَ؟
  - ☐ شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّة رَحِمَهُ اللهُ. ☐ قِسمٌ منها في الأصل نصٌّ من الكتاب والسُّنَّة.
  - ☐ قسمٌ ثانٍ وضعه أهلُ السُّنَّةِ والجماعة. ☐ القسم الثَّاني وُضع عن طريق الاجتهاد.
  - ☐ الجميعُ إلَّا الأوَّل.
- لماذا وُضِعت هذه القواعدُ؟
  - ☐ حتَّى يجمعوا مسائل شوارد في قاعدةٍ موجزةٍ.
  - ☐ لأنَّ هذه هي طريقة السَّلف في دراسة الأسماء والصِّفاتِ. ☐ كلاهما.
- ما الَّذي نفعلُه إذا خالفت هذه القواعدُ النَّصَّ؟
  - ☐ المقصود بها القسم الأوَّل. ☐ المقصود بها القسم الثَّاني. ☐ العبرة بالنَّصِّ.
  - ☐ العبرة بالقاعدة. ☐ الأوَّل والثَّالث.
- لماذا؟
  - ☐ لقوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾[النِّساء:٥٩]. ☐ لقوله تعالى: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾[آل عمران:٧]. ☐ لقوله تعالى: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٦٣﴾[النُّور]. ☐ الأوَّل والثَّالث.



- خلاصة هذه القواعد:

☐ إثبات كلِّ ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ. ☐ تنزيه الله تعالىٰ عن مُماثلة المخلوقين. ☐ أنَّ المعانيَ معلومةٌ، والكيفيَّةَ عند الله، والسُّؤالَ عنها بدعةٌ. ☐ الجميعُ.

- هل اختلف الصَّحابة في هذه القواعد؟ ☐ نعم. ☐ لا.
- هل التَّفويض هو طريقة الصَّحابة؟ ☐ نعم. ☐ لا.
- ينبني علىٰ القول بالتَّفويض:

☐ تكذيب القرآن. ☐ تجهيل النَّبيِّ ﷺ والصَّحابة، والسَّلف الصَّالح.

☐ استطالة الفلاسفة. ☐ الجميع.

- هل تُنسخ الأسماء والصِّفات؟ ☐ نعم. ☐ لا.
- ما هي الحكمة من المُتشابه؟

☐ ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾[الأنبياء]، ونحن عبيدٌ، والعبد ليس له إلَّا السَّمع والطَّاعة و الرِّضا والتَّسليم. ☐ حتَّىٰ يُعلَم الَّذين في قلوبهم زيغٌ.

☐ حتَّىٰ يجتهد العلماء ويردُّوا الآيات المُتشابهة إلىٰ الآيات المُحكمة، ويحصل لهم بهذا الأجر. ☐ حتَّىٰ يُعلَم أنَّ القرآن لا يمكن أن يكون فيه تعارضٌ أو اختلافٌ؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾[النِّساء]. ☐ الجميع.

- هل آياتُ الأسماء والصِّفات من المُحكم أم من المُتشابه؟

☐ من المُحكم البيِّن الواضح من حيث المعنىٰ. ☐ من المُتشابه تشابُهًا مُطلقًا، لا يعلمها إلَّا الله عَزَّوَجَلَّ من حيث الكيفيَّةُ. ☐ الأوَّل والثَّاني.

- هل في القرآن ما لا يمكن الوصول إلىٰ معناه؟ ☐ نعم. ☐ لا.
- لماذا؟

☐ لأنَّ الله خاطبنا لما نعقل ونفهم. ☐ لأنَّ الله أمرنا بتدبُّر كلامه، ولم يستثن شيئًا.

☐ الجميع.

- أقسام النَّاس في المجاز: ☐ ثلاثةٌ. ☐ أربعةٌ. ☐ اثنان.
- والرَّاجح منها: ☐ القسم الأوَّل. ☐ القسم الثَّالث.



- وسبب ذلك:

☐ حتَّىٰ تكون القاعدة مُطَّردةً. ☐ لأنَّ شيخ الإسلام قال بأنَّه اصطلاحٌ حادثٌ، حدث بعد انقراض القرون الثَّلاثة المُفضَّلة، ولم يقل به الصَّحابة والتَّابعون وأتباعهم.
☐ أنَّه سلاح أهل البدع. ☐ أنَّه يفتح باب شرٍّ علىٰ النَّاس؛ لأنَّه من فتح هذا الباب يبدا في التَّلاعب في نصوص الكتاب والسُّنَّة. ☐ أنَّ من أنكر المجاز لا يلحق اسمٌ، بخلاف من أنكر حرفًا واحدًا من القرآن فإنَّه قد يكفر. ☐ الجميع.

- سبب دراسة الأسماء والصِّفات:

☐ حتَّىٰ نحقِّق التَّوحيد؛ بل لا يكون موحِّدًا حتَّىٰ يُفرد الله بأنواع التَّوحيد الثَّلاثة.
☐ تعظيم الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأنَّ فيها حياة القلوب، وأعظم شيءٍ لحياتها وأشرف العلوم التَّعرُّف علىٰ الله. ☐ دخول الجنَّة؛ لقوله ﷺ: «**للهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ**».
☐ لأنَّ هذا هو الأصل الَّذي كان عليه السَّلف.
☐ حتَّىٰ لا نقع فيما وقعت فيه الفرق الضَّالَّة من التَّمثيل والتَّعطيل.
☐ لندعو الله تعالىٰ بها، قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾[الأعراف:١٨٠].
☐ الجميع.

- طريقة دراسة الأسماء والصِّفات:

☐ العلم عبادةٌ، ولابدَّ أن نسير علىٰ النَّهج الَّذي سار عليه النَّبيُّ ﷺ والصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.
☐ أن يكون الغرض من الدِّراسة تعظيم الله عَزَّوَجَلَّ، ولهذا لمَّا سُئل الإمام مالكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ عن الاستواء طأطأ رأسه وعلاه العرق؛ لأنَّه سُئل عن عظيم.
☐ ذكر الدَّليل أوَّلًا، ثمَّ الاعتقاد ثانيًا، والمُخالفون لأهل السُّنَّة يعتقدون أشياء ثمَّ يبحثون لها عن أدلَّةٍ فلا يجدونن فيتخبَّطون ويقعون في البدع.
☐ نطبِّق طريقة الشَّافعيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: (آمن تهتد)، فنؤمن بما جاء عن الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ مُراد الله عَزَّوَجَلَّ، ونؤمن بما جاء عن رسول الله ﷺ علىٰ مُراد رسول الله ﷺ. ☐ الجميع.



- كيف نُدرِّس الأسماء والصِّفات للعَوامِّ؟

☐ ندرِّسهم كلَّ الأمور، ونفصِّل لهم، ونذكر لهم الرُّدود وأقوال أهل البدع.

☐ لا ندرِّسهم شيئًا. ☐ نتدرَّج بهم حتَّىٰ نصل إلىٰ الكمال.

- هل يجوز أن نشير باليد عند الكلام عن الصِّفات؟

☐ العبرة بالمُخاطب. ☐ يجوز بما أنَّ النَّبيَّ ﷺ قد أشار.

☐ لا يجوز؛ خوفًا من أن يتوهَّم المُخاطب التَّمثيل.

- الإلحاد يكون في: ☐ الآيات. ☐ الأسماء والصِّفات. ☐ الجميع.
- ينقسم الإلحاد في ... إلىٰ قسمين: ☐ الآيات. ☐ الأسماء والصِّفات. ☐ الجميع.
- والقسمان هما:

☐ شرعيٌّ. ☐ كونيٌّ. ☐ إنكاريٌّ. ☐ الأوَّل والثَّاني. ☐ الأوَّل والثَّالث.

- وينقسم الإلحاد في ... إلىٰ خمسة أقسام: ☐ الآيات. ☐ الأسماء والصِّفات.
- ينقسم التَّحريف إلىٰ: ☐ أربعة أقسام. ☐ ثلاثة أقسام. ☐ قسمين.
- في قوله تعالىٰ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾[النِّساء]؛ هناك من جعل المُتكلِّم هو موسىٰ عليه السلام، وهذا تحريفٌ في: ☐ الألفاظ. ☐ المعاني.
- التَّعبير بالتَّحريف أولىٰ من التَّعبير بالتَّأويل:

☐ لأنَّ هذا هو الَّذي جاء في القرآن فلا نعدل عنه. ☐ لأنَّه أقرب للعدل، فهم أهل تحريفٍ وليسوا أهل تأويل. ☐ تنفيرًا للنَّاس منهم؛ لأنَّ أهل التَّحريف لو وصفتهم بالتَّأويل فرحوا. ☐ لأنَّ التَّاويل ليس كلُّه مذمومًا، فما دلَّ عليه دليلٌ فهو صحيحٌ مقبولٌ، وما لم يدلَّ عليه دليلٌ فهو فاسدٌ مردودٌ، أمَّا التَّحريف فكلُّه مذمومٌ. ☐ الجميع.

- التَّعبير بالتَّمثيل أولىٰ من التَّعبير بالتَّشبيه:

☐ لأنَّ التَّمثيل هو الَّذي جاء به القرآن، وهو منفيٌّ مُطلقًا؛ بخلاف التَّشبيه.

☐ لأنَّ نفي التَّشبيع علىٰ الإطلاق لا يصحُّ، فكلُّ مَوجودَين لابدَّ أن يكون بينهما قدرٌ مُشتركٌ يشتبهان فيه، ويتميَّز كلُّ واحدٍ بما يختصُّ به. ☐ لأنَّ النَّاس اختلفوا في مُسمَّىٰ التَّشبيه، فجعل بعضهم إثبات الصِّفات تشبيهًا. ☐ الجميع.

- التَّكييف يكون بـ: ☐ اللِّسان. ☐ القلب. ☐ البَنان. ☐ الجميع.



- تُعلم كيفيَّة الصِّفة بـ: ☐ الرُّؤية بالعين. ☐ وجود المثيل. ☐ إخبار الصَّادق. ☐ الجميع.
- أقسام التَّعطيل: ☐ اثنان. ☐ ثلاثةٌ. ☐ أربعةٌ.
- أقسام الإنكار: ☐ اثنان. ☐ ثلاثةٌ. ☐ أربعةٌ.
- ينقسم إنكار التَّأويل إلىٰ:

☐ تأويلٍ له مُسوِّغٌ في اللُّغة. ☐ تأويلٍ ليس له مُسوِّغٌ في اللُّغة.

☐ إنكار تكذيب. ☐ إنكار جحودٍ. ☐ الأوَّل والثَّاني. ☐ الثَّالث والرَّابع.

- دلالات الاسم: ☐ دلالة المُطابقة. ☐ دلالة التَّضمُّن. ☐ دلالة الالتزام. ☐ الجميع.
- الاسم مُشتقٌّ من:

☐ السُّمُوِّ وهو الارتفاع؛ فالمُسمَّىٰ يرتفع باسمه ويتبيَّن ويظهر.

☐ السِّمة وهي العلامة؛ فهو علامةٌ علىٰ مُسمَّاه. ☐ الجميع.

- الدَّليل علىٰ أنَّ أسماء الله عَزَّوَجَلَّ غير محصورةٍ بعددٍ:

☐ قوله ﷺ: «**أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ**».

☐ قوله ﷺ: «**إِنَّ للهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ**».

- معنىٰ «**مَنْ أَحْصَاهَا**»:

☐ أحصاها عدًّا. ☐ أحصاها حفظًا. ☐ آمن بها وعمل بمُقتَضاها. ☐ الجميع.

- يتحقَّق الإيمان بالاسم:

☐ بإثباته. ☐ بتنزيه الله تعالىٰ عن مُشابهة المَخلوقين.

☐ بتحقيق قاعدة: (المعنىٰ معلومٌ، والكيف مَجهولٌ، والسُّؤال عنه بدعةٌ). ☐ الجميع.

- لا يتحقَّق الإيمان بالاسم إلَّا بـ:

☐ الإيمان به اسمًا من الأسماء الحسنىٰ. ☐ الإيمان بما تضمَّنه من صفةٍ.

☐ الإيمان بما تدلُّ عليه الصِّفة من الأثر والحكم إذا كان الاسم مُتعدِّيًا. ☐ الجميع.

- يُعرَف الاسم بأنَّه مُتعدٍّ: ☐ إذا اشتُقَّ منه مصدرٌ. ☐ إذا اشتُقَّ منه فعلٌ. ☐ الجميع.
- من أمثلة الاسم المُتعدِّي: ☐ السَّميع. ☐ النَّصير. ☐ الحيُّ. ☐ الحفيظ. ☐ القيُّوم.
- يُعرَف الاسم بأنَّه لازمٌ: ☐ إذا لم يُشتَقَّ منه مصدرٌ. ☐ إذا لم يُشتَقَّ منه فعلٌ. ☐ الجميع.



- من أمثلة الاسم اللَّازم:

☐ الحيُّ. ☐ العظيم. ☐ العليُّ. ☐ البارئ. ☐ الخالق. ☐ الأوَّل. ☐ القويُّ.

- دعاء الله عَزَّوَجَلَّ بأسمائه من: ☐ دعاء المسألة. ☐ دعاء العبادة. ☐ الجميع.
- من أمثلة دعاء المسألة: ☐ يا غفورُ اغفر لي. ☐ يا رحيم ارحمني. ☐ الجميع.
- من أمثلة دعاء العبادة:

☐ خوف الله عَزَّوَجَلَّ لأنَّه رقيبٌ، فلا يفعل ولا يقول إلَّا من يرضي الله عَزَّوَجَلَّ.

☐ التَّوكُّل علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ في كلِّ الأمور؛ لأنَّه هو العزيز الرَّحيم. ☐ الجميع.

- هل الأسماء مُختصَّةٌ؟ ☐ منها ما هو مُختصٌّ. ☐ منها ما هو غير مُختصٍّ. ☐ الجميع.
- حكم التَّسمِّي بأسماء الله عَزَّوَجَلَّ:

☐ جائزٌ. ☐ مُحرَّمٌ. ☐ فيه تفصيلٌ.

☐ الأسماء المُختصَّة لا يصحُّ التَّسمِّي بها إطلاقًا؛ مثل الرَّحمن، وربِّ العالمين.

☐ الأسماء غير المُختصَّة يصحُّ التَّسمِّي بها علىٰ أنَّها أعلامٌ محضةٌ، فإن قُصد بها الوصف الَّذي لا يكون إلَّا لله مُنع التَّسمِّي بها. ☐ الجميع إلَّا الأوَّل والثَّاني.

- هل أسماء الله عَزَّوَجَلَّ أعلامٌ أم أوصافٌ؟ ☐ أعلامٌ. ☐ أوصافٌ. ☐ أعلامٌ وأوصافٌ.
- طرق عدِّ أسماء الله عَزَّوَجَلَّ:

☐ الاعتماد علىٰ العدِّ الوارد في الحديث، والزِّيادة فيه ضعيفةٌ.

☐ طريقة المُقتصرين علىٰ ما ورد بصيغة الاسم، وهو مذهب الظَّاهريَّة.

☐ طريقة المُتوسِّعين الَّذين أثبتوا كلَّ الأسماء، واشتقُّوا من كلِّ صفةٍ اسمًا.

☐ طريقة المُتوسِّطين أو المُعتدلين، وهي طريقة أهل السُّنَّة والجماعة، أثبتوا كلَّ الأسماء الواردة بصيغة الاسم في الكتاب والسُّنَّة، وأخذوا من بعض الصِّفات أسناء بشركين: أن تتضمَّن الصِّفة المدح والكمال، وأن تثبت من الكتاب أو السُّنَّة الصَّحيحة. ☐ الجميع.

- هل يُشتقُّ من الصِّفة اسمٌ؟ ☐ نعم. ☐ لا. ☐ يُؤخذ بشروطٍ، فإن اختلَّت لم يُؤخذ.
- ما هي شروط اشتقاق الاسم من الصِّفة؟

☐ أن تتضمَّن مدحًا وكمالًا. ☐ أن تثبت من الكتاب أو السُّنَّة الصَّحيحة. ☐ الجميع.

- أسماء الله عَزَّوَجَلَّ: ☐ مُشتقَّةٌ. ☐ جامدةٌ.



- معنىٰ ذلك: □ أنَّ كلَّ اسم لابدَّ أن يتضمَّن صفةً. □ أنَّ كلَّ صفةٍ لابدَّ أن تتضمَّن اسمًا.
- هل أسماء الله عَزَّوَجَلَّ مُترادفةٌ أم مُتباينةٌ:

□ مُترادفةٌ باعتبار دلالتها علىٰ ذات الله عَزَّوَجَلَّ. □ مُتباينةٌ باعتبار معانيها. □ الجميع.

- وضِّح ذلك:

........................................................................................

........................................................................................

........................................................................................

- معنىٰ كون أسماء الله عَزَّوَجَلَّ توقيفيَّةً:

□ أنَّه لا مجال للعقل والاجتهاد فيها. □ أن نتوقَّف فيها علىٰ ما ورد في الكتاب والسُّنَّة.

□ الجميع.

- والدَّليل علىٰ كونها توقيفيَّةً:

........................................................................................

........................................................................................

- هل الأسماء أكثر أم الصِّفات؟ □ الأسماء أكثر. □ الصِّفات أكثر.
- لماذا؟ □ لأنَّ كلَّ اسم مُتضمِّنٌ لصفةٍ. □ لأنَّ كلَّ صفةٍ يُشتقُّ منها اسمٌ.
- أقسام الأسماء الحسنىٰ باعتبار إطلاقها علىٰ الله: □ اثنان. □ أربعةٌ. □ ثلاثةٌ.
- الحُسن في الأسماء معناه: □ الكمال. □ بلوغ الحسن غايته. □ الجميع.
- يكون الحسن في: □ كلِّ اسم مُنفردٍ. □ جمع الاسم إلىٰ غيره من الأسماء. □ الجميع.
- والدَّليل علىٰ ذلك:

........................................................................................

........................................................................................

- أقسام الصِّفات: □ اثنان. □ ثلاثةٌ. □ أربعةٌ.
- القول في الصِّفات المَنفيَّة:

□ نفيُها عن الله عَزَّوَجَلَّ كما نفاها عن نفسه، وكما نفاها عنه رسوله ﷺ.

□ إثبات كمال ضدِّها. □ الجميع.



- الفرق بين الصِّفة والخبر أنَّ:

☐ باب الأخبار أوسع من باب الصِّفات. ☐ باب الصِّفات أوسع من باب الأخبار.

- القول في الجهة والمكان لله عَزَّوَجَلَّ:

☐ نسأل عن المُراد من السُّؤال لتعليهم اللَّفظ الوارد في الكتاب والسُّنَّة، أو لإبطال قولهم.

☐ لم يردا في الكتاب والسُّنَّة؛ فلا نثبت ولا ننفي. ☐ الأوَّل والثَّاني.

- القول في الجسم لله عَزَّوَجَلَّ:

☐ نثبته. ☐ ننفيه. ☐ لم يرد ذكره في الكتاب والسُّنَّة، فلا نثبته ولا ننفيه.

- هل ظاهر الأسماء والصِّفات مُرادٌ أم لا:

☐ هذا السُّؤال لم يرد عن السَّلف. ☐ نقول: ماذا تريد بهذا السُّؤال، لتوقعنا في التَّعطيل أم في التَّمثيل؟ ☐ إذا أردت به ظاهر آيات الأسماء والصِّفات فظاهرها معلوم المعنىٰ، ونؤمن أنَّ لها كيفيَّةً ليق بجلال الله وعظمته، لكنَّنا لا نعلمها، هذا الظَّاهر المُراد.

☐ إذا أردت انَّ ظاهر نصوص الأسماء والصِّفات التَّمثيل فهذا غير مُرادٍ. ☐ الجميع.

- سبب تسمية هذه الرِّسالة بـ«العقيدة الواسطيَّة»:

☐ أنَّ الشَّيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذكر فيها وسطيَّة أهل السُّنَّة والجماعة بين الفرق الأخرىٰ.

☐ أنَّ الرِّسالة كانت إجابةً لسؤال أحد قضاة بلدة واسط. ☐ الجميع.

- مدَّة كتابة شيخ الإسلام لـ«العقيدة الواسطيَّة»:

☐ شهرٌ. ☐ أسبوعٌ. ☐ من بعد العصر إلىٰ قبل المغرب.

- الانتقادات علىٰ «العقيدة الواسطيَّة»:

☐ أنَّ مُؤلِّف الرِّسالة معصومٌ، ولا يمكنه الوقع في الخطأ. ☐ فيها أخطاءٌ، لكن يردُّ عليها الشَّارح بلطفٍ أثناء الشَّرح حتَّىٰ لا تكون سلاحًا لأهل البدع.

- أقسام «العقيدة الواسطيَّة»: ☐ ثلاثةٌ. ☐ تسعةٌ. ☐ اثنا عشر.

- من مُميِّزات «العقيدة الواسطيَّة»:

☐ أنَّها وجيزةٌ مُختصرةٌ، ومع ذلك تشمل مُعظم مباحث الاعتقاد عند أهل السُّنَّة.

☐ أنَّ مُؤلِّفها تحرَّىٰ ذكر ألفاظ النُّصوص؛ كـ(التَّحريف) بدل التَّأويل.

☐ أنَّها مُدعَّمةٌ بنصوص الكتاب والسُّنَّة. ☐ الجميع.



- سبب دراسة «العقيدة الواسطيَّة»:

☐ نصيحة العلماء بها؛ لأنَّنا طلَّابٌ، وليس لنا أن نبتدع طريقةً جديدةً في طلبنا للعلم.

☐ أنَّها من أسهل كتب شيخ الإسلام وأحسنها.

☐ أنَّها من أحسن ما كُتب في مُجمل اعتقاد أهل السُّنَّة. ☐ كثرة شروحات العلماء عليها.

☐ أنَّ فيها الكثير من نصوص الكتاب والسُّنَّة. ☐ الجميع.

## [٢] حدِّد نوع الإلحاد في الأمثلة التَّاليَّة:

| السُّؤال | إلحادٌ في الآيات | إلحادٌ في الأسماء والصِّفات |
|---|---|---|
| شرعيٌّ: | ☐ | ☐ |
| كونيٌّ: | ☐ | ☐ |
| إنكار الأسماء كلِّها أو بعضها، أو إنكار ما دلَّت عليه من المعاني: | ☐ | ☐ |
| إثبات الاسم وإنكار الصِّفة: | ☐ | ☐ |
| تسمية الأصنام باللَّات والعُزَّىٰ: | ☐ | ☐ |
| تسمية الله عَزَّوَجَلَّ بما لم يُسمِّ به نفسه؛ مثل: العلَّة الفاعلة، أو ثالث ثلاثةٍ، أو القادر علىٰ الاختراع: | ☐ | ☐ |
| قول: (الطَّبيعة تخلق الأشياء): | ☐ | ☐ |
| قول: (القرآن مخلوقٌ): | ☐ | ☐ |
| قول: (خداي) باللُّغة الفارسيَّة: | ☐ | ☐ |

## [٣] اربط الأسماء الحسنى بنوعها:

| الاسم: | الأسماء المُفردة: | الأسماء المُقترنة: | الأسماء المُزدوجة: |
|---|---|---|---|
| العزيز: | ☐ | ☐ | ☐ |
| الرَّحمن: | ☐ | ☐ | ☐ |
| الرَّحيم: | ☐ | ☐ | ☐ |



| الاسم: | الأسماء المُفردة: | الأسماء المُقترنة: | الأسماء المُزدوجة: |
|---|---|---|---|
| السَّميع: | ☐ | ☐ | ☐ |
| البصير: | ☐ | ☐ | ☐ |
| الأوَّل والآخر: | ☐ | ☐ | ☐ |
| الظَّاهر والباطن: | ☐ | ☐ | ☐ |

## [٤] اربط الصِّفات بنوعها:

| الاسم: | ذاتيَّة: | فعليَّة: | خبريَّة: |
|---|---|---|---|
| صفة اليدين: | ☐ | ☐ | ☐ |
| صفة الكلام: | ☐ | ☐ | ☐ |
| خلق آدم: | ☐ | ☐ | ☐ |

## [٥] اربط السَّبب بدليله:

| الاسم: | دفع ما ادَّعاه الكاذبون في حقِّه عَزَّوَجَلَّ: | دفع توهُّم النَّقص: | العموم: |
|---|---|---|---|
| قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشُّورى]. | ☐ | ☐ | ☐ |
| قوله تعالى: ﴿أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾﴾ [مريم]. | ☐ | ☐ | ☐ |
| قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الأنبياء]. | ☐ | ☐ | ☐ |

## [٦] أجب بـ «صح» أو «خطأ»:

| السُّؤال | صح | خطأ |
|---|---|---|
| ۞ نردُّ على من جعل المُتكلِّم في قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [النِّساء] هو موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣]. | ☐ | ☐ |



| السُّؤال | صح | خطأ |
| --- | --- | --- |
| ۞ جعل لفظ (استوىٰ) في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥﴾[طه] بمعنىٰ (استولىٰ) من تحريف المعاني. | ☐ | ☐ |
| ۞ الجواب الصَّحيح لمن سأل عن الكيفيَّة هو: (الكيف مجهولٌ، والسُّؤال عنه بدعةٌ). | ☐ | ☐ |
| ۞ أسماء الله عَزَّوَجَلَّ محصورةٌ بعددٍ. | ☐ | ☐ |
| ۞ معنىٰ (القول في الذَّات كالقول في الصِّفات) أنَّ إثبات ذاتٍ لله تعالىٰ ليست ذوات المخلوقين يلزم منه إثبات صفاتٍ لله تعالىٰ ليست كصفات المخلوقين. | ☐ | ☐ |
| ۞ القول في بعض الصِّفات كالقول في البعض الآخر إذ لا فرق. | ☐ | ☐ |
| ۞ كلُّ كمالٍ للمخلوق يكون كمالًا للخالق. | ☐ | ☐ |

**[٧] املأ الفراغ فيما يلي:**

۞ اذكر قواعد الأسماء والصِّفات:

..........................................................................................

..........................................................................................

..........................................................................................

..........................................................................................

..........................................................................................

..........................................................................................

..........................................................................................

..........................................................................................

..........................................................................................





# اختبارٌ عامٌّ في العقيدة:

## [١] اختر الجواب الصَّحيح فيما يلي:

| السُّؤال | الخيارات | | |
|---|---|---|---|
| مُؤلِّف «ثلاثة الأصول وأدلَّتها»: | محمَّد بن سليمان التَّميميُّ. | محمَّد بن عبد الوهَّاب. | جميع ما تقدَّم. |
| أركان الإيمان: | خمسةٌ. | ستَّةٌ. | سبعةٌ. |
| شهادة أن (لا إله إلَّا الله) لها: | ركنان. | ثمانية أركانٍ. | سبعة أركانٍ. |
| إفراد الله بتدبير الكون وإنزال المطر هو توحيد: | الألوهيَّة. | الرُّبوبيَّة. | الأسماء والصِّفات. |
| ممَّا ينافي أصل التَّوحيد: | الشِّرك الأكبر. | الشِّرك الأصغر. | البدع. |
| نهى النَّبيُّ ﷺ مُعاذًا أن يُبشِّر النَّاس لئلَّا: | يتنافسوا. | يتَّكلوا. | جميع ما تقدَّم. |
| التَّمسُّح بالحجر الأسود تبرُّكٌ: | مَشروعٌ. | مَمنوعٌ. | فيه تفصيلٌ. |
| من يزور القبور ليدعو الله عندها: | مُشركٌ. | مُبتدعٌ. | مُوحِّدٌ. |
| الصَّلاة في المساجد الَّتي فيها قبورٌ: | صحيحةٌ. | باطلةٌ. | مَكروهةٌ. |
| ما يعطيه أحد الخصمين للقاضي: | هدايا عُمَّالٍ. | رِشوةٌ. | الجميع. |
| أوَّل المخلوقات: | القلم. | العرش. | الكرسيُّ. |
| القائل: (لا يوصَف اللهُ إلَّا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ، لا يُتجاوز القرآن والحديث) هو: | شيخ الإسلام ابن تيميَّة. | ابن القيِّم. | الإمام أحمد. |
| جحدُ شيءٍ من أسماء الله وصفاته: | نفاقٌ. | كفرٌ. | فيه تفصيلٌ. |



| السُّؤال | الخيارات | | |
|---|---|---|---|
| القائل: (من شبَّه الله بخلقه فقد كفر، ومن نفىٰ ما وصف الله به نفسَه أو وصفه به رسولُه فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله تشبيهٌ) هو: | البخاريُّ. | أبو حنيفة. | نُعيم بن حمَّادٍ. |
| ألَّف بعض العلماء كتبًا خاصَّةً في الكبائر، من أهمِّها: | «الكبائر» للذَّهبيِّ. | «الكبائر» لمحمَّد بن عبد الوهَّاب. | الجميع. |
| أخلصَ العبادة لله لكنَّه خالف هدي النَّبيِّ ﷺ: | مُشركٌ. | مُوحِّدٌ. | مُبتدعٌ. |
| إضافة النِّعم إلىٰ غير الله: | مُحرَّمٌ. | جائزٌ. | واجبٌ. |
| الصَّحابة في باب الأسماء والصِّفات: | قائلون بالحقِّ. | ساكتون عنه. | قائلون بالباطل. |
| مُؤلِّف «الحمويَّة» هو: | ياقوت الحمويُّ. | ابن عثيمين. | ابن تيميَّة. |
| ظاهر نصوص الصِّفات: | مُرادٌ. | غير مُرادٍ. | فيه تفصيلٌ. |
| ما كان مَنحوتًا علىٰ شكل صورةٍ: | صنمٌ. | وثنٌ. | الجميع. |
| ينتقصون الصَّالحين ويجحدون فضلَهم: | غُلاةٌ. | جُفاةٌ. | وسطٌ. |

| السُّؤال | الخيارات | |
|---|---|---|
| العُبوديَّة تنقسم إلىٰ: | قسمين. | ثلاثة أقسامٍ. |
| الولاية تنقسم إلىٰ: | قسمين. | ثلاثة أقسامٍ. |
| تسبيح الطُّيور عُبوديَّةُ: | قهرٍ. | طاعةٍ. |
| من عُبد من دون الله وهو غير راضٍ: | طاغوتٌ. | ليس بطاغوتٍ. |
| شروط (لا إله إلَّا الله): | سبعةٌ. | ثمانيةٌ. |



| السُّؤال | الخيارات | |
|---|---|---|
| حقُّ العباد علىٰ الله يُسمَّىٰ: | حقًّا واجبًا. | حقَّ تفضُّلٍ. |
| ما أضافه الله لنفسه ينقسم إلىٰ: | ثلاثة أقسامٍ. | خمسة أقسامٍ. |
| (الله ورسوله أعلم) تُقال: | في حياة النَّبيِّ ﷺ. | في كلِّ وقتٍ. |
| في الأمور الشَّرعيَّة يُقال: | الله أعلم. | الله ورسوله أعلم. |
| هل خالف مُعاذٌ نهي النَّبيِّ ﷺ؟ | نعم. | لا. |
| هل الحكم خاصٌّ بمُعاذٍ؟ | نعم. | لا. |
| مَصير من يلقىٰ الله وهو مُصِرٌّ علىٰ ذنبٍ دون الشِّرك: | العذاب. | هو تحت المشيئة. |
| حديث «لَا يَسْتَرْقُونَ»، زاد فيه مُسلمٌ: «وَلَا يَرْقُونَ»، هذه الزِّيادة: | صحيحةٌ. | ضعيفةٌ. |
| تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائص الله شركٌ: | أكبرُ. | أصغرُ. |
| من غيَّر العلامات الَّتي يُهتدىٰ بها في الطَّريق: | مَلعونٌ. | آثمٌ. |
| الغُلُوُّ يكون في: | الأقوال والأفعال. | ما تقدَّم مع الاعتقادات. |
| أجر الصَّلاة علىٰ رسول الله ﷺ: | لا يختصُّ بمكانٍ. | يزيد عند قبره. |
| يتجرَّأ الشَّيطان علىٰ دعوة النَّاس إلىٰ الشِّرك: | مع وجود العلم والعلماء. | عند فقد العلماء. |
| بُغض بعض الأرقام: | من التَّشاؤم. | مُباحٌ. |
| اعتقاد أنَّ النَّجم سببٌ في نزول المطر مع اعتقاد أنَّ الله هو الفاعل: | صحيحٌ. | شركٌ أصغرُ. |
| رجلٌ تصدَّق لوجه الله، ثمَّ ألقىٰ اللهُ له في قلوب المؤمنين المحبَّة والثَّناء: | مُرائي. | مُخلصٌ. |
| تصدَّق لله حتَّىٰ تتضاعف أموالُه: | مُشركٌ. | مُخلِصٌ. |



| السُّؤال | الخيارات | |
|---|---|---|
| سُمِّي عبدًا للدِّينار: | لعبادته له. | لرضاه وسخطه لأجله. |
| أجمع النَّاس علىٰ أنَّ من استبانت له سنَّةٌ لم يكن له أن يدعها: | لقول أحدٍ. | إلَّا لقول الأئمَّة الأربعة. |
| إضافة النِّعمة لغير الله كفرٌ: | أكبرُ. | أصغرُ. |
| قول: (الزَّمن غدَّارٌ): | مُحرَّمٌ. | يجوز؛ لأنَّه من باب الإخبار. |
| قول: (وُلد فلانٌ سنة المجاعة): | مُحرَّمٌ. | يجوز؛ لأنَّه من باب الإخبار. |
| التَّسمِّي بالعزيز والكريم والحليم: | لا بأس به. | مُحرَّمٌ. |
| في الحديث: «**الْحَارِثُ**...»: | اسمٌ من أسماءِ الشَّيطان. | أصدقُ الأسماء. |
| قول: (اللَّهمَّ إنِّي أسألك بوجهك الكريم أن توفِّقني لحفظ القرآن): | مُحرَّمٌ. | جائزٌ. |
| قول من رأىٰ فاسقًا غنيًّا: (هذا لا يستحقُّ هذه الأموال): | جائزٌ. | مُحرَّمٌ. |
| حكم من أنكر القضاء والقدر: | كافرٌ. | آثمٌ. |
| قوله: (في نفسي شيءٌ من القدر) أي: | شكٌّ واضطرابٌ. | إنكارٌ وجحودٌ. |
| قول: (لن يقبل الله توبتك): | جائزٌ. | مُحرَّمٌ. |
| ديانةٌ وضعيَّةٌ قوميَّةٌ تتشكَّل من خليطٍ من الدِّيانات الوثنيَّة، والكتابيَّة، والعقائد والفلسفات الأخرىٰ: | الصَّابئة. | المَجوسيَّة. |
| ديانةٌ وضعيَّةٌ ثانويَّةٌ، يُقدِّس أتباعُها النَّار، وهي ديانة الفرس قبل الإسلام: | المَجوسِّية. | الصَّابئة. |
| كلمةٌ أعجميَّةٌ تعني النِّفاق والخروج من الدِّين: | الزَّندقة. | الصَّابئة. |



| السُّؤال | الخيارات | |
|---|---|---|
| نواقض الإسلام: | عشرةٌ. | كثيرةٌ. |
| ترجع النَّواقض في جملتها إلىٰ: | قولٍ وعملٍ واعتقادٍ وشكٍّ. | قولٍ وعملٍ واعتقادٍ. |
| أجمع السَّلف علىٰ إثبات الصِّفات: | ولم يختلفوا فيها. | لكن اختلفوا في شيءٍ منها. |
| الكبائر: | مَعدودةٌ. | مَحدودةٌ. |
| كلُّ أمرٍ خارقٍ للعادة، غيرِ مَألوفٍ للآدميِّين، يُجريه الله علىٰ أيدي أوليائه تأييدًا لهم، أو إعانةً، أو تثبيتًا، أو نصرًا للدِّين) يُسمَّىٰ: | مُعجزةً. | كَرامةً. |
| الكَرامةُ: | لا يُمكن أن تُعارَضَ. | يُمكن أن تُعارَضَ. |
| العلامات الَّتي تكون قريبًا بين يدي السَّاعة وتأتي مُتتابعةً تُسمَّىٰ: | علاماتٍ كُبرىٰ. | علاماتٍ صُغرىٰ. |
| الشَّهادة بالجنَّة والنَّار تنقسم إلىٰ: | مُطلَقةٍ ومُقيَّدةٍ. | عامَّةٍ وخاصَّةٍ. |
| النِّدُّ هو: | المَثيلُ والشَّريكُ. | الضِّدُّ والمُخالِفُ. |

| السُّؤال | الخيارات | | | |
|---|---|---|---|---|
| التَّوحيد ينقسم إلىٰ: | رُبوبيَّةٍ، وأُلوهيَّةٍ، وأسماءٍ وصفاتٍ. | مَعرفةٍ وإثباتٍ، وإرادةٍ وقصدٍ. | جميع ما تقدَّم. | ما تقدَّم ويُضاف إليه الحاكميَّة. |
| ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾[النَّحل:١٢٠] أي: | قدوةً. | إمامًا. | مُعلِّمًا للخير. | جميع ما تقدَّم. |
| يصحُّ أن يقول: | توكَّلت عليك. | وكَّلتك. | توكَّلت علىٰ الله ثمَّ عليك. | الجميع إلَّا الأوَّل. |



| السُّؤال | الخيارات | | | |
|---|---|---|---|---|
| الحلف بالله كاذبًا: | شركٌ أصغرُ. | كبيرةٌ. | مُحرَّمٌ. | فيه تفصيلٌ. |
| من مُؤلَّفات محمَّد بن عبد الوهَّاب: | «مُختصر السِّيرة». | «أصول الإيمان». | «التفسير». | جميع ما تقدَّم. |

## [٢] أجب بـ«صح» أو «خطأ»:

| السُّؤال | صح | خطأ |
|---|---|---|
| كلُّ مَن في الكون عبادٌ لله حتَّىٰ الكافر. | ☐ | ☐ |
| كلُّ الحيوانات تُسبِّح الله إلَّا الوزغ. | ☐ | ☐ |
| من آمن بواحدٍ من أنواع التَّوحيد دون الباقي لم يكن مُوحِّدًا. | ☐ | ☐ |
| تقسيم التَّوحيد إلىٰ أقسام من البدع لعدم الدَّليل. | ☐ | ☐ |
| علاقة التَّوحيد بالإيمان أنَّ الإيمان عامٌّ والتَّوحيد جزءٌ منه. | ☐ | ☐ |
| العبادة تكون باللِّسان والجوارح فقط: | ☐ | ☐ |
| أوجب الواجبات برُّ الوالدين. | ☐ | ☐ |
| أعظم المُحرَّمات: الزِّنىٰ، وقتل النَّفس الَّتى حرَّم الله. | ☐ | ☐ |
| يُحرَّم كتم العلم بكلِّ حالٍ. | ☐ | ☐ |
| أعظم الظُّلم ظلم العبد غيرَه في نفس، أو مالٍ، أو عرض. | ☐ | ☐ |
| (لا إله إلَّا الله) ذكرٌ وليست بدعاءٍ. | ☐ | ☐ |
| يوجد من يقول: (لا إله إلَّا الله)؛ ولكنَّها لا تزن عند الله شيئًا. | ☐ | ☐ |
| يمنع جواز الرُّقية من الأمراض الحسِّيَّة والمَعنويَّة إلَّا من العين والحُمَةِ. | ☐ | ☐ |
| الشِّرك الأكبر مُبيحٌ للدَّم، والمال؛ ما لم يكن ذِمِّيًّا أو مُعاهَدًا. | ☐ | ☐ |
| الفرق بين الرَّاقي والمُسترقِي أنَّ المُسترَقيَ سائلُ مُستعطٍ مُلتفتٌ إلىٰ غير الله بقلبه، والرَّاقى مُحسنٌ. | ☐ | ☐ |
| النَّحر من أعظم العبادات البدنيَّة. | ☐ | ☐ |
| لا يجوز لعن أصحاب المعاصى إلَّا علىٰ وجه العموم. | ☐ | ☐ |
| الأماكن المُعَدَّة لمُحاربة الله ورسوله لا تجوز الصَّلاة فيها إلَّا المساجد. | ☐ | ☐ |



| السُّؤال | صح | خطأ |
| --- | --- | --- |
| وإذا أمكن تحويلها لأماكن للطَّاعة حُوِّلت. | ☐ | ☐ |
| يصحُّ شدُّ الرَّحل للصَّلاة في مسجد قُباءٍ. | ☐ | ☐ |
| الذَّهاب لأماكن الشِّرك المُندَثرة يصحُّ إذا كان من باب التَّذكير. | ☐ | ☐ |
| يصحُّ الذَّهاب إلىٰ غار حِراءٍ لمَعرفه ما كان عليه النَّبيُّ ﷺ من التَّعبُّد. | ☐ | ☐ |
| من تعلَّم شيئًا من التَّنجيم فقد تعلَّم شيئًا من السِّحر. | ☐ | ☐ |
| قول المُؤلِّف: (الطِّيَرَة المَذمومة) مَفهومُه أنَّ هناك طِيَرةً مَمدوحةً. | ☐ | ☐ |
| الأخذ بالأسباب يُنافي التَّوكُّل. | ☐ | ☐ |
| إذا خاف المُسلم الوقوع في الرِّياء فله تركُ العبادة. | ☐ | ☐ |
| باب إرادة المرء بعمله الدُّنيا أخطر من باب الرِّياء. | ☐ | ☐ |
| الرُّؤيا قد تكون سببًا للتَّشريع. | ☐ | ☐ |
| يجوز أن يقول: (ربِّي يُحبِّني) لمَن حصلت له نعمةٌ. | ☐ | ☐ |
| يجوز أن يقول: (أقبلت ريحٌ مُمطرةٌ). | ☐ | ☐ |
| الرِّدَّة هي الخروج من الدِّين بفعل ما يُناقضه. | ☐ | ☐ |
| الجهميَّة هم أصحاب الجيمات الثَّلاثة. | ☐ | ☐ |
| لا فرق بين الرِّياء في كلمة: (لا إله إلَّا الله)، وفي الصَّدقة. | ☐ | ☐ |
| يجب مَحبَّة الرَّسول ﷺ أشدَّ من مَحبَّة الولد والوالد والنَّاس أجمعين. | ☐ | ☐ |
| الحوض مَوردٌ عظيمٌ تردُه أمَّةُ محمَّدٍ ﷺ يوم القيَّامة. | ☐ | ☐ |
| الفسق قسمان: كُلِّيٌّ ينقل عن الملَّة -وهو الكفر الأكبر-، وجُزئيٌّ لا يُخرج من الملَّة -وهو المعاصي-. | ☐ | ☐ |
| هناك فرقٌ في الحكم الشَّرعيِّ بين كون المُستهزئ بالله تعالىٰ أو برسوله ﷺ جادًّا وكونه هازلًا. | ☐ | ☐ |
| طوائف أهل البدع عندهم من الضَّلال بقدر ما فارقوا به جماعة المُسلمين. | ☐ | ☐ |
| طريقة السَّلف مُجرَّدُ الإيمان بألفاظ القرآن والحديث من غير فقهٍ لذلك. | ☐ | ☐ |
| طريقة السَّلف تفويضُ المعنىٰ. | ☐ | ☐ |
| الحقُّ الَّذي يجب اعتقادُه لم يدُلَّ عليه الكتاب والسُّنَّة، لا نصًّا ولا ظاهرًا. | ☐ | ☐ |
| طريقة السَّلف أسلم، وطريقة الخلف أعلم وأحكم. | ☐ | ☐ |



| السُّؤال | صح | خطأ |
|---|---|---|
| ۞ لا مُنافاة بين العُلُـوِّ والمَعيَّـة، فـإنَّ المعيَّـة لا تسـتلزم الاخـتلاط والحلـول في المكان. | ☐ | ☐ |
| ۞ كلُّ واحدٍ من فريقى التَّعطيل والتَّمثيل فهو جامعٌ بين التَّعطيل والتَّمثيل. | ☐ | ☐ |
| ۞ لا فرق بين مذهب السَّلف ومذهب المُؤوِّلين في نصوص الصِّفات، فإنَّ الكُـلَّ اتَّفقوا علىٰ أنَّ الآيات والأحاديث لا تدلُّ علىٰ صفات الله. | ☐ | ☐ |
| ۞ المِعراج هو رحلته ﷺ من مكَّة إلىٰ بيت المَقدِس. | ☐ | ☐ |
| ۞ مِن طُرق علاج الرِّياء تذَكُّر المَوت وسَكَراتِه. | ☐ | ☐ |



# مُلْحَقٌ فِيهِ بَعْضُ الْمُتُونِ الْمُهِمَّةِ لِطَالِبِ الْعِلْمِ فِي أَبْوَابِ الِاعْتِقَادِ وَأُصُولِ التَّفْسِيرِ





## متن: «العَقِيدَةِ الوَاسِطِيَّةِ»

لِشَيْخِ الإِسْلامِ:

أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الحَلِيمِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

القسم الأوَّل: المُقدِّمة

**الحمْدُ لله** الَّذي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ؛ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ، وَكَفَىٰ بِاللهِ شَهِيدًا، وأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ؛ إِقْرَارًا بِهِ وَتَوْحِيدًا، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا مَزِيدًا.

اعْتِقَادُ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ الْمَنْصُورَةِ إِلَىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ -أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ-:

الإِيمانُ بِاللهِ، وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، والإِيمَانُ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ.

وَمِنَ الإِيمَانِ بِاللهِ: الإِيمَانُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ مُحَمَّدٌ ﷺ؛ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلاَ تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلاَ تَمْثِيلٍ؛ بَلْ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ⦗١١⦘﴾[الشُّورى].

فَلاَ يَنْفُونَ عَنْهُ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَلاَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَلاَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَىٰ وآيَاتِهِ، وَلاَ يُكَيِّفُونَ وَلاَ يُمَثِّلُونَ صِفَاتِهِ بِصِفَاتِ خَلْقِهِ؛ لأَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: لاَ سَمِيَّ لَهُ، وَلاَ كُفْءَ لَهُ، وَلاَ نِدَّ لهُ. ولاَ يُقَاسُ بِخَلْقِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ بِنَفْسِهِ وَبِغَيْرِهِ، وَأَصْدَقُ قِيلًا، وَأَحْسَنُ حَدِيثًا مِنْ خَلْقِهِ.

ثُمَّ رُسُلُهُ صَادِقُونَ مُصَدَّقُون؛ بِخِلاَفِ الَّذِينَ يَقُولُونَ عَلَيْهِ مَا لاَ يَعْلَمُونَ، وَلِهَذَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ⦗١٨٠⦘ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ⦗١٨١⦘ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ⦗١٨٢⦘﴾[الصَّافات]، فَسَبَّحَ نَفْسَهُ عَمَّا وَصَفَهُ بِهِ الْمُخَالِفُونَ لِلرُّسُلِ، وَسَلَّمَ عَلَىٰ الْمُرْسَلِينَ؛ لِسَلاَمَةِ مَا قَالُوهُ مِنَ النَّقْصِ وَالْعَيْبِ.





وَهُوَ سُبْحَانَهُ قَدْ جَمَعَ فِيما وَصَفَ وَسَمَّىٰ بِهِ نَفْسَهُ بينَ النَّفْيِ وَالإِثْبَاتِ.

فَلَا عُدُولَ لأَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ عَمَّا جَاءَت بِهِ الْمُرْسَلُونَ؛ فَإِنَّهُ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، صِرَاطُ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ والصَّالِحِينَ.

**وَقَدْ دَخَلَ فِي هذِهِ الْجُمْلَةِ:** مَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ فِي سُورَةِ «الإِخْلَاصِ» الَّتِي تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ، حَيثُ يَقُولُ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص]، وَمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي أَعْظَمِ آيَةٍ فِي كِتَابِ الله؛ حَيْثُ يَقُولُ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾[البقرة]. أَيْ لاَ يُكْرِثُهُ وَلاَ يُثْقِلُهُ، وَلِهَذَا كَانَ مَنْ قَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ فِي لَيْلَةٍ لَمْ يَزَلْ عَلَيْهِ مِنَ اللهِ حَافِظٌ وَلاَ يَقْرَبُهُ شَيْطَانٌ حَتَّىٰ يُصْبِحَ، وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾[الفرقان:٥٨].

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾[الحديد]، وَقَوْلُه سُبْحَانَهُ: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ [التحريم]، ﴿ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾﴾ [التَّحريم]، ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ﴾[سبإ:٢]، ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾[الأنعام]، ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ﴾[فاطر:١١]، وَقَوْلُهُ: ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق].

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾[الذَّاريات].

وَقَوْلُهُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[الشُّورىٰ]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾[النِّساء].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ﴾[الكهف:٣٩]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾[البقرة]،



وَقَوْلُهُ: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ ﴾[الأنعام:١٢٥].

وَقَوْلُهُ: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾﴾[المائدة].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [البقرة]، ﴿وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾﴾ [الحجرات]، ﴿فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾﴾ [التَّوبة]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾[البقرة]، ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾[المائدة:٥٤]، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾﴾[الصَّف]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾[آل عمران:٣١].

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ﴾[المائدة:١١٩]، وَقَوْلُهُ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾﴾[النمل]، ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾[غافر:٧]، ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾[الأحزاب]، وَقَالَ: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ ﴾ [الأنعام:٥٤]، ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[يونس:١٠٧]، ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾﴾[يوسف].

وَقَوْلُهُ: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ﴾[النساء:٩٣]، وَقَوْلُهُ: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾﴾[محمَّد]، وَقَوْلُهُ: ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ ﴾[الزخرف:٥٥]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ ﴾[التوبة:٤٦]، وَقَوْلُهُ: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾[الصَّف]، وَقَوْلُهُ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ ﴾[البقرة:٢١٠]، ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا﴾ [الأنعام:١٥٨]، ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾[الفجر]، ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾﴾ [الفرقان].

وَقَوْلُهُ: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرَّحمٰن]، وَقَوْلُهُ: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ ﴾ [القصص:٧٧].



وَقَوْلُهُ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥]، ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾[المائدة:٦٤].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطُّور:٤٨]، ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾﴾[القمر]، ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾﴾ [طه].

وَقَوْلُهُ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾ [المجادلة:١]، وَقَوْلُهُ: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾[آل عمران:١٨١]، ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [طه]، وَقَوْلُهُ: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾[الزُّخرف]، وَقَوْلُهُ: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾﴾[العلق]، وَقَوْلُهُ: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾﴾ [الشُّعراء]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[التوبة:١٠٥].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾[الرَّعد]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾[آل عمران]، وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾﴾[الطارق]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [النمل].

وَقَوْلُهُ: ﴿إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾﴾[النساء]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾[النُّور].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ﴾ [المنافقون:٨]، وَقَوْلُهُ: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾﴾[ص].

وَقَوْلُهُ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾ [الرَّحمٰن].

وَقَوْلُهُ: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم]، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص]، وَقَوْلُهُ: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾[البقرة]، ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥]، ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾﴾ [الإسراء]، ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [التغابن]، وَقَوْلُهُ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ



نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ ﴾[الفرقان]، وَقَوْلُهُ: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [المؤمنون]، وَقَوْلُهُ: ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾[النحل]، وَقَوْلُهُ: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأعراف].

وَقَوْلُهُ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾[طه]، ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ﴾[الأعراف:٥٤] فِي سِتَّةِ مَوَاضِعَ، وَقَوْلُهُ: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ ﴾[آل عمران:٥٥]، ﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ﴾[النساء:١٥٨]، وَقَوْلُهُ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ ﴾ [فاطر:١٠]، وَقَوْلُهُ: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ﴾ [غافر]، وَقَوْلُهُ: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ ﴾ [الملك]، وَقَوْلُهُ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الحديد]، وَقَوْلُهُ: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾[المجادلة:٧]، وَقَوْلُهُ: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾[التوبة:٤٠]، وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾[طه]، وَقَوْلُهُ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾[النحل]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾[الأنفال]، وَقَوْلُهُ: ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ ﴾ [البقرة].

وَقَوْلُهُ: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ ﴾[النساء]، ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ ﴾[النساء:١٢٢]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ﴾[المائدة:١١٦]، وَقَوْلُهُ: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ ﴾[الأنعام:١١٥]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾[النّساء]،



وَقَوْلُهُ: ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ [البقرة:٢٥٣]، ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف:١٤٣]، ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾﴾[مريم]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾﴾[الشّعراء]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾﴾[الأعراف:٢٢]، وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [القصص:٦٢]، وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [القصص]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾[التوبة:٦]، ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾[البقرة:٧٥]، وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا﴾ [الفتح:١٥]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾[الكهف:٢٧]، وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [النّمل:٧٦]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾[الأنعام:٩٢]، وَقَوْلُهُ: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر:٢١]، ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾[النحل].

وَقَوْلُهُ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة]، ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾[المطفِّفين:٢٣]، وَقَوْلُهُ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦]، وَقَوْلُهُ: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ [ق].

وَهَذَا الْبَابُ فِي كِتَابِ اللهِ كَثِيرٌ، مَنْ تَدَبَّرَ الْقُرْآنَ طَالِبًا لِلْهُدَىٰ مِنْهُ؛ تَبَيَّنَ لَهُ طَرِيقُ الْحَقِّ.

القسم الثَّالثُ: الأدلَّةُ من السُّنّةِ

**ثُمَّ سُنَّةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تُفَسِّرُ الْقُرْآنَ**، وَتُبَيِّنُهُ، وَتَدُلُّ عَلَيْهِ، وَتُعَبِّرُ عَنْهُ، وَمَا وَصَفَ الرَّسُولُ ﷺ بِهِ رَبَّهُ عَزَّوَجَلَّ مِنَ الأَحَادِيثِ الصِّحَاحِ الَّتِي تَلَقَّاهَا أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ بِالْقَبُولِ= وَجَبَ الإِيمَانُ بِهَا كَذَلِكَ.

مِثْلُ قَوْلِهِ ﷺ: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَىٰ سَمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ حِينَ يَبْقَىٰ ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، فَيَقُولُ:**



مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَقَوْلِهِ ﷺ: «لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ بِرَاحِلَتِهِ» الْحَدِيثُ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَقَوْلِهِ ﷺ: «يَضْحَكُ اللهُ إِلَىٰ رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ؛ يَدْخُلَانِ الْجَنَّةَ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَقَوْلِهِ: «عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ وَقُرْبِ غِيَرِهِ، يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ أَزِلِينَ قَنِطِينَ، فَيَظَلُّ يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ يَضْحَكُ، يَعْلَمُ أَنَّ فَرَجَكُمْ قَرِيبٌ». حَدِيثٌ حَسَنٌ.

وَقَوْلِهِ ﷺ: «لا تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَىٰ فِيهَا وَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟ حَتَّىٰ يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ [وَفِي رِوَايَةٍ: عَلَيْهَا قَدَمَهُ] فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَىٰ بَعْضٍ، وَتَقُولُ: قَطٍ قَط». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَقَوْلِهِ: «يَقُولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ لآدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا آدَمُ! فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ. فَيُنَادِي بِصَوْتٍ: إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِن ذُرِّيَّتِكَ بَعْثًا إِلَىٰ النَّارِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَقَوْلِهِ: «مَا مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ حَاجِبٌ وَلَا تُرْجُمَانٌ».

وَقَوْلِهِ -فِي رُقْيَةِ الْمَرِيضِ-: «رَبَّنَا اللهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ، تَقَدَّسَ اسْمُكَ، أَمْرُكَ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، كَمَا رَحْمَتُكَ فِي السَّمَاءِ اجْعَلْ رَحْمَتَكَ فِي الأَرْضِ، اغْفِرْ لَنَا حُوبَنَا وَخَطَايَانَا، أَنْتَ رَبُّ الطَّيِّبِينَ، أَنْزِلْ رَحْمَةً مِنْ رَحْمَتِكَ، وَشِفَاءً مِنْ شِفَائِكَ عَلَىٰ هَـٰذَا الْوَجِعِ؛ فَيَبْرَأَ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

وَقَوْلِهِ: «أَلَا تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ.

وَقَوْلِهِ: «وَالْعَرْشُ فَوْقَ الْمَاءِ، وَاللهُ فَوْقَ عَرْشِهِ، وَهُوَ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُمَا.

وَقَوْلِهِ لِلْجَارِيَةِ: «أَيْنَ اللهُ؟». قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ. قَالَ: «مَنْ أَنَا؟». قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ. قَالَ: «أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَقَوْلِهِ ﷺ: «أَفْضَلُ الإِيمَانِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللهَ مَعَكَ حَيْثُمَا كُنْتَ». حَدِيثٌ حَسَنٌ.

وَقَوْلِهِ: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَىٰ الصَّلاةِ؛ فَإِنَّ اللهَ قِبَلَ وَجْهِهِ؛ فَلاَ يَبْصُقَنَّ قِبَلَ وَجْهِهِ، وَلاَ عَنْ يَمِينِهِ؛ وَلَكِنْ عَنْ يَسَارِهِ، أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَقَوْلِهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ، وَرَبَّ الأَرْضِ، وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ، مُنَزِّلَ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا، أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيءٌ،



**وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ؛ اقْضِ عَنِّي الدَّيْنَ وَأَغْنِنِي مِنَ الْفَقْرِ**». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَقَوْلِهِ لَمَّا رَفَعَ أَصْحَابُهُ أَصْوَاتَهُمْ بِالذِّكْرِ: «**أَيُّهَا النَّاسُ! ارْبَعُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ؛ فَإِنَّكُمْ لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِبًا، إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا، إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَىٰ أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَقَوْلِهِ: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لاَ تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن لاَّ تُغْلَبُوا عَلَىٰ صَلاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَصَلاةٍ قَبْلَ غُرُوبِهَا؛ فَافْعَلُوا**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

القسم الرَّابعُ: وسطيَّةُ أهل السُّنَّةِ

... إِلَىٰ أَمْثَالِ هَذِهِ الأَحَادِيثِ الَّتِي يُخْبِرُ فِيهَا رِسُولُ اللهِ ﷺ عَن رَّبِهِ بِمَا يُخْبِرُ بِهِ؛ فَإِنَّ الْفِرْقَةَ النَّاجِيَةَ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ يُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ؛ كَمَا يُؤْمِنُونَ بِمَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ؛ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلا تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلاَ تَمْثِيلٍ؛ بَلْ **هُمُ الْوَسَطُ فِي فِرَقِ الأُمَّةِ**؛ كَمَا أَنَّ الأُمَّةَ هِيَ الْوَسَطُ فِي الأُمَمِ.

فَهُمْ وَسَطٌ فِي بَابِ صِفَاتِ اللهِ ﷻ بَيْنَ أَهْلِ التَّعْطِيلِ «الْجَهْمِيَّةِ»، وَبَيْنَ أَهْلِ التَّمْثِيلِ «الْمُشَبِّهَة».

وَهُمْ وَسَطٌ فِي بَابِ أَفْعَالِ اللهِ تَعَالَىٰ بَيْنَ «الْقَدَرِيَّةِ» وَ«الْجَبْرِيَّةِ».

وَفِي بَابِ وَعِيدِ اللهِ بَيْنَ «الْمُرْجِئَةِ» وَبَيْنَ الْوَعِيدِيَّةِ مِنَ «الْقَدَرِيَّةِ» وَغَيْرِهِمْ.

وَفِي بَابِ الإِيمَانِ وَالدِّينِ بَيْنَ «الْحَرُورِيَّةِ» وَ«الْمُعْتَزِلَةِ»، وَبَيْنَ «الْمُرْجِئَةِ» وَ«الْجَهْمِيَّةِ».

وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَيْنَ «الرَّوَافِضِ» وَ بَيْنَ «الْخَوَارِجِ».

القسم الخامسُ: فصولٌ مُتفرِّقةٌ

**وَقَدْ دَخَلَ فِيمَا ذَكَرْنَاهُ** مِنَ الإِيمَانِ بِاللهِ الإِيمَانُ بِمَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ، وَتَوَاتَرَ عَن رَّسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الأُمَّةِ؛ مِنْ أَنَّهُ ﷻ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ، عَلَىٰ عَرْشِهِ، عَلِيٌّ عَلَىٰ خَلْقِهِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا، يَعْلَمُ مَا هُمْ عَامِلُونَ؛ كَمَا جَمَعَ بَيْنَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الحديد]، وَلَيْسَ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ أَنَّهُ مُخْتَلِطٌ بِالْخَلْقِ؛ فَإِنَّ هَذَا لاَ تُوجِبُهُ اللُّغَةُ، وَهُوَ خِلاَفُ مَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الأُمَّةِ وَخِلاَفُ مَا فَطَرَ اللهُ عَلَيْهِ الْخَلْقَ؛ بَلِ الْقَمَرُ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللهِ مِنْ أَصْغَرِ



مَخْلُوقَاتِهِ، وَهُوَ مَوْضُوعٌ فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ مَعَ الْمُسَافِرِ أَيْنَمَا كَانَ. وَهُوَ سُبْحَانَهُ فَوْقَ العَرْشِ، رَقِيبٌ عَلَىٰ خَلْقِهِ، مُهَيْمِنٌ عَلَيْهِمْ، مُطَّلِعٌ إِلَيْهِم... إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِن مَّعَانِي رُبُوبِيَّتِهِ.

وَكُلُّ هَذَا الْكَلامِ الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ -مِنْ أَنَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَأَنَّهُ مَعَنَا- حَقٌّ عَلَىٰ حَقِيقَتِهِ، لاَ يَحْتَاجُ إِلَىٰ تَحْرِيفٍ، وَلَكِنْ يُصَانُ عَنِ الظُّنُونِ الْكَاذِبَةِ.

وَقَد دَّخَلَ فِي ذَلِكَ الإِيمَانُ بِأَنَّهُ قَرِيبٌ مِنْ خَلْقِهِ؛ كَمَا قَالَ ﷻ: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾[البقرة] ، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَىٰ أَحَدِكُم مِن عُنقِ رَاحِلَتِهِ». وَمَا ذُكِرَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنْ قُرْبِهِ وَمَعِيَّتِهِ لاَ يُنَافِي مَا ذُكِرَ مِنْ عُلُوِّهِ وَفَوْقِيَّتِهِ؛ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فِي جَمِيعِ نُعُوتِهِ، وَهُوَ عَلِيٌّ فِي دُنُوِّهِ، قَرِيبٌ فِي عُلُوِّهِ.

وَمِنَ الإِيمَانِ بِهِ وَبِكُتُبِهِ الإِيمانُ بِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلامُ اللهِ ﷻ، مُنَزَّلٌ، غَيْرُ مَخْلُوقٍ، مِنْهُ بَدَأَ، وَإِلَيْهِ يَعُودُ، وَأَنَّ اللهَ تَكَلَّمَ بِهِ حَقِيقَةً، وَأَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَىٰ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ هُوَ كَلامُ اللهِ حَقِيقَةً، لاَ كَلامَ غَيْرِهِ. وَلا يَجُوزُ إِطْلاقُ الْقَوْلِ بِأَنَّهُ حِكَايَةٌ عَنْ كَلاَمِ اللهِ، أَوْ عِبَارَةٌ عَنْهُ؛ بَلْ إِذَا قَرَأَهُ النَّاسُ أَوْ كَتَبُوهُ فِي الْمَصَاحِفِ؛ لَمْ يَخْرُجْ بِذَلِكَ عَنْ أَنْ يَكُونَ كَلامَ اللهِ ﷻ حَقِيقَةً، فَإِنَّ الْكَلاَمَ إِنَّمَا يُضَافُ حَقِيقَةً إِلَىٰ مَنْ تَكَلَّمَ بِهِ مُبْتَدِئًا، لاَ إِلَىٰ مَنْ قَالَهُ مُبَلِّغًا مُؤَدِّيًا.

وَقَد دَّخَلَ أَيْضًا فِيمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الإِيمَانِ بِكُتُبِهِ وَبِرُسُلِهِ: الإِيمَانُ بِأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِيَانًا بِأَبْصَارِهِمْ كَمَا يَرَوْنَ الشَّمْسَ صَحْوًا لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ، وَكَمَا يَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لاَ يُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ.

يَرَوْنَهُ سُبْحَانَهُ وَهُمْ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَرَوْنَهُ بَعْدَ دُخُولِ الْجَنَّةِ؛ كَمَا يَشَاءُ اللهُ ﷻ.

وَمِنَ الإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الآخِرِ الإِيمَانُ بِكُلِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مِمَّا يَكُونُ بَعْدَ الْمَوْتِ، فَيُؤْمِنُونَ بِفِتْنَةِ الْقَبْرِ، وَبِعَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِهِ.

فَأَمَّا الْفِتْنَةُ؛ فَإِنَّ النَّاسَ يُفْتَنُون فِي قُبُورِهِمْ، فَيُقَالُ لِلرَّجُلِ: مَن رَّبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَن نَّبِيُّك؟ فَيُثَبِّتُ اللهُ الذِينَ آمَنُوا بِالقَوْلِ الثَّابِتِ، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: اللهُ رَبِّي، وَالإِسْلاَمُ دِينِي، وَمُحَمَّدٌ نَبِيِّي. وَأَمَّا الْمُرْتَابُ؛ فَيَقُولُ: آه، آه؛ لَا أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ، فَيُضْرَبُ بِمِرْزَبَةٍ مِنْ حَدِيدٍ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا كُلُّ شَيْءٍ؛ إِلَّا الإِنْسَانَ، وَلَوْ سَمِعَهَا الإِنْسَانُ؛ لَصَعِقَ.



ثُمَّ بَعْدَ هَذِهِ الْفِتْنَةِ إمَّا نَعِيمٌ وَإِمَّا عَذَابٌ، إِلَىٰ يَـوْمِ الْقِيَامَـةِ الْكُبْـرىٰ، فَتُعَـادُ الأَرْوَاحُ إِلَـىٰ الأَجْسَادِ.

وَتَقُومُ الْقِيَامَةُ الَّتِي أَخْبَرَ اللهُ بِهَـا فِـي كِتَابِـهِ، وَعَلَـىٰ لِسَـانِ رَسُـولِهِ ﷺ، وَأَجْمَـعَ عَلَيْهَـا الْمُسْلِمُونَ. فَيَقُومُ النَّاسُ مِنْ قُبُورِهِمْ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً، وَتَدْنُو مِنْهُمُ الشَّمْسُ، وَيُلْجِمُهُمُ الْعَرَقُ.

وَتُنْصَبُ الْمَوَازِينُ، فَتُوزَنُ بِهَا أَعْمَالُ الْعِبَاد، ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ١٠٢ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ١٠٣﴾[المؤمنون].

وَتُنْشَرُ الدَّوَاوِينُ، وَهِيَ صَحَائِفُ الأَعْمَالِ، فَآخِذٌ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، وآخِذٌ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ أَوْ مِن وَّراءِ ظَهْرِهِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ١٣ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ١٤﴾[الإسراء].

وَيُحَاسِبُ اللهُ الخَلائِقَ، وَيَخْلُو بِعَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ، فَيُقَـرِّرُهُ بِذُنُوبِـهِ؛ كَمَـا وُصِـفَ ذَلِـكَ فِـي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

وَأَمَّا الْكُفَّارُ؛ فَلا يُحَاسَبُونَ مُحَاسَبَةَ مَنْ تُوزَنُ حَسَنَاتُهُ وَسَـيِّئَاتُهُ؛ فَإِنَّـهُ لاَ حَسَـنَاتٍ لَهُـمْ، وَلَكِنْ تُعَدَّدُ أَعْمَالُهُمْ، فَتُحْصَىٰ، فَيُوقَفُونَ عَلَيْهَا وَيُقَرَّرُونَ بِهَا يُجْزَوْنَ بِهَا.

وَفِي عَرصَةِ الْقِيَامَةِ «الْحَوضُ» الْمَوْرُودُ لِمُحَمَّدٍ ﷺ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَىٰ مِنَ الْعَسَلِ، طُولُهُ شَهْرٌ، وَعَرْضُهُ شَهْرٌ، آنِيَتُهُ عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ، فَمَـن شَـرِبَ مِنْـهُ شَـرْبَةً؛ لاَ يَظْمَأُ بَعْدَهَا أَبَدًا.

وَ«الصِّرَاطُ» مَنْصُوبٌ عَلَىٰ مَتْنِ جَهَنَّمَ، وَهُوَ الْجِسْرُ الَّذِي بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، يَمُـرُّ النَّـاسُ عَلَيْهِ عَلَىٰ قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ عَلَيْهِ كَلَمْحِ الْبَصَرِ، وَمِنْهُم مَن يَمُرُّ كَـالْبَرْقِ، وَمِـنْهُم مَن يَمُرُّ كَالرِّيحِ، ومِنْهُم مَن يَمُرُّ كَالْفَرَسِ الْجَوَادِ، وَمِنْهُم مَن يَمُرُّ كَرِكَابِ الإِبِلِ، ومِنْهُم مَـن يَعْدُو عَدْوًا، وَمِنْهُم مَن يَمْشِي مَشْيًا، وَمِنْهُم مَن يَزْحَفُ زَحْفًا، وَمَنْهُم مَن يُخْطَفُ فَيُلْقَىٰ فِـي جَهَنَّمَ؛ فَإِنَّ الْجِسْرَ عَلَيْهِ كَلاَلِيبُ تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِم.

فَمَنْ مَرَّ عَلَىٰ الصِّرَاطِ؛ دَخَلَ الْجَنَّةَ.

فَإِذَا عَبَرُوا عَلَيْهِ؛ وَقَفُوا عَلَىٰ قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقْتَصَّ لِبَعْضِـهِم مِـن بَعْـضٍ، فَـإِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا؛ أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ.



وَأَوَّلُ مَن يَسْتَفْتِحُ بَابَ الْجَنَّةِ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَأَوَّلُ مَن يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنَ الأُمَمِ أُمَّتُهُ ﷺ.

وَلَه فِي الْقِيَامَةِ ثَلاثُ شَفَاعَاتٍ:

أَمَّا «الشَّفَاعَةُ الأُوْلَىٰ»: فَيَشْفَعُ لِأَهْلِ الْمَوْقِفِ حَتَّىٰ يُقْضَىٰ بَيْنَهُمْ بَعْدَ أَنْ يَتَرَاجَعَ الأَنْبِيَاءُ؛ آدَمُ، وَنُوحٌ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَمُوسَىٰ، وَعِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِمْ مِنَ اللهِ السَّلَامُ= الشَّفَاعَةَ حَتَّىٰ تَنْتَهِيَ إِلَيْهِ.

وَأَمَّا «الشَّفَاعَةُ الثَّانِيَةُ»: فَيَشْفَعُ فِي أَهْلِ الْجَنَّةِ أَن يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ.

وَهَاتَانَ الشَّفَاعَتَانِ خَاصَّتَانِ لَهُ.

وَأَمَّا «الشَّفَاعَةُ الثَّالِثَةُ»: فَيَشْفَعُ فِيمَنِ اسْتَحَقَّ النَّارَ، وَهَذِهِ الشَّفَاعَةُ لَهُ وَلِسَائِرِ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَغَيْرِهِمْ، فَيَشْفَعُ فِيمَنِ اسْتَحَقَّ النَّارَ أَن لاَّ يَدْخُلَهَا، وَيَشْفَعُ فِيمَنْ دَخَلَهَا أَن يَخْرُجَ مِنْهَا.

وَيُخْرِجُ اللهُ تَعَالَىٰ مِنَ النَّارِ أَقْوَامًا بِغَيْرِ شَفَاعَةٍ؛ بَلْ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ، وَيَبْقَىٰ فِي الْجَنَّةِ فَضْلٌ عَمَّنْ دَخَلَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، فَيُنْشِئُ اللهُ لَهَا أَقْوَامًا فَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ.

وَأَصْنَافُ مَا تَتَضَمَّنُهُ الدَّارُ الآخِرَةُ مِنَ الْحِسَابِ وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَتَفَاصِيلِ ذَلِكَ= مَذْكُورَةٌ فِي الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ مِنَ السَّمَاءِ، وَالأَثَارَةِ مِنَ الْعِلْمِ الْمَأْثُورِ عَنِ الأَنْبِيَاءِ، وَفِي الْعِلْمِ الْمَوْرُوثِ عَنْ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ ذَلِكَ مَا يَشْفِي وَيَكْفِي، فَمَنِ ابْتَغَاهُ وَجَدَهُ.

وَتُؤْمِنُ «الْفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ» بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ.

وَالإِيمَانُ بِالْقَدَرِ عَلَىٰ دَرَجَتَيْنِ؛ كُلُّ دَرَجَةٍ تَتَضَمَّنُ شَيْئَيْنِ.

فَالدَّرَجَةُ الأُولَىٰ: الإِيمَانُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ عَلِمَ مَا الْخَلْق عَامِلُونَ بِعِلْمِهِ الْقَدِيمِ الَّذِي هُوَ مَوْصُوفٌ بِهِ أَزَلًا وَأَبَدًا، وَعَلِمَ جَمِيعَ أَحْوَالِهِم مِنَ الطَّاعَاتِ وَالْمَعَاصِي وَالأَرْزَاقِ وَالآجَالِ، ثُمَّ كَتَبَ اللهُ تَعَالَىٰ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ.

فَأَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ قَالَ لَهُ: اكْتُبْ. فقَالَ: مَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَمَا أَصَابَ الإِنْسَانَ لَمْ يَكُن لِّيُخْطِئَهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُن لِّيُصِيبَهُ، جَفَّتِ الأَقْلَامُ، وَطُوِيَتِ الصُّحُفُ؛ كَمَا قَالَ ﷻ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾[الحج:٧٠]، وَقَالَ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾[الحديد]، وَهَذَا



التَّقْدِيرُ التَّابِعُ لِعِلْمِهِ ﷻ يَكُونُ فِي مَوَاضِعَ جُمْلَةً وَتَفْصِيلاً:

فَقَدْ كَتَبَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ مَا شَاءَ.

فَإِذَا خَلَقَ جَسَدَ الْجَنِينِ قَبْلَ نَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ؛ بَعَثَ إِلَيْهِ مَلَكًا، فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، بِكَتْبِ: رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ.. وَنَحْوَ ذَلِكَ.

فَهَذَا القَدَرُ قَدْ كَانَ يُنْكِرُهُ غُلاةُ الْقَدَرِيَّةِ قَدِيمًا، وَمُنْكِرُهُ الْيَوْمَ قَلِيلٌ.

وَأَمَّا الدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ؛ فَهِيَ مَشِيئَةُ اللهِ النَّافِذَةُ، وَقُدْرَتُهُ الشَّامِلَةُ، وَهُوَ: الإِيمَانُ بِأَنَّ مَا شَاءَ اللهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَأَنَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الأَرْضِ مِنْ حَرَكَةٍ وَلاَ سُكُونٍ إلاَّ بِمَشِيئَةِ اللهِ ﷻ، لاَ يَكُونُ فِي مُلْكِهِ مَا لاَ يُرِيدُ، وَأَنَّهُ ﷻ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ وَالْمَعْدُومَاتِ، فَمَا مِنْ مَخْلُوقٍ فِي السَّمٰوَاتِ وَلَا فِي الأَرْضِ إلاَّ اللهُ خَالِقُهُ سُبْحَانَهُ، لا خَالِقَ غَيْرُهُ، وَلاَ رَبَّ سِوَاهُ.

وَمَعَ ذَلِكَ؛ فَقَدْ أَمَرَ الْعِبَادَ بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رُسُلِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ.

وَهُوَ سُبْحَانَهُ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ وَالْمُحْسِنِينَ وَالْمُقْسِطِينَ، وَيَرْضَىٰ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، وَلا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ، وَلاَ يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ، وَلاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ، وَلاَ يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ، وَلاَ يُحِبُّ الْفَسَادَ.

وَالْعِبَادُ فَاعِلُونَ حَقِيقَةً، وَاللهُ خَالِقُ أَفْعَالِهِم.

وَالْعَبْدُ هُوَ: الْمُؤْمِنُ، وَالْكَافِرُ، وَالْبَرُّ، وَالْفَاجِرُ، وَالْمُصَلِّي، وَالصَّائِمُ. وَلِلْعِبَادِ قُدْرَةٌ عَلَىٰ أَعْمَالِهِمْ وَلَهُمْ إِرَادَة، وَاللهُ خَالِقُهُمْ وَخالق قُدْرَتِهِمْ وَإِرَادَتِهِمْ؛ كَمَا قَالَ: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾[التكوير].

وَهَذِهِ الدَّرَجَةُ مِنَ الْقَدَرِ يُكَذِّبُ بِهَا عَامَّةُ الْقَدَرِيَّةِ الَّذِينَ سَمَّاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ: مَجُوسَ هَذِهِ الأُمَّةِ، وَيَغْلُو فِيهَا قَومٌ مِنْ أَهْلِ الإِثْبَاتِ، حَتَّىٰ سَلَبُوا الْعَبْدَ قُدْرَتَهُ وَاخْتِيَارَهُ، وَيُخرِجُونَ عَنْ أَفْعَالِ اللهِ وَأَحْكَامِهِ حِكَمَهَا وَمَصَالِحَهَا.

وَمِنْ أُصُولِ الفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ أَنَّ الدِّينَ وَالإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، قَوْلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ، وَعَمَلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالْجَوَارِحِ. وَأَنَّ الإِيمَانَ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ، وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ.

وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لا يُكَفِّرُونَ أَهْلَ الْقِبْلَةِ بِمُطْلَقِ الْمَعَاصِي وَالْكَبَائِرِ؛ كَمَا يَفْعَلُهُ الْخَوَارِجُ؛ بَلِ الأُخُوَّةُ الإِيمَانِيَّةُ ثَابِتَةٌ مَعَ الْمَعَاصِي؛ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ فِي آيَةِ الْقِصَاصِ: ﴿فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ



أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ ﴾[البقرة:١٧٨]، وَقَالَ: ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[الحُجرات].

وَلاَ يَسْلُبُونَ «الْفَاسِقَ الْمِلِّيَّ» اسم الإِيمَانَ بِالْكُلِّيَّةِ، وَلاَ يُخَلِّدُونَهُ فِي النَّار؛ كَمَا تَقُولُ الْمُعْتَزِلَةُ.

بَلِ الْفَاسِقُ يَدْخُلُ فِي اسْمِ الإِيمَان؛ فِي مِثْلِ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النساء:٩٢]، وَقَدْ لاَ يَدْخُلُ فِي اسْمِ الإِيمَانِ الْمُطْلَقِ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [الأنفال:٢]، وَقَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «**لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَشْرِبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَنْتَهِبُ نُهْبَةً ذَاتَ شَرَفٍ يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ**». وَيَقُولُونَ: هُوَ مُؤْمِنٌ نَاقِصُ الإِيمَانِ، أَوْ مُؤْمِنٌ بِإِيمَانِهِ فَاسِقٌ بِكَبِيرَتِهِ، فَلاَ يُعْطَىٰ الاسْمَ الْمُطْلَقَ، وَلاَ يُسْلَبُ مُطْلَقَ الاسْمِ.

وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ سَلاَمَةُ قُلُوبِهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ لأَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، كَمَا وَصَفَهُمُ اللهُ بِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر]، وَطَاعَةُ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِهِ: «لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلا نَصِيفَهُ». وَيَقْبَلُونَ مَا جَاءَ بِهِ «الْكِتَابُ» وَ «السُّنَّةُ» وَ«الإِجْمَاعُ» مِنْ فَضَائِلِهِمْ وَمَرَاتِبِهِمْ.

فَيُفَضِّلُونَ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ -وَهُوَ صُلْحُ الْحُدَيْبِيَةِ- وَقَاتَلَ عَلَىٰ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ بَعْدِهِ وَقَاتَلَ. وَيُقَدِّمُونَ الْمُهَاجِرِينَ عَلَىٰ الأَنْصَارِ.

وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللهَ قَالَ لأَهْلِ بَدْرٍ -وَكَانُوا ثَلاثَمِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ-: «**اعْمَلُوا مَا شِئْتُم، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**». وَبِأَنَّهُ لاَ يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ؛ كَمَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ، بَلْ لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ، وَكَانُوا أَكْثَرَ مِنْ أَلْفٍ وَأَرْبَعِمِائَة. وَيَشْهَدُونَ بِالْجَنَّةِ لِمَنْ شَهِدَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، كَالْعَشَرَةِ، وَكَثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بنِ شَمَّاسٍ، وَغَيْرِهِم مِنَ الصَّحَابَةِ.

وَيُقِرُّونَ بِمَا تَوَاتَرَ بِهِ النَّقْلُ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَغَيْرِهِ مِنْ أَنَّ خَيْرَ



هَذِهِ الأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ. وَيُثَلِّثُونَ بِعُثْمَانَ، وَيُرَبِّعُونَ بِعَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ؛ كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الآثَارُ، وَكَمَا أَجْمَعَتِ الصَّحَابَةُ عَلَىٰ تَقْدِيمِ عُثْمَانَ فِي الْبَيْعَةِ.

مَعَ أَنَّ بَعْضَ أَهْلِ السُّنَّةِ كَانُوا قَدِ اخْتَلَفُوا فِي عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ -بَعْدَ اتِّفَاقِهِمْ عَلَىٰ تَقْدِيمِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ- أَيُّهُمَا أَفْضَلُ؟ فَقَدَّمَ قَوْمٌ عُثْمَانَ: وَسَكَتُوا، أَوْ رَبَّعُوا بِعَلِيٍّ، وَقَدَّمَ قَوْمٌ عَلِيًّا، وَقَوْمٌ تَوَقَّفُوا.

لَكِنِ اسْتَقَرَّ أَمْرُ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَىٰ تَقْدِيمِ عُثْمَانَ، ثُمَّ عَلِيٍّ.

وَإِنْ كَانَتْ هَذِه الْمَسْأَلَةُ -مَسْأَلَةُ عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ- لَيْسَتْ مِنَ الأُصُولِ الَّتِي يُضَلَّلُ الْمُخَالِفُ فِيهَا عِنْدَ جُمْهُورِ أَهْلِ السُّنَّةِ. لَكِنّ الْمَسْأَلَةَ الَّتِي يُضَلَّلُ الْمُخَالِفُ فِيهَا مَسْأَلَةُ الْخِلاَفَةِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ الْخَلِيفَةَ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، ثُمَّ عَلِيٌّ. وَمَنْ طَعَنَ فِي خِلاَفَةِ أَحَدٍ مِنْ هَؤُلاءِ؛ فَهُوَ أَضَلُّ مِنْ حِمَارِ أَهْلِهِ.

وَيُحِبُّونَ أَهْلَ بَيْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَيَتَوَلَّوْنَهُمْ، وَيَحْفَظُونَ فِيهِمْ وَصِيَّةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ: حَيْثُ قَالَ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ: «**أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي**».

وَقَدْ قَالَ أَيْضًا لِلْعَبَّاسِ عَمِّه -وَقَدِ شَكَا إِلَيْهِ أَنَّ بَعْضَ قُرَيْشٍ يَجْفُو بَنِي هَاشِمٍ- فَقَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ؛ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحِبُّوكُمْ؛ للهِ وَلِقَرَابَتِي**».

وَقَالَ: «**إِنَّ اللهَ اصْطَفَىٰ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَىٰ مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَىٰ مِنْ كِنَانَةَ قُرَيْشًا، وَاصْطَفَىٰ مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ**».

وَيَتَوَلَّوْنَ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ؛ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّهُنَّ أَزْوَاجُهُ فِي الآخِرَةِ: خُصُوصًا خَدِيجَةَ أُمَّ أَكْثَرِ أَوْلاَدِهِ، وَأَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِهِ وَعَاضَدَهُ عَلَىٰ أَمْرِه، وَكَانَ لَهَا مِنْهُ الْمَنْزِلَةُ الْعَالِيَةُ. وَالصِّدِّيقَةَ بِنْتَ الصِّدِّيقِ، الَّتِي قَالَ فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ: «**فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَىٰ النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَىٰ سَائِرِ الطَّعَامِ**».

وَيَتَبَرَّءُونَ مِنْ طَرِيقَةِ الرَّوَافِضِ الَّذِينَ يُبْغِضُونَ الصَّحَابَةَ وَيَسُبُّونَهُمْ. وَطَرِيقَةِ النَّوَاصِبِ الَّذِينَ يُؤْذُونَ أَهْلَ الْبَيْتِ بِقَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ.

وَيُمْسِكُونَ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ، وَيَقُولُونَ: إِنَّ هَذِهِ الآثَارَ الْمَرْوِيَّةَ فِي مَسَاوِيهِمْ مِنْهَا مَا هُوَ كَذِبٌ، وَمِنْهَا مَا قَدْ زِيدَ فِيهِ وَنُقِصَ وَغُيِّرَ عَنْ وَجْهِهِ، وَعَامَّةُ الصَّحِيحِ مِنْهُ هُمْ فِيهِ مَعْذُورُونَ: إِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُصِيبُونَ، وَإِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُخْطِئُونَ.



وَهُم مَّعَ ذَلِكَ لاَ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مَعْصُومٌ عَنْ كَبَائِرِ الإِثْمِ وَصَغَائِرِهِ؛ بَلْ يَجُوزُ عَلَيْهِمُ الذُّنُوبُ فِي الْجُمْلَةِ، وَلَهُم مِنَ السَّوَابِقِ وَالْفَضَائِلِ مَا يُوجِبُ مَغْفِرَةَ مَا صَدَرَ مِنْهُمْ -إِنْ صَدَرَ-، حَتَّىٰ إِنَّهُمْ يُغْفَرُ لَهُم مِنَ السَّيِّئَاتِ مَا لاَ يُغْفَرُ لِمَنْ بَعْدَهُمْ؛ لأَنَّ لَهُم مِنَ الْحَسَنَاتِ الَّتِي تَمْحُو السَّيِّئَاتِ مَا لَيْسَ لِمَنْ بَعْدَهُمْ.

وَقَدْ ثَبَتَ بِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُمْ خَيْرُ الْقُرُونِ، وَأَنَّ الْمُدَّ مِنْ أَحَدِهِمْ إِذَا تَصَدَّقَ بِهِ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ جَبَلِ أُحُدٍ ذَهَبًا مِمَّن بَعْدَهُمْ.

ثُمَّ إِذَا كَانَ قَدْ صَدَرَ عَنْ أَحَدِهِمْ ذَنْبٌ؛ فَيَكُونُ قَدْ تَابَ مِنْهُ، أَوْ أَتَىٰ بِحَسَنَاتٍ تَمْحُوهُ، أَو غُفِرَ لَهُ؛ بِفَضْلِ سَابِقَتِهِ، أَوْ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ الَّذِي هُمْ أَحَقُّ النَّاسِ بِشَفَاعَتِهِ، أَوْ ابْتُلِيَ بِبَلاَءٍ فِي الدُّنْيَا كُفِّرَ بِهِ عَنْهُ.

فَإِذَا كَانَ هَذَا فِي الذُّنُوبِ الْمُحَقَّقَةِ؛ فَكَيْفَ الأُمُورُ الَّتِي كَانُوا فِيهَا مُجْتَهِدِينَ: إِنْ أَصَابُوا؛ فَلَهُمْ أَجْرَانِ، وَإِنْ أَخْطَؤُوا؛ فَلَهُمْ أَجْرٌ وَاحِدٌ، وَالْخَطَأُ مغْفُورٌ.

ثُمَّ الْقَدْرُ الَّذِي يُنْكَرُ مِنْ فِعْلِ بَعْضِهِمْ قَلِيلٌ نَزْرٌ مَغْمُورٌ فِي جَنْبِ فَضَائِلِ الْقَوْمِ وَمَحَاسِنِهِمْ؛ مِنَ الإِيمَانِ بِاللهِ، وَرَسُولِهِ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ، وَالْهِجْرَةِ، وَالنُّصْرَةِ، وَالْعِلْمِ النَّافِعِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ.

وَمَن نَظَرَ فِي سِيرَةِ الْقَوْمِ بِعِلْمٍ وَعَدْلٍ وَبَصِيرَةٍ، وَمَا مَنَّ اللهُ بِهِ عَلَيْهِم مِنَ الْفَضَائِلِ؛ عَلِمَ يَقِينًا أَنَّهُمْ خِيْرُ الْخَلْقِ بَعْدَ الأَنْبِيَاءِ؛ لَا كَانَ وَلا يَكُونُ مِثْلُهُمْ، وَأَنَّهُمْ هُمُ الصَّفْوَةُ مِنْ قُرُونِ هَذِهِ الأُمَّةِ الَّتِي هِيَ خَيْرُ الأُمَمِ وَأَكْرَمُهَا عَلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ.

وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ: التَّصْدِيقُ بِكَرَامَاتَ الأَوْلِيَاءِ وَمَا يُجْرِي اللهُ عَلَىٰ أَيْدِيهِم مِنْ خَوَارِقِ الْعَادَاتِ فِي أَنْوَاعِ الْعُلُومِ وَالْمُكَاشَفَاتِ وَأَنْوَاعِ الْقُدْرَةِ وَالتَّأْثِيرَاتِ، كَالْمَأْثُورِ عَنْ سَالِفِ الأُمَمِ فِي سُورَةِ الْكَهْفِ وَغَيْرِهَا، وَعَنْ صَدْرِ هَذِهِ الأُمَّةِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَسَائِرِ قُرُونِ الأُمَّةِ، وَهِيَ مَوْجُودَةٌ فِيهَا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

ثُمَّ مِنْ طَرِيقِ «أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ» اتِّبَاعُ آثَارِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَاطِنًا وَظَاهِرًا، وَاتِّبَاعُ سَبِيلِ السَّابِقِينَ الأَوَّلِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، وَاتِّبَاعُ وَصِيَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، حَيثُ قَالَ: «**عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ**».



وَيَعْلَمُونَ أَنَّ أَصْدَقَ الْكَلامِ كَلامُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَيُؤْثِرُونَ كَلاَمَ اللهِ عَلَىٰ غَيْرِهِ مِنْ كَلامِ أَصْنَافِ النَّاسِ، وَيُقَدِّمُونَ هَدْيَ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَىٰ هَدْيِ كُلِّ أَحَدٍ.

وَلِهَذَا سُمُّوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَسُمُّوا أَهْلَ الْجَمَاعَةِ؛ لأَنَّ الْجَمَاعَةَ هِيَ الاجْتِمَاعُ، وَضِدُّهَا الْفُرْقَةُ، وَإِنْ كَانَ لَفْظُ الْجَمَاعَةِ قَدْ صَارَ اسْمًا لِنَفْسِ الْقَوْمِ الْمُجْتَمِعِينَ.

وَالإِجمَاعُ هُوَ الأَصْلُ الثَّالِثُ الَّذِي يُعْتَمَدُ فِي الْعِلْمِ وَالدِّينِ.

وَهُمْ يَزِنُونَ بِهَذِه الأُصُولِ الثَّلاثَةِ جَمِيعَ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ مِنْ أَقْوَالٍ وَأَعْمَالٍ بَاطِنَةٍ أَوْ ظَاهِرَةٍ مِمَّا لَهُ تَعَلُّقٌ بِالدِّينِ.

وَالإِجْمَاعُ الَّذِي يَنْضَبِطُ هُوَ مَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ الصَّالِحُ؛ إِذْ بَعْدَهُمْ كَثُرَ الاخْتِلاَفُ، وَانْتَشَرَتِ فِي الأُمَّةِ.

ثُمَّ هُمْ مَعَ هذِهِ الأُصُولِ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ عَلَىٰ مَا تُوجِبُهُ الشَّرِيعَةُ، وَيَرَوْنَ إِقَامَةَ الْحَجِّ وَالْجِهَادِ وَالْجُمَعِ وَالأَعْيَادِ مَعَ الأُمَرَاءِ أَبْرَارًا كَانُوا أَوْ فُجَّارًا، وَيُحَافِظُونَ عَلَىٰ الْجَمَاعَاتِ.

وَيَدِينُونَ بِالنَّصِيحَةِ للأُمَّةِ، وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ؛ يَشُدُّ بَعْضَهُ بَعْضًا**»، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ ﷺ.

وَقَوْلِهِ ﷺ : «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ الواحد؛ إِذَا اشْتَكَىٰ مِنْهُ عُضْوٌ؛ تَدَاعَىٰ لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَّىٰ وَالسَّهَرِ**».

وَيَأْمُرُونَ بِالصَّبْرِ عِنْدَ الْبَلاءِ، وَالشُّكْرِ عِنْدَ الرَّخَاءِ، وَالرِّضَا بِمُرِّ الْقَضَاءِ.

وَيَدْعُونَ إِلَىٰ مَكَارِمِ الأَخْلاقِ، وَمَحَاسِنِ الأَعْمَالِ، وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ ﷺ: «**أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا**»، وَيَنْدُبُونَ إِلَىٰ أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ، وَتَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ، وَيَأْمُرُونَ بِبِرِّ الْوَالِدَيْنِ، وَصِلَةِ الأَرْحَامِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَالإِحْسَانِ إِلَىٰ الْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ، وَالرِّفْقِ بِالْمَمْلُوكِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْفَخْرِ، وَالْخُيَلاءِ، وَالْبَغْيِ، وَالاسْتِطَالَةِ عَلَىٰ الْخَلْقِ بِحَقٍّ أَوْ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَيَأْمُرُونَ بِمَعَالِي الأَخْلاَقِ، وَيَنْهَوْنَ عَنْ سَفْسَافِهَا.

وَكُلُّ مَا يَقُولُونَهُ وَيَفْعَلُونَهُ مِنْ هَذَا وَغَيْرِهِ؛ فَإِنَّمَا هُمْ فِيهِ مُتَّبِعُونَ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَطَرِيقَتُهُمْ هِيَ دِينُ الإِسْلاَمِ الَّذِي بَعَثَ اللهُ بِهِ مُحَمَّدًا ﷺ.



لَكِنْ لَمَّا أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ أُمَّتَهُ سَتَفْتَرِقُ عَلَىٰ ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً؛ كُلُّهَا فِي النَّارِ؛ إلاَّ وَاحِدَةً، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ. وَفِي حَدِيثٍ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**هُمْ مَنْ كَانَ عَلَىٰ مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَومَ وَأَصْحَابِي**»، صَارَ الْمُتَمَسِّكُونَ بِالإِسْلامِ الْمَحْضِ الْخَالِصِ عَنِ الشَّوْبِ هُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ.

وَفِيهِمُ الصِّدِّيقُونَ، وَالشُّهَدَاءُ، وَالصَّالِحُونَ، وَمِنْهُمْ أَعْلامُ الْهُدَىٰ، وَمَصَابِيحُ الدُّجَىٰ، أُولُو الْمَنَاقِبِ الْمَأْثُورَةِ، وَالْفَضَائِلِ الْمَذْكُورَةِ، وَفِيهِمُ الأَبْدَالُ، وَمِنْهُمُ الأَئِمَّةُ الَّذِينَ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَىٰ هِدَايَتِهِمْ وَدِرَايَتِهِمْ، وَهُمُ الطَّائِفَةُ الْمَنْصُورَةُ الَّتِي قَالَ فِيهِمُ النَّبِيُّ ﷺ: «**لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَىٰ الْحَقِّ، لاَ يَضُرُّهُم مَنْ خَالَفَهُمْ، وَلاَ مَنْ خَذَلَهُمْ؛ حَتَّىٰ تَقُومَ السَّاعَةُ**».

القسمُ السَّادسُ: الخاتمةُ

**فَنَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ** أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْهُمْ، وَأَنْ لاَ يُزِيغَ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا، وَيَهَبَ لَنَا مِن لَّدُنْهُ رَحْمَةً إِنَّهُ هُوَ الوَهَّابُ.

وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَصَلَوَاتُهُ عَلَىٰ خَيْرِ خَلْقِهِ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّم.





# متن: «الْفَتْوَى الْحَمَوِيَّةِ الْكُبْرَى»

لِشَيْخِ الإِسْلَامِ:
أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْحَلِيمِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسَّلام علىٰ من لا نبي بعده.

سئل شيخ الإسلام العالم الرَّباني تقيُّ الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ: ما قول السَّادة العلماء أئمّة الدِّين في آيات الصِّفات؛ كقوله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝﴾ [طه]، وقوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾، وقوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾ [فصلت:١١]، إلىٰ غير ذلك من آيات الصِّفات، وأحاديث الصِّفات؛ كقوله ﷺ: «**إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ**»، وقوله: «**يَضَعُ الْجَبَّارُ قَدَمَهُ فِي النَّارِ**» إلىٰ غير ذلك، وما قالت العلماء فيه، وابسطوا القول في ذلك مأجورين إن شاء الله تعالىٰ؟ فأجاب رَحِمَهُ اللَّهُ:

الحمد لله ربِّ العالمين، قولنا فيها ما قاله اللهُ ورسوله ﷺ والسّابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، وما قاله أئمَّة الهُدىٰ بعد هؤلاء الذين أجمع المسلمون علىٰ هدايتهم ودرايتهم، وهٰذا هو الواجب علىٰ جميع الخلق في هٰذا الباب وغيره؛ فإنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بعث محمَّدًا ﷺ بالهدىٰ ودين الحقّ ليُخرج الناس من الظلمات إلىٰ النور بإذن ربهم إلىٰ صراط العزيز الحميد، وشهِدَ له بأنّه بعثَه داعيًا إليه بإذنه وسراجًا منيرًا، وأمره أن يقول: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف:١٠٨].

فمِن المحال في العقل والدِّين أن يكون السِّراج المُنير الذي أخرج اللهُ به النّاسَ من الظّلمات إلىٰ النّور، وأنزل معه الكِتاب بالحق ليحكم بين النّاس فيما اختلفوا فيه، وأمر



النَّاسَ أن يردُّوا ما تنازعوا فيه من أمر دينهم إلىٰ ما بُعث بـه مـن الكتـاب والحكمـة، وهـو يدعو إلىٰ الله وإلىٰ سبيله بإذنه علىٰ بصيرة، وقد أخبر اللهُ بأنه أكملَ له ولأمّته ديـنهم وأتـمَّ عليهم نعمته، محال -مع هـٰذا وغيره- أن يكون قد ترك بابَ الإيمان بالله والعلم به ملتبسًا مشتبهًا، ولـم يميِّز بين ما يجب لله من الأسماء الحسنىٰ والصِّفات العليا، وما يجوز عليه وما يمتنع عليه.

فإنّ معرفة هـٰذا أصل الدِّين، وأساس الهدايـة، وأفضـل وأوجـب مـا اكتسـبته القلـوب وحصّلته النُّفوس، وأدركته العقول، فكيف يكون ذلك الكتاب، وذلـك الرّسـول، وأفضـل خلق الله بعد النبيِّين لم يُحكِموا هـٰذا الباب اعتقادا وقولًا!

ومـن المحـال أيضًـا أن يكـون النبـي ﷺ قـد علّـم أمّتـه كـل شـيء حتـىٰ الخِـراءة، وقال: «**تَرَكْتُكُمْ عَلَىٰ الْمَحَجَّةِ الْبَيْضَاءِ، لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ**»، وقال فيما صح عنه أيضًا: «**مَا بَعَثَ اللهُ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَىٰ خَيْـرِ مَـا يَعْلَمُـهُ لَهُمْ، وَيَنْهَاهُمْ عَنْ شَرِّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ**».

وقال أبو ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لقد تُوفِّي رسول الله ﷺ وما طائر يقلِّب جناحيه في السّماء إلا ذكر لنا منه علمًا.

وقال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قام فينا رسول الله ﷺ مقامًا فذكر بدء الخلق حتـىٰ دخـل أهل الجنة منازلهم وأهل النّار منـازلهم، حفـظ ذلـك مـن حفظـه ونسـيه مـن نسـيه. رواه البخاري.

ومحالٌ مع تعليمهم كلَّ شيءٍ لهم فيه منفعة في الدِّين -وإن دقّت- أن يترك تعليمهم مـا يقولونه بألسنتهم ويعتقدونه في قلوبهم في ربِّهم ومعبودهم ربِّ العالمين، الذي معرفته غاية المعارف وعبادته أشرف المقاصد، والوصول إليه غاية المطالب؛ بل هـٰذا خلاصة الدّعوة النبوية وزبدة الرِّسالة الإلهية، فكيف يتوهَّم من في قلبه أدنىٰ مُسكة مـن إيمـان وحكمـة ألَّا يكون بيان هـٰذا الباب قد وقع من الرّسول علىٰ غاية التَّمام، ثم إذا كان قد وقـع ذلـك منـه فمن المُحال أن يكون خير أمته وأفضل قرونها قصَّروا في هـٰذا الباب؛ زائدين فيه أو ناقصين عنه.

ثم من المحال أيضًا أن تكون القُرون الفاضلة القرن الذي بُعث فيه رسول ﷺ ثم الذين



يلونهم، ثم الذين يلونهم؛ كانوا غيرَ عالمين به وغير قائلين في هـٰذا الباب بالحقّ المُبين؛ لأن ضد ذلك إما عدم العلم والقول، وإما اعتقاد نقيض الحق وقول خلاف الصِّدق. وكلاهما ممتنع.

أمَّا الأول فلأن من في قلبه أدنىٰ حياةٍ وطلبٍ للعلم أو نَهمةٍ في العبادة، يكون البحث عن هـٰذا الباب والسُّؤال عنه ومعرفة الحق فيه أكبر مقاصده وأعظم مطالبه؛ أعني: بيان ما ينبغي اعتقادُه لا معرفة كيفية الرَّب وصفاته.

وليست النفوس الصَّحيحة إلىٰ شيءٍ أشوق منها إلىٰ معرفة هـٰذا الأمر.

وهـٰذا أمر معلوم بالفطرة الوجدية، فكيف يُتصوّر مع قيام هـٰذا المقتضي الذي هو من أقوىٰ المقتضيات أن يتخلّف عنه مقتضاه في أولئك السّادة في مجموع عصورهم. هـٰذا لا يكاد يقع في أبلد الخلق، وأشدّهم إعراضًا عن الله وأعظمهم إكبابا علىٰ طلب الدُّنيا والغفلة عن ذكر الله تعالىٰ، فكيف يقع في أولئك؟!

وأما كونُهم كانوا معتقدين فيه غير الحق أو قائليه فهـٰذا لا يعتقده مسلم ولا عاقل عرف حال القوم.

ثم الكلام في هـٰذا الباب عنهم أكثر من أن يمكن سطره في هـٰذه الفتوىٰ أو أضعافها يعرف ذلك من طلبه وتتبَّعه.

ولا يجوز أيضا أن يكون الخالفون أعلم من السّالفين، كما قد يقوله بعض الأغبياء ممن لم يقدّر قدر السّلف؛ بل ولا عرف الله ورسوله والمؤمنين به حقيقة المعرفة المأمور بها من أنَّ: «**طريقةَ السَّلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم**».

فإنَّ هؤلاء المبتدعين الذين يفضلون طريقة الخلف من المتفلسفة ومن حذا حذوهم علىٰ طريقة السَّلف إنما أُتوا من حيث ظنوا أنَّ طريقة السلف هي مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث، من غير فقهٍ لذلك، بمنزلة الأميين الذين قال الله فيهم: ﴿وَمِنۡهُمۡ أُمِّيُّونَ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ [البقرة:٧٨]، وأنّ طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع المجازات وغرائب اللّغات.

فهـٰذا الظَّن الفاسد أوجب تلك المقالة التي مضمونها نبذ الإسلام وراء الظهر، وقد كذَبُوا علىٰ طريقة السّلف، وضلّوا في تصويب طريقة الخلف؛ فجمعوا بين الجهل بطريقة



السّلف في الكذب عليهم، وبين الجهل والضلال بتصويب طريقة الخلف.

وسبب ذلك اعتقادُهم أنه ليس في نفس الأمر صفة دلت عليها هـٰذه النصوص بالشبهات الفاسدة التي شاركوا فيها إخوانهم من الكافرين؛ فلما اعتقدوا انتفاء الصِّفات في نفس الأمر وكان مع ذلك لابدّ للنصوص من معنًىٰ بقوا متردّدين بين الإيمان باللفظ وتفويض المعنىٰ -وهي التي يسمُّونها طريقة السّلف- وبين صرف اللفظ إلىٰ معانٍ بنوع تكلُّف -وهي التّي يسمُّونها طريقة الخلف-، فصار هـٰذا الباطل مركَّبًا من فساد العقل والكفر بالسّمع، فإن النّفي إنما اعتمدوا فيه علىٰ أمور عقلية ظنوها بيِّنات وهي شبهات، والسمع حرفوا فيه الكلمَ عن مواضعه.

فلمَّا انبنىٰ أمرهم علىٰ هاتين المقدِّمتين الكاذبتين الكُفريتين كانت النتيجة: استجهال السّابقين الأوَّلين واستبلاههم، واعتقاد أنهم كانوا قومًا أميين بمنزلة الصّالحين من العامة، لم يتبحَّروا في حقائق العلم بالله، ولم يتفطَّنوا لدقائق العلم الإلهي، وأنّ الخلف الفضلاء حازوا قصب السّبق في هـٰذا كله.

ثم هـٰذا القول إذا تدبّره الإنسان وجده في غاية الجهالة؛ بل في غاية الضلالة.

كيف يكون هؤلاء المتأخِّرون، لاسيما والإشارة بالخلف إلىٰ ضربٍ من المتكلِّمين الذين كثر في باب الدِّين اضطرابهم، وغلُظ عن معرفة الله حجابهم، وأخبر الواقف علىٰ نهاية إقدامهم بما انتهىٰ إليه أمرهم حيث يقول:

لَعَمْرِي لَقَدْ طُفْتُ الْمَعَاهِدَ كُلَّهَا ... وَسَيَّرْتُ طَرْفِي بَيْنَ تِلْكَ الْمَعَالِمِ

فَلَمْ أَرَ إِلَّا وَاضِعًا كَفَّ حَائِرٍ ... عَلَىٰ ذَقَنٍ أَوْ قَارِعًا سِنَّ نَادِمِ

وأقرّوا علىٰ أنفسهم بما قالوه متمثِّلين به أو منشئين له فيما صنفوه من كتبهم كقول بعض رؤسائهم:

نِهَايَةُ إِقْدَامِ الْعُقُولِ عِقَالُ ... وَأَكْثَرُ سَعْيِ الْعَالَمِينَ ضَلَالُ

وَأَرْوَاحُنَا فِي وَحْشَةٍ مِنْ جُسُومِنَا ... وَغَايَةُ دُنْيَانَا أَذًىٰ وَوَبَالُ



وَلَـمْ نَسْـتَفِدْ مِـنْ بَحْثِنَـا طُـولَ عُمْـرِنَا سِـوَىٰ أَنْ جَمَعْنَـا فِيـهِ قِيـلَ وَقَـالُوا

لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلا، ولا تـروي غليلا، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن، أقرأ في الإثبات: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه]، ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر:١٠]، وأقرأ في النفي: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ [الشورىٰ:١١]، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا ۝١١٠﴾ [طه]، ومن جرّب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي. ا.هـ

ويقول الآخر منهم: لقد خُضت البحر الخِضَم، وتركت أهل الإسلام وعلومهم، وخضت في الذي نهوني عنه، والآن إن لم يتداركني ربِّي برحمته فالويل لفلان، وها أنا ذا أموت علىٰ عقيدة أمِّي.ا.هـ

ويقول الآخر منهم: أكثر الناس شكًّا عند الموت أصحاب الكلام.

ثم هؤلاء المتكلِّمون المخالفون للسلف إذا حُقق عليهم الأمر لم يوجد عندهم من حقيقة العلم بالله وخالص المعرفة به خبرٌ، ولم يقفوا من ذلك علىٰ عين ولا أثر، كيف يكون هؤلاء المحجوبون المفضولون المنقوصون المسبوقون الحيارىٰ المتهوكون: أعلم بالله وأسمائه وصفاته، وأحكم في باب ذاته وآياته من السّابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، والذين اتّبعوهم بإحسان، من ورثة الأنبياء وخلفاء الرّسل، وأعلام الهُدىٰ ومصابيح الدُّجىٰ، الذين بهم قام الكتاب وبه قاموا، وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا، الذين وهبهم الله من العلم والحكمة ما برزوا به علىٰ سائر أتباع الأنبياء، فضلًا عن سائر الأمم الذين لا كتاب لهم، وأحاطوا من حقائق المعارف وبواطن الحقائق بما لو جُمعت حكمة غيرهم إليها لاستحيا من يطلب المقابلة.

ثم كيف يكون خير قرون الأمّة أنقص في العلم والحكمة -لاسيما العلم بالله وأحكام أسمائه وآياته- من هؤلاء الأصاغر بالنّسبة إليهم؟ أم كيف يكون أفراخ المتفلسفة وأتباع الهند واليونان، وورثة المجوس والمشركين، وضلّال اليهود والنصارىٰ والصابئين وأشكالهم وأشباههم؛ أعلم بالله من ورثة الأنبياء وأهل القرآن والإيمان؟!

وإنما قدمتُ هـٰذه المقدمة؛ لأنّ من استقرت هـٰذه المقدمة عنده [علم] طريق الهدىٰ



أين هو في هـٰذا الباب وغيره. وعلم أنّ الضلال والتهوّك إنما استولىٰ علىٰ كثيرٍ من المتأخرين بنبذهم كتاب الله وراء ظهورهم، وإعراضهم عما بعث الله به محمدًا ﷺ من البينات والهدىٰ، وترْكهم البحث عن طريقة السّابقين والتابعين والتماسهم علم معرفة الله ممن لم يعرف الله بإقراره علىٰ نفسه، وبشهادة الأمّة علىٰ ذلك، وبدلالات كثيرة؛ وليس غرضي واحدا معيَّنا وإنما أصف نوع هؤلاء ونوع هؤلاء.

وإذا كان كذلك، فهـٰذا كتاب الله من أوّله إلىٰ آخره، وسنةُ رسوله ﷺ من أولها إلىٰ آخرها، ثم عامة كلام الصحابة والتابعين، ثم كلام سائر الأئمة مملوءٌ بما هو إما نصٌّ وإما ظاهر في أن الله ﷻ هو العليُّ الأعلىٰ وهو فوق كل شيء، وهو عليٌّ علىٰ كلِّ شيء، وأنه فوق العرش، وأنه فوق السماء، مثل قوله تعالىٰ: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾ [فاطر:١٠]، ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران:٥٥]، ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ۝١٦ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ﴾ [الملك]، ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ﴾ [النساء:١٥٨]، ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ﴾ [المعارج:٤]، ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ﴾[السجدة:٥]، ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ﴾ [النحل:٥٠]، ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾ في ستّة مواضع، ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه]، ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ۝٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗاۚ﴾ [غافر]، ﴿تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ۝٤٢﴾ [فصلت]، ﴿مُنَزَّلٞ مِّن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّۖ﴾ [الأنعام:١١٤]. إلىٰ أمثال ذلك مما لا يكاد يحصىٰ إلا بكلفة.

وفي الأحاديث الصحاح والحسان ما لا يحصىٰ [إلا بالكلفة].

مثل قصة معراج الرسول ﷺ إلىٰ ربّه، ونزول الملائكة من عند الله وصعودها إليه؛ وقوله في الملائكة الذين يتعاقبون فيكم بالليل والنهار، فيعرج الذين باتوا فيكم إلىٰ ربهم فيسألهم وهو أعلم بهم.

وفي الصحيح في حديث الخوارج «**أَلَا تَأْمَنُونِي؟ وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السّمَاءِ، يَأْتِينِي خَبَرُ السّمَاءِ صَبَاحًا وَمَسَاءً**».

وفي حديث الرُّقية الذي رواه أبو داود وغيره: «**رَبُّنَا اللهُ الّذِي فِي السّماء تَقَدّسَ اسْمُكَ،**



أَمْرُكَ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، كما رَحْمَتُكَ فِي السَّماء اجْعَلْ رَحْمَتَكَ فِي الأَرْضِ، اغْفِرْ لَنَا حُوبَنَا وَخَطَايَانَا، أَنْتَ رَبّ الطَّيِّبِينَ أَنْزِلْ رَحْمَةً مِن رَحْمَتِكَ وَشِفَاءً مِنْ شِفَائِكَ عَلَىٰ هَذَا الْوَجَعِ».

قال رسول الله ﷺ: «إِذَا اشْتَكَىٰ أَحَدٌ مِنْكُمْ أَوِ اشْتَكَىٰ أَخٌ لَـهُ فَلْيَقُـلْ: رَبَّنَـا اللهُ الَّـذِي فِـي السَّمَاءِ» وذكره.

وقوله في حديث الأوعال: «وَالْعَرْشُ فَوْقَ ذَلِكَ، وَاللهُ فَوْقَ عَرْشِـهِ، وَهُـوَ يَعْلَـمُ مَـا أَنْـتُمْ عَلَيْهِ» رواه أحمد وأبو داود وغيرهما.

وهذا الحديث مع أنه قد رواه أهل السنن كأبي داود، وابن ماجه، والترمذي، وغيـرهم، فهو مروي من طريقين مشهورين، فالقدح في أحدهما لا يقـدح في الآخـر، وقـد رواه إمـام الأئمة ابن خزيمة في كتاب «التوحيد» الذي اشترط فيه أنه لا يحتج فيه إلا بما نقلـه العـدل عن العدل موصولًا إلىٰ النبي ﷺ.

وقوله في الحديث الصحيح للجارية: «أَيْنَ اللهُ؟» قالـت: في السـماء. قـال: «مَـنْ أَنَـا؟» قالت: أنت رسول الله. قال: «أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ».

وقوله في الحديث الصحيح: «إِنَّ اللهَ لَمَّا خَلَقَ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابٍ مَوْضُوعٍ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي».

وقوله في حديث قبض الروح: «حَتَّىٰ يَعْرُجَ بِهَا إِلَىٰ السَّمَاءِ الَّتِي فِيهَا اللهُ تَعَالَىٰ». إسـناده علىٰ شرط الصَّحيحين.

وقول عبد الله بن رواحة رضي الله عنه الذي أنشده للنَّبي ﷺ وأقرّه عليه:

شَـهِدْتُ بِـأَنَّ وَعْـدَ اللهِ حَـقٌّ ... وَأَنَّ النَّـارَ مَثْـوَىٰ الْكَـافِرِينَ

وَأَنَّ الْعَـرْشَ فَـوْقَ الْمَـاءِ طَـافٍ ... وَفَـوْقَ الْعَـرْشِ رَبُّ الْعَـالَمِينَ

وقول أمية بن أبي الصَّلت الثقفي الذي أنشد للنبي ﷺ هو وغيره من شعره فاستحسـنه، وقال: «آمَنَ شِعْرُهُ وَكَفَرَ قَلْبُهُ» حيث قال:

مَجِّـدُوا اللهَ فَهُـوَ لِلْمَجْـدِ أَهْـلُ ... رَبُّنَـا فِـي السَّـمَاءِ أَمْسَـىٰ كَبِيـرَا

بِالْبِنَـاءِ الْأَعْلَـىٰ الَّـذِي سَـبَقَ النَّـاسَ ... وَسَـوَّىٰ فَـوْقَ السَّـمَاءِ سَـرِيرَا



شَـــرْجَعًا مَـــا يَنَالُـــهُ بَصْـــرُ الْعَـــيْنِ تَـــرَىٰ دُونَـــهُ الْمَلَائِـــكَ صُـــورَا

وقوله في الحديث الذي في السنن: «إِنَّ اللهَ حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمْ صِفْرًا».

وقوله في الحديث: «يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَىٰ السَّمَاءِ يَقُولُ: يَا رَبِّ، يَا رَبِّ»، إلىٰ أمثال ذلك مما لا يُحصيه إلا الله، مما هو أبلغ المتواترات اللفظية والمعنوية، التي تورث علمًا يقينيًّا من أبلغ العلوم الضّرورية أنَّ الرسول ﷺ المبلِّغ عن الله ألقىٰ إلـىٰ أمتـه المـدعوّين أنّ الله سـبحانه علىٰ العرش وأنّه فوق السماء، كما فطر الله علىٰ ذلك جميـع الأمـم عـربهم وعجمهـم، في الجاهلية والإسلام؛ إلَّا من اجتالته الشياطين عن فطرته.

ثم عن السّلف في ذلك من الأقوال ما لو جُمع لبلغ مئين أو ألوفا.

ثم ليس في كتاب الله ولا في سـنة رسـوله ﷺ ولا عـن أحـد مـن سـلف الأمـة؛ لا مـن الصّحابة ولا مـن التـابعين لهـم بإحسـان، ولا عـن الأئمّـة الـذين أدركـوا زمـن الأهـواء والاختلاف، حرف واحد يخالف ذلك لا نصًّا ولا ظاهرًا.

ولم يقل أحد منهم قط: إنّ الله ليس في السماء. ولا أنه ليس علىٰ العرش، ولا أنّه بذاتـه في كل مكان، ولا أنّ جميع الأمكنة بالنسبة إليه سواء، ولا أنّه لا داخلَ العالم ولا خارجـه، ولا أنّه لا متصل ولا منفصل، ولا أنه لا تجوز الإشارة الحسية إليه [بالأصابع] ونحوها؛ بل قد ثبت في «الصحيح» عن جابر بن عبد الله أنّ النبي ﷺ لمـا خطـب خطبتـه العظيمـة يـوم عرفات في أعظم مجمع حضره الرسول ﷺ جعل يقول: «أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟» فيقولـون: نعـم، فيرفع إصبعه إلىٰ السماء ثم ينكبها إليهم، ويقول: «اللّٰهُمَّ اشْـهَدْ» غيـر مـرة، وأمثـال ذلـك كثيرة.

فإن كان الحق فيما يقوله هؤلاء السالبون النافون للصفات الثابتة في [الكتاب والسـنة]، من هٰـذه العبارات ونحوها دون ما يفهم من الكتاب والسنة إما نصًّـا وإمـا ظـاهرا، فكيـف يجوز علىٰ الله تعالىٰ ثم علىٰ رسوله ﷺ ثم علىٰ خير الأمة أنهم يتكلّمون دائمًا بما هو إمـا نص وإما ظاهر في خلاف الحق، [ثم الحق] الذي يجب اعتقـاده لا يبوحـون بـه قـط، ولا يدلون عليه لا نصّا ولا ظاهرا حتىٰ يجيء أنباط الفُرس والروم وفروخ اليهـود والنصـارىٰ



والفلاسفة يبينون للأمة العقيدة الصّحيحة التي يجب علىٰ كل مكلَّف أو كل فاضل أن يعتقدها.

لئن كان ما يقوله هؤلاء المتكلّمون المتكلّفون هو الاعتقاد الواجب، وهم مع ذلك أُحيلوا في معرفته علىٰ مجرّد عقولهم، وأنّ يدفعوا بما اقتضىٰ قياس عقولهم ما دل عليه الكتاب والسنة نصًّا أو ظاهرا، لقد كان ترك الناس بلا كتاب ولا سنة أهدىٰ لهم وأنفع علىٰ هٰذا التّقدير؛ بل كان وجود الكتاب والسنة ضررًا محضا في أصل الدين.

فإنّ حقيقة الأمر علىٰ ما يقوله هؤلاء: إنّكم يا معشر العباد [لا تطلبون] معرفة الله ﷻ، وما يستحقه من الصِّفات نفيا وإثباتا لا من الكتاب ولا من السنة ولا من طريق سلف الأمة.

ولكن انظروا أنتم: فما وجدتموه مستحقًّا له من الصِّفات فصفوه به -سواء كان موجودا في الكتاب والسنة أو لم يكن- وما لم تجدوه مستحقًّا له في عقولكم فلا تصفوه به؟

ثم هُمْ ها هنا فريقان:

أكثرهم يقولون: ما لم تثبته عقولكم فانفوه.

ومنهم من يقول: بل توقفوا فيه، وما نفاه قياس عقولكم -الذي أنتم فيه مختلفون مضطربون اختلافًا أكثر من جميع اختلافٍ علىٰ وجه الأرض- فانفوه، وإليه عند التنازع فارجعوا، فإنه الحقُّ الذي تعبدتكم به، وما كان مذكورا في الكتاب والسنة مما يخالف قياسكم هٰذا، أو يثبت ما لم تدركه عقولكم -علىٰ طريقة أكثرهم- فاعلموا أني أمتحنكم بتنزيله، لا لتأخذوا الهدىٰ منه، لكن لتجتهدوا في تخريجه علىٰ شواذ اللغة، ووحشي الألفاظ، وغرائب الكلام، أو أن تسكتوا عنه مفوِّضين علمه إلىٰ الله، مع نفي دلالته علىٰ شيء من الصِّفات، هٰذا حقيقة الأمر علىٰ رأىٰ هؤلاء المتكلِّمين.

وهٰذا الكلام قد رأيته صرّح بمعناه طائفة منهم، وهو لازمٌ لجماعتهم لزوما لا محيد عنه، ومضمونه أنّ كتاب الله لا يُهتدىٰ به في معرفة الله، وأنّ الرسول معزول عن التعليم والإخبار بصفات من أرسله، وأن الناس عند التنازع لا يردون ما تنازعوا فيه إلىٰ الله والرسول؛ بل إلىٰ مثل ما كانوا عليه في الجاهلية، وإلىٰ مثل ما يتحاكم إليه من لا يؤمن بالأنبياء كالبراهمة والفلاسفة -وهم المشركون- والمجوس وبعض الصابئين.

وإن كان هٰذا الرّد لا يزيد الأمر إلا شدة ولا يرتفع الخلاف به إذْ لكل فريق طواغيت



يريدون أن يتحاكموا إليهم، وقد أُمروا أن يكفُروا بهم، وما أشبه [حال] هؤلاء [المتكلمين] بقوله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ۝٦٠ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ۝٦١ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ۝٦٢﴾[النساء].

فإنَّ هؤلاء إذا دعوا إلىٰ ما أنزل الله من الكتاب وإلىٰ الرسول -والدعاء إليه بعد وفاته هو الدعاء إلىٰ سنَّته- أعرضوا عن ذلك وهم يقولون: إنا قصدنا الإحسان علمًا وعملًا بهـٰذه الطريق التي سلكناها، والتوفيق بين الدلائل العقلية والنّقلية.

ثم عامة هـٰذه الشبهات التي يسمُّونها دلائل إنما تَقَلَّدوا أكثرها عن طواغيت من طواغيت المشركين أو الصّابئين، أو بعض ورثتهم الذين أُمروا أن يكفروا بهم؛ مثل فلان وفلان، أو عمّن قال كقولهم لتشابه قلوبهم، [قال الله تعالىٰ]: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ۝٦٥﴾ [النساء]، ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِۚ﴾ [البقرة:٢١٣] الآية.

ولازم هـٰذه المقالة ألَّا يكون الكتاب هدًىٰ للناس، ولا بيانا ولا شفاء لما في الصدور ولا نورًا، ولا مردًّا عند التنازع، لأنّا نعلم بالاضطرار أن ما يقوله هؤلاء المتكلِّفون أنَّه الحق الذي يجب اعتقاده لم يدلَّ عليه الكتاب والسنة لا نصا ولا ظاهرا، وإنَّما غاية المتحذلق أن يستنتج هـٰذا من قوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص]، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ۝٦٥﴾ [مريم].

وبالاضطرار يعلم كل عاقل أنَّ من دلّ الخلق علىٰ أنّ الله ليس علىٰ العرش، ولا فوق السمٰوات ونحو ذلك بقوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ۝٦٥﴾ لقد أبعد النُّجعة، وهو إما مُلْغِزٌ وإما مدلّس لم يخاطبهم بلسان عربي مبين.

ولازم هـٰذه المقالة أن يكون ترك الناس بلا رسالة خيرا لهم في أصل دينهم؛ لأنّ مردّهم قبل الرسالة وبعدها واحد، وإنما الرسالة زادتهم عمًىٰ وضلالة.



يا سبحان الله! كيف لم يقل الرسول يوما من الدّهر ولا أحد من سلف الأمة هـٰذه الآيات والأحاديث لا تعتقدوا ما دلّت عليه؛ ولكن اعتقدوا الذي تقتضيه مقاييسكم، أو اعتقدوا كذا وكذا فإنّه الحقّ، وما خالف ظاهره فلا تعتقدوا ظاهره، وانظروا فيها فما وافق قياس عقولكم [فاقبلوه] وما لا فتوقفوا فيه أو أنفوه.

ثم رسول الله ﷺ قد أخبر أن أمته ستفترق علىٰ ثلاثٍ وسبعين فرقة، فقد علم ما سيكون، ثم قال: «إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا؛ كِتَابَ اللهِ».

ورُوي عنه أنه قال في صفة الفرقة الناجية: «هُمْ مَنْ كَانَ عَلَىٰ مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي».

فهلّا قال: من تمسّك بالقرآن أو بدلالة القرآن أو بمفهوم القرآن أو بظاهر القرآن في باب الاعتقادات فهو ضالٌّ، وإنما الهدىٰ رجوعكم إلىٰ مقاييس عقولكم، وما يحدثه المتكلمون منكم بعد القرون الثلاثة في هـٰذه المقالة، وإن كان قد نبغ أصلها في أواخر عصر التابعين.

ثم أصل هـٰذه المقالة -مقالة التعطيل للصفات- إنما هو مأخوذ عن تلامذة اليهود والمشركين وضلّال الصّابئين؛ فإن من حُفِظَ عنه أنه قال هـٰذه المقالة في الإسلام -أعني: **أن الله ﷻ ليس علىٰ العرش حقيقة وأن معنىٰ استوىٰ بمعنىٰ استولىٰ** ونحو ذلك- هو الجعد بن درهم، وأخذها عنه الجهم بن صفوان؛ وأظهرها فنُسبت مقالة الجهمية إليه، وقد قيل: إن الجعد أخذ مقالته عن أبان بن سمعان، وأخذها أبان عن طالوت ابن أخت لبيد بن الأعصم، وأخذها طالوت من لبيد بن الأعصم اليهودي الساحر الذي سحر النبي ﷺ، وكان الجعد بن درهم هـٰذا -فيما قيل- من أهل حرّان، وكان فيهم خلق كثير من الصابئة والفلاسفة، بقايا أهل دين النمرود، والكنعانيين الذين صنّف بعض المتأخرين في سحرهم، والنّمرود هو ملك الصابئة الكنعانيين المشركين، كما أن كسرىٰ ملك الفرس والمجوس، وفرعون ملك مصر القبط الكفار، والنجاشي ملك الحبشة النصارىٰ، وبطليموس ملك اليونان، وقيصر ملك الروم، فهو اسم جنس لا اسم علم.

فكانت الصابئة إلا قليلا منهم إذ ذاك علىٰ الشرك وعلماؤهم هم الفلاسفة، وإن كان الصابئ قد لا يكون مشركًا؛ بل مؤمنا بالله واليوم الآخر كما قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ



أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾[البقرة]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [المائدة].

لكن كثيرا منهم أو أكثرهم كانوا كفارا أو مشركين، كما أن كثيرا من اليهود والنصارىٰ بدّلوا وحرّفوا وصاروا كفارا أو مشركين، فأولئك الصابئون الذين كانوا إذ ذاك؛ كانوا كفارا أو مشركين وكانوا يعبدون الكواكب ويبنون لها الهياكل.

ومذهب النفاة من هؤلاء في الرب: أنه ليس لـه إلا صفات سلبية أو إضافية أو مركبة منهما وهم الذين بعث إليهم إبراهيم الخليل، فيكون الجعد قد أخذها عن الصابئة الفلاسفة.

وكذلك أبو نصر الفارابي دخل حرّان وأخذ عن فلاسفة الصّابئين تمام فلسفته، وأخذها الجهم أيضا -فيما ذكره الإمام أحمد وغيره- لمَّا ناظر السُّمنية بعض فلاسفة الهند -وهم الذين يجحدون من العلوم ما سوىٰ الحسِّيات.

فهـٰذه أسانيد جهم ترجع إلىٰ اليهود والصابئين والمُشركين، والفلاسفة الضّالون هم إما من الصابئين وإما من المشركين.

ثم لما عُرِّبَت الكتب الرّومية واليونانية في حدود المائة الثانية زاد البلاء مع ما ألقىٰ الشيطان في قلوب الضّلال ابتداءً، من جنس ما ألقاه في قلوب أشباههم.

ولما كان في حدود المائة الثالثة انتشرت هـٰذه المقالة التي كان السلف يسمّونها مقالة الجهمية، بسبب بشر بن غيّاث المريسي وطبقته، وكلام الأئمة مثل مالك، وسفيان بن عيينة، وابن المبارك، وأبي يوسف، والشّافعي، وأحمد، وإسحاق، والفُضيل بن عياض، وبشر الحافي، وغيرهم، في هؤلاء كثير في ذمِّهم وتضليلهم.

وهـٰذه التأويلات الموجودة اليوم بأيدي النّاس مثل أكثر التأويلات التي ذكرها أبو بكر بن فُورك في كتاب «التأويلات»، وذكرها أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي في كتابه الذي سماه «تأسيس التقديس»، ويوجد كثير منها في كلام خلق [كثيرٍ] غير هؤلاء مثل: أبي علي الجبائي وعبد الجبار بن أحمد الهمداني، وأبي الحسين البصري، وأبي الوفاء ابن عَقيل، وأبي حامد الغزالي، وغيرهم؛ هي بعينها التأويلات التي ذكرها بشر المريسي في كتابه: وإن



كان قد يوجد في كلام بعض هؤلاء رد التأويل وإبطاله أيضًا، ولهم كلام حسنٌ في أشياء.

فإنما بينت أن عين تأويلاتهم هي عين تأويلات بشر المريسي، ويدلُّ علىٰ ذلك كتاب الرد الذي صنفه عثمان بن سعيد الدارمي أحد الأئمة المشاهير في زمان البُخاري، صنّف كتابا سماه: «رد عثمان بن سعيد علىٰ الكاذب العنيد فيما افترىٰ علىٰ الله في التّوحيد» حكىٰ فيه هـٰذه التأويلات بأعيانها عن بشر المريسي بكلام يقتضي أن المريسي أقعد بها وأعلم بالمنقول والمعقول من هؤلاء المتأخّرين الذين اتصلت إليهم من جهته [وجهة غيره]، ثم ردّ ذلك عثمان بن سعيد بكلام إذا طالعه العاقل الذَّكي علم حقيقة ما كان عليه السلف، وتبين له ظهور الحُجة لطريقهم، وضعف حجّة من خالفهم.

ثم إذا رأىٰ الأئمة -أئمة الهدىٰ- قد أجمعوا علىٰ ذمِّ المريسية وأكثرهم كفَّروهم أو ضللوهم، وعلم أن هـٰذا القول السّاري في هؤلاء المتأخِّرين هو مذهب المريسية تبيَّن الهدىٰ لمن يريد الله هدايته ولا حول ولا قوَّة إلا بالله.

والفتوىٰ لا تحتمل البسط في هـٰذا الباب، وإنما أُشير إشارة إلىٰ مبادئ الأمور والعاقل يسير وينظر.

وكلام السَّلف في هـٰذا الباب موجود في كتبٍ كثيرة لا يمكن أن نذكر هاهنا إلا قليلًا منه، مثل كتاب «السنن» للالكائي، و«الإبانة» لابن بطة، و«السنة» لأبي ذر الهروي، و«الأصول» لأبي عمرو الطلمنكي، وكلام أبي عمر ابن عبد البر، و«الأسماء والصفات» للبيهقي، وقبل ذلك «السنة» للطبراني، ولأبي الشيخ الأصبهاني، ولأبي عبد الله بن منده، ولأبي أحمد العسّال الأصبهاني، وقبل ذلك «السنة» للخلال، و«التوحيد» لابن خزيمة، وكلام أبي العباس ابن سريج، و«الرد علىٰ الجهمية» لجماعة، مثل البخاري وشيخه عبد الله بن محمد بن عبد الله الجعفي، وقبل ذلك «السنة» لعبد الله بن أحمد، و«السنة» لأبي بكر بن الأثرم، و«السنة» لحنبل، وللمروذي ولأبي داود السجستاني، ولابن أبي شيبة، و«السنة» لأبي بكر بن أبي عاصم، وكتاب «خلق أفعال العباد» لأبي عبد الله البخاري، وكتاب «الرد علىٰ الجهمية» لعثمان بن سعيد الدارمي، وغيرهم.

وكلام أبي العباس عبد العزيز المكِّي صاحب «الحيدة» في الرد علىٰ الجهمية، وكلام نعيم بن حماد الخزاعي، وكلام غيرهم، وكلام الإمام أحمد ابن حنبل وإسحاق بن راهويه



ويحيىٰ بن سعيد، ويحيىٰ بن يحيىٰ النيسابوري، وأمثالهم.

وقبل هؤلاء لعبد الله بن المبارك وأمثاله وأشياء كثيرة.

وعندنا من الدلائل السمعية والعقلية ما لا يتَّسع هـٰذا الموضع لذكره، وأنا أعلم أن المتكلِّمين النُّفاة لهم شبهات موجودة؛ ولكن لا يمكن ذكرها في الفتوىٰ، فمن نظر فيها وأراد إبانة ما ذكروه من الشُّبه فإنه يسير.

فإذا كان أصل هـٰذه المقالة -مقالة التعطيل والتأويل- مأخوذًا عن تلامذة المشركين، والصابئين، واليهود، فكيف تطيب نفس مؤمن؛ بل نفس عاقل أن يأخذ سبيل هؤلاء المغضوب عليهم أو الضَّالين، ويدع سبيل الذين أنعم الله عليهم من النبيِّين والصدِّيقين والشهداء والصَّالحين.



## فصلٌ

ثم القول الشامل في جميع هـٰذا الباب أن يوصف الله بما وصف به نفسه، أو بما وصفه به رسوله ﷺ، وبما وصفه به السَّابقون الأولون لا يُتجاوز القرآن والحديث.

قال الإمام أحمد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو بما وصفه به رسوله ﷺ، لا يتجاوز القرآن والحديث.

**ومذهب السلف أنهم يصفون الله** بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

ونعلم أن ما وُصف الله به من ذلك فهو حقٌّ ليس فيه لغز ولا أحاجي؛ بل معناه يعرف من حيث يعرف مقصود المتكلم بكلامه لاسيما إذا كان المتكلم أعلم الخلق بما يقول، وأفصح الخلق في بيان العلم، وأنصح الخلق في البيان والتعريف والدلالة والإرشاد.

وهو سبحانه مع ذلك ليس كمثله شيء لا في نفسه المقدسة المذكورة بأسمائه وصفاته، ولا في أفعاله، فكما يتيقن أنّ الله سبحانه له ذات حقيقة، وله أفعال حقيقية، فكذلك له صفات حقيقية، وهو ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، وكل ما أوجب نقصًا أو حدوثا فإن الله منزه عنه حقيقة، فإنه سبحانه مستحقٌّ للكمال الذي لا غاية فوقه، ويمتنع عليه الحدوث لامتناع العدم عليه، واستلزام الحدوث سابقه العدم ولافتقار



المحدَث إلىٰ محدِث، ولوجوب وجوده بنفسه ﷻ.

**ومذهب السّلف بين التعطيل والتمثيل**، فلا يمثلون صفات الله بصفات خلقه، كما لا يمثلون ذاته بذات خلقه، ولا ينفون عنه ما وصف به نفسه، ووصفه به رسُوله؛ فيعطلوا أسماءه الحُسنىٰ وصفاته العليا ويحرِّفوا الكلم عن مواضعه، ويلحدوا في أسماء الله وآياته.

وكلٌّ واحد من فريقي التعطيل والتمثيل فهو جامع بين التعطيل والتمثيل.

أمَّا المعطلون فإنهم لم يفهموا من أسماء الله وصفاته إلا ما هو اللائق بالمخلوق، ثم شرعوا في نفي تلك المفهومات، فقد جمعوا بين التَّمثيل والتعطيل؛ مثلوا أولا وعطلوا آخرا، وهـٰذا تشبيهٌ وتمثيل منهم للمفهوم من أسمائه وصفاته بالمفهوم من أسماء خلقه وصفاتهم، وتعطيلٌ لما يستحقه هو سبحانه من الأسماء والصِّفات اللائقة بالله ﷻ.

فإنه إذا قال القائل: لو كان الله فوق العرش للزم إما أن يكون أكبر من العرش أو أصغر أو مساويًا، وكل ذلك من المحال، ونحو ذلك من الكلام، فإنّه لم يفهم من كون الله علىٰ العرش إلا ما يثبت لأي جسم كان علىٰ أي جسم كان، وهـٰذا اللازم تابع لهـٰذا المفهوم، أما استواء يليق بجلال الله تعالىٰ ويختص به فلا يلزمه شيء من اللوازم الباطلة التي يجب نفيها، كما يلزم من سائر الأجسام.

وصار هـٰذا مثل قول الممثل إذا كان للعالم صانع، فإما أن يكون جوهرا أو عَرَضا وكلاهما مُحال، إذ لا يعقل موجود إلا هـٰذان، وقوله: إذا كان مستويا علىٰ العرش فهو مماثل لاستواء الإنسان علىٰ السَّرير أو الفلك، إذ لا يُعلم الاستواء إلا هكذا، فإن كليهما مثّل وكليهما عطّل حقيقة ما وصف الله به نفسه، وامتاز الأول بتعطيل كل اسم للاستواء الحقيقي، وامتاز الثاني بإثبات استواء هو من خصائص المخلوقين.

والقول الفاصل هو ما عليه الأمّة الوسط؛ من أنّ الله مستو علىٰ عرشه استواء يليق بجلاله ويختص به، فكما أنه موصوف بأنه بكل شيء عليم، وعلىٰ كل شيء قدير وأنه سميع بصير، ونحو ذلك ولا يجوز أن يثبت للعلم والقدرة خصائص الأعراض التي كعلم المخلوقين وقدرتهم، فكذلك هو سبحانه فوق العرش، ولا يثبت لفوقيته خصائص فوقية المخلوق علىٰ المخلوق ولوازمها.

واعلم أنه ليس في العقل الصَّريح، ولا في شيء من النقل الصحيح ما يوجب مخالفة



الطريقة السّلفية أصلا؛ لكن هـٰذا الموضع لا يتسع للجواب عـن الشّـبهات الـواردة علـىٰ الحق، فمن كان في قلبه شبهة وأحب حلها فذلك سهل يسير.

ثم المخالفون للكتاب والسنة وسلف الأمة -من المتأولين لهـٰذا الباب- في أمر مريج، فإنَّ من أنكر الرؤية يزعم أن العقل يُحيلها وأنه مضطر فيها إلىٰ التأويل، ومـن يحيـل أنّ لله علمًا وقدرة، وأن يكون كلامه غير مخلوقٍ ونحو ذلك يقول: إنَّ العقل أحال ذلك فاضـطر إلىٰ التّأويل؛ بل من ينكر حقيقة حشر الأجساد والأكل والشرب الحقيقي في الجنـة، يـزعم أن العقل أحال ذلك، وأنه مضطرٌّ إلىٰ التأويل، ومن زعم أن الله ليس فوق العرش: يزعم أن العقل أحال ذلك وأنه مضطر إلىٰ التأويل.

ويكفيك دليلًا علىٰ فساد قول هؤلاء أنه ليس لواحد منهم قاعـدة مسـتمرة فيمـا يحيلـه العقل؛ بل منهم من يزعم أن العقل جوّز أو أوجب ما يدّعي الآخر أنَّ العقل أحاله.

فيا ليت شعري بأي عقل يوزن الكتاب والسنة، فرضي الله عن الإمام مالـك بـن أنـس، حيث قال: أَوَ كلَّما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا مـا جـاء بـه جبريـل إلـىٰ محمـد ﷺ لجدَل هؤلاء.

وكلٌّ من هؤلاء مخصوم بما خصم به الآخر، **وهو من وجوه:**

**أحدها**: بيان أن العقل لا يُحيل ذلك.

**والثاني**: أنّ النصوص الواردة لا تحتمل التأويل.

**والثّالث**: أنّ عامة هـٰذه الأمور قد عُلم أن الرسول ﷺ جاء بها بالاضطرار، كما علم أنـه جاء بالصلوات الخمس، وصوم شهر رمضان؛ فالتأويـل الـذي يحيلهـا عـن هــٰذا بمنزلـة تأويلات القرامطة والباطنية في الحج والصلاة والصوم، وسائر ما جاءت به النّبوات.

الرابع: أنْ يبين أنَّ العقل الصريح يوافق ما جاءت به النصوص، وإن كـان في النصـوص من التفصيل ما يعجز العقل عن دَرَك تفصـيله، وإنّمـا عَقِلَـه مجمـلا، إلـىٰ غيـر ذلـك مـن الوجوه، علىٰ أن الأساطين من هؤلاء والفحول معترفون بأنَّ العقل لا سبيل له إلىٰ اليقـين في عامة المطالب الإلهية.

وإذا كان هكذا فالواجب تلقّي علم ذلك من النبوات علىٰ ما هو عليه.

ومن المعلوم للمؤمنين أنّ الله تعالىٰ بعث محمدًا ﷺ بالهدىٰ وديـن الحـق ﴿لِيُظْهِـرَهُۥ



عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ [الفتح]، وأنه بيّن للناس ما أخبرهم به من أمور الإيمان بالله واليوم الآخر.

والإيمان بالله واليوم الآخر يتضمَّن الإيمان بالمبدأ والمَعاد، وهو الإيمان بالخلق والبعث كما جمع بينهما في قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾ [البقرة]، وقال تعالىٰ: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍۚ﴾ [لقمان:٢٨]، وقال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ [الروم:٢٧].

وقد بيَّن الله علىٰ لسان رسوله ﷺ من أمر الإيمان بالله واليوم الآخر ما هدىٰ الله به عباده، وكشف به مُراده.

ومعلوم للمؤمنين أن رسول الله ﷺ أعلم من غيره بذلك، وأنصح من غيره للأمة، وأفصح من غيره عبارة وبيانًا؛ بل هو أعلم الخلق بذلك وأنصح الخلق للأمة وأفصحهم، فقد اجتمع في حقِّه كمال العلم والقدرة والإرادة.

ومعلوم أن المتكلم أو الفاعل إذا كمل علمه وقدرته وإرادته: كمُل كلامه وفعله، وإنما يدخل النقص إما من نقص علمه وإما من عجزه عن بيان علمه وإما لعدم إرادته البيان.

والرسول ﷺ هو الغاية في كمال العلم، والغاية في كمال إرادة البلاغ المبين، والغاية في [قدرته] علىٰ البلاغ المبين، ومع وجود القدرة التامة، والإرادة الجازمة: يجب وجود المراد، فعُلم قطعا أن ما بينه من أمر الإيمان بالله واليوم الآخر حصل به مراده من البيان، وما أراده من البيان فهو مطابق لعلمه، وعلمه بذلك هو أكمل العلوم، فكل من ظن أن غير الرسول أعلم بهٰذا منه، أو أكمل بيانا منه، أو أحرص علىٰ هَدي الخلق منه فهو من الملحدين لا من المؤمنين؛ والصحابة والتابعون لهم بإحسان ومن سلك سبيلهم هم في هٰذا الباب علىٰ سبيل الاستقامة.

**وأما المنحرفون عن طريقهم فهم ثلاث طوائف**: أهل التخييل، وأهل التأويل، وأهل التجهيل.

**فأهل التّخييل**: هم المتفلسفة ومن سلك سبيلهم من متكلّم ومتصوّف [ومتفقه]، فإنهم يقولون: إن ما ذكره الرسول من أمر الإيمان بالله واليوم الآخر إنما هو تخييلٌ للحقائق لينتفع به الجمهور، لا أنه بيّن به الحق، ولا هدىٰ به الخلق، ولا أوضح [به] الحقائق.



ثم هم علىٰ قسمين:

**منهم من يقول**: إن الرسول لم يعلم الحقائق علىٰ ما هي عليه. ويقولون: إن من الفلاسفة الإلهية من علمها، وكذلك من الأشخاص الذين يسمونهم أولياء من علمها، ويزعمون أن من الفلاسفة والأولياء من هو أعلم بالله واليوم الآخر من المرسلين. **وهـٰذه مقالة غلاة الملحدين من الفلاسفة والباطنية؛ باطنية الشيعة وباطنية الصوفية.**

**ومنهم من يقول**: بل الرسول علمها؛ لكن لم يبينها، وإنما تكلم بما يناقضها، وأراد من الخلق فهم ما يناقضها؛ لأن مصلحة الخلق في هـٰذه الاعتقادات التي لا تطابق الحق.

ويقول هؤلاء: يجب علىٰ الرسول أن يدعو الناس إلىٰ اعتقاد التجسيم مع أنه باطل، وإلىٰ اعتقاد معاد الأبدان مع أنه باطل، ويخبرهم بأن أهل الجنة يأكلون ويشربون مع أن ذلك باطل. قالوا: لأنه لا يمكن دعوة الخلق إلا بهـٰذه الطريقة التي تتضمن الكذب لمصلحة العباد.

فهـٰذا قول هؤلاء في نصوص الإيمان بالله واليوم الآخر.

وأما الأعمال فمنهم من يقرها ومنهم من يجريها هـٰذا المجرىٰ، ويقول: إنما يؤمر بها بعض الناس دون بعض، ويؤمر بها العامة دون الخاصة، فهـٰذه طريقة الباطنية الملاحدة والإسماعيلية ونحوهم.

**وأما أهل التأويل**: فيقولون: إن النصوص الواردة في الصفات لم يُقصد بها الرسول أن يعتقد الناس الباطل؛ ولكن قصد بها معاني ولم يبيّن لهم تلك المعاني ولا دلهم عليها، ولكن أراد أن ينظروا فيعرفوا الحق بعقولهم، ثم يجتهدوا في صرف تلك النصوص عن مدلولها، ومقصودُه امتحانهم وتكليفهم وإتعاب أذهانهم وعقولهم في أن يصرفوا كلامه عن مدلوله ومقتضاه، ويعرف الحق من غير جهته، وهـٰذا قول المتكلِّمة [والجهمية] والمعتزلة ومن دخل معهم في شيء من ذلك.

**والذين قصدنا الرّد عليهم في هـٰذه الفتيا هم هؤلاء**، إذ كان نفور الناس عن الأولين مشهورا، بخلاف هؤلاء فإنهم تظاهروا بنصر السنة في مواضع كثيرة، وهم في الحقيقة لا للإسلام نصروا ولا للفلاسفة كسروا؛ لكن أولئك الفلاسفة ألزموهم في نصوص المعاد نظير ما ادّعوه في نصوص الصّفات. فقالوا لهم: نحن نعلم بالاضطرار أن الرسل جاءت



بمعاد الأبدان وقد علمنا فساد الشُّبه المانعة منه.

وأهل السنة يقولون لهم: ونحن نعلم بالاضطرار أن الرسل جاءت بإثبات الصفات، ونصوص الصفات في الكتب الإلهية أكثر وأعظم من نصوص المعاد، ويقولون لهم: معلوم أنّ مشركي العرب وغيرهم كانوا ينكرون المعاد، وقد أنكروه علىٰ الرسول وناظروه عليه، بخلاف الصفات فإنه لم ينكر شيئا منها أحد من العرب.

فعُلم أنَّ إقرار العقول بالصفات أعظم من إقرارها بالمعاد، وأن إنكار المعاد أعظم من إنكار الصفات، فكيف يجوز مع هـٰذا أن يكون ما أخبر به من الصفات ليس كما أخبر به، وما أخبر به من المعاد هو علىٰ ما أخبر به.

وأيضا: فقد علم أنه ﷺ قد ذم أهل الكتاب علىٰ ما حرفوه وبدلوه، ومعلوم أن التوراة مملوءة من ذكر الصفات، فلو كان هـٰذا مما بدّل وحرّف لكان انكار ذلك عليهم أولىٰ، فكيف وكانوا إذا ذكروا بين يديه الصفات يضحك تعجبا منهم وتصديقا لها، ولم يعبهم قط بما تعيب النفاة أهل الإثبات، مثل لفظ التجسيم والتشبيه ونحو ذلك؛ بل عابهم بقولهم: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة:٦٤]، وقولهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [آل عمران:١٨١]، وقولهم: إنه استراح لما خلق السمٰوات والأرض، فقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ۝٣٨﴾ [ق].

والتوراة مملوءة من الصفات المطابقة للصفات المذكورة في القرآن والحديث، وليس فيها تصريح بالمعاد كما في القرآن. فإذا جاز أن نتأول الصفات التي اتفق عليها الكتابان فتأويل المعاد الذي انفرد به أحدهما أولىٰ، والثاني مما يعلم بالاضطرار من دين الرسول أنه باطل، فالأول أولىٰ بالبطلان.

**وأما الصنف الثالث وهم أهل التجهيل**: فهم كثير من المنتسبين إلىٰ السّنة وأتباع السلف. يقولون: إن الرسول ﷺ لم يعرف معاني ما أنزل الله إليه من آيات الصفات ولا جبريل يعرف معاني تلك الآيات، ولا السابقون الأولون عرفوا ذلك.

وكذلك قولهم في أحاديث الصفات: إن معناها لا يعلمه إلا الله، مع أنّ الرسول تكلم بها ابتداء، فعلىٰ قولهم تكلم بكلام لا يعرف معناه، وهؤلاء يظنون أنهم اتبعوا قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٧]، فإنه وقف أكثر السلف علىٰ قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ



تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾، وهو وقفٌ صحيح، لكن لم يفرقوا بين معنىٰ الكلام وتفسيره، وبين التأويل الذي انفرد الله تعالىٰ بعلمه، وظنّوا أن التأويل المذكور في كلام الله تعالىٰ هو التأويل المذكور في كلام المتأخرين وغلطوا في ذلك.

فإن **لفظ التأويل يراد به ثلاثة معانٍ**:

**فالتأويل في اصطلاح كثير من المتأخرين** هو: صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلىٰ الاحتمال المرجوح لدليل يقترن بذلك، فلا يكون معنىٰ اللفظ الموافق لدلالة ظاهره تأويلا علىٰ اصطلاح هؤلاء.

وظنوا أن مراد الله تعالىٰ بلفظ التأويل ذلك، وأن للنصوص تأويلا يخالف مدلولها لا يعلمه إلا الله، ولا يعلمه المتأولون، ثم كثير من هؤلاء يقولون: تجري علىٰ ظاهرها فظاهرها مراد. مع قولهم: إن لها تأويلا بهٰذا المعنىٰ لا يعلمه إلا الله. وهٰذا تناقض وقع فيه كثير من هؤلاء المنتسبين إلىٰ السنة من أصحاب الأئمة الأربعة وغيرهم.

**والمعنىٰ الثاني**: أن التأويل هو تفسير الكلام سواء وافق ظاهره أو لم يوافقه، وهٰذا هو التأويل في اصطلاح جمهور المفسرين وغيرهم، وهٰذا التأويل يعلمه الراسخون في العلم، وهو موافق لوقف من وقف من السّلف علىٰ قوله: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾ [آل عمران:٧]، كما نقل ذلك عن ابن عباس ومجاهد ومحمد بن جعفر بن الزبير ومحمد بن إسحاق وابن قتيبة وغيرهم.

وكلا القولين حق باعتبار كما قد بسطناه في موضع آخر، ولهٰذا نُقل عن ابن عباس هٰذا وهٰذا وكلاهما حق.

**والمعنىٰ الثّالث**: أنّ التأويل هو الحقيقة التي يؤول الكلام إليها، وإن وافقت ظاهره فتأويل ما أخبر الله به في الجنة من الأكل والشرب واللباس والنكاح وقيام الساعة وغير ذلك هو الحقائق الموجودة أنفسها، لا ما يتصور من معانيها في الأذهان، ويعبر عنه باللسان، وهٰذا هو التأويل في لغة القرآن كما قال تعالىٰ عن يوسف أنه قال: ﴿يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ﴾ [يوسف:١٠٠]، وقال تعالىٰ: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّ﴾ [الأعراف:٥٣]، وقال تعالىٰ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ



تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [النساء]، وهـٰذا التأويل هو الذي لا يعلمه إلَّا الله.

فتأويل الصفات هو الحقيقة التي انفرد الله تعالىٰ بعلمها، وهو الكيف المجهول الذي قال فيه السلف كمالك وغيره: الاستواء معلوم والكيف مجهول. فالاستواء معلوم يُعلم معناه ويفسر ويترجم بلغة أخرىٰ وهو من التأويل الذي يعلمه الراسخون في العلم، وأما كيفية ذلك الاستواء فهو التأويل الذي لا يعلمه إلا الله تعالىٰ.

وقد روي عن ابن عباس ما ذكره عبد الرزاق وغيره في تفسيرهم عنه أنه قال: تفسير القرآن علىٰ أربعة أوجه:

تفسير تعرفه العرب من كلامها.

وتفسيرٌ لا يعذر أحد بجهالته.

وتفسير يعلمه العلماء.

وتفسيرٌ لا يعلمه إلا الله عَزَّوَجَلَّ فمن ادّعىٰ علمه فهو كاذب.

وهـٰذا كما قال تعالىٰ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة]، وقال النبي ﷺ: «**يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَىٰ قَلْبِ بَشَرٍ**».

وكذلك علم الساعة ونحو ذلك، فهـٰذا من التأويل الذي لا يعلمه إلا الله تعالىٰ، وإن كنا نفهم معاني ما خوطبنا به ونفهم من الكلام ما قصد إفهامنا إياه كما قال تعالىٰ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد]، وقال: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ ٱلْقَوْلَ﴾ [المؤمنون:٦٨]، فأمر بتدبر القرآن كله لا بتدبر بعضه.

وقال أبو عبد الرحمـٰن السلمي: حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن عثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يتجاوزوها حتىٰ يتعلموا ما فيها من العلم والعمل. قالوا: فتعلّمنا القرآن والعلم والعمل جميعا.

وقال مجاهد: عرضت المصحف علىٰ ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا من فاتحته إلىٰ خاتمته، أقف عند كل آية وأسأله عنها.

وقال الشعبي: ما ابتدع أحد بدعة إلا وفي كتاب الله بيانها.



وقال مسروق: ما سئل أصحاب محمد عن شيء إلا وعلمه في القرآن؛ ولكن علمنا قصر عنه.

وهٰذا باب واسع قد بسط في موضعه.

والمقصود هنا التنبيه علىٰ أصول المقالات الفاسدة التي أوجبت الضلالة في باب العلم والإيمان بما جاء به الرسول ﷺ، وأن من جعل الرسول غير عالم بمعاني القرآن الذي أنزل إليه، ولا جبريل جعله غير عالم بالسّمعيات، ولم يجعل القرآن هدًىٰ ولا بيانًا للناس.

ثم هؤلاء ينكرون العقليات في هٰذا الباب بالكُلّية فلا يجعلون عند الرسول وأمّته في باب معرفة الله عَزَّوَجَلَّ لا علومًا عقلية ولا سمعية، وهم قد شاركوا الملاحدة في هٰذه من وجوه متعددة، وهم مخطئون فيما نسبوا إلىٰ الرسول ﷺ وإلىٰ السلف من الجهل، كما أخطأ في ذلك أهل التحريف والتأويلات الفاسدة وسائر أصناف الملاحدة.

ونحن نذكر من ألفاظ السلف بأعيانها، وألفاظ من نقل مذهبهم إلىٰ غير ذلك من الوجوه بحسب ما يحتمله هٰذا الموضع ما يعلم به مذهبهم.

روىٰ أبو بكر البيهقي في الأسماء والصفات بإسناد صحيح عن الأوزاعي قال: كنا والتابعون متوافرون نقول: إنّ الله -تعالىٰ ذكره- فوق عرشه ونؤمن بما وردت فيه السنة من صفاته.

وقد حكىٰ الأوزاعيّ -وهو أحد الأئمة الأربعة في عصر تابع التابعين الذين هم: مالك إمام أهل الحجاز، والأوزاعي إمام أهل الشام، والليث إمام أهل مصر، والثوري إمام أهل العراق- حكىٰ شهرة القول في زمن التابعين بالإيمان بأن الله تعالىٰ فوق العرش، وبصفاته السمعية.

وإنما قال الأوزاعي: هٰذا بعد ظهور مذهب جهم المُنكِر لكون الله فوق عرشه، والنافي لصفاته، ليعرف الناس أن مذهب السلف خلاف ذلك.

وروىٰ أبو بكر الخلال في كتاب «السنة» عن الأوزاعي قال: سئل مكحول والزهري عن تفسير الأحاديث فقالا: أمرُّوها كما جاءت.

وروىٰ أيضا عن الوليد بن مسلم قال: سألتُ مالك بن أنس وسفيان الثوري، والليث بن سعد، والأوزاعي عن الأخبار التي جاءت في الصفات، فقالوا: أمروها كما جاءت. وفي



رواية. فقالوا: أمروها كما جاءت بلا كيف.

فقولهم رَضِيَ اللهُ عَنْهُم أمروها كما جاءت، رد علىٰ المعطلة، وقولهم بلا كيف، رد علىٰ الممثلة، والزهري ومكحول هما أعلم التابعين في زمانهم، والأربعة الباقون هم أئمة الدنيا في عصر تابعي التابعين، ومن طبقتهم حماد بن زيد وحماد بن سلمة وأمثالهما.

وروىٰ أبو القاسم الأزجي بإسناده عن مطرِّف بن عبد الله قال: سمعتُ مالك بن أنس إذا ذكر عنده من يدفع أحاديث الصفات يقول: قال عمر بن عبد العزيز: سنَّ رسول الله ﷺ وولاة الأمر بعده سُننا، الأخذ بها تصديقٌ لكتاب الله، واستكمال لطاعة الله، وقوة علىٰ دين الله، ليس لأحد من خلق الله تعالىٰ تغييرُها ولا النظر في شيء خالفها، من اهتدىٰ بها فهو مهتد، ومن استنصر بها فهو منصور، ومن خالفها واتَّبع غير سبيل المؤمنين ولّاه الله ما تولىٰ وأصلاه جهنم وساءت مصيرًا.

وروىٰ الخلال بإسناد كلهم أئمة ثقات عن سفيان بن عيينة قال: سئل ربيعة بن أبي عبد الرحمٰن عن قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه] كيف استوىٰ؟ قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، ومن الله الرِّسالة وعلىٰ الرسول البلاغ المبين، وعلينا التَّصديق.

وهـٰذا الكلام مرويٌّ عن مالك بن أنس تلميذ ربيعة ابن أبي عبد الرحمـٰن من غير وجه.

منها ما رواه أبو الشيخ الأصبهاني وأبو بكر البيهقي عن يحيىٰ بن يحيىٰ، قال: كنا عند مالك بن أنس، فجاء رجل فقال: يا أبا عبد الله ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه] كيف استوىٰ؟ فأطرق مالكٌ برأسه حتىٰ علاه الرُّحَضَاء، ثم قال: **الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة**، وما أراك إلا مبتدعًا. فأمر به أن يخرج. اهـ

فقول ربيعة ومالك: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، موافق لقول الباقين: أمرُّوها كما جاءت بلا كيف، فإنما نَفَوا علم الكيفية، ولم ينفوا حقيقة الصِّفة.

ولو كان القوم قد آمنوا باللفظ المجرَّد من غير فهم لمعناه علىٰ ما يليق بالله لما قالوا: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، ولما قالوا: أمرُّوها كما جاءت بلا كيف، فإنَّ



الاستواء حينئذ لا يكون معلومًا؛ بل مجهولا بمنزلة حروف المعجم.

وأيضا فإنه لا يحتاج إلىٰ نفي علم الكيفية، إذا لم يُفهم من اللفظ معنىٰ، وإنما يحتاج إلىٰ نفي علم الكيفية إذا أثبتت الصفات.

وأيضًا فإن من ينفي الصفات الخبرية، أو الصفات مطلقا لا يحتاج إلىٰ أن يقول: بلا كيفٍ، فمن قال: إنَّ الله ليس علىٰ العرش، لا يحتاج أن يقول: بلا كيفٍ، فلو كان من مذهب السَّلف: نفي الصفات في نفس الأمر لما قالوا: بلا كيف.

وأيضا فقولهم: أمرّوها كما جاءت. يقتضي إبقاء دلالتها علىٰ ما هي عليه، فإنّها جاءت ألفاظ دالة علىٰ معاني؛ فلو كانت دلالتها منتفيةً لكان الواجب أن يقال: أمرُّوا ألفاظها مع اعتقاد أنَّ المفهوم منها غير مراد، أو أمروا ألفاظها مع اعتقاد أنَّ الله لا يوصف بما دلَّت عليه حقيقة، وحينئذ فلا تكون قد أمرت كما جاءت، ولا يقال حينئذٍ: بلا كيف، إذْ نفي الكيف عمّا ليس بثابتٍ لغوٍ من القول.

وروىٰ الأثرم في «السنة»، وأبو عبد الله بن بطة في «الإبانة»، وأبو عمرو الطلمنكي وغيرهم بإسناد صحيح عن عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون -وهو أحد أئمة المدينة الثلاثة الذين هم: مالك بن أنس، وابن الماجشون، وابن أبي ذئب- وقد سُئل عمّا جحدت به الجهمية:

«أما بعد؛ فقد فهمتُ ما سألتَ فيما [تتابعت] الجهمية ومن [خَلفَها]، في صفة الرّب العظيم الذي فاقت عظمته الوصف والتدبر، وكلت الألسن عن تفسير صفته، [وانحسرت] العقول دون معرفة قدرته، وردت عظمتَه العقولُ فلم تجد مساغا فرجعت خاسئة وهي حسيرة، وإنما أمروا بالنظر والتفكر فيما خلق بالتقدير، وإنما يقال: كيف، لمن لم يكن مرة ثم كان، فأما الذي لا يحول ولا يزول، ولم يزل، وليس له مثل، فإنه لا يُعلم كيف هو إلا هو، وكيف يُعرف قدر من لم يبدأ ومن لا يموت ولا يبلىٰ، وكيف يكون لصفة شيء منه حدٌّ أو منتهىٰ، يعرفه عارف أو يحد قدْرَه واصفٌ علىٰ أنه الحق المبين لا حق أحقّ منه، ولا شيء أبين منه.

الدليل علىٰ عجز العقول عن تحقيق صفته عجزُها عن تحقيق صفة أصغر خلقه، لا تكاد تراه صِغرا يجول ويزول، ولا يُرىٰ له سمع ولا بصر؛ لما يتقلب به ويحتال من عقله،



أعضل بك وأخفىٰ عليك ممّا ظهر من سمعه وبصره فتبارك الله أحسنُ الخالقين، وخالقهم وسيد السادة وربهم ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورىٰ].

اعرف -رحمك الله- غِناك عن تكلّف صفة ما لم يصف الرب من نفسه بعجزك عن معرفة قدر ما وصف منها؛ إذا لم تعرف قدر ما وصف، فما تكلفك علمَ ما لم يصف، هل تستدل بذلك علىٰ شيء من طاعته أو تزدجر به عن شيء من معصيته؟

فأما الذي جحد ما وصف الربُّ من نفسه تعمقا وتكلفا فقد ﴿ٱسۡتَهۡوَتۡهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِي ٱلۡأَرۡضِ حَيۡرَانَ﴾ [الأنعام:٧١]، فصار يستدلُّ بزعمه علىٰ جحد ما وصف الرب وسمَّىٰ من نفسه بأن قال: لابد إن كان له كذا من أن يكون له كذا، فعمِي عن البيّن بالخفي، فجحد ما سمىٰ الرّب من نفسه، بصمت الربِّ عمّا لم يسمِّ منها، فلم يزل يملي له الشيطان حتىٰ جحد قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ۝٢٣﴾ [القيامة]، فقال: لا يراه أحد يوم القيامة، فجحد والله أفضلَ كرامةِ الله التي أكرم بها أولياءه يوم القيامة من النظر إلىٰ وجهه، ونضرته إياهم ﴿فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ۝٥٥﴾ [القمر].

وقد قضىٰ أنهم لا يموتون فهم بالنظر إليه ينضرون، إلىٰ إن قال: وإنما جحد رؤية الله يوم القيامة إقامة للحجة الضالة المضلة؛ لأنه قد عرف أنه إذا تجلّىٰ لهم يوم القيامة رأوا منه ما كانوا به قبل ذلك مؤمنين، وكان له جاحدًا.

وقال المسلمون: يا رسول الله؛ هل نرىٰ ربّنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟**» قالوا: لا. قال: «**فَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ؟**» قالوا: لا. قال: «**فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَ رَبَّكُمْ يَوْمَئِذٍ كَذَلِكَ**».

وقال رسول الله ﷺ: «**لَا تَمْتَلِئُ النَّارُ حَتَّىٰ يَضَعَ الْجَبَّارُ فِيهَا قَدَمَهُ، فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ، وَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَىٰ بَعْضٍ**».

وقال لثابت بن قيس: «**لَقَدْ ضَحِكَ اللهُ مِمَّا فَعَلْتَ بِضَيْفِكَ الْبَارِحَةَ**».

وقال فيما بلغنا: «**إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ لَيَضْحَكُ مِنْ أَزَلِكُمْ وَقُنُوطِكُمْ وَسُرْعَةِ إِجَابَتِكُمْ**» فقال له رجل من العرب: إن ربنا ليضحك؟ قال: «**نَعَمْ**»، قال: لا نُعْدَمُ من رب يضحك خيرًا. في أشباه لهٰذا مما لا نحصيه.

وقال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورىٰ]، ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ



بِأَعۡيُنِنَاۖ﴾ [الطور:٤٨]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ٣٩﴾ [طه]، وقال تعـالىٰ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ [ص:٧٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٦٧﴾ [الزمر].

فوالله ما دلَّهم علىٰ عظم ما وصفه من نفسه وما تحيط به قبضته إلا صغر نظيرهـا مـنهم عندهم، إن ذلك الذي أُلقي في رُوعهم، وخلق علىٰ معرفة قلوبهم فما وصف الله مـن نفسـه وسمّاه علىٰ لسان رسوله ﷺ سمَّيناه كما سمّاه، ولم نتكلف منه صفة ما سواه -لا هـٰذا ولا هـٰذا- لا نجحد ما وصف ولا نتكلف معرفة ما لم يصف.

اعلم -رحمك الله- أنَّ **العصمة في الدِّين أن تنتهيَ في الدِّين حيث انتهىٰ بك**، ولا تجـاوِز ما قد حُدَّ لك، فإن من قوام الدِّين معرفة المعروف وإنكار المنكر، فما بُسطت عليه المعرفة وسكنت إليه الأفئدة وذكر أصله في الكتاب والسنة وتوارثَت علمـه الأمـة، فـلا تخـافنَّ في ذكره وصفته من ربِّك ما وصف من نفسه عيبًا، ولا تتكلَّفن بما وصف لك من ذلك قدْرا.

وما أنكرته نفسك، ولم تجد ذكره في كتاب ربِّك ولا في حديثٍ عن نبيِّك -من ذكر صفة ربك- فلا تكلفن علمه بعقلك، ولا تصفه بلسانك واصمت عنه كما صمت الرَّب عنه مـن نفسه، فإن تكلُّفك معرفة ما لم يصف من نفسه مثل: إنكار ما وصف منها، فكما أعظمْت ما جحده الجاحدون مما وصف من نفسه، فكذلك أعظم تكلف ما وصف الواصفون ممَّا لم يصف منها.

فقد والله عـزَّ المسـلمون الـذين يعرفـون المعـروف وبهـم يُعـرف، وينكـرون المنكـر وبإنكارهم يُنكر، يسمعون ما وصف الله به نفسه من هـٰذا في كتابه، وما بلغهم مثله عن نبيه، فما مرض من ذكر هـٰذا وتسميته قلبٌ مسلم، ولا تكلف صفة قـدره ولا تسـمية غيـره مـن الرب مؤمن.

وما ذكر عن الرسول ﷺ أنه سماه من صفة ربه فهو بمنزلة ما سمىٰ ومـا وصـف الـرب تعالىٰ من نفسه.

والراسخون في العلم -الواقفون حيث انتهىٰ علمهم، الواصفون لربهم بما وصـف مـن نفسه، التاركون لما ترك من ذكرها- لا ينكرون صفة ما سـمىٰ منهـا جحـدا، ولا يتكلفـون وصفه بما لم يسمِّ تعمقا؛ لأن الحق ترك ما ترك وتسمية مـا سـمىٰ، ﴿وَيَتَّبِـعۡ غَـيۡرَ سَـبِيلِ



ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ [النساء]. وهب الله لنا ولكم حكما وألحقنا بالصالحين» اهـ.

وهـٰذا كله كلام ابن الماجشون الإمام فتدبره، وانظر كيف أثبت الصفات ونفىٰ علم الكيفية موافقة لغيره من الأئمة، وكيف أنكر علىٰ من نفىٰ الصفات بأنه يلزمهم من إثباتها كذا وكذا كما تقوله الجهمية: أنه يلزم أن يكون جسمًا أو عَرَضًا فيكون محدَثًا.

وفي كتاب «الفقه الأكبر» المشهور عند أصحاب أبي حنيفة، الذي رووه بالإسناد عن أبي مطيع الحكم بن عبد الله البلخي، قال: سألت أبا حنيفة عن الفقه الأكبر؟ فقال: لا تكفِّرن أحدا بذنب، ولا تنف أحدا به من الإيمان، وتأمر بالمعروف وتنهىٰ عن المنكر، وتعلم أنّ ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولا تتبرّأ من أحد من أصحاب رسول الله ﷺ، ولا تُوالي أحدا دون أحد، وأن ترد أمر عثمان وعلي إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ.

قال أبو حنيفة: الفقه الأكبر في الدِّين خير من الفقه في العلم، ولأَنْ يفقه الرجلُ كيف يعبد ربّه خير له من أن يجمع العلمَ الكثير.

قال أبو مطيع الحكم بن عبد الله: قلت: أخبرني عن أفضل الفقه، قال: تعلُّم الرجل الإيمان، والشرائع والسّنن، والحدود، واختلاف الأئمة، وذَكَرَ مسائل الإيمان، ثم ذكر مسائل القدر، والرد علىٰ القدرية بكلامٍ حسن ليس هـٰذا موضعَه.

ثم قال: قلتُ: فما تقول فيمن يأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر فيتبعه علىٰ ذلك أناس فيخرج علىٰ الجماعة، هل ترىٰ ذلك؟ قال: لا. قلتُ: ولم؟ قال: أمر الله ورسوله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو فريضةٌ واجبة؟ قال: هو كذلك؛ لكن ما يفسدون أكثر مما يصلحون من سفْك الدماء واستحلال الحرام.

قال: وذكر الكلام في قتال الخوارج والبغاة إلىٰ أن قال: قال أبو حنيفة عمن قال لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض: فقد كفر؛ لأن الله يقول: ﴿ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [طه] وعرشه فوق سبع سماوات.

قلتُ: فإن قال: إنه علىٰ العرش استوىٰ، ولكنه يقول: لا أدري العرش في السماء أم في الأرض؟ قال: هو كافر؛ لأنه أنكر أن يكون في السماء؛ لأنه تعالىٰ في أعلىٰ عليين، وأنه يدعىٰ من أعلىٰ لا من أسفل.



وفي لفظ: سألتُ أبا حنيفة عمّن يقول: لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض قال: قد كفر. قال: لأن الله يقول: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه]، وعرشه فوق سبع سماوات، قال: فإنه يقول: علىٰ العرش استوىٰ؛ ولكن لا يدري العرش في الأرض أو في السماء، قال: إذا أنكر أنه في السماء فقد كفر.

ففي هـٰذا الكلام المشهور عن أبي حنيفة عند أصحابه أنه كفَّر الواقف الذي يقول: لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض؛ فكيف يكون الجاحد النافي الذي يقول: ليس في السماء أو ليس في السماء ولا في الأرض، واحتج علىٰ كفره بقوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه]، قال: وعرشه فوق سبع سماوات.

وبيّن بهـٰذا أنّ قوله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ يبين أن الله فوق السمٰوات، فوق العرش، وأن الاستواء علىٰ العرش دلّ علىٰ أنّ الله بنفسه فوق العرش.

ثم أنه أردف ذلك بتكفير من قال: إنه علىٰ العرش استوىٰ؛ ولكن توقف في كون العرش في السماء أم في الأرض، قال: لأنه أنكر أنه في السماء؛ لأن الله في أعلىٰ عليين، وأنه يدعىٰ من أعلىٰ لا من أسفل.

وهـٰذا تصريحٌ من أبي حنيفة بتكفير من أنكر أن يكون الله في السماء، واحتج علىٰ ذلك بأن الله في أعلىٰ عليين وأنه يدعىٰ من أعلىٰ لا من أسفل، وكل من هاتين الحجتين فطرية عقلية، فإن القلوب مفطورة علىٰ الإقرار بأن الله في العلو، وعلىٰ أنه يدعىٰ من أعلىٰ لا من أسفل، وقد جاء اللفظ الآخر صريحًا عنه بذلك فقال: إذا أنكر أنه في السماء فقد كفر.

وروىٰ هـٰذا اللفظ بإسناد عنه شيخُ الإسلام أبو إسماعيل الأنصاري الهروي في كتاب «الفاروق»، وروىٰ أيضا ابن أبي حاتم أن هشام بن عبيد الله الرازي -صاحب محمد بن الحسن، قاضي الرّي- حبس رجلا في التجهّم، فتاب فجيء به إلىٰ هشام ليُطلقه فقال: الحمد لله علىٰ التوبة، فامتحنه هشام فقال: أتشهد أن الله علىٰ عرشه بائن من خلقه؟ فقال: أشهد أن الله علىٰ عرشه، ولا أدري ما بائن من خلقه، فقال: ردوه إلىٰ الحبس فإنه لم يتُب.

وروىٰ أيضا عن يحيىٰ بن معاذ الرازي أنه قال: إنّ الله علىٰ العرش بائن من الخلق، وقد أحاط بكل شيء علما، وأحصىٰ كل شيء عددا، لا يشك في هـٰذه المقالة إلا جهمي رديء ضِلِّيل وهالك مرتاب، يمزج الله بخلقه ويخلط منه الذات بالأقذار والأنتان.



وروىٰ أيضا عن ابن المديني لما سئل ما قول أهل الجماعة قال: يؤمنون بالرؤية والكلام. وأن الله فوق السَّمٰوات علىٰ العرش استوىٰ، فسئل عن قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة:٧]، فقال اقرأ ما قبلها: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [المجادلة:٧].

وروىٰ أيضا عن أبي عيسىٰ الترمذي قال: هو علىٰ العرش كما وصف في كتابه، وعلمه وقدرته وسلطانه في كل مكان.

وروىٰ عن أبي زرعة الرازي أنه لما سئل عن تفسير قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه]، فقال تفسيره كما يقرأ: هو علىٰ العرش وعلمه في كل مكان، ومن قال غير هٰذا فعليه لعنة الله.

وروىٰ أبو القاسم اللالكائي الحافظ الطبري -صاحب أبي حامد الإسفراييني- في كتابه المشهور في «أصول السنة» بإسناده عن محمد بن الحسن -صاحب أبي حنيفة- قال: اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلىٰ المغرب علىٰ الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله ﷺ في صفة الرب عَزَّوَجَلَّ من غير تفسير ولا وصف ولا تشبيه، فمن فسَّر اليوم شيئا منها فقد خرج ممّا كان عليه النبي ﷺ وفارق الجماعة، فإنهم لم يصفوا ولم يفسروا، ولكن أفتوا بما في الكتاب والسنة ثم سكتوا، فمن قال بقول جهم فقد فارق الجماعة؛ لأنه قد وصفه بصفة لا شيء.

محمد بن الحسن أخذ عن أبي حنيفة ومالك وطبقتهما من العلماء، وقد حكىٰ هٰذا الإجماع، وأخبر أن الجهمية تصفه بالأمور السلبية غالبا أو دائما، وقوله: (من غير تفسير) أراد به تفسير الجهمية المعطلة الذين ابتدعوا تفسير الصفات بخلاف ما كان عليه الصحابة والتابعون من الإثبات.

وروىٰ البيهقي وغيره بإسانيد صحيحة عن أبي عبيد القاسم بن سلاّم قال: هٰذه الأحاديث التي يقول فيها «**ضَحِكَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ وَقُرْبِ غِيَرِهِ**»، و«**إِنَّ جَهَنَّمَ لَا تَمْتَلِئُ حَتَّىٰ يَضَعَ رَبُّكَ فِيهَا قَدَمَهُ**»، و«**الْكُرْسِيُّ مَوْضِعُ الْقَدَمَيْنِ**»، وهٰذه الأحاديث في الرؤية هي عندنا حق حملها الثقات بعضهم عن بعض؛ غير أنّا إذا سئلنا عن تفسيرها لا نفسرها، وما أدركْنا أحدا يفسرها.



أبو عبيد أحد الأئمة الأربعة الذين هم: الشافعي، وأحمد، وإسحاق، وأبو عبيد، وله من المعرفة بالفقه واللغة والتأويل ما هو أشهر من أن يوصف، وقد كان في الزمان الذي ظهرت فيه الفتن والأهواء، وقد أخبر أنه ما أدرك أحدًا من العلماء يفسرها -أي: تفسير الجهمية.

وروىٰ اللالكائي والبيهقي بإسنادهما عن عبد الله بن المبارك أن رجلا قال له: يا أبا عبد الرحمـٰن أني أكره الصفة -عني صفة الرب-. فقال له: عبد الله بن المبارك وأنا أشد الناس كراهية لذلك، ولكن إذا نطق الكتاب بشيء قلنا به، وإذا جاءت الآثار بشيء جسرنا عليه ونحو هـٰذا.

أراد ابن المبارك أنا نكره أن نبتدئ بوصف الله من [تلقاء] أنفسنا حتىٰ يجيء به الكتاب والآثار.

وروىٰ عبد الله بن أحمد وغيره بأسانيد صحاح عن ابن المبارك أنه قيل له: بماذا نعرف ربنا؟ قال: بأنه فوق سماواته علىٰ عرشه بائن من خلقه، ولا نقول كما تقول الجهمية: أنه هاهنا في الأرض. وهكذا قال الإمام أحمد وغيره.

وروىٰ بإسناد صحيح عن سليمان بن حرب الإمام، سمعت حماد بن زيد وذكر هؤلاء الجهمية فقال: إنما يحاولون أن يقولوا: ليس في السماء شيء.

وروىٰ ابن أبي حاتم في كتاب «الرد علىٰ الجهمية» عن سعيد بن عامر الضبعي -إمام أهل البصرة علما ودينا من شيوخ الإمام أحمد- أنه ذكر عنده الجهمية فقال: هم أشر قولا من اليهود والنصارىٰ، وقد أجمع اليهود والنصارىٰ وأهل الأديان مع المسلمين علىٰ أن الله علىٰ العرش، وهم قالوا: ليس علىٰ شيء.

وقال محمد بن إسحاق بن خزيمة إمام الأئمة: من لم يقل: إن الله فوق سماواته علىٰ عرشه بائن من خلقه وجب أن يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه، ثم ألقي علىٰ مزبلة لئلا يتأذىٰ بنتن ريحه أهل القبلة، ولا أهل الذمة. ذكره عنه الحاكم بإسناد صحيح.

وروىٰ عبد الله ابن الإمام أحمد بإسناده عن عباد بن العوام الواسطي -إمام أهل واسط من طبقة شيوخ الشافعي وأحمد- قال: كلمتُ بشرا المريسي، وأصحاب بشر فرأيت آخر كلامهم ينتهي أن يقولوا: ليس في السماء شيء.

وعن عبد الرحمـٰن بن مهدىٰ الإمام المشهور أنه قال: ليس في أصحاب الأهواء شر من



أصحاب جهم، يدورون علىٰ أن يقولوا: ليس في السماء شيء، أرىٰ والله ألَّا يناكحوا ولا يوارثوا.

وروىٰ عبد الرحمٰن بن أبي حاتم في كتاب «الرد علىٰ الجهمية» عن عبد الرحمٰن بن مهديٰ قال: أصحاب جهم يريدون أن يقولوا: إن الله لم يكلم موسىٰ، ويريدون أن يقولوا: ليس في السماء شيء، وإن الله ليس علىٰ العرش. أرىٰ أن يستتابوا فإن تابوا وإلا قتلوا.

وعن الأصمعي، قال: قدمت امرأة جهم فنزلت بالدباغين، فقال رجل عندها: الله علىٰ عرشه، فقالت: محدود علىٰ محدود، فقال الأصمعي: كفرت بهٰذه المقالة.

وعن عاصم بن علي بن عاصم -شيخ أحمد والبخاري وطبقتهما- قال: ناظرت جهميًّا فتبين من كلامه أنه لا يؤمن أنّ في السماء ربًّا.

وروىٰ الإمام أحمد ابن حنبل الشيباني قال: أخبرنا سريج بن النعمان، قال: سمعت عبد الله بن نافع الصائغ قال: سمعت مالك بن أنس يقول: الله في السماء، وعلمه في كل مكان لا يخلو من علمه مكان.

وقال الشافعي: خلافة أبي بكر الصديق حقّ قضاه الله في سمائه وجمع عليه قلوب عباده.

وفي الصحيح عن أنس بن مالك قال: كانت زينب تفتخر علىٰ أزواج النبي ﷺ تقول: زوجكن أهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سماوات. وهٰذا مثل قول الشافعي.

وقصة أبي يوسف -صاحب أبي حنيفة- مشهورة في استتابة بشر المريسي حتىٰ هرب منه لما أنكر الصفات وأظهر قول جهم. قد ذكرها بن أبي حاتم وغيره.

وقال أبو عبد الله محمد بن أبي زَمَنِين -الإمام المشهور من أئمة المالكية- في كتابه الذي صنفه في أصول السنة قال فيه: باب الإيمان بالعرش.

قال: ومن قول أهل السنة: أن الله عَزَّوَجَلَّ خلق العرش واختصه بالعلو والارتفاع فوق جميع ما خلق ثم استوىٰ عليه كيف شاء، كما أخبر عن نفسه في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥﴾ [طه]، وقوله: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الحديد:٤] الآية.

فسبحان من بعد وقرب بعلمه، فسمع النجوىٰ، وذكر حديث أبي رزين العقيلي؛ قلتُ:



يا رسول الله: أين كان ربنا قبل أن يخلق السمٰوات والأرض؟ قال: «**فِي عَمَاءٍ؛ مَا تَحْتَهُ هَوَاءٌ وَمَا فَوْقَهُ هَوَاءٌ، ثُمَّ خَلَقَ عَرْشَهُ عَلَىٰ الْمَاءِ**» قال محمد: العماء السحاب الكثيف المُطْبِق – فيما ذكره الخليل– وذكر آثارًا أخر.

ثم قال: باب الإيمان بالكرسي. قال محمد بن عبد الله: ومن قول أهل السنة أن الكرسي بين يدي العرش، وأنه موضع القدمين. ثم ذكر حديث أنس الذي فيه التجلي يوم الجمعة في الآخرة، وفيه فإذا كان يوم الجمعة هبط من عليين علىٰ كرسيه، ثم يحف الكرسي علىٰ منابر من ذهب مكللة بالجواهر، ثم يجيء النبيون فيجلسون عليها.

وذكر ما ذكره يحيىٰ بن سلام صاحب التفسير المشهور: حدثني المعلا بن هلال، عن عمار الدهني، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: إن الكرسي الذي وسع السمٰوات والأرض وموضع القدمين، ولا يعلم قدر العرش إلا الذي خلقه.

وذكر من حديث أسد بن موسىٰ، ثنا حماد بن سلمة، عن عاصم، عن زر، عن ابن مسعود، قال: ما بين السماء الدنيا والتي تليها مسيرة خمسمائة عام، وبين كل سماء خمسمائة عام، وبين السّماء السّابعة والكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي والماء خمسمائة عام، والعرش فوق الماء، والله فوق العرش، وهو يعلم ما أنتم عليه.

ثم قال: في باب الإيمان بالحجب، قال: ومن قول أهل السنة: إن الله بائن من خلقه يحتجب عنهم بالحجب فتعالىٰ الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا، ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝٥﴾ [الكهف]، وذكر آثارا في الحجب.

ثم قال: في باب الإيمان بالنزول، قال: ومن قول أهل السنة: إن الله ينزل إلىٰ سماء الدنيا، ويؤمنون بذلك من غير أن يحدّوا فيه حدًّا، وذكر الحديث من طريق مالك وغيره. إلىٰ أن قال: وأخبرني وهب، عن ابن وضاح، عن الزهري، عن ابن عباد قال: ومن أدركت من المشايخ –مالك وسفيان وفضيل بن عياض وعيسىٰ وابن المبارك ووكيع– كانوا يقولون: إنّ النزول حق.

قال ابن وضاح: وسألت يوسف بن عدي عن النزول، قال: نعم. أومن به ولا أحد فيه حدا. وسألت عنه ابن معين، فقال: نعم أُقِرُّ به ولا أحد فيه حدا.

قال محمد: وهـٰذا الحديث يبين أن الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ العرش في السّماء دون الأرض، وهو



أيضا بيّن في كتاب الله وفيما غير حديث عن رسول الله ﷺ، قال تعالىٰ: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة]، وقال تعالىٰ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾﴾ [الملك]، وقال تعالىٰ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾[فاطر:١٠]، وقال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام:١٨ و٦١]، وقال تعالىٰ: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [آل عمران:٥٥]، وقال: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء:١٥٨].

وذكر من طريق مالك قول النبي ﷺ للجارية: «**أَيْنَ اللهُ؟**» قالت: في السماء. قال: «**مَنْ أَنَا؟**» قالت: أنت رسول الله. قال: «**فَأَعْتِقْهَا**».

قال: والأحاديث مثل هـٰذا كثيرة جدا، فسبحان من علمه بما في السماء كعلمه بما في الأرض، لا إلـٰه إلا هو العلي العظيم.

وقال قبل ذلك: باب في الإيمان بصفات الله تعالىٰ وأسمائه، قال: واعلم بأن أهل العلم بالله وبما جاءت به أنبياؤه ورسله، يرون الجهل بما لم يخبر به عن نفسه علما، والعجز عما لم يدع إليه إيمانًا، وأنهم إنّما ينتهون من وصفه بصفاته وأسمائه إلىٰ حيث انتهىٰ في كتابه، وعلىٰ لسان نبيه.

وقد قال -وهو أصدق القائلين-: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص:٨٨]، وقال: ﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام:١٩]، وقال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران:٢٨ و٣٠]، وقال: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [الحجر:٢٩]، وقال ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور:٤٨]، وقال: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾﴾ [طه]، وقال: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤]، وقال: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الزمر:٦٧]، وقال: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [طه]، وقال: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [النساء]، وقال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور:٣٥] الآية، وقال: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة:٢٥٥] الآية، وقال: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد:٣]، ومثل هـٰذا في القرآن كثير.



فهو تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ نور السّمٰوات والأرض، كما أخبر عن نفسه، وله وجهٌ ونفس وغير ذلك مما وصف به نفسه، ويسمع ويرىٰ ويتكلّم، هو الأوّل لا شيء قبله، والآخر الباقي إلىٰ غير نهاية ولا شيء بعده، والظّاهر العالي فوق كلّ شيء والباطن بَطُنَ علمُه بخلقه فقال: وهو بكل شيء عليم، حي قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم.

وذكر أحاديث الصفات ثم قال: فهٰذه صفات ربنا التي وصف بها نفسه في كتابه، ووصفه بها نبيّه، وليس في شيء منها تحديد ولا تشبيه ولا تقدير، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ⑪﴾ [الشورىٰ]، لم تره العيون فتحدَّه كيف هو، ولكن رأته القلوب في حقائق الإيمان. ا.هـ.

وكلام الأئمة في هٰذا الباب أطول وأكثر من أن تسع هٰذه الفتيا عُشره، وكذلك كلام الناقلين لمذهبهم.

مثل ما ذكره أبو سليمان الخطَّابي في رسالته المشهورة في «الغنية عن الكلام وأهله»، قال: فأما ما سألت عنه من الصفات وما جاء منها في الكتاب والسنة. فإن مذهب السلف إثباتها وإجراؤها علىٰ ظواهرها، ونفي الكيفية والتشبيه عنها، وقد نفاها قوم فأبطلوا ما أثبته الله، وحققها قوم من المثبتين فخرجوا في ذلك إلىٰ ضربٍ من التشبيه والتكييف، وإنما القصد في سلوك الطريقة المُستقيمة بين الأمرين، ودين الله تعالىٰ بين الغالي فيه والجافي والمقصّر عنه.

والأصل في هٰذا: أن الكلام في الصِّفات فرع علىٰ الكلام في الذات، ويُحتذا في ذلك حذوه وأمثاله. فإذا كان معلومًا أن إثبات الباري سبحانه إنما هو إثبات وجود لا إثبات كيفية، فكذلك إثبات صفاته إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف.

فإذا قلنا: يد وسمع وبصر وما أشبهها، فإنما هي صفات أثبتها الله لنفسه، ولسنا نقول: أن معنىٰ اليد القوة أو النعمة، ولا معنىٰ السمع والبصر العلم، ولا نقول: إنها جوارح، ولا نشبهها بالأيدي وبالأسماع وبالأبصار التي هي جوارح وأدوات للفعل، ونقول: إن القول إنما وجب بإثبات الصفات؛ لأن التوقيف ورد بها، ووجب نفي التشبيه عنها؛ لأن الله ليس كمثله شيء، وعلىٰ هٰذا جرىٰ قول السلف في أحاديث الصِّفات. هٰذا كله كلام الخطابي.

وهكذا قاله أبو بكر الخطيب الحافظ في رسالة له أخبر فيها أن مذهب السَّلف علىٰ



ذلك.

وهٰذا الكلام الذي ذكره الخطّابي قد نقل نحوًا منه من العلماء من لا يُحصىٰ عددهم مثل أبي بكر الإسماعيلي، والإمام يحيىٰ بن عمار السّجزي، وشيخ الإسلام أبي إسماعيل الهروي، صاحب «منازل السائرين وذم الكلام» وهو أشهر من أن يوصف، وشيخ الإسلام أبي عثمان الصابوني، وأبي عمر ابن عبد البر النمري إمام المغرب، وغيرهم.

وقال أبو نعيم الأصبهاني صاحب «الحلية» في عقيدة له قال في أولها: طريقتنا طريقة المتبعين للكتاب والسنة وإجماع الأمة؛ قال: فمما اعتقدوه أنّ الأحاديث التي ثبتت عن النبي ﷺ في العرش واستواء الله يقولون بها ويثبتونها من غير تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه، وإنَّ الله بائن من خلقه، والخلق بائنون منه، لا يحلُّ فيهم ولا يمتزج بهم، وهو مستوٍ علىٰ عرشه في سمائه دون أرضه وخلقه.

وقال الحافظ أبو نعيم في كتابه «محجة الواثقين ومَدرجة الوامقين» تأليفه: وأجمعوا أنّ الله فوق سماواته عالٍ علىٰ عرشه مستوٍ عليه، لا مستولٍ عليه كما تقول الجهمية: إنه بكل مكان خلافا لما نزل في كتابه ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك:١٦]، ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر:١٠]، ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه]، له العرش المستوي عليه والكرسي الذي وسع السَّمٰوات والأرض، وهو قوله: ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ﴾ [البقرة:٢٥٥]، وكرسيه جسم، والأرضون السبع والسَّمٰوات السبع عند الكرسي كحلقة في أرض فلاة، وليس كرسيه علمه كما قالت الجهمية؛ بل يوضع كرسيه يوم القيامة لفصل القضاء بين خلقه، كما قاله النبيُّ ﷺ، وأنه تعالىٰ وتقدس يجيء يوم القيامة لفصل القضاء بين عباده والملائكة صفًّا صفا، كما قال تعالىٰ: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ۝٢٢﴾ [الفجر]، وزاد النبي ﷺ وأنه تعالىٰ وتقدس يجيء يوم القيامة لفصل القضاء بين عباده فيغفر لمن يشاء من مذنبي الموحِّدين، ويعذب من يشاء. كما قال تعالىٰ: ﴿يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ﴾ [آل عمران:١٢٩، المائدة:١٨، الفتح:١٤].

وقال الإمام العارف معمر بن أحمد الأصبهاني -شيخ الصوفية في حدود المائة الرابعة في بلاده- قال: أحببت أن أوصي أصحابي بوصية من السنة وموعظة من الحكمة، وأجمع ما كان عليه أهل الحديث والأثر بلا كيف وأهل المعرفة والتصوف من المتقدمين



والمتأخرين.

قال فيها: وأن الله استوىٰ علىٰ عرشه بلا كيف، ولا تشبيه، ولا تأويل، والاستواء معقول والكيف فيه مجهول، وأنه عَزَّوَجَلَّ مستوٍ علىٰ عرشه بائن من خلقه، والخلق منه بائنون، بلا حلول ولا ممازجة، ولا اختلاط ولا ملاصقة؛ لأنه المنفرد البائن من الخلق، الواحد الغني عن الخلق، وأنّ الله عَزَّوَجَلَّ سميع، بصير، عليم، خبير، يتكلم، ويرضىٰ ويسخط، ويضحك، ويعجب، ويتجلَّىٰ لعباده يوم القيامة ضاحكًا، وينزل كل ليلة إلىٰ سماء الدنيا كيف شاء، فيقول: «هَلْ مِنْ دَاعٍ فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ؟ هَلْ مِنْ تَائِبٍ فَأَتُوبَ عَلَيْهِ؟» حتىٰ يطلع الفجر، ونزول الرب إلىٰ السماء بلا كيف ولا تشبيه، ولا تأويل، فمن أنكر النزول أو تأول فهو مبتدع ضال، وسائر الصفوة من العارفين علىٰ هٰذا. ا.هـ

وقال الشيخ الإمام أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون الخلال في كتاب «السنة»: ثنا أبو بكر الأثرم، ثنا إبراهيم بن الحارث -يعني: العبّادي-، حدثنا الليث بن يحيىٰ، قال: سمعت إبراهيم بن الأشعث، قال أبو بكر -وهو صاحب الفضيل- قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول: ليس لنا أن نتوهم في الله كيف هو؛ لأن الله تعالىٰ وصف نفسه فأبلغ فقال: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص]، فلا صفةَ أبلغُ مما وصف به نفسه.

وكلّ هٰذا: النزول، والضحك، وهٰذه المباهاة، وهٰذا الاطلاع، كما يشاء أن ينزل، وكما يشاء أن يباهي، وكما يشاء أن يضحك، وكما يشاء أن يطَّلع. فليس لنا أن نتوهم كيف وكيف؟ فإذا قال الجهمي: أنا أكفر بربٍّ يزول عن مكانه. فقل: بل أومن برب يفعل ما يشاء.

ونَقل هٰذا عن الفضيل جماعة؛ منهم البخاري في «خلق أفعال العباد»، ونقله شيخ الإسلام بإسناده في كتابه «الفاروق» فقال: ثنا يحيىٰ بن عمار، ثنا أبي، ثنا يوسف بن يعقوب، ثنا حرمي بن علي البخاري وهانئ بن النضر، عن الفضيل.

وقال عمرو بن عثمان المكي في كتابه الذي سماه «التعرف بأحوال العباد والمتعبدين» قال: باب ما يجيء به الشيطان للتائبين، وذكر أنه يوقعهم في القنوط، ثم في الغرور وطول الأمل، ثم في التوحيد، فقال: من أعظم ما يوسوس في التوحيد بالتشكيك أو في صفات



الرب بالتمثيل والتشبيه، أو بالجحد لها والتعطيل. فقال بعد ذكر حديث الوسوسة:

واعلم -رحمك الله- أن كلما توهمه قلبك، أو سنح في مجاري فكرك، أو خطر في معارضات قلبك من حسن أو بهاء، أو ضياء أو إشراق، أو جمال، أو سنح مسائل، أو شخص متمثل: فالله تعالىٰ بغير ذلك؛ بل هو تعالىٰ أعظم وأجل وأكبر، ألا تسمع لقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورىٰ:١١]، وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص] أي: لا شبيه ولا نظير ولا مساوي ولا مِثل، أو لم تعلم أنه لما تجلَّىٰ للجبل تدكدك لعظم هيبته، وشامخ سلطانه، فكما لا يتجلّىٰ لشيء إلا اندك، كذلك لا يتوهمه أحد إلا هلك، فَرُدَّ بما بيّن الله في كتابه من نفيه عن نفسه التشبيه والمثل والنظير والكفْء.

فإن اعتصمت بها وامتنعت منه أتاك من قبل التعطيل لصفات الرّب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وتقدس في كتابه وسنة رسوله محمّد ﷺ فقال لك: إذا كان موصوفا بكذا أو وصفته أوجب له التشبيه فأكذبه؛ لأنه اللّعين إنما يريد أن يستزلك ويُغويك ويدخلك في صفات الملحدين الزائغين الجاحدين لصفة الرب تعالىٰ.

واعلم -رحمك الله تعالىٰ- أنَّ الله تعالىٰ واحد لا كالآحاد، فرد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، إلىٰ أن قال: خلُصت له الأسماء السَّنية فكانت واقعة في قديم الأزل بصدق الحقائق، لم يستحدث تعالىٰ صفة كان منها خليّا، واسما كان منه بريّا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فكان هاديا سيهدي، وخالقا سيخلق، ورازقا سيرزق، وغافرا سيغفر، وفاعلا سيفعل، ولم يحدث له الاستواء إلا وقد كان في صفة أنه سيكون ذلك الفعل، فهو يسمّىٰ به في جملة فعله، كذلك قال الله تعالىٰ: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾[الفجر:٢٢] بمعنىٰ أنه سيجيء، فلم يستحدث الاسم بالمجيء، وتخلُّف الفعل لوقت المجيء، فهو جاء سيجيء، ويكون المجيء منه موجودا بصفة لا تلحقه الكيفية ولا التشبيه؛ لأن ذلك فعل الربوبية، فيستحسر العقل وتنقطع النفس عند إرادة الدخول في تحصيل كيفية المعبود، فلا تذهب في أحد الجانبين لا معطلا ولا مشبّها، وارض لله بما رضي به لنفسه، وقِف عند خبره لنفسه مسلما مستسلمًا، مصدقا؛ بلا مباحثة التنفير ولا مناسبة التنقير.

إلىٰ أن قال: فهو عَزَّوَجَلَّ القائل: أنا الله، لا الشجرة، الجائي قبل أن يكون جائيا، لا أمره المتجلي لأوليائه في المعاد؛ فتبيضّ به وجوههم، وتفلُج به علىٰ الجاحدين حجتهم،



المستوي علىٰ عرشه بعظمة جلاله فوق كل مكان تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، الذي كلم موسىٰ تكليما، وأراه من آياته، فسمع موسىٰ كلام الله لأنه قرَّبه نجيًّا، تقدَّس أن يكون كلامه مخلوقا أو محدَثا أو مربوبا، والوارث بخلقه لخلقه السميع لأصواتهم، الناظر بعينه إلىٰ أجسامهم، يداه مبسوطتان، وهما غير نعمته، خلق آدم ونفخ فيه من روحه -وهو أمره-، تعالىٰ وتقدس أن يحل بجسم، أو يمازج بجسم، أو يلاصق به تعالىٰ عن ذلك علوا كبيرا، الشائي له المشيئة، العالم له العلم، الباسط يديه بالرحمة، النازل كل ليلة إلىٰ سماء الدنيا ليتقرب إليه خلقه بالعبادة، وليرغبوا إليه بالوسيلة، القريب في قربه من حبل الوريد، البعيد في علوه من كل مكان بعيد، ولا يشبّه بالناس.

إلىٰ أن قال: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾ [فاطر:١٠]، القائل ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ١٦ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ﴾ [الملك] تعالىٰ وتقدس أن يكون في الأرض كما هو في السماء جل عن ذلك علوا كبيرا. ا.هـ.

وقال الإمام أبو عبد الله الحارث بن إسماعيل بن أسد المحاسبي في كتابه المسمىٰ «فهم القرآن» قال -في كلامه علىٰ الناسخ والمنسوخ وأنّ النسخ لا يجوز في الأخبار- قال: لا يحل لأحد أن يعتقد أنّ مدح الله وصفاته ولا أسمائه يجوز أن ينسخ منها شيء.

إلىٰ أن قال: وكذلك لا يجوز إذا أخبر أن صفاته حسنة عُليا أن يخبر بعد ذلك أنها دنية سفلىٰ، فيصف نفسه بأنه جاهل ببعض الغيب بعد أن أخبر أنه عالم بالغيب، وأنه لا يبصر ما قد كان، ولا يسمع الأصوات، ولا قدرة له، ولا يتكلم، ولا الكلام كان منه، وأنه تحت الأرض لا علىٰ العرش جَلَّوَعَلَا عن ذلك.

فإذا عرفت ذلك واستيقنته علمت ما يجوز عليه النسخ وما لا يجوز، فإن تلوت آية في ظاهر تلاوتها تحسب أنها ناسخة لبعض أخباره كقوله عن فرعون ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ﴾ [يونس:٩٠] الآيات، وقال: ﴿حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [محمد:٣١].

وقال: قد تأول قوم أن الله عنىٰ أن ينجيه ببدنه من النار لأنه آمن عند الغرق، وقال: إنما ذكر اللهُ أن قوم فرعون يدخلون النار دونه، وقال ﴿فَأَوۡرَدَهُمُ ٱلنَّارَۖ﴾ [هود:٩٨]، وقال:



﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ۝٤٥﴾ [غافر]، ولم يقل بفرعون، قال: وهكذا الكذب على الله؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ ۝٢٥﴾ [النازعات]، كذلك قوله: ﴿فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ﴾ [العنكبوت:٣] فاقرأ التلاوة على استئناف العلم من الله عَزَّوَجَلَّ عن أن يستأنف علما بشيء؛ لأنه من ليس له علم بما يريد أن يصنعه لم يقدر أن يصنعه -نجده ضرورة.

قال: ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ۝١٤﴾ [الملك]، قال: وإنما قوله: ﴿حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ﴾ إنما يريد حتى نراه، فيكون معلوما موجودا؛ لأنه لا جائز أن يكون يعلم بالشيء معدوما من قبل أن يكون، ويعلمه موجودا كان قد كان، فيعلم في وقت واحد معدوما موجودا، وإن لم يكن وهذا محال.

وذكر كلاما في هذا في الإرادة.

إلى أن قال: وكذلك قوله: ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ ۝١٥﴾ [الشعراء] ليس معناه أنه يحدث له سمعا، ولا تكلفٌ لسمع ما كان من قولهم، وقد ذهب قوم من أهل السنة أنَّ لله استماعا في ذاته، فذهبوا إلى أنَّ ما يعقل من أنه يحدث منهم عُلم سمع لما كان من قول؛ لأن المخلوق إذا سمع حدث له عُقد فهم عما أدركته أذنه من الصوت، وكذلك قوله: ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ﴾ [التوبة:١٠٥]، لا يستحدث بصرا محدثا في ذاته، وإنما يحدث الشيء فيراه مكونا كما لم يزل يعلمه قبل كونه.

إلى أن قال: وكذلك قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام:١٨ و٦١]، وقوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه]، وقوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك:١٦]، وقوله: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾ [فاطر:١٠]، وقال: ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ﴾[السجدة:٥]، وقال: ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ﴾[المعارج:٤]، وقال لعيسى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [آل عمران:٥٥] الآية، وقال: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِ﴾ [النساء:١٥٨]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ﴾ [الأعراف:٢٠٦].

وذكر الآلهة أن لو كانوا آلهة لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا حيث هو فقال: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٞ كَمَا يَقُولُونَ إِذٗا لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا ۝٤٢﴾ [الإسراء]، أي: طلبه،



وقال: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ [الأعلىٰ].

قال أبو عبد الله: فلن ينسخ ذلك لهٰذا أبدا.

كذلك قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَـٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَـٰهٌ﴾ [الزخرف:٨٤]، وقوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ۝١٦﴾ [ق]، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ [الأنعام:٣]، وقوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَـٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة:٧] الآية، فليس هـٰذا بناسخ لهـٰذا، ولا هـٰذا ضد لذلك.

واعلم أن هـٰذه الآيات ليس معناها أن الله أراد الكون بذاته فيكون في أسفل الأشياء، أو ينتقل فيها لانتقالها، ويتبعض فيها علىٰ أقدارها، ويزول عنها عند فنائها، جل وعز عن ذلك، وقد نزع بذلك بعض أهل الضلال، فزعموا أن الله تعالىٰ في كل مكان بنفسه كائنا، كما هو علىٰ العرش، لا فرقان بين ذلك عندهم، ثم أحالوا في النفي بعد تثبيت ما يجوز عليه في قولهم ما نفوه؛ لأن كل من يثبت شيئا في المعنىٰ ثم نفاه بالقول لم يغن عنه نفيه بلسانه، واحتجوا بهـٰذه الآيات؛ أنّ الله تعالىٰ في كل شيء بنفسه كائنا ثم نفوا معنىٰ ما أثبتوه، فقالوا: لا كالشيء في الشيء.

قال أبو عبد الله: أمّا قوله: ﴿حَتَّىٰ نَعْلَمَ﴾ [محمد:٣١]، ﴿وَسَيَرَى ٱللَّهُ﴾ [التوبة:٩٤]، و﴿إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ۝١٥﴾ [الشعراء:١٥]، فإنما معناه حتىٰ يكون الموجود فيعلمه موجودا، ويسمعه مسموعا، ويبصره مُبْصَرا لا علىٰ استحداث علم ولا سمع ولا بصر.

وأما قوله: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ﴾ [الإسراء:١٦]، إذا جاء وقت كون المراد فيه.

وأن قوله: ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه]، ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأعراف:١٨ و٦١] الآية، ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾ [الملك:١٦] ﴿إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ۝٤٢﴾ [الإسراء]، فهـٰذا وغيره مثل قوله ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج:٤]، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾[فاطر:١٠]، هـٰذا منقطع يوجب أنه فوق العرش، فوق الأشياء كلها منزه عن الدخول في خلقه، لا يخفىٰ عليه منهم خافية؛ لأنه أبان في هـٰذه الآيات أنه أراد أنه بنفسه فوق عباده؛ لأنه قال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾ [الملك:١٦]، يعني فوق العرش والعرش علىٰ السماء؛ لأن من قد كان فوق كل شيء علىٰ السماء في السماء، وقد قال مثل ذلك في قوله: ﴿فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾



[التوبة:٢]، يعني علىٰ الأرض، لا يريد الدخول في جوفها. وكذلك قوله: ﴿يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِۚ﴾ [المائدة:٢٦] يعني علىٰ الأرض لا يريد الدخول في جوفها، وكذلك قوله: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه:٧١] يعني فوقها عليها.

وقال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ﴾، ثم فصل فقال: ﴿أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾ [الملك:١٦]، ولم يصل فلم يكن لذلك معنىٰ -إذ فصل قوله: ﴿مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾، ثم استأنف التخويف بالخسف-، إلا أنه علىٰ عرشه فوق السماء.

وقال تعالىٰ: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة:٥]، وقال ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج:٤]، فبين عروج الأمر وعروج الملائكة، ثم وصف وقت صعودها بالارتفاع صاعدة إليه فقال: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤﴾ [المعارج]، فقال صعودها إليه، وفصله من قوله: ﴿إِلَيْهِ﴾ كقول القائل: اصعد إلىٰ فلان في ليلة أو يوم، وذلك أنه في العلو وأن صعودك إليه في يوم، فإذا صعدوا إلىٰ العرش فقد صعدوا إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، وإن كانوا لم يروه ولم يساووه في الارتفاع في علوه فإنهم صعدوا من الأرض وعرجوا بالأمر إلىٰ العلو، قال تعالىٰ: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِۚ﴾[النساء:١٥٨]، ولم يقل عنده.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ۝٣٦ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ ثم استأنف الكلام فقال: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًاۚ﴾ [غافر]، فيما قال: قال لي أن إلهه فوق السَّمٰوات.

فبين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنّ فرعون ظن بموسىٰ أنه كاذب فيما قال: وعمد لطلبه حيث قاله مع الظن بموسىٰ أنه كاذب، ولو أن موسىٰ قال إنه في كل مكان بذاته لطلبه في بيته أو في بدنه أو حُشِّه، فتعالىٰ الله عن ذلك، ولم يجهد نفسه ببنيان الصرح.

قال أبو عبد الله: وأما الآية التي يزعمون أنها قد وصلها ولم يقطعها كما قطع الكلام الذي أراد به أنه علىٰ عرشه فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۖ﴾ [المجادلة:٧]، فأخبر بالعلم ثم أخبر أنه مع كل مناجٍ، ثم ختم الآية بالعلم بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٧﴾ [المجادلة]، فبدأ بالعلم وختم بالعلم، فبين أنه أراد أنه يعلمهم حيث كانوا لا يخفون عليه، ولا يخفىٰ عليه مناجاتهم، ولو اجتمع القوم في أسفل وناظر



إليهم في العلو فقال: إني لم أزل أراكم وأعلم مناجاتكم لكان صادقًا -ولله المثل الأعلىٰ أن يشبه الخلق- فإن أبوا إلا ظاهر التِّلاوة، وقالوا هـٰذا منكم دعوىٰ. خرجوا عن قولهم في ظاهر التلاوة؛ لأن من هو مع الاثنين فأكثر هو معهم لا فيهم، ومن كان مع شيء خلا منه جسمه وهـٰذا خروج من قولهم.

وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ١٦﴾ [ق]؛ لأن ما قرب من الشيء ليس هو في الشيء ففي ظاهر التلاوة علىٰ دعواهم أنه ليس في حبل الوريد.

وكذلك قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف:٨٤]، لم يقل: في السماء ثم قطع -كما قال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك:١٦] ثم قطع فقال: ﴿أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾ [الملك:١٦]- فقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ﴾ يعني إله أهل السماء إله أهل الأرض وذلك موجود في اللغة، تقول فلان أمير في خراسان، وأمير في بَلْخ، وأمير في سمرقند، وإنما هو في موضع واحد، ويخفىٰ عليه ما وراءه، فكيف العالي فوق الأشياء لا يخفىٰ عليه شيء من الأشياء يدبّره، فهو إله فيهما إذ كان مدبِّرا لهما، وهو علىٰ عرشه وفوق كل شيء تعالىٰ عن الأشباه والأمثال.

وقال الإمام أبو عبد الله محمد بن خفيف في كتابه الذي سماه: «اعتقاد التوحيد بإثبات الأسماء والصفات» قال في آخر خطبته: فاتفقت أقوال المهاجرين والأنصار في توحيد الله ﷻ، ومعرفة أسمائه وصفاته وقضائه، قولا واحدا وشرعًا ظاهرا، وهم الذين نقلوا عن رسول الله ﷺ ذلك حتىٰ قال: «**عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي**» وذكر الحديث، وحديث «**لَعَنَ اللهُ مَنْ أَحْدَثَ حَدَثًا**» قال: فكانت كلمة الصحابة علىٰ الاتفاق من غير اختلاف، وهم الذين أُمرنا بالأخذ عنهم إذ لم يختلفوا بحمد الله تعالىٰ في أحكام التوحيد وأصول الدِّين من الأسماء والصفات، كما اختلفوا في الفروع، ولو كان منهم في ذلك اختلافٌ لنُقل إلينا كما نقل سائر الاختلاف، فاستقرَّ صحة ذلك عند خاصتهم وعامتهم حتىٰ أدوا ذلك إلىٰ التابعين لهم بإحسان، فاستقرّ صحة ذلك عند العلماء المعروفين حتىٰ نقلوا ذلك قرنًا بعد قرن؛ لأن الاختلاف كان عندهم في الأصل كفر ولله المنة.

ثم إني قائل وبالله أقول: إنه لما اختلفوا في أحكام التوحيد وذكر الأسماء والصفات علىٰ خلاف منهج المتقدمين من الصحابة والتابعين، فخاض في ذلك من لم يعرفوا بعلم الآثار،



ولم يعقلوا قولهم بذكر الأخبار، وصار معوّلهم علىٰ أحكام هواجس النفوس المستخرجة من سوء الطوية علىٰ مخالفة السنة، والتعلق منهم بآيات لم يسعدهم فيها ما وافق النفوس، فتأولوا علىٰ ما وافق هواهم وصححوا بذلك مذاهبهم، احتجت إلىٰ الكشف عن صفة المتقدمين، ومأخذ المؤمنين، ومنهاج الأولين؛ خوفا من الوقوع في جملة أقاويلهم التي حذر رسول الله ﷺ أمته ومنع المستجيبين له حتىٰ حذرهم.

ثم ذكر أبو عبد الله خروج النبي ﷺ وهم يتنازعون في القدر وغضبه، وحديث: «**لَأُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ**» وحديث: «**سَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَىٰ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً**» وأن الناجية ما كان عليه هو وأصحابه.

ثم قال: فلزم الأمةَ قاطبة معرفةُ ما كان عليه الصحابة، ولم يكن الوصول إليه إلا من جهة التابعين لهم بإحسان المعروفين بنقل الأخبار ممن لا يقبل المذاهب المحدثة، فيتّصل ذلك قرنا بعد قرن ممّن عرفوا بالعدالة والأمانة، المحافظين علىٰ الأمة ما لهم وما عليهم من إثبات السنة.

إلىٰ أن قال: فأول ما نبتدئ به ما أوردنا هـٰذه المسألة من أجلها، ذكر أسماء الله عَزَّوَجَلَّ وصفاته مما ذكر الله في كتابه، وما بين ﷺ من صفاته في سنته، وما وصف به عَزَّوَجَلَّ نفسه مما سنذكر قول القائلين بذلك ممّا لا يجوز لنا في ذلك أن نرده إلىٰ أحكام عقولنا بطلب الكيفية بذلك، ومما قد أُمرنا بالاستسلام له.

إلىٰ أن قال: ثم إن الله تعرّف إلينا بعد إثبات الوحدانية، والإقرار بالألوهية: إن ذكر تعالىٰ في كتابه بعد التحقيق، بما بدأ من أسمائه وصفاته، وأكده عليه السلام بقوله، فقبلوا منه كقبولهم لأوائل التوحيد من ظاهر قوله: لا إله إلا الله.

إلىٰ أن قال بإثبات نفسه بالتفصيل من المجمل، فقال لموسىٰ عليه السلام: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ۝٤١﴾ [طه]، وقال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران:٢٨ و٣٠].

ولصحة ذلك، واستقرار ما جاء به المسيح عليه السلام فقال: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة:١١٦].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام:٥٤]، وأكد عليه السلام صحة



إثبات ذلك في سنته فقال يقول الله عَزَّوَجَلَّ «مَنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي».

وقال: «كَتَبَ كِتَابًا بِيَدِهِ عَلَىٰ نَفْسِهِ أَنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي»، وقال: «سُبْحَانَ اللهِ رِضَىٰ نَفْسِهِ» وقال في محاجة آدم لموسىٰ: «أَنْتَ الَّذِي اصْطَفَاكَ اللهُ وَاصْطَنَعَكَ لِنَفْسِهِ».

فقد صرح بظاهر قوله: أنه أثبت لنفسه نفسا، وأثبت له الرسول ذلك؛ فعلىٰ من صدق الله ورسوله اعتقاد ما أخبر الله به عن نفسه، ويكون ذلك مبنيا علىٰ ظاهر قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورىٰ:١١].

ثم قال: فعلىٰ المؤمنين خاصتهم وعامتهم قبول كل ما ورد عنه عليه السلام بنقل العدل عن العدل حتىٰ تصل به ﷺ، وأن مما قضىٰ الله علينا في كتابه ووصف به نفسه ووردت السنة بصحة ذلك أن قال: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، ثم قال عقيب ذلك: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ [النور:٣٥]، وبذلك دعاه ﷺ «أَنْتَ نُورُ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ»، ثم ذكر حديث أبي موسىٰ «حِجَابُهُ النُّورُ -أَوِ النَّارُ- لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَىٰ إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ» وقال: «سُبُحَاتُ وَجْهِهِ» جلاله ونوره، نقله عن الخليل وأبي عبيد، وقال: قال عبد الله بن مسعود: نور السَّمٰوات نور وجهه.

ثم قال: ومما ورد به النص أنه حي، وذكر قوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة:٢٥٥] والحديث «يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ؛ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ».

قال: ومما تعرف الله إلىٰ عباده أنْ وصف نفسه أن له وجها موصوفا بالجلال والإكرام فأثبت لنفسه وجهًا، وذكر الآيات.

ثم ذكر حديث أبي موسىٰ المتقدم فقال في هٰذا الحديث مِن أوصاف الله عَزَّوَجَلَّ: (لا ينام) موافق لظاهر الكتاب ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة:٢٥٥]، وأن له وجها موصوفا بالأنوار، وأن له بصرا كما علمنا في كتابه أنه سميع بصير.

ثم ذكر الأحاديث في إثبات الوجه، وفي إثبات السمع والبصر، والآيات الدالة علىٰ ذلك.

ثم قال: ثم إنّ الله تعالىٰ تعرّف إلىٰ عباده المؤمنين، وأنه قال: له يدان قد بسطهما بالرحمة. وذكر الأحاديث في ذلك، ثم ذكر شعر أمية بن أبي الصلت، ثم ذكر حديث: «يُلْقَىٰ فِي النَّارِ وَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟ حَتَّىٰ يَضَعَ فِيهَا رِجْلَهُ» وهي: رواية البخاري، وفي



رواية أخرىٰ: «يَضَعَ عَلَيْهَا قَدَمَهُ».

ثم ما رواه مسلم البَطين عن ابن عباس: أنَّ الكرسي موضع القدمين. وأن العرش لا يقدر قدره إلا الله، وذكر قول مسلم البطين نفسَه، وقول السدي، وقول وهب بن منبه، وأبي مالك، وبعضهم يقول: موضع قدميه. وبعضهم يقول: واضع رجليه عليه.

ثم قال: فهٰذه الروايات قد رويت عن هؤلاء من صدر هـٰذه الأمة موافقة لقول النبي ﷺ متداولة في الأقوال ومحفوظة في الصدر، ولا ينكر خلف عن السلف، ولا ينكر عليهم أحد من نظرائهم، نقلتها الخاصة والعامة مدونة في كتبهم، إلىٰ أن حدث في آخر الأمة من قلل الله عددهم ممّن حذرنا رسول الله ﷺ عن مجالستهم ومكالمتهم، وأمرنا ألَّا نعود مرضاهم، ولا نشيع جنائزهم، فقصد هؤلاء إلىٰ هـٰذه الروايات فضربوها بالتشبيه وعمدوا إلىٰ الأخبار فعملوا في دفعها إلىٰ أحكام المقاييس، وكَفَّروا المتقدِّمين، وأنكروا علىٰ الصحابة والتابعين وردوا علىٰ الأئمة الراشدين فضلوا وأضلوا عن سواء السبيل.

ثم ذكر المأثور عن ابن عباس، وجوابَه لنجدة الحروري؛ ثم حديث الصورة وذكر أنه صنف فيه كتابا مفردا، واختلاف الناس في تأويله.

ثم قال: وسنذكر أصول السنة وما ورد من الاختلاف فيما نعتقده فيما خالفنا فيه أهل الزيغ، وما وافقنا فيه أصحاب الحديث من المثبتة -إن شاء الله.

ثم ذكر الخلاف في الإمامة واحتج عليها، وذكر اتّفاق المهاجرين والأنصار علىٰ تقديم الصديق وأنه أفضل الأمة.

ثم قال: وكان الاختلاف في خلق الأفعال، هل هي مقدَّرة أم لا؟ قال: وقولنا فيها أنَّ أفعال العباد مقدرة معلومة وذكر إثبات القدر.

ثم ذكر الخلاف في أهل الكبائر ومسألة الأسماء والأحكام، وقال: قولنا فيها أنهم مؤمنون علىٰ الإطلاق، وأمرهم إلىٰ الله، إن شاء عذبهم، وإن شاء عفا عنهم.

وقال: أصل الإيمان موهبة يتولد منها أفعال العباد فيكون أصل التصديق والإقرار والأعمال، وذكر الخلاف في زيادة الإيمان ونقصانه، وقال: قولنا إنه يزيد وينقص. قال: ثم كان الاختلاف في القرآن مخلوقا وغير مخلوق، فقولنا وقول أئمتنا أن القرآن كلام الله غير مخلوق وأنه صفة الله منه بدأ قولا، وإليه يعود حكما.



ثم ذكر الخلاف في الرؤية وقال: قولنا وقول أئمتنا فيما نعتقد أنَّ الله يُرىٰ في القيامة، وذكر الحجة.

ثم قال: اعلم رحمك الله أني ذكرت أحكام الاختلاف علىٰ ما ورد من ترتيب المحدثين في كل الأزمنة. وقد بدأت أن أذكر أحكام الجمل من العقود، فنقول ونعتقد أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ له عرش، وهو علىٰ عرشه فوق سبع سماواته بكل أسمائه وصفاته، كما قال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه]، و﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ [السجدة:٥]، ولا نقول: أنه في الأرض كما هو في السماء علىٰ عرشه؛ لأنه عالم بما يجرىٰ علىٰ عباده ثم يعرج إليه.

إلىٰ أن قال: ونعتقد أن الله تعالىٰ خلق الجنة والنار، وأنهما مخلوقتان للبقاء لا للفناء.

إلىٰ أن قال: ونعتقد أن النبي ﷺ عُرج بنفسه إلىٰ سدرة المنتهىٰ.

إلىٰ أن قال: ونعتقد أن الله قبض قبضتين فقال: «هَؤُلَاءِ لِلْجَنَّةِ وَهَؤُلَاءِ لِلنَّارِ».

ونعتقد أن للرسول ﷺ حوضا، ونعتقد أنه أول شافع وأول مشفَّع، وذكر الصراط، والميزان، والموت، وأن المقتول قُتل بأجله، واستوفىٰ رزقه.

إلىٰ أن قال: ومما نعتقد أنَّ الله ينزل كل ليلة إلىٰ سماء الدنيا في ثلث الليل الآخر، فيبسط يده فيقول: «أَلَا هَلْ مِنْ سَائِلٍ؟» الحديث، وليلة النصف من شعبان، وعشية عرفة، وذكر الحديث في ذلك. قال: ونعتقد أن الله تعالىٰ كلم موسىٰ تكليما، واتخذ إبراهيم خليلا، وأن الخلة غير الفقر، لا كما قال أهل البدع.

ونعتقد أنّ الله تعالىٰ خص محمدا ﷺ بالرؤية، واتخذه خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا.

ونعتقد أن الله تعالىٰ اختص بمفاتح خمس من الغيب لا يعلمها إلا الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان:٣٤] الآية.

ونعتقد المسح علىٰ الخفين ثلاثا للمسافر ويوما وليلة للمقيم.

ونعتقد الصبر علىٰ السلطان من قريش ما كان من جور أو عدل، ما أقام الصلاة من الجمع والأعياد، والجهاد معهم ماض إلىٰ يوم القيامة، والصلاة في الجماعة حيث ينادىٰ لها واجب إذا لم يكن عذر أو مانع، والتراويح سنة، ونشهد أن من ترك الصلاة عمدا فهو كافر، والشهادة والبراءة بدعة، والصلاة علىٰ من مات من أهل القبلة سنة، ولا ننزل أحدا



جنة ولا نارا حتىٰ يكون الله ينزلهم، والمراء والجدال في الدين بدعة.

ونعتقد أن ما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ أمرهم إلىٰ الله، ونترحّم علىٰ عائشة ونترضىٰ عنها.

والقول في اللفظ والملفوظ؛ وكذلك في الاسم والمسمىٰ بدعة، والقول في أن الإيمان مخلوق أو غير مخلوق بدعة، واعلم أني ذكرت اعتقاد أهل السنة علىٰ ظاهر ما ورد عن الصحابة والتابعين مجملًا من غير استقصاء، إذْ تقدم القول من مشائخنا المعروفين من أهل الإمامة والديانة إلا إني أحببت أن أذكر عقود أصحابنا المتصوفة فيما أحدثته طائفة نسبوا إليهم ما قد تخرصوا من القول بما نزه الله تعالىٰ المذهب وأهله من ذلك.

إلىٰ أن قال: وقرأت لمحمد بن جرير الطبري في كتاب سماه «التبصير»، كتب بذلك إلىٰ أهل طبرستان في اختلاف عندهم؛ وسألوه أن يصنف لهم ما يعتقده ويذهب إليه فذكر في كتابه اختلاف القائلين برؤية الله تعالىٰ؛ فذكر عن طائفة إثبات الرؤية في الدنيا والآخرة.

ونسب هـٰذه المقالة إلىٰ الصوفية قاطبة، لم يخص طائفة، فبين أن ذلك علىٰ جهالة منه بأقوال المخلصين منهم، وكان من نسب إليه ذلك القول -بعد أن ادعىٰ علىٰ الطائفة- ابن أخت عبد الواحد بن زيد، والله أعلم محله عند المخلصين، فكيف بابن أخته، وليس إذا أحدث الزائغ في نحلته قولا نسب إلىٰ الجملة؛ كذلك في الفقهاء والمحدثين ليس من أحدث قولا في الفقه، وليس فيه حديث يناسب ذلك ينسب ذلك إلىٰ جملة الفقهاء والمحدثين.

واعلم أنّ ألفاظ الصوفية وعلومهم تختلف، فيطلقون ألفاظهم علىٰ موضوعات لهم، ومرموزات وإشارات تجري فيما بينهم، فمن لم يداخلهم علىٰ التحقيق، ونازل ما هم عليه رجع عنهم خاسئا وهو حسير.

ثم ذكر إطلاقهم لفظ الرؤية بالتقييد. فقال: كثيرا ما يقولون: رأيت الله يقول. وذكر عن جعفر بن محمد قوله لما سئل هل رأيت الله حين عبدته؟ قال: رأيت الله ثم عبدته. فقال السائل: كيف رأيته؟ فقال: لم تره الأبصار بتحديد الأعيان، ولكن رؤية القلوب بتحقيق الإيقان.

ثم قال: وإنه تعالىٰ يرىٰ في الآخرة كما أخبر في كتابه وذكره رسوله ﷺ.



هـٰذا قولنا وقول أئمتنا دون الجهال من أهل الغباوة فينا.

وأن مما نعتقده أن الله حرم علىٰ المؤمنين دماءهم وأموالهم وأعراضهم، وذكر ذلـك في حجة الوداع. فمن زعم أنه يبلغ مع الله إلىٰ درجة يبيح الحق له ما حظر علىٰ المؤمنين -إلا المضطر علىٰ حال يلزمه أحياء للنفس- لو بلغ العبد ما بلغ من العلم والعبادات فذلك كفر بالله، والقائل ذلك قائل بالإباحة وهم المنسلخون من الديانة.

وأن مما نعتقده ترك إطلاق تسـمية العشـق علـىٰ الله تعـالىٰ؛ وبـيَّن أن ذلـك لا يجـوز لاشتقاقه، ولعدم ورود الشرع به، وقال: أدنىٰ ما فيه أنه بدعة وضلالة، وفيما نـص الله مـن ذكر المحبة كفاية.

وأن مما نعتقده أنَّ الله لا يحل في المرئيات، وأنَّه المتفرد بكمال أسمائه وصـفاته، بـائن من خلقه، مستو علىٰ عرشه، وأن القرآن كلامه غير مخلوق، حيث ما تلي ودرس وحفظ.

ونعتقد أن الله تعالىٰ اتخذ إبراهيم خليلا، واتخذ نبينا محمدا ﷺ خليلا وحبيبا، والخلة لهما منه علىٰ خلاف ما قاله المعتزلة: إن الخلة الفقر والحاجة.

إلىٰ أن قال: والخلة والمحبة صفتان لله هو موصـوف بهمـا ولا تـدخل أوصـافه تحـت التكييف والتشبيه، وصفات الخلق من المحبة والخلة جـائز عليهـا الكيـف، فأمـا صـفاته تعالىٰ فمعلومة في العلم، وموجودة في التعريـف، قـد انتفـىٰ عنهمـا التشـبيه، فالإيمـان بـه واجب، واسم الكيفية عن ذلك ساقط.

ومما نعتقده أنّ الله أبـاح المكاسـب والتجـارات والصـناعات وإنمـا حـرم الله الغـش والظلم، وأنّ من قال بتحريم تلك المكاسب فهو ضال مضل مبتدع؛ إذْ ليس الفساد والظلم والغش من التجارات والصـناعات في شـيء، إنمـا حـرم الله ورسـوله الفسـاد لا الكسـب والتجارات، فإن ذلك علىٰ أصل الكتاب والسنة جائز إلىٰ يوم القيامة.

وأنّ مما نعتقد أن الله لا يأمر بأكل الحلال ثم يعدمهم الوصول إليه من جميع الجهات؛ لأن ما طالبهم به موجود إلىٰ يوم القيامة، والمعتقد أنَّ الأرض تخلو من الحلال، والنـاس يتقلبون في الحرام فهو مبتدع ضال، إلا أنه يقل في موضع ويكثر في موضع؛ لا أنه مفقود من الأرض.

ومما نعتقده إنا إذا رأينا مَنْ ظاهره جميل لا نتهمه في مكسـبه ومالـه وطعامـه، جـائز أن



يؤكل طعامه، والمعاملة في تجارته، فليس علينا الكشف عما قاله، فإن سأل سائل علىٰ سبيل الاحتياط جاز إلا من داخل الظَّلَمة.

ومن ينزع عن الظلم وأخذ الأموال بالباطل ومعه غير ذلك: فالسؤال والتوقي؛ كما سأل الصديق غلامه، فإن كان معه من المال سوىٰ ذلك مما هو خارج عن تلك الأموال فاختلطا، فلا يطلق عليه اسم الحلال ولا الحرام، إلا أنه مشتبه؛ فمن سأل استبرأ لدينه كما فعل الصديق، وأجاز ابن مسعود وسلمان الأكل منه وعليه التبعة. والناس طبقات والدين الحنيفية السمحة.

وأن مما نعتقد أن العبد ما دام أحكام الدار جاريةً عليه فلا يسقط عنه الخوف والرجاء، وكل من ادعىٰ الأمن فهو جاهل بالله، وبما أخبر به عن نفسه ﴿فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩٩﴾ [الأعراف]، وقد أفردت كشف عوار كل من قال بذلك.

ونعتقد أن العبودية لا تسقط عن العبد ما عقَل وعلِم ما له وما عليه، فيبقىٰ علىٰ أحكام القوة والاستطاعة؛ إذ لم يسقط الله ذلك عن الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين، ومن زعم أنه قد خرج عن رق العبودية إلىٰ فضاء الحرية بإسقاط العبودية والخروج إلىٰ أحكام الأَحدية المُسْدِية بعلائق الآخرية، فهو كافر لا محالة، إلا من اعتراه علة، أو رأفة؛ فصار معتوها. أو مجنونا، أو مبرسما، وقد اختلط عقله، أو لحقه غشية يرتفع عنه بها أحكام العقل، وذهب عنه التمييز والمعرفة؛ فذلك خارج عن الملة مفارق للشريعة.

ومن زعم الإشراف علىٰ الخلق حتىٰ يعلم مقاماتهم ومقدارهم عند الله بغير الوحي المنزل من قول رسول الله ﷺ فهو خارج عن الملة، ومن ادعىٰ أنه يعرف مآل الخلق ومنقلبهم وعلىٰ ماذا يموتون عليه ويختم لهم، بغير الوحي من قول الله وقول رسوله ﷺ فقد باء بغضب من الله.

والفراسة حق علىٰ أصول ما ذكرناه، وليس ذلك مما رسمناه في شيء.

ومن زعم أن صفاته تعالىٰ بصفاته ويشير في ذلك إلىٰ غير آية العظمة والتوفيق والهداية وأشار إلىٰ صفاته عَزَّوَجَلَّ القديمة: فهو حلولي قائل باللاهوتية والالتحام، وذلك كفر لا محالة.

ونعتقد أن الأرواح كلها مخلوقة. ومن قال: إنها غير مخلوقة فقد ضاهىٰ قول النصارىٰ



-النسطورية- في المسيح، وذلك كفر بالله العظيم.

ومن قال: إن شيئا من صفات الله حال في العبد، أو قال بالتبعيض على الله فقد كفر؛ والقرآن كلام الله ليس بمخلوق ولا حال في مخلوق، وأنه كيفما تُلي وقرئ وحفظ: فهو صفة الله عَزَّوَجَلَّ وليس الدرس من المدروس، ولا التلاوة من المتلو، لأنه عَزَّوَجَلَّ بجميع صفاته وأسمائه غير مخلوق، ومن قال بغير ذلك فهو كافر.

ونعتقد: أن القراءة الملحنة بدعة وضلالة.

وأن القصائد بدعة، ومجراها على قسمين: فالحسن من ذلك من ذكر آلاء الله ونعمائه، وإظهار نعت الصالحين وصفة المتقين، فذلك جائز، وتركه والاشتغال بذكر الله والقرآن والعلم أولى به، وما جرى على وصف المرئيات، ونعت المخلوقات، فاستماع ذلك على الله كفر، واستماع الغناء والرباعيات على الله كفر، والرقص بالإيقاع ونعت الرقاصين على أحكام الدين فسق، وعلى أحكام التواجد والغناء لهو ولعب.

وحرام على كل من يسمع القصائد والربعيات الملحنة الجاري بين أهل الأطباع على أحكام الذكر، إلا لمن تقدم له العلم بأحكام التوحيد، ومعرفة أسمائه وصفاته، وما يضاف إلى الله تعالى من ذلك مما لا يليق به عَزَّوَجَلَّ مما هو منزه عنه فيكون استماعه كما قال: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ [الزمر:١٨] الآية.

وكل من جهِل ذلك وقصد استماعه على الله على غير تفصيله فهو كفر لا محالة، فكل من جمع القول وأصغى بالإضافة إلى الله فغير جائز إلا لمن عرف بما وصفت من ذكر الله ونعمائه، وما هو موصوف به عَزَّوَجَلَّ مما ليس للمخلوقين فيه نعت ولا وصف؛ بل ترْك ذلك أولى وأحوط، والأصل في ذلك أنها بدعة، والفتنة فيها غير مأمونة، على استماع الغناء والرباعيات بدعة، وذلك مما أنكره المطلبي ومالك والثوري ويزيد بن هارون وأحمد بن حنبل وإسحاق، والاقتداء بهم أولى من الإقتداء بمن لا يُعرفون في الدين، ولا لهم قَدَم عند المخلصين.

وبلغني أنه قيل لبشر بن الحارث: إنّ أصحابك قد أحدثوا شيئا يقال له القصائد، قال: مثل أيش؟ قال: مثل قوله:



اصْـــبِرِي يَـــا نَفْـــسُ حَتَّـــىٰ تَسْـــــــــكُنِي دَارَ الْجَلِيـــــــــلِ

فقال: حسن، وأين يكون هؤلاء الذين يستمعون ذلك؟ قال: قلت: ببغداد. فقال: كذبوا والله الذي لا إله غيره، لا يسكن ببغداد من يستمع ذلك.

قال أبو عبد الله: ومما نقول -وهو قول أئمتنا-: إن الفقير إذا احتاج وصبر ولم يتكفف إلىٰ وقت يفتح الله له كان أعلىٰ، فمن عجز عن الصبر كان السؤال أولىٰ به علىٰ قولـه ﷺ: «**لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ**» الحديث.

ونقول: إن ترك المكاسب غير جائز إلا بشرائط موسومة من التعفف والاستغناء عما في أيدي الناس، ومن جعل السؤال حرفة وهو صحيح، فهو مذموم في الحقيقة خارج.

ونقول: إنّ المستمع إلىٰ الغناء والملاهي فإن ذلك كما قال عليه السلام: «**الْغِنَاءُ يُنْبِتُ النِّفَاقَ فِي الْقَلْبِ**»، وإن لم يكفر فهو فسق لا محالة.

والذي نختار: قول أئمتنا: إن ترك المراء في الدين، والكلام في الإيمان مخلوق أو غير مخلوق، ومن زعم أن الرسول ﷺ واسط يؤدي وأن المرسل إليهم أفضل: فهو كافر بالله، ومن قال بإسقاط الوسائط علىٰ الجملة فقد كفر.ا.هـ

ومن متأخريهم الشيخ الإمام أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح الجيلاني، قال في كتاب الغنية: أما معرفة الصانع بالآيات والدلالات علىٰ وجه الاختصار فهو أن يعرف ويتيقن أن الله واحد أحد.

إلىٰ أن قال: وهو بجهة العلو مستو علىٰ العرش، محتو علىٰ الملك، محيط علمه بالأشياء، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر:١٠]، ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝﴾ [السجدة]، ولا يجوز وصفه بأنه في كل مكان؛ بل يقال: إنه في السماء علىٰ العرش كما قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝﴾ [طه].

وذكر آيات وأحاديث إلىٰ أن قال: وينبغي إطلاق صفة الاستواء من غير تأويل، وأن استواء الذات علىٰ العرش. قال: وكونه علىٰ العرش مذكور في كل كتاب أنزل علىٰ كل نبي أرسل بلا كيف. وذكر كلاما طويلا لا يحتمله هـٰذا الموضع، وذكر في سائر الصفات نحو



هـٰذا.

ولو ذكرتُ ما قاله العلماء في هـٰذا لطال الكتاب جدا.

قال أبو عمر ابن عبد البر: رَوينا عن مالك بن أنس وسفيان الثوري وسفيان بن عيينة والأوزاعي ومعمر بن راشد في أحاديث الصفات أنهم كلهم قالوا: أمروها كما جاءت. قال أبو عمر: ما جاء عن النبي ﷺ من نقل الثقات، أو جاء عن أصحابه رضي الله عنهم فهو علم يُدان به؛ وما أُحدث بعدهم ولم يكن له أصلٌ فيما جاء عنهم فهو بدعة وضلالة.

وقال في «شرح الموطأ» لما تكلم علىٰ حديث النزول قال: هـٰذا حديث ثابت من جهة النقل، صحيح من جهة الإسناد، ولا يختلف أهل الحديث في صحته، وهو منقول من طرق سوىٰ هـٰذه، من أخبار العدول عن النبي ﷺ، وفيه دليل علىٰ أن الله في السماء علىٰ العرش استوىٰ من فوق سبع سماوات، كما قالت الجماعة، وهو من حجتهم علىٰ المعتزلة في قولهم: إن الله تعالىٰ في كل مكان بذاته المقدسة.

قال: والدليل علىٰ صحة ما قال أهل الحق قول الله -وذكر بعض الآيات.

إلىٰ أن قال: وهـٰذا أشهر وأعرف عند العامة والخاصة من أن يحتاج إلىٰ أكثر من حكايته؛ لأنه اضطرار لم يوقفهم عليه أحد، ولا أنكره عليهم مسلم.

وقال أبو عمر ابن عبد البر أيضا: أجمع علماء الصحابة والتابعون الذين حمل عنهم التأويل، قالوا في تأويل قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾[المجادلة:٧]، هو علىٰ العرش وعلمه في كل مكان، وما خالفهم في ذلك من يحتج بقوله.

وقال أبو عمر أيضا أهل السنة مجمعون علىٰ الإقرار بالصِّفات الواردة كلها في القرآن والسنة، والإيمان بها، وحملها علىٰ الحقيقة لا علىٰ المجاز؛ إلا أنهم لا يكيفون شيئا من ذلك ولا يحدّون فيه صفة محصورة.

وأما أهل البدع الجهمية والمعتزلة كلها والخوارج: فكلهم ينكرونها ولا يحملون شيئا منها علىٰ الحقيقة، ويزعمون أن من أقر بها مشبه، وهم عند من أقر بها نافون للمعبود، والحق فيما قاله القائلون: بما نطق به كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وهم أئمة الجماعة.

هـٰذا كلام ابن عبد البر إمام أهل المغرب.

وفي عصره الحافظ أبو بكر البيهقي مع توليه للمتكلمين من أصحاب أبي الحسن



الأشعري، وذبه عنهم، قال في كتابه الأسماء والصفات: باب ما جاء في إثبات اليدين صفتين لا من حيث الجارحة لورود خبر الصادق به، قال الله تعالىٰ: ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ [ص:٧٥]، وقال: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤].

وذكر الأحاديث الصحاح في هـٰذا الباب، مثل قوله في غير حديث؛ من حديث الشفاعة «يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ»، ومثل قوله في الحديث المتفق عليه «أَنْتَ مُوسَىٰ اصْطَفَاكَ اللهُ بِكَلَامِهِ، وَخَطَّ لَكَ الْأَلْوَاحَ بِيَدِهِ» وفي لفظ «وَكَتَبَ لَكَ التَّوْرَاةَ بِيَدِهِ»، ومثل ما في «صحيح مسلم» أنه سبحانه «غَرَسَ كَرَامَةَ أَوْلِيَائِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ بِيَدِهِ»، ومثل قوله ﷺ: «تَكُونُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خُبْزَةً وَاحِدَةً يَتَكَفَّؤُهَا بِيَدِهِ كَمَا يَكْفَأُ أَحَدُكُمْ خُبْزَتَهُ فِي السَّفَرِ نُزُلًا لِأَهْلِ الْجَنَّةِ».

وذكر أحاديث مثل قوله: «بِيَدِي الْأَمْرُ»، «وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ»، «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ»، و«إِنَّ اللهَ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ»، وقوله: «الْمُقْسِطُونَ عِنْدَ اللهِ عَلَىٰ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ»، وقوله «يَطْوِي اللهُ السَّمٰوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَىٰ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟ ثُمَّ يَطْوِي الْأَرَضِينَ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟»، وقوله: «يَمِينُ الله مَلْآ لَا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ؟ فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَمِينِهِ، وَعَرْشُهُ عَلَىٰ الْمَاءِ، وَبِيَدِهِ الْأُخْرَىٰ الْقِسْطُ يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ». وكل هـٰذه الأحاديث في الصحاح.

وذكر أيضا قوله «إِنَّ اللهَ لَمَّا خَلَقَ آدَمَ قَالَ لَهُ -وَيَدَاهُ مَقْبُوضَتَانِ-: اخْتَرْ أَيَّهُمَا شِئْتَ، قَالَ: اخْتَرْتُ يَمِينَ رَبِّي، وَكِلْتَا يَدَيْ رَبِّي يَمِينٌ مُبَارَكَةٌ». وحديث «إِنَّ اللهَ لَمَّا خَلَقَ آدَمَ مَسَحَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ بِيَدِهِ» إلىٰ أحاديث أخر ذكرها من هـٰذا النوع.

ثم قال البيهقي: أما المتقدمون من هـٰذه الأمة فإنهم لـم يفسروا ما كتبنا من الآيات والأخبار في هـٰذا الباب؛ وكذلك قال في الاستواء علىٰ العرش وسائر الصفات الخبرية مع أنه يحكي قول بعض المتأخرين.

وقال القاضي أبو يعلىٰ في كتاب «إبطال التأويل»: لا يجوز رد هـٰذه الأخبار ولا التشاغل بتأويلها، والواجب حملها علىٰ ظاهرها، وأنها صفات الله، لا تشبه صفات سائر



الموصوفين بها من الخلق، ولا يعتقد التشبيه فيها؛ لكن علىٰ ما روىٰ عن الإمام أحمد وسائر الأئمة.

وذكر بعض كلام الزهري، ومكحول، ومالك، والثوري، والأوزاعي، والليث، وحماد بن زيد، وحماد بن سلمة، وسفيان بن عيينة، والفضيل بن عياض، ووكيع، وعبد الرحمن بن مهدي، والأسود بن سالم، وإسحاق بن راهويه، وأبي عبيد، ومحمد بن جرير الطبري، وغيرهم في هـٰذا الباب. وفي حكاية ألفاظهم طول.

إلىٰ أن قال: ويدل علىٰ إبطال التأويل: أنّ الصحابة ومن بعدهم من التابعين حملوها علىٰ ظاهرها، ولم يتعرّضوا لتأويلها، ولا صرفوها عن ظاهرها، فلو كان التأويل سائغا لكانوا أسبق إليه لما فيه من إزالة التشبيه ورفع الشبهة.

وقال أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري المتكلم، صاحب الطريقة المنسوبة إليه في الكلام في كتابه الذي صنفه في اختلاف المصلين، ومقالات الإسلاميين، وذكر فرق الروافض والخوارج والمرجئة والمعتزلة وغيرهم.

ثم قال مقالة أهل السنة وأصحاب الحديث جملة: قول أصحاب الحديث وأهل السنة: الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله وبما جاء عن الله تعالىٰ، وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ، لا يردون شيئا من ذلك، وأن الله واحد أحد فرد صمد لا إله غيره، لم يتخذ صاحبة ولا ولدا، وأن محمدا عبده ورسوله، وأن الجنة حق، وأن النار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، وأن الله علىٰ عرشه كما قال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه]، وأن له يدين بلا كيف كما قال: ﴿خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾[ص:٧٥]، وكما قال: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤]، وأن له عينين بلا كيف كما قال: ﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾ [القمر:١٤]، وأن له وجها كما قال: ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ۝٢٧﴾ [الرحمن].

وأن أسماء الله تعالىٰ لا يقال: إنها غير الله كما قالت المعتزلة والخوارج، وأقروا أن لله علمًا كما قال: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ﴾ [النساء:١٦٦]، وكما قال: ﴿وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ﴾ [فاطر:١١]، وأثبتوا له السمع والبصر ولم ينفوا ذلك عن الله كما نفته المعتزلة؛ وأثبتوا لله القوة كما قال: ﴿أَوَ لَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۖ﴾



[فصلت:١٥]، وذكر مذهبهم في القدر.

إلىٰ أن قال: ويقولون: إن القرآن كلام الله غير مخلوق، والكلام في اللفظ والوقف من قال باللفظ وبالوقف فهو مبتدع عندهم، لا يقال اللفظ بالقرآن مخلوق، ولا يقال غير مخلوق.

ويقرّون أنّ الله يُرىٰ بالأبصار يوم القيامة، كما يُرىٰ القمر ليلة البدر، يراه المؤمنون، ولا يراه الكافرون؛ لأنهم عن الله محجوبون، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ١٥﴾ [المطففين].

وذكر قولهم في الإسلام والإيمان والحوض والشفاعة وأشياء.

إلىٰ أن قال: ويقرون بأن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، ولا يقولون: مخلوق، ولا يشهدون علىٰ أحد من أهل الكبائر بالنار.

إلىٰ أن قال: وينكرون الجدل والمراء في الدِّين والخصومة والمناظرة فيما يتناظر فيه أهل الجدل، ويتنازعون فيه من دينهم، ويسلّمون للروايات الصحيحة، كما جاءت به الآثار الصحيحة التي جاءت بها الثقات عدل عن عدل حتىٰ ينتهي ذلك إلىٰ رسول الله ﷺ؛ لا يقولون: كيف ولا لم؟ لأن ذلك بدعة عندهم.

إلىٰ أن قال: ويقرّون أن الله يجيء يوم القيامة كما قال تعالىٰ: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ٢٢﴾ [الفجر]، وأن الله يقرب من خلقه كيف شاء كما قال: ﴿وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ١٦﴾ [ق].

إلىٰ أن قال: ويرون مجانبة كل داع إلىٰ بدعة، والتشاغل بقراءة القرآن، وكتابة الآثار، والنظر في الآثار والنظر في الفقه مع الاستكانة والتواضع، وحسن الخلق مع بذل المعروف، وكف الأذىٰ وترك الغيبة والنميمة والشكاية، وتفقد المآكل والمشارب. قال: فهٰذه جملة ما يأمرون به، ويستسلمون إليه، ويرونه، وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول وإليه نذهب، وما توفيقنا إلا بالله وهو المستعان.

وقال الأشعري أيضا في اختلاف أهل القبلة في العرش: قال أهل السنة وأصحاب الحديث: إن الله ليس بجسم ولا يشبه الأشياء، وأنه استوىٰ علىٰ العرش كما قال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥﴾ [طه]، ولا نتقدم بين يدي الله ورسوله في القول؛ بل



نقول استوىٰ بلا كيف، وأن له واجها كما قال: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن]، وأن له يدين كما قال: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥]، وأن له عينين كما قال: ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر:١٤]، وأنه يجيء يوم القيامة هو وملائكته كما قال: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر] وأنه ينزل إلىٰ سماء الدنيا كما جاء في الحديث، ولم يقولوا شيئا إلا ما وجدوه في الكتاب أو جاءت به الرواية عن رسول الله ﷺ.

وقالت المعتزلة: إن الله استوىٰ علىٰ العرش بمعنىٰ استولىٰ وذكر مقالات أخرىٰ.

وقال أيضا أبو الحسن الأشعري في كتابه الذي سماه «الإبانة في أصول الديانة» -وقد ذكر أصحابه أنه آخر كتاب صنفه- وعليه يعتمدون في الذب عنه عند من يطعن عليه، فقال: فصل في إبانة قول أهل الحق والسنة. فإن قال قائل: قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة، فعرِّفونا قولكم الذي به تقولون وديانتكم التي بها تدينون.

قيل له: قولنا الذي نقول به، وديانتنا التي ندين بها؛ التمسك بكلام ربنا وسنة نبينا، وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد ابن حنبل -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ نضر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته- قائلون، ولما خالف قوله مخالفون؛ لأنه الإمام الفاضل والرئيس الكامل؛ الذي أبان الله به الحق، ودفع به الضلال، وأوضح به المنهاج، وقمع به بدع المبتدعين، وزيغ الزائغين، وشك الشاكين؛ فرحمة الله عليه من إمام مقدم وجليل معظم وكبير مفهَّم.

وجملة قولنا: أنا نقر بالله وملائكته وكتبه ورسله، وبما جاءوا به من عند الله، وبما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ، لا نردّ من ذلك شيئا؛ وأن الله واحد لا إله إلا هو فرد صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولدا، وأن محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدىٰ ودين الحق؛ ليظهره علىٰ الدين كله، وأن الجنة حق والنار حق، وأن الساعة آتية، وأن الله يبعث من في القبور، وأن الله مستو علىٰ عرشه كما قال ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [طه]، وأن له وجها كما قال: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن]، وأن له يدين بلا كيف كما قال: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥]، وكما قال: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة:٦٤]، وأن له عينين بلا كيف كما قال: ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر:١٤].



وأنَّ من زعم أن أسماء الله غيرُه كان ضالًّا -وذكر نحوا مما ذكر في الفِرَق.

إلىٰ أن قال: ونقول: إن الإسلام أوسع من الإيمان، وليس كل إسلام إيمانا، وندين بأن الله يقلب القلوب بين إصبعين من أصابع الله عَزَّوَجَلَّ، وأنه عَزَّوَجَلَّ يضع السَّمٰوات علىٰ إصبع، والأرضين علىٰ إصبع، كما جاءت الرواية الصحيحة عن رسول الله ﷺ.

إلىٰ أن قال: وإن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، ونسلم الروايات الصحيحة عن رسول الله ﷺ، التي رواها الثقات عدلا عن عدل حتىٰ ينتهي إلىٰ رسول الله ﷺ.

إلىٰ أن قال: ونصدّق بجميع الروايات التي أثبتها أهل النقل من النزول إلىٰ سماء الدنيا، وأن الرب عَزَّوَجَلَّ يقول: «هَلْ مِنْ سَائِلٍ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ؟» وسائر ما نقلوه وأثبتوه خلافا لما قال أهل الزيغ والتضليل.

ونعوِّل فيما اختلفنا فيه علىٰ كتاب ربنا وسنة نبينا وإجماع المسلمين وما كان في معناه، ولا نبتدع في دين الله ما لم يأذن لنا به، ولا نقول علىٰ الله ما لا نعلم، ونقول: إن الله يجيء يوم القيامة كما قال: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝٢٢﴾ [الفجر].

وأنّ الله يقرب من عباده كيف شاء كما قال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ۝١٦﴾ [ق]، وكما قال: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ [النجم].

إلىٰ أن قال: وسنحتج لما ذكرناه من قولنا وما بقي مما لم نذكره بابا بابا. ثم تكلم علىٰ أن الله يُرىٰ واستدل علىٰ ذلك، ثم تكلم علىٰ أنّ القرآن غير مخلوق واستدل علىٰ ذلك، ثم تكلم علىٰ من وقف في القرآن وقال: لا أقول: إنه مخلوق ولا غير مخلوق، وردّ عليه.

ثم قال: باب ذكر الاستواء علىٰ العرش.

فقال: إن قال قائل ما تقولون في الاستواء؟ قيل له: نقول: إن الله مستو علىٰ عرشه كما قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه]، وقال تعالىٰ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾[فاطر:١٠]، وقال تعالىٰ: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾[النساء:١٥٨]، وقال تعالىٰ: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة:٥]، وقال تعالىٰ حكايةً عن فرعون: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ۝٣٦ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾ [غافر]، كذّب موسىٰ في قوله: إن الله فوق السَّمٰوات، وقال تعالىٰ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾ [الملك:١٦]، فالسموات



فوقها العرش فلما كان العرش فوق السَّمٰوات قال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾؛ لأنه مستوٍ علىٰ العرش الذي هو فوق السَّمٰوات، وكل ما علا فهو سماء، فالعرش أعلىٰ السموات، وليس إذا قال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ يعني جميع السَّمٰوات، وإنّما أراد العرش الذي هو أعلىٰ السموات، ألا ترىٰ أن الله عَزَّوَجَلَّ ذكر السَّمٰوات فقال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ [نوح:١٦]، ولم يرد أن القمر يملؤهن وأن فيهن جميعا.

ورأينا المسلمين جميعًا يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء؛ لأن الله علىٰ عرشه الذي هو فوق السَّمٰوات، فلولا أن الله علىٰ العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش، كما لا يحطونها إذا دعوا إلىٰ الأرض.

ثم قال: فصل: وقد قال القائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية: إن معنىٰ قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه] أنه استولىٰ وملك وقهر، وأن الله عَزَّوَجَلَّ في كل مكان وجحدوا أن يكون الله علىٰ عرشه كما قال أهل الحق، وذهبوا في الاستواء إلىٰ القدرة، فلو كان كما ذكروه كان لا فرق بين العرش والأرض السابعة؛ لأن الله قادر علىٰ كل شيء، والأرض فالله قادر عليها وعلىٰ الحشوش وعلىٰ كل ما في العالم، فلو كان الله مستويا علىٰ العرش بمعنىٰ الاستيلاء -وهو عَزَّوَجَلَّ مستولٍ علىٰ الأشياء كلها- لكان مستويا علىٰ العرش وعلىٰ الأرض وعلىٰ السماء وعلىٰ الحشوش والأقذار؛ لأنه قادر علىٰ الأشياء مستولٍ عليها، وإذا كان قادرا علىٰ الأشياء كلِّها ولم يجز عند أحد من المسلمين أن يقول: إنَّ الله مستوٍ علىٰ الحشوش والأخلية. لم يجز أن يكون الاستواء علىٰ العرش الاستيلاء الذي هو عامٌّ في الأشياء كلها، ووجب أن يكون معنىٰ الاستواء يختص العرش دون الأشياء كلها.

وذكر دلالاتٍ من القرآن والحديث والإجماع والعقل.

ثم قال: بابُ الكلام في الوجه والعينين والبصر واليدين.

وذكر الآيات في ذلك، وردّ علىٰ المتأوِّلين لها بكلام طويل لا يتّسع هـٰذا الموضع لحكايته، مثل قوله: فإن سُئلنا أتقولون لله يدان؟ قيل نقول ذلك، وقد دل عليه قوله تعالىٰ: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح:١٠]، وقوله تعالىٰ: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥]، وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «**إِنَّ اللهَ مَسَحَ ظَهْرَ آدَمَ بِيَدِهِ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّتَهُ**»، وقد جاء في الخبر



المأثور عن النبي ﷺ «**أَنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ بِيَدِهِ، وَخَلَقَ جَنَّةَ عَدْنٍ بِيَدِهِ، وَكَتَبَ التَّوْرَاةَ بِيَدِهِ، وَغَرَسَ شَجَرَةَ طُوبَىٰ بِيَدِهِ**».

وليس يجوز في لسان العرب ولا في عادة أهل الخطاب أن يقول القائل: عملت كذا بيدي ويريد بها النعمة، وإذا كان الله إنما خاطب العرب بلغتها، وما يجري مفهوما في كلامها، ومعقولا في خطابها، وكان لا يجوز في خطاب أهل البيان أن يقول القائل: فعلت كذا بيدي ويعني بها النعمة، بطل أن يكون معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿بِيَدَيَّ﴾ النعمة.

وذكر كلاما طويلا في تقرير هـٰذا ونحوه.

وقال القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقْلَاني المتكلم -وهو أفضل المتكلمين المنتسبين إلىٰ الأشعري؛ ليس فيهم مثله لا قبله ولا بعده- قال في كتاب «الإبانة» تصنيفه: فإن قال قائل: فما الدليل علىٰ أن لله وجها ويدا؟ قيل له: قوله ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن]، وقوله تعالىٰ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥]، فأثبت لنفسه وجهًا ويدا.

فإن قال: فلم أنكرتم أن يكون وجهه ويده جارحة إن كنتم لا تعقلون وجها ويدا إلا جارحة؟ قلنا: لا يجب هـٰذا كما لا يجب إذا لم نعقل حيا عالما قادرا إلا جسما أن نقضي نحن وأنتم بذلك علىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وكما لا يجب في كل شيء كان قائما بذاته أن يكون جوهرا؛ لأنّا وإياكم لم نجد قائما بنفسه في شاهدنا إلا كذلك، وكذلك الجواب لهم: إن قالوا: يجب أن يكون علمه وحياته وكلامه وسمعه وبصره وسائر صفات ذاته عرَضا واعتلوا بالوجود، وقال: فإن قال: فهل تقولون: إنه في كل مكان؟ قيل له معاذ الله؛ بل مستو علىٰ عرشه كما أخبر في كتابه فقال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [طه]، وقال الله تعالىٰ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر:١٠]، وقال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾﴾ [الملك].

قال: ولو كان في كلِّ مكان لكان في بطن الإنسان وفمه والحشوش والمواضع التي يُرغب عن ذكرها، ولوجب أن يزيد بزيادة الأمكنة إذا خلق منها ما لم يكن، وينقص بنقصانها إذا بطل منها ما كان، ولصحَّ أن يُرغب إليه إلىٰ نحو الأرض، وإلىٰ خلفنا وإلىٰ يميننا وإلىٰ شمالنا، وهـٰذا قد أجمع المسلمون علىٰ خلافه وتخطئة قائله.



وقال أيضا في هـٰذا الكتاب صفات ذاته التي لم يزل ولا يزال موصوفًا بها وهـي الحيـاة والعلم والقـدرة والسـمع والبصـر والكـلام والإرادة والبقـاء والوجـه والعينـان واليـدان والغضب والرضا.

وقال في كتاب التمهيد كلاما أكثر من هـٰذا لكن ليست النسخة حاضرة عندي، وكلامـه وكلام غيره من المتكلمين في مثل هـٰذا الباب كثير لمن يطلبه، وإن كنّا مسـتغنين بالكتـاب والسنة وآثار السلف عن كل كلام.

ومِلاك الأمر أن يهب الله للعبد حكمة وإيمانا بحيث يكون له عقل وديـن، حتـىٰ يفهـم ويدين، ثم نور الكتاب والسنة يغنيه عن كل شيء؛ ولكن كثيرا من الناس قـد صـار منتسـبا إلىٰ بعض طوائف المتكلمين، ومحسنا للظن بهم دون غيرهم، ومتوهِّما أنهم حققوا في هـٰذا الباب ما لم يحققه غيرهم، فلو أتي بكل آية ما تبعها حتىٰ يؤتىٰ بشيء من كلامهم.

ثم هم مع هـٰذا مخالفون لأسلافهم غير متّبعين لهم، فلـو أنهـم أخـذوا بالهـدىٰ الـذي يجدونه في كلام أسلافهم لرُجي لهم مع الصِّدق في طلب الحق أن يزدادوا هدىٰ، ومن كان لا يقبل الحق إلا من طائفة معيّنة، ثم لا يتمسّك بما جاءت به من الحق: ففيه شَبه من اليهود الذين قال الله فيهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾﴾ [البقرة]. فإنَّ اليهود قالوا: لا نؤمن إلَّا بما أنـزل علينـا قـال الله تعـالىٰ لهم: ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾﴾ [أي: إن كُنتم مـؤمنين بمـا أنزل عليكم]، يقول ﷻ: لا لِما جاءتكم به أنبيـاؤكم تتّبعـون، ولا لمـا جـاءتكم بـه سـائر الأنبياء تتبعون، ولكن إنما تتبعون أهواءكم، فهـٰذا حال من لم يقبل الحـق، لا مـن طائفتـه ولا من غيرها، مع كونه يتعصب لطائفته بلا برهان من الله ولا بيان.

وكذلك قال أبو المعالي الجويني في كتابه «الرسالة النظامية»: اختلفت مسالك العلمـاء في هـٰذه الظواهر، فرأىٰ بعضهم تأويلها والتزم ذلك في آي الكتاب ومـا يصـح مـن السُّـنن، وذهب أئمّة السلف إلىٰ الانكفاف عن التأويل وإجراء الظَّـواهر علـىٰ مواردهـا وتفـويض معانيها إلىٰ الرّب.

فقال: والذي نرتضيه رأيا وندين اللهَ به عقيـدةً: اتِّبـاعُ سـلف الأمـة، والـدليل السـمعي



القاطع في ذلك إجماع الأمة وهو حجة متبعة، وهو مستندُ معظمِ الشريعة.

وقد درج صحب رسول الله ﷺ علىٰ ترك التعرُّض لمعانيها، ودرك ما فيها، وهم صفوة الإسلام، والمستقلّون بأعباء الشريعة، وكانوا لا يألون جهدا في ضبط قواعد الملة، والتواصي بحفظها وتعليم الناس ما يحتاجون إليه منها، فلو كان تأويل هـٰذه الظواهر مسوغًا أو محتوما: لأوشك أن يكون اهتمامهم بها فوق اهتمامهم بفروع الشريعة، وإذا انصرم عصرهم وعصر التابعين علىٰ الإضراب عن التأويل: كان ذلك هو الوجه المتبع، فحقٌّ علىٰ ذي الدين أن يعتقد [تنزُّه الباري] عن صفات المحدثين، ولا يخوض في تأويل المشكلات ويكِلُ معناها إلىٰ الربِّ تعالىٰ فليجر آية الاستواء والمجيء وقوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥]، ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾[الرحمن]، وقوله: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر:١٤]، وما صح من أخبار الرسول ﷺ كخبر النُّزول وغيره علىٰ ما ذكرناه.

قلتُ: وليعلم السائل أن الغرض من هـٰذا الجواب ذكر ألفاظ بعض الأئمة الذين نقلوا مذهب السلف في هـٰذا الباب، وليس كل من ذكرنا شيئًا من قوله من المتكلمين وغيرهم يقول بجميع ما نقوله في هـٰذا الباب وغيره؛ ولكن الحق يُقبل من كل من تكلم به، وكان معاذ بن جبل يقول في كلامه المشهور عنه، الذي رواه أبو داود في سننه: اقبلوا الحق من كل من جاء به وإن كان كافرا -أو قال: فاجرا- واحذروا زيغة الحكيم، قالوا: كيف نعلم أن الكافر يقول كلمة الحق؟ قال: إنَّ علىٰ الحقِّ نورًا. أو قال كلاما هـٰذا معناه.

فأمَّا تقرير ذلك بالدليل، وإماطة ما يعرض من الشبه وتحقيق الأمر علىٰ وجه يخلص إلىٰ القلب ما يبرد به من اليقين ويقف علىٰ مواقف آراء العباد في هـٰذه المهامه، فما تتّسع له هـٰذه الفتوىٰ، وقد كتبتُ شيئًا من ذلك قبل هـٰذا وخاطبت ببعض ذلك بعض من يجالسنا، وربما أكتب إن شاء الله في ذلك ما يحصلُ به المقصود.

وجِماع الأمر في ذلك أن الكتاب والسنة يحصل منهما كمال الهدىٰ والنور لمن تدبر كتاب الله وسنة نبيه، وقصَدَ اتِّباع الحق وأعرض عن تحريف الكلم عن مواضعه، والإلحاد في أسماء الله وآياته.

ولا يحسب الحاسب أنَّ شيئا من ذلك يناقض بعضه بعضًا ألبتة؛ مثل أن يقول القائل ما



في الكتاب والسنة من أنَّ الله فوق العرش يخالفه في الظّاهر من قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد:٤]، وقوله ﷺ: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَىٰ الصَّلَاةِ فَإِنَّ اللهَ قِبَلَ وَجْهِهِ» ونحو ذلك فإن هـٰذا غلط وذلك أنّ الله معنا حقيقةً، وهو فوق العرش حقيقة كما جمع الله بينهما في قوله ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الحديد].

فأخبر أنه فوق العرش يعلم كل شيء وهو معنا أينما كنا، كما قال النبي ﷺ في حديث الأوعال «وَاللهُ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَهُوَ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ».

وذلك أن كلمة (مَعَ) في اللغة إذا أُطلقت فليس ظاهرها في اللغة إلا المقارنة المطلقة من غير وجوب مماسة أو محاذاة عن يمينٍ أو شمال، فإذا قُيّدت بمعنىٰ من المعاني دلت علىٰ المقارنة في ذلك المعنىٰ، فإنه يقال: ما زلنا نسير والقمر معنا أو والنجم معنا، ويقال: هـٰذا المتاع معي لمجامعته لك، وإن كان فوق رأسك، فالله مع خلقه حقيقة، وهو فوق عرشه حقيقة.

ثم هـٰذه المعية تختلف أحكامها بحسب الموارد، فلما قال: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ إلىٰ قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾، دلَّ ظاهر الخطاب علىٰ أنّ حكم هـٰذه المعية ومقتضاها أنه مطَّلِعٌ عليكم، شهيد عليكم، ومهيمن عالم بكم، وهـٰذا معنىٰ قول السلف: إنه معهم بعلمه. وهـٰذا ظاهر الخطاب وحقيقته.

كذلك في قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ إلىٰ قوله: ﴿هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ [المجادلة:٧]، ولما قال النبي ﷺ لصاحبه في الغار: «لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا» كان هـٰذا أيضا حقًّا علىٰ ظاهره، ودلّت الحال علىٰ أن حكم هـٰذه المعية هنا معية الإطلاع والنّصر والتأييد.

وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل]، وكذلك قوله لموسىٰ وهارون: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [طه]، هنا المعية علىٰ ظاهرها، وحكمها في هـٰذه المواطن النّصر والتأييد.

وقد يدخل علىٰ صبي من يخيفه فيبكي فيشرف عليه أبوه من فوق السقف فيقول: لا



تخف أنا معك، أو أنا هنا، أو أنا حاضر ونحو ذلك. ينبهه على المعية الموجبة بحكم الحال دفع المكروه؛ ففرق بين معنىٰ المعية وبين مقتضاها، وربما صار مقتضاها من معناها، فيختلف باختلاف المواضع.

فلفظ المعية قد استعمل في الكتاب والسنة في مواضع يقتضي في كل موضع أمورا لا يقتضيها في الموضع الآخر، فإما أن تختلف دلالتها بحسب المواضع، أو تدلّ علىٰ قدر مشتركٍ بين جميع مواردها -وإن امتاز كلُّ موضع بخاصية- فعلىٰ التقديرين ليس مقتضاها أن تكون ذات الرّب عَزَّوَجَلَّ مختلطة بالخلق حتىٰ يقال: قد صُرفت عن ظاهرها.

ونظيرها من بعض الوجوه الربوبية والعبودية، فإنهما وإن اشتركتا في أصل الربوبية والعبودية فلما قال: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأعراف]، كانت ربوبية موسىٰ وهارون لها اختصاص زائد علىٰ الربوبية العامة للخلق، فإن من أعطاه الله من الكمال أكثر مما أعطىٰ غيره: فقد ربَّه وربَّاه ربوبيّةً وتربيةً أكمل من غيره.

وكذلك قوله: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾﴾ [الإنسان] و﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ [الإسراء:١].

فإنَّ العبد تارة يعني به المعبّد فيعم الخلق كما في قوله: ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾﴾ [مريم]، وتارة يعنىٰ به العابد فيُخَصُّ، ثم يختلفون فمن كان أعبد علما وحالًا، كانت عبوديته أكمل، فكانت الإضافة في حقِّه أكمل، مع أنها حقيقة في جميع المواضع.

ومثل هٰذه الألفاظ يسمِّيها بعض الناس مشككة لتشكك المستمع فيها، هل هي من قبيل الأسماء المتواطئة، أو من قبيل المشتركة في اللفظ فقط، والمحققون يعلمون أنها ليست خارجة عن جنس المتواطئة؛ إذْ واضِعُ اللغة إنما وضع اللفظ بإزاء القدْر المشترك، وإن كانت نوعًا مختصًّا من المتواطئة فلا بأس بتخصيصها بلفظ.

ومن علم أن المعية تضاف إلىٰ كل نوع من أنواع المخلوقات -كإضافة الربوبية مثلا- وأنَّ الاستواء علىٰ الشيء ليس إلا للعرش، وأنَّ الله يوصف بالعلو والفوقية الحقيقية، ولا يوصف بالسُّفول ولا بالتحتية قط، لا حقيقة ولا مجازا: علم أن القرآن علىٰ ما هو عليه من غير تحريف.



ثم من توهّم أن كون الله في السماء بمعنىٰ أن السماء تحيط به وتحويه، فهو كاذبٌ إن نقله عن غيره، وضال إن اعتقده في ربِّه، وما سمعنا أحدا يفهم هـٰذا من اللفظ، ولا رأينا أحدا نقله عن واحد، ولو سئل سائر المسلمين هل تفهمون من قول الله ورسوله: إن الله في السماء أن السماء تحويه؟ لبادر كل أحد منهم إلىٰ أن يقول: هـٰذا شيءٌ لعله لم يخطر ببالنا.

وإذا كان الأمر هكذا فمن التكلُّف أن يجعل ظاهر اللفظ شيئا محالا لا يفهمه الناس منه، ثم يريد أن يتأوله؛ بل عند الناس إن الله في السماء وهو علىٰ العرش واحد، إذْ السماء إنما يراد به العلو، فالمعنىٰ أنّ الله في العلو لا في السفل، وقد علم المسلمون أنَّ كرسيه ﷻ وسع السَّمٰوات والأرض، وأن الكرسي في العرش كحلْقة ملقاة بأرضٍ فلاة، وأن العرش خلق من مخلوقات الله لا نسبةَ له إلىٰ قدرة الله وعظمته، فكيف يتوهّم بعد هـٰذا أن خلقا يحصره ويحويه، وقد قال سبحانه: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾[طه:٧١]، وقال: ﴿فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [آل عمران:١٣٧] بمعنىٰ (علىٰ) ونحو ذلك، وهو كلام عربي حقيقة لا مجازا، وهـٰذا يعلمه من عرف حقائق معاني الحروف، وأنها متواطئة في الغالب لا مشتركة.

وكذلك قوله ﷺ: «**إذا قام أحدكم إلىٰ الصلاة فإن الله قِبل وجهه، فلا يبصق قِبل وجهه**» الحديث حقٌّ علىٰ ظاهره، وهو سبحانه فوق العرش، وهو قبل وجه المصلِّي؛ بل هـٰذا الوصف يثبت للمخلوقات؛ فإن الإنسان لو أنه يناجي السماء أو يناجي الشمس والقمر لكانت السماء والشمس والقمر فوقه وكانت أيضا قبل وجهه.

وقد ضرب النبي ﷺ المثل بذلك -ولله المثل الأعلىٰ- ولكن المقصود بالتمثيل بيان جواز هـٰذا وإمكانه لا تشبيه الخالق بالمخلوق، فقال النبي ﷺ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيَرَىٰ رَبَّهُ مَخْلِيًّا بِهِ**» فقال له أبو رَزِين العُقَيْلي: كيف يا رسول الله وهو واحد ونحن جميع؟ فقال النبي ﷺ: «**سَأُنَبِّئُكَ بِمِثْلِ ذَلِكَ فِي آلاءِ اللهِ، هَـٰذَا الْقَمَرُ كُلُّكُمْ يَرَاهُ مَخْلِيًّا بِهِ، وَهُوَ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللهِ، فَاللهُ أَكْبَرُ**» أو كما قال النبيُّ ﷺ.

وقال: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ**»، فشبّه الرؤية بالرؤية، وإن لم يكن المرئي مشابها للمرئي، فالمؤمنون إذا رأوا ربهم يوم القيامة وناجوه كل يراه فوقه قِبل وجهه كما يرىٰ الشمس والقمر، ولا منافاة أصلا.



ومن كان له نصيبٌ من المعرفة بالله والرسوخ في العلم بالله يكون إقراره للكتاب والسنة علىٰ ما هما عليه أوكد.

واعلم أنَّ من المتأخرين من يقول: مذهب السلف إقرارها علىٰ ما جاءت به مع اعتقاد أن ظاهرها غيرُ مراد، وهـٰذا اللّفظ مجمل؛ فإن قوله ظاهرها غير مراد، يحتمل أنه أراد بالظاهر نعوت المخلوقين وصفات المحدَثين؛ مثل أن يراد بكون الله قبل وجه المصلي، أنه مستقر في الحائط الذي يصلِّي إليه، وأن الله معنا ظاهره أنه إلىٰ جانبنا، ونحو ذلك، فلا شك أنّ هـٰذا غير مراد.

ومن قال: إنّ مذهب السلف إن هـٰذا غير مراد فقد أصاب في المعنىٰ؛ لكن أخطأ بإطلاق القول بأن هـٰذا هو ظاهر الآيات والأحاديث، فإنَّ هـٰذا هو المحال ليس هو الظاهر علىٰ ما قد بيناه في غير هـٰذا الموضع، اللّٰهُمَّ إلا أن يكون هـٰذا المعنىٰ الممتنع صار يظهر لبعض الناس فيكون القائل لذلك مصيبًا بهـٰذا الاعتبار، معذورا في هـٰذا الإطلاق.

فإن الظهور والبطون قد يختلف باختلاف أحوال الناس، وهو من الأمور النِّسبية، وكان أحسن من هـٰذا أن يبيِّن لمن اعتقد أن هـٰذا هو الظاهر، أن هـٰذا ليس هو الظاهر، حتىٰ يكون قد أعطىٰ كلامَ الله وكلام رسوله حقَّه لفظًا ومعنًىٰ.

وإن كان الناقل عن السلف أراد -بقوله الظاهر غير مراد عندهم- أن المعاني التي ظهرت من هـٰذه الآيات والأحاديث مما يليق بجلال الله وعظمته ولا يختص بصفة المخلوقين؛ بل هي واجبة لله أو جائزة عليه جوازًا ذهنيًّا، أو جوازًا خارجيًّا: غير مراد، فهـٰذا قد أخطأ فيما نقله عن السلف، أو تعمد الكذب، فما يمكن أحد قط أن ينقل عن واحد من السلف ما يدل -لا نصًّا ولا ظاهرًا- أنهم كانوا يعتقدون أن الله ليس فوق العرش، ولا أن الله ليس له سمع ولا بصر ولا يد حقيقة.

وقد رأيت هـٰذا المعنىٰ ينتحله بعض من يحكيه عن السلف، ويقولون: إن طريقة أهل التأويل هي في الحقيقة طريقة السَّلف، بمعنىٰ أن الفريقين اتفقوا علىٰ أن هـٰذه الآيات والأحاديث لم تَدُلَّ علىٰ صفات الله ﷻ؛ ولكن السلف أمسكوا عن تأويلها، والمتأخرون رأوا المصلحة في تأويلها، لمسيس الحاجة إلىٰ ذلك، ويقولون: الفرق بين الطَّريقين أنَّ هؤلاء قد يعيِّنون المراد بالتأويل، وأولئك لا يعينون لجواز أن يراد غيره.



وهـٰذا القول علىٰ الإطلاق كذبٌ صريحٌ علىٰ السلف: أما في كثير من الصفات فقطعًا، مثل أن الله تعالىٰ فوق العرش، فإنَّ من تأمل كلام السلف المنقول عنهم -الذي لم يُحْكَ هنا عشره- عُلِم بالاضطرار أن القوم كانوا مصرِّحين بأنّ الله فوق العرش حقيقة، وأنهم ما اعتقدوا خلاف هـٰذا قط، وكثيرٌ منهم قد صرح في كثير من الصِّفات بمثل ذلك.

واللهُ يعلم أني بعد البحث التام ومطالعة ما أمكن من كلام السلف، ما رأيت كلام أحد منهم يدلُّ -لا نصًّا ولا ظاهرا ولا بالقرائن- علىٰ نفي الصفات الخبرية في نفس الأمر؛ بل الذي رأيته أن كثيرا من كلامهم يدل -إما نصًّا وإما ظاهرا- علىٰ تقرير جنس هـٰذه الصفات، ولا أنقل عن كل واحد منهم إثبات كل صفة؛ بل الذي رأيته أنهم يثبتون جنسها في الجملة، وما رأيت أحدا منهم نفاها، وإنما ينفون التشبيه، وينكرون علىٰ المشبهة الذين يشبهون الله بخلقه، مع إنكارهم علىٰ من ينفي الصفات أيضا؛ كقول نُعيم بن حمّاد الخُزاعي شيخ البخاري: من شبَّه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس ما وصف اللهُ به نفسه ولا رسوله تشبيها.

وكانوا إذا رأوا الرَّجل قد أغرق في نفي التشبيه من غير إثبات الصِّفات قالوا: هـٰذا جهميٌّ معطل. وهـٰذا كثيرٌ جدًّا في كلامهم، فإن الجهمية والمعتزلة إلىٰ اليوم يسمُّون من أثبت شيئا من الصفات مشبها -كذبا منهم وافتراء- حتىٰ إن منهم من غلا ورمىٰ الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم بذلك، حتىٰ قال ثُمامة بن الأشرس من رؤساء الجهمية: ثلاثة من الأنبياء مشبهة موسىٰ حيث قال: ﴿إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ﴾ [الأعراف:١٥٥]، وعيسىٰ حيث قال: ﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ﴾ [المائدة:١١٦]، ومحمد ﷺ حيث قال: «يَنْزِلُ رَبُّنَا».

وحتىٰ إن جل المعتزلة تُدخل عامة الأئمة مثل مالك وأصحابه، والثوري وأصحابه، والأوزاعي وأصحابه، والشّافعي وأصحابه، وأحمد وأصحابه، وإسحاق بن راهويه، وأبي عبيد، وغيرهم في قسم المشبِّهة.

وقد صنّف أبو إسحاق إبراهيم بن عثمان بن درباس الشافعي جزءًا سمّاه «تنزيه أئمة الشريعة عن الألقاب الشّنيعة»، ذكر فيه كلام السلف وغيرهم من معاني هـٰذه الألقاب، وذكر أنّ أهل البدع كل صنْف منهم يلقب أهل السنة بلقب افتراه، يزعم أنه صحيح علىٰ



رأيه الفاسد؛ كما أنَّ المشركين كانوا يلقِّبون النبي بألقاب افتروها.

فالروافض تسميهم نواصب، والقدرية يسمُّونهم مُجَبِّرَة، والمُرجئة تسميهم شُكاكا، والجهمية تسميهم مشبِّهة، وأهل الكلام يسمونهم حَشْوِية ونوابت وغثاء وغُثْرًا، إلىٰ أمثال ذلك، كما كانت قريش تسمِّي النبي ﷺ تارة مجنونا، وتارة شاعرا، وتارة كاهنا، وتارة مفتريا.

قالوا: فهٰذه علامة الإرث الصَّحيح والمتابعة التامة، فإنَّ السنة هي ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه اعتقادًا واقتصادًا وقولًا وعملا؛ فكما أن المنحرفين عنه يسمُّونهم بأسماءٍ مذمومة مكذوبة -وإن اعتقدوا صدقها بناء علىٰ عقيدتهم الفاسدة-، فكذلك التَّابعون له علىٰ بصيرة الذين هم أولىٰ الناس به في المحيا والممات باطنًا وظاهرا.

وأما الذين وافقوه ببواطنهم وعجزوا عن إقامة الظواهر، والذين وافقوه بظواهرهم وعجزوا عن تحقيق البواطن، والذين وافقوه ظاهرًا وباطنا بحسب الإمكان: فلابد للمنحرفين عن سنّته أن يعتقدوا فيهم نقصًا يذمونهم به، ويسمُّونهم بأسماء مكذوبة -وإن اعتقدوا صدقها- كقول الرّافضي: من لم يُبغض أبا بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وعمر فقد أبغض عليًّا؛ لأنه لا وَلاية لعلي إلا بالبراءة منهما. ثم يجعل من أحبّ أبا بكر وعمر ناصبيًّا، بناء علىٰ هٰذه الملازمة الباطلة التي اعتقدها صحيحة أو عاند فيها وهو الغالب.

وكقول القدري: من اعتقد أنّ الله أراد الكائنات وخلق أفعال العباد: فقد سلب من العباد الاختيار والقدرة، وجعلهم مجبورين كالجمادات التي لا إرادة لها ولا قدرة.

وكقول الجهمي: من قال: إنَّ الله فوق العرش فقد زعم أنه محصور، وأنه جسم مركّب محدود وأنّه مشابه لخلقه.

وكقول الجهمية والمعتزلة: من قال: إنّ لله علما وقدرة فقد زعم أنه جسم مركّب، وإنه مشبه؛ لأن هٰذه الصفات أعراض، والعرَض لا يقوم إلا بجوهرٍ متحيّز، وكل متحيز جسم مركب أو جوهر فرد، ومن قال ذلك فهو مشبه؛ لأن الأجسام متماثلة.

ومن حكىٰ عن الناس المقالات وسماهم بهٰذه الأسماء المكذوبة بناء علىٰ عقيدته التي هم مخالفون له فيها فهو وربّه والله من ورائه بالمرصاد، ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله.

وجماع الأمر أن الأقسام الممكنة في آيات الصفات وأحاديثها ستة أقسام، كل قسم عليه



طائفة من أهل القبلة:

قسمان يقولان: تجري علىٰ ظواهرها.

وقسمان يقولان: هي علىٰ خلاف ظاهرها.

وقسمان: يسكتون.

أمّا الأولان فقسمان:

أحدهما: من يجريها علىٰ ظاهرها، ويجعل ظاهرها من جنس صفات المخلوقين، فهؤلاء المشبِّهة، ومذهبهم باطل أنكره السلف وإليهم يتوجه الرد بالحق.

الثاني: من يجريها علىٰ ظاهرها اللائق بجلال الله، كما يُجري ظاهر اسم العليم، والقدير، والرب، والإله، والموجود، والذات، ونحو ذلك، علىٰ ظاهرها اللائق بجلال الله، فإنّ ظواهر هـٰذه الصِّفات في حق المخلوق: إما جوهر محدَث، وإما عرَض قائم به.

فالعلم والقدرة والكلام والمشيئة والرحمة والرضا والغضب ونحو ذلك في حق العبد أعراض.

والوجه واليد والعين في حقِّه أجسام.

فإذا كان الله موصوفًا عند عامّة أهل الإثبات بأن له علمًا وقدرة وكلاما ومشيئة -وإن لم يكن ذلك عرضًا يجوز عليه ما يجوز علىٰ صفات المخلوقين- جاز أن يكون وجه الله ويداه صفات ليس أجسامًا يجوزُ عليها ما يجوز علىٰ صفات المخلوقين.

وهـٰذا هو المذهب الذي حكاه الخطَّابي وغيرُه عن السلف، وعليه يدلّ كلام جمهورهم، وكلام الباقين لا يخالفه، وهو أمرٌ واضح فإن الصّفات كالذات، فكما أن ذات الله ثابتة حقيقة من غير أن تكون من جنس المخلوقات، فصفاته ثابتة حقيقة من غير أن تكون من جنس صفات المخلوقات.

فمن قال: لا أعقل علمًا ويدًا إلا من جنس العلم واليد المعهودين.

قيل له: فكيف تعقل ذاتًا من غير جنس ذوات المخلوقين، ومن المعلوم أنَّ صفات كل موصوفٍ تناسب ذاته وتلائم حقيقته؛ فمن لم يفهم من صفات الرَّب -الذي ليس كمثله شيء- إلا ما يناسب المخلوق فقد ضلَّ في عقله ودينه.

وما أحسن ما قال بعضهم: إذا قال لك الجهمي: كيف استوىٰ؟ أو كيف ينزل إلىٰ سماء



الدنيا؟ أو كيف يداه؟ ونحو ذلك، فقل له: كيف هو في ذاته؟ فإذا قال لك: لا يُعلم ما هو إلا هو، وكُنْهُ الباري تعالىٰ غير معلوم للبشر، فقل لـه: فـالعلم بكيفيـة الصِّـفة مسـتلزم للعلـم بكيفية الموصوف، فكيف يمكن أن تعلم كيفية صفة لموصوف، لم تعلم كيفيته، وإنما تعلم الذات والصفات من حيث الجملة علىٰ الوجه الذي ينبغي لك؛ بـل هـٰـذه المخلوقـات في الجنة قد ثبت عن ابن عباس أنه قال: ليس في الدُّنيا مما في الجنة إلا الأسماء.

وقد أخبر الله تعالىٰ أنه لا تعلم نفس ما أخفِي لهم من قرة أعين، وأخبر النبي ﷺ «**أَنَّ فِي الْجَنَّةِ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَىٰ قَلْبِ بَشَرٍ**».

فإذا كان نعيم الجنة وهو خلقٌ من مخلوقات الله كذلك فما ظنُّك بالخالق ﷻ.

وهـٰذه الرُّوح التي في بني آدم قد علم العاقل اضطراب الناس فيها، وإمسـاك النصـوص عن بيان كيفيتها، أفلا يعتبر العاقل بها عن الكلام في كيفية الله تعالىٰ؟ مع أنّا نقطع بأن الروح في البدن، وأنها تخرج منه وتعرج إلىٰ السماء، وإنها تسل منه وقت النزع كما نطقـت بـذلك النصوص الصحيحة، لا نغالي في تجريدها غلو المتفلسفة، ومن وافقهم حيـث نفـوا عنهـا الصعود والنزول، والاتصال بالبدن والانفصال عنه، وتخبطوا فيها حيـث رأوهـا مـن غيـر جنس البدن وصفاته، فعدم مماثلتهـا للبـدن لا ينفـي أن تكـون هـٰـذه الصـفات ثابتـة لهـا بحسبها، إلا أن يفسروا كلامهم بما يوافق النصوص، فيكونون قد أخطؤوا في اللفظ، وأنَّـىٰ لهم بذلك؟

ولا نقول: إنها مجرّد جزء من أجزاء البدن كالدَّم والبخار مثلا أو صفة من صفات البدن والحياة، وإنها مختلفة الأجساد ومساوية لسائر الأجسـاد في الحـد والحقيقـة، كمـا يقـول طوائف من أهل الكلام؛ بل نتيقن أن الروح عينٌ موجودة غير البدن، وإنها ليست مماثلة له؛ وهي موصوفة بما نطقت به النصوص حقيقة لا مجازا، فإذا كان مـذهبنا في حقيقـة الـروح وصفاتها بين المعطلة والممثلة، فكيف الظن بصفات ربِّ العالمين.

**وأما القسمان اللذان ينفيان ظاهرها**، أعني الذين يقولون: ليس لها في الباطن مدلول هو صفة الله تعالىٰ قط، وأنَّ الله لا صفة له ثبوتية؛ بل صفاته إما سلبية وإما إضافية، وإما مركبـة منهما، أو يثبتون بعض الصفات؛ وهي: الصفات السبعة أو الثمانيـة أو الخمسـة عشـر، أو يثبتون الأحوال دون الصفات، ويقرون من الصفات الخبرية بمـا في القـرآن دون الحـديث



علىٰ ما قد عرف من مذاهب المتكلِّمين.

**فهؤلاء قسمان:**

**قسم يتأولونها** ويعينون المراد مثل قولهم: استوىٰ بمعنىٰ استولىٰ؛ أو بمعنىٰ علو المكانة والقدر، أو بمعنىٰ ظهور نوره للعرش، أو بمعنىٰ انتهاء الخلْق إليه، إلىٰ غير ذلك من معاني [المتكلِّفين].

**وقسم يقولون:** الله أعلم بما أراد بها؛ لكنا نعلم أنه لم يرد إثبات صفة خارجية عما علمناه.

**وأما القسمان الواقفان:**

**فقسم:** يقولون: يجوز أن يكون ظاهرها المراد اللائق بجلال الله، ويجوز ألَّا يكون المراد صفة الله ونحو ذلك، وهـٰذه طريقة كثير من الفقهاء وغيرهم.

**وقوم:** يمسكون عن هـٰذا كله ولا يزيدون علىٰ تلاوة القرآن وقراءة الحديث، معرضين بقلوبهم وألسنتهم عن هـٰذه التقديرات.

فهـٰذه الأقسام السِّتة لا يمكن أن يخرج الرجل عن قسم منها.

**والصّواب** في كثير من آيات الصفات وأحاديثها القطع بالطريقة الثابتة كالآيات والأحاديث الدالّة علىٰ أن الله ﷻ فوق عرشه، وتعلم طريقة الصواب في هـٰذا وأمثاله بدلالة الكتاب والسنة والإجماع علىٰ ذلك، دلالة لا تحتمل النّقيض، وفي بعضها قد يغلب علىٰ الظَّن ذلك مع احتمال النّقيض، وتردد المؤمن في ذلك هو بحسب ما يؤتاه من العلم والإيمان، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور.

ومن اشتبه عليه ذلك أو غيره فليدعُ بما رواه مسلم في «صحيحه» عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: كان رسولُ الله ﷺ إِذَا قَامَ يصلي مِنَ اللّيْلِ، قال: «**اللّهُمّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقّ بِإِذْنِكَ إِنّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**».

وفي رواية لأبي داود: إنه كان يكبر في صلاته ثم يقول ذلك.



فإذا افتقر العبد إلىٰ الله ودعاه، وأدمن النظر في كلام الله وكلام رسوله وكلام الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين: انفتح له طريق الهدىٰ.

ثم إن كان قد خبَر نهايات إقدام المتفلسفة والمتكلمين في هٰذا الباب، وعرف أن غالب ما يزعمونه برهانا هو شبهة، ورأىٰ أن غالب ما يعتمدونه يؤول إلىٰ دعوىٰ لا حقيقة لها، أو شبهة مركّبة من قياس فاسد، أو قضية كلّية لا [تصلح] إلا جزئية، أو دعوىٰ إجماع لا حقيقة له، أو التمسك في المذهب والدّليل بالألفاظ المشتركة.

ثم إنّ ذلك إذا ركب بألفاظ كثيرة طويلة غريبة عمن لم يعرف اصطلاحهم، أوْهَمَتِ الغِرَّ ما يُوهمه السَّراب للعطشان، ازداد إيمانا وعلمًا بما جاء به الكتاب والسنة، فإنّ الضد يُظهر حسنه الضد، وكل من كان بالباطل أعلم كان للحق أشد تعظيمًا، وبقدره أعرف إذا هُدي إليه.

فأما المتوسطون من المتكلمين فيخاف عليهم ما لا يخاف علىٰ من لم يدخل فيه، وعلىٰ من قد أنهاه نهايته، فإن من لم يدخل فيه فهو في عافية، ومن أنهاه فقد عرف الغاية، فما بقي يخاف من شيء آخر، فإذا ظهر له الحق وهو عطشان إليه قبله، وأما المتوسط فيتوهم بما يتلقاه من المقالات المأخوذة تقليدا لمعظِّمة هؤلاء.

وقد قال بعض الناس: أكثر ما يفسد الدنيا: نصف متكلم، ونصف متفقه، ونصف متطبب، ونصف نحوي، هٰذا يفسد الأديان، وهٰذا يفسد البلدان، وهٰذا يفسد الأبدان، وهٰذا يفسد اللسان.

ومن علم أن المتكلمين من المتفلسفة وغيرهم في الغالب في قول مختلف، يؤفك عنه من أفك، يعلم الذكي منهم والعاقل أنه ليس هو فيما يقوله علىٰ بصيرة، وأنّ حجته ليست ببينة وإنما هي كما قيل فيها:

حُجَجٌ تَهَافَتُ كَالزُّجَاجِ تَخَالُهَا ... حَقًّا وَكُلُّ كَاسِرٍ مَكْسُورُ

ويعلم العليم البصير بهم أنهم من وجه مستحقون ما قاله الشافعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حيث قال: حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال، ويطاف بهم في القبائل والعشائر ويقال: هٰذا جزاء من أعرض عن الكتاب والسنة وأقبل علىٰ الكلام.



ومن وجه آخر إذا نظرت إليهم بعين القَدَر -والحيرة مستولية عليهم والشيطان مستحوذٌ عليهم- رحمتهم وترفقت بهم، أوتوا ذكاء وما أوتوا زكاء، وأعطوا فهوما وما أعطوا علوما، وأعطوا سمعا وأبصارا وأفئدة ﴿فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُمۡ سَمۡعُهُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُهُمۡ وَلَآ أَفۡـِٔدَتُهُم مِّن



شَيۡءٍ إِذۡ كَانُواْ يَجۡحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٢٦﴾ [الأحقاف].

ومن كان عليمًا بهٰذه الأمور: تبيَّن له بذلك حِذْقُ السلف وعلمهم وخبرتهم حيث حذروا عن الكلام ونهوا عنه وذمّوا أهله وعابوهم؛ وعلم أن من ابتغىٰ الهدىٰ في غير الكتاب والسنة لم يزدد من الله إلا بعدًا.

فنسأل الله العظيم أن يهدينا صراطه المستقيم؛ صراط الذين أنعم عليهم، غير المغضوب عليهم ولا الضالين. آمين.

والحمد لله رب العالمين وصلاته وسلامه علىٰ محمّد خاتم النبيين وآله وصحبه أجمعين.







# «فَتْحُ رَبِّ الْبَرِيَّةِ بِتَلْخِيصِ الْحَمَوِيَّةِ»

لِلشَّيْخِ الْعَلاَّمَةِ:

مُحَمَّدِ بْنِ صَالِحِ الْعُثَيْمِين رَحِمَهُ اللهُ

بسم الله الرحمن الرحيم

## المُقدِّمة

الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مُضِلّ له؛ ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: فإن الله تعالىٰ بعث محمدًا ﷺ بالهدىٰ ودين الحق؛ رحمة للعالمين، وقدوة للعاملين، وحجّة علىٰ العباد أجمعين؛ فأدىٰ الأمانة، وبلّغ الرسالة، ونصح الأمة، وبيّن للناس جميع ما يحتاجون إليه في أصول دينهم وفروعه، فلم يدع خيرًا إلا بيّنه وحثّ عليه، ولم يترك شرًّا إلا حذّر الأمة عنه، حتىٰ ترك أمته علىٰ المحجّة البيضاء، ليلها كنهارها، فسار عليها أصحابه نيّرة مضيئة، وتلقاها عنهم كذلك القرون المفضلة، حتىٰ تجهّم الجو بظلمات البدع المتنوعة التي كاد بها مبتدعوها الإسلام وأهله، وصاروا يتخبطون فيها خبط عشواء، ويبنون معتقداتهم علىٰ نسج العنكبوت وأوهىٰ، والربّ تعالىٰ يحمي دينه بأوليائه الذين وهبهم من الإيمان، والعلم، والحكمة ما به يصدُّون هؤلاء الأعداء، ويردون كيدهم في نحورهم، فما قام أحد ببدعة إلا قيض الله وله الحمد من أهل السنة من يدحض بدعته، ويبطلها.

وكان في مقدمة القائمين علىٰ هؤلاء المبتدعة: شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني، ثم الدمشقي، المولود في حران يوم الاثنين



الموافق ١٠ ربيع الأول سنة ٦٦١ هجرية، والمتوفىٰ محبوسًا ظلمًا في قلعة دمشق في ذي القعدة سنة ٧٢٨ هجرية.

وله المؤلفات الكثيرة في بيان السنة، وتوطيد أركانها، وهدم البدع.

ومما ألّفه في هذا الباب رسالة «الفتوىٰ الحموية» التي كتبها جوابًا لسؤال ورد عليه في سنة ٦٩٨ هجرية مِنْ «حماة» بلد في الشام، يسأل فيه عما يقوله الفقهاء وأئمة الدين في آيات الصفات وأحاديثها؟ فأجاب بجواب يقع في حوالي ٨٣ صفحة، وحصل له بذلك محنة وبلاء، فجزاه الله تعالىٰ عن الإسلام والمسلمين أفضل الجزاء.

ولما كان فهم هذا الجواب والإحاطة به مما يشق علىٰ كثير من قرائه أحببت أن ألخص المهم منه مع زيادات تدعو الحاجة إليها وسميته: «فتح رب البرية بتلخيص الحموية».

وقد طبعته لأول مرة في سنة ١٣٨٠ هجرية، وها أنا أعيد طبعه للمرة الثانية، وربما غيّرت ما رأيت من المصلحة تغييره من زيادة أو حذف.

والله أسأل أن يجعل عملنا خالصًا لوجهه ونافعًا لعباده إنه جواد كريم.



## الباب الأول: فيما يجب على العبد في دينه

الواجب علىٰ العبد في دينه هو اتباع ما قاله الله، وقاله رسوله محمد ﷺ، والخلفاء الراشدون المهديون من بعده من الصحابة، والتابعين لهم بإحسان.

وذلك أن الله بعث محمدًا ﷺ، بالبينات والهدىٰ، وأوجب علىٰ جميع الناس أن يؤمنوا به، ويتّبعوه ظاهرًا وباطنًا، فقال تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٥٨﴾ [الأعراف].

وقال النبي ﷺ: «**عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**».

**والخلفاء الراشدون هم**: الذين خلفوا النبي ﷺ في العلم النافع، والعمل الصالح، وأحق الناس بهذا الوصف هم الصحابة ﵃، فإن الله اختارهم لصحبة نبيه ﷺ، وإقامة دينه، ولم



يكن الله تعالىٰ ليختار وهو العليم الحكيم لصحبة نبيه إلا من هم أكمل الناس إيمانًا، وأرجحهم عقولًا، وأقومهم عملًا، وأمضاهم عزمًا، وأهداهم طريقًا، فكانوا أحق الناس أن يُتَّبَعُوا بعد نبيهم ﷺ، ومن بعدهم أئمة الدين، الذين عُرفوا بالهدىٰ والصلاح.

## الباب الثاني: فيما تضمنته رسالة النبي ﷺ من بيان الحق في أصول الدين وفروعه

رسالة النبي ﷺ تتضمن شيئين هما: العلم النافع، والعمل الصالح، كما قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ۝٣٣﴾ [التوبة].

فالهدىٰ هو: العلم النافع. ودين الحق هو: العمل الصالح الذي اشتمل علىٰ الإخلاص لله، والمتابعة لرسوله ﷺ.

والعلم النافع يتضمن كل علم يكون للأمة فيه خير وصلاح في معاشها، ومعادها، وأول ما يدخل في ذلك العلم بأسماء الله وصفاته وأفعاله؛ فإن العلم بذلك أنفع العلوم. وهو زبدة الرسالة الإلهية، وخلاصة الدعوة النبوية، وبه قوام الدين قولًا، وعملًا، واعتقادًا.

ومن أجل هذا كان من المستحيل أن يهمله النبي ﷺ، ولا يبيّنه بيانًا ظاهرًا ينفي الشكّ، ويدفع الشبهة، وبيان استحالته من وجوه:

**الأول**: أن رسالة النبي ﷺ، كانت مشتملة علىٰ النور والهدىٰ؛ فإن الله بعثه بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلىٰ الله بإذنه، وسراجًا منيرًا، حتىٰ ترك أمته علىٰ المحجة البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، وأعظم النور وأبلغه ما يحصل للقلب بمعرفة الله، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، فلا بد أن يكون النبي ﷺ، قد بيّنه غاية البيان.

**الثاني**: أن النبي ﷺ علّم أمته جميع ما تحتاج إليه من أمور الدين والدنيا، حتىٰ آداب الأكل، والشرب، والجلوس، والمنام وغير ذلك. قال أبو ذر رضي الله عنه: «لقد توفي رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه إلا ذكر لنا منه علمًا». ولا ريب أن العلم بالله، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، داخل تحت هذه الجملة العامة، بل هو أول ما يدخل فيه لشدة الحاجة إليه.

**الثالث**: أن الإيمان بالله تعالىٰ، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، هو أساس الدين، وخلاصة



دعوة المرسلين، وهو أوجب وأفضل ما اكتسبته القلوب وأدركته العقـول، فكيـف يهملـه النبي ﷺ، من غير تعليم ولا بيان مع أنه كان يُعَلِّمُ ما هو دونه في الأهمية والفضيلة؟

**الرابع**: أن النبي ﷺ كان أعلم الناس بربـه، وهـو أنصـحهم للخلـق، وأبلغهـم في البيـان والفصاحة؛ فلا يمكن مع هذا المقتضىٰ التام للبيان أن يـترك بـاب الإيمـان بـالله وأسـمائه وصفاته ملتبِسًا مشتبِهًا.

**الخامس**: أن الصحابة رضي الله عنهم لا بدّ أن يكونوا قائلين بالحق في هذا الباب؛ لأن ضدّ ذلك إما السكوت، وإما القول بالباطل، وكلاهما ممتنع عليهم:

**أمّا امتناع السكوت فوجهه**: أن السكوت إمّا أن يكون عن جهل منهم بما يجبُ لله تعـالىٰ من الأسماء والصفات، وما يجوز عليه منها و[مـا]يمتنع، وإمّـا أن يكـون عـن علـم مـنهم بذلك؛ ولكن كَتَمُوهُ، وكل منهما ممتنع:

أما امتناع الجهل: فلأنه لا يمكن لأي قلب فيـه حيـاة، ووعـي وطلـب للعلـم، ونهمـة في العبادة إلا أن يكون أكبر همّه هو البحث في الإيمان بالله تعالىٰ، ومعرفته بأسمائه وصـفاته، وتحقيق ذلك علمًا واعتقادًا. ولا ريب أن القرون المفضلة وأفضـلهم الصـحابة هـم أبلـغ الناس في حياة القلوب، ومحبة الخير، وتحقيق العلوم النافعة، كما قـال النبـي ﷺ: «**خَيْـرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**». وهذه الخيريـة تعـم فضـلهم في كـل مـا يُقرّب إلىٰ الله من قول، وعمل، واعتقاد.

ثم لو فرضنا أنهم كانوا جاهلين بالحق في هذا الباب لكان جهل من بعدهم من باب أولىٰ؛ لأن معرفة ما يُثْبَتُ لله تعالىٰ من الأسماء والصفات، أو يُنْفَـىٰ عنـه إنمـا تُتَلَقَّـىٰ مـن طريـق الرسالة، وهم الواسطة بين الرسول ﷺ وبين الأمة، وعلىٰ هذا الفرض يلزم ألا يكون عنـد أحد علم في هذا الباب، وهذا ظاهر الامتناع.

وأما امتناع كتمان الحق: فلأنّ كل عاقل منصف عـرف حـال الصـحابة رضي الله عنهم وحرصـهم علىٰ نشر العلم النافع، وتبليغه الأمة، فإنه لن يمكنه أن ينسـب إلـيهم كتمـان الحـق - ولا سيما - في أوجب الأمور، وهو معرفة الله وأسمائه وصفاته.

ثم إنه قد جاء عنهم من قول الحق في هذا الباب شيء كثير يعرفه من طلبه وتتبّعه.

**وأما امتناع القول بالباطل عليهم فمن وجهين:**



**أحدهما**: أن القول بالباطل لا يمكن أن يقوم عليه دليل صحيح، ومن المعلوم أن الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أبعد الناس عن القول فيما لم يقم عليه دليل صحيح، خصوصًا في أمر الإيمان بالله تعالىٰ، وأمور الغيب، فهم أولىٰ الناس بامتثال قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦]. وقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٣٣﴾ [الأعراف].

**ثانيهما**: أن القول بالباطل إما أن يكون مصدره الجهل بالحق، وإما أن يكون مصدره إرادة ضلال الخلق، وكلاهما ممتنع في حق الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ.

أما امتناع الجهل فقد تقدّم بيانه.

وأما امتناع إرادة ضلال الخلق: فلأن إرادة ضلال الخلق قصد سيئ، لا يمكن أن يصدر من الصحابة الذين عرفوا بتمام النصح للأمة، ومحبة الخير لها.

ثم لو جاز عليهم سوء القصد فيما قالوه في هذا الباب، لجاز عليهم سوء القصد فيما يقولون في سائر أبواب العلم والدين، فتعدم الثقة بأقوالهم وأخبارهم في هذا الباب وغيره، وهذا من أبطل الأقوال، لأنه يستلزم القدح في الشريعة كلها.

وإذا تبين أن الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ لا بد أن يكونوا قائلين بالحق في هذا الباب، فإنهم إما أن يكونوا قائلين ذلك بعقولهم، أو من طريق الوحي. والأول ممتنع؛ لأن العقل لا يدرك تفاصيل ما يجب لله تعالىٰ من صفات الكمال، فتعين الثاني، وهو أن يكونوا تلقوا هذه العلوم من طريق رسالة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيلزم علىٰ هذا أن يكون النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قد بين الحق في أسماء الله وصفاته، وهذا هو المطلوب.

## الباب الثَّالث: في طريقة أهل السنة في أسماء الله وصفاته

أهل السنة والجماعة: هم الذين اجتمعوا علىٰ الأخذ بسنة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والعمل بها ظاهرًا وباطنًا في القول والعمل والاعتقاد.

**وطريقتهم في أسماء الله وصفاته كما يأتي:**

**أولًا: في الإثبات**: فهي إثبات ما أثبته الله لنفسه في كتابه، أو علىٰ لسان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من



غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف، ولا تمثيل.

**ثانيًا**: **في النفي**: فطريقتهم نفي ما نفاه الله عن نفسه في كتابه، أو علىٰ لسان رسوله ﷺ، مع اعتقادهم ثبوت كمال ضده لله تعالىٰ.

**ثالثًا**: **فيما لم يرد نفيه**، ولا إثباته مما تنازع الناس فيه كالجسم، والحيز والجهة ونحو ذلك، فطريقتهم فيه التوقف في لفظه فلا يثبتونه، ولا ينفونه لعدم ورود ذلك، وأما معناه فيستفصلون عنه، فإن أُريد به باطل يُنزه الله عنه ردوه، وإن أريد به حق لا يمتنع علىٰ الله قبلوه.

وهذه الطريقة هي الطريقة الواجبة، وهي القول الوسط بين أهل التعطيل، وأهل التمثيل.

**وقد دل علىٰ وجوبها العقل، والسمع:**

**فأما العقل**: فوجه دلالته أن تفصيل القول فيما يجب، ويجوز، ويمتنع علىٰ الله تعالىٰ لا يدرك إلا بالسمع، فوجب اتباع السمع في ذلك بإثبات ما أثبته، ونفي ما نفاه، والسكوت عما سكت عنه.

**وأما السمع**: فمن أدلته قوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف]، وقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورىٰ]. وقوله: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ﴾ [الإسراء: ٣٦].

**فالآية الأولىٰ**: دلت علىٰ وجوب الإثبات من غير تحريف ولا تعطيل؛ لأنهما من الإلحاد.

**والآية الثانية**: دلت علىٰ وجوب نفي التمثيل.

**والآية الثالثة**: دلت علىٰ وجوب نفي التكييف، وعلىٰ وجوب التوقف فيما لم يرد إثباته أو نفيه.

وكل ما ثبت لله من الصفات فإنها صفات كمال، يحمد عليها، ويثنىٰ بها عليه، وليس فيها نقص بوجه من الوجوه.

فجميع صفات الكمال ثابتة لله تعالىٰ علىٰ أكمل وجه.

وكل ما نفاه الله عن نفسه فهو صفات نقص، تنافي كماله الواجب، فجميع صفات النقص ممتنعة علىٰ الله تعالىٰ لوجوب كماله. وما نفاه الله عن نفسه فالمراد به انتفاء تلك الصفة



المنفية وإثبات كمال ضدها، وذلك أن النفي لا يدل علىٰ الكمال حتىٰ يكون متضمنًا لصفة ثبوتية يحمد عليها، فإن مجرد النفي قد يكون سببه العجز فيكون نقصًا، كما في قول الشاعر:

قُبَيِّلَةٌ لا يغدِرُون بذِمَّةٍ ولا يَظْلمون الناسَ حبَّةَ خَرْدَلِ

وقد يكون سببه عدم القابلية فلا يقتضي مدحًا، كما لو قلت: الجدار لا يظلم.

إذا تبين هذا فنقول: مما نفىٰ الله عن نفسه الظلم، فالمراد به انتفاء الظلم عن الله مع ثبوت كمال ضده وهو العدل، ونفىٰ عن نفسه اللغوب وهو التعب والإعياء، فالمراد نفي اللغوب مع ثبوت كمال ضده وهو القوة، وهكذا بقية ما نفاه الله عن نفسه، والله أعلم.

**التحريف:**

**التحريف لغة**: التغيير.

**وفي الاصطلاح**: تغيير النص لفظًا، أو معنىٰ. والتغيير اللفظي قد يتغير معه المعنىٰ، وقد لا يتغير، فهذه ثلاثة أقسام:

**الأول**: تحريف لفظي يتغير معه المعنىٰ؛ كتحريف بعضهم قوله تعالىٰ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾ [النساء] إلىٰ نَصْب الجلالة؛ ليكون التكليم من موسىٰ.

**الثاني**: وتحريف لفظي لا يتغير معه المعنىٰ؛ كفتح الدال من قوله تعالىٰ: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢﴾ [الفاتحة]، وهذا في الغالب لا يقع إلا من جاهل إذ ليس فيه غرض مقصود لفاعله غالبًا.

**الثالث**: وتحريف معنوي وهو: صرف اللفظ عن ظاهره بلا دليل؛ كتحريف معنىٰ اليدين المضافتين إلىٰ الله تعالىٰ إلىٰ القوة والنعمة، ونحو ذلك.

**التعطيل:**

**التعطيل لغة**: التفريغ والإخلاء.

**وفي الاصطلاح هنا**: إنكار ما يجب لله تعالىٰ من الأسماء والصفات، أو إنكار بعضه فهو نوعان:

١ - تعطيل كلي؛ كتعطيل الجهمية الذين ينكرون الصفات، وغلاتهم ينكرون الأسماء



أيضًا.

٢ - وتعطيل جزئي؛ كتعطيل الأشعرية الذين ينكرون بعض الصفات دون بعض. وأول من عُرف بالتعطيل من هذه الأمة هو الجعد بن درهم.

**التكييف:**

**التكييف**: حكاية كيفية الصفة؛ كقول القائل: كيفية يد الله، أو نزوله إلىٰ السماء الدنيا كذا وكذا.

**التمثيل، والتشبيه:**

**التمثيل**: إثبات مثيل للشيء.

**والتشبيه**: إثبات مشابه له. فالتمثيل يقتضي المماثلة، وهي المساواة من كل وجه، والتشبيه يقتضي المشابهة، وهي المساواة في أكثر الصفات، وقد يطلق أحدهما علىٰ الآخر، والفرق بينهما وبين التكييف من وجهين:

**أحدهما**: أن التكييف أن يحكي كيفية الشيء سواء كانت مطلقة أم مقيدة بشبيه، وأما التّمثيل والتّشبيه فيدلان علىٰ كيفية مقيّدة بالمماثل والمشابه.

ومن هذا الوجه يكون التكييف أعم؛ لأن كل ممثِّل مكيّف، ولا عكس.

**ثانيهما**: أن التكييف يختص بالصفات، أما التمثيل فيكون في القَدْر والصفة والذات، ومن هذا الوجه يكون أعم؛ لتعلقه بالذات والصفات والقدر.

**ثم إن التشبيه الذي ضل به من ضل من الناس، علىٰ نوعين:**

**أحدهما**: تشبيه المخلوق بالخالق.

**والثاني**: تشبيه الخالق بالمخلوق.

فأما تشبيه المخلوق بالخالق، فمعناه: إثبات شيء للمخلوق مما يختص به الخالق من الأفعال، والحقوق، والصفات.

**الأول**: كفعل من أشرك في الربوبية ممن زعم أن مع الله خالقًا.

**الثاني**: كفعل المشركين بأصنامهم، حيث زعموا أن لها حقًّا في الألوهية، فعبدوها مع الله.

**الثالث**: كفعل الغلاة في مدح النبي ﷺ، أو غيره مثل قول المتنبي يمدح عبد الله بن يحيىٰ البحتري:



فكن كما شئت يا من لا شبيه له    وكيف شئت فما خلق يدانيكا

وأما تشبيه الخالق بالمخلوق فمعناه: أن يثبت لله تعالىٰ في ذاته، أو صفاته من الخصائص مثل ما يثبت للمخلوق من ذلك، كقول القائل: إن يدي الله مثل أيدي المخلوقين، واستواءه علىٰ عرشه كاستوائهم، ونحو ذلك.

وقد قيل: إن أول من عرف بهذا النوع هشام بن الحكم الرافضي، والله أعلم.

**الإلحاد:**

**الإلحاد في اللغة**: الميل.

**وفي الاصطلاح**: الميل عما يجب اعتقاده، أو عمله. وهو قسمان:

**أحدهما**: في أسماء الله.

**والثاني**: في آياته.

**فأما الإلحاد في أسمائه فهو**: العدول عن الحق الواجب فيها، وهو أربعة أنواع:

١ - أن ينكر شيئًا منها، أو مما دلت عليه مِنَ الصفات، كما فعل المعطلة.

٢ - أن يجعلها دالة علىٰ تشبيه الله بخلقه، كما فعل المشبِّهة.

٣ - أن يسمي الله بما لم يسمِّ به نفسه؛ لأن أسماء الله توقيفية كتسمية النصارىٰ له (أبًا). وتسمية الفلاسفة إياه (علة فاعلة). ونحو ذلك.

٤ - أنه يشتق من أسمائه أسماء للأصنام، كاشتقاق (اللات) من الإله. و (العزَّىٰ) من العزيز.

**وأما الإلحاد في آياته**: فيكون في الآيات الشرعية، وهي ما جاءت به الرسل من الأحكام، والأخبار، ويكون في الآيات الكونية، وهي ما خلقه الله، ويخلقه في السماوات والأرض.

**فأما الإلحاد في الآيات الشرعية**: فهو تحريفها، أو تكذيب أخبارها، أو عصيان أحكامها.

**وأما الإلحاد في الآيات الكونية**: فهو نسبتها إلىٰ غير الله، أو اعتقاد شريك أو معين له فيها.

والإلحاد بقسميه حرام؛ لقوله تعالىٰ مهددًا للملحدين: ﴿وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠﴾ [الأعراف].

وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيۡرٌ أَم مَّن



يَأۡتِيٓ ءَامِنٗا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٤٠﴾ [فصلت].

ومن الإلحاد ما يكون كفرًا حسب ما تقتضيه نصوص الكتاب والسنة.

## الباب الرَّابع: في بيان صحة مذهب السلف وبطلان القول بتفضيل مذهب الخلف في العلم والحكمة على مذهب السلف

سبق القول في بيان طريقة السلف، وذكر الدليل علىٰ وجوب الأخذ بها، أما هنا فإننا نُريد أن نُبرهن علىٰ أن مذهب السلف هو المذهب الصحيح؛ وذلك من وجهين:

**الأول**: أن مذهب السلف دل عليه الكتاب والسنة؛ فإن من تتبع طريقتهم بعلم وعدل؛ وجدها مطابقة لما في الكتاب والسنة جملة وتفصيلًا ولا بدّ، فإن الله تعالىٰ أنزل الكتاب ليدبّر الناس آياته، ويعملوا بها إن كانت أحكامًا، ويصدِّقوا بها إن كانت أخبارًا. ولا ريب أن أقرب الناس إلىٰ فهمها وتصديقها والعمل بها هم السلف؛ لأنها جاءت بِلُغَتهم وفي عصرهم، فلا جرم أن يكونوا أعلم الناس بها فقهًا، وأقومهم عملًا.

**الثاني**: أن يقال: إن الحق في هذا الباب إما أن يكون فيما قاله السلف، أو فيما قاله الخلف. والثاني باطل، لأنه يلزم عليه أن يكون الله ورسوله، والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، قد تكلّموا بالباطل تصريحًا، أو ظاهرًا، ولم يتكلموا مرة واحدة بالحق الذي يجب اعتقاده لا تصريحًا ولا ظاهرًا. فيكون وجود الكتاب والسنة ضررًا محضًا في أصل الدين، وترك الناس بلا كتاب ولا سنة خيرًا لهم وأقوم! وهذا ظاهر البطلان.

**هذا وقد قال بعض الأغبياء**: طريقة السلف أسلم، وطريقة الخلف أعلم وأحكم. ومنشأ هذا القول أمران:

**أحدهما**: اعتقاد قائله - بسبب ما عنده من الشبهات الفاسدة - أن الله تعالىٰ ليس له في نفس الأمر صفة حقيقية دلّت عليها هذه النصوص.

**الثاني**: اعتقاده أن طريقة السلف هي الإيمان بمجرد ألفاظ نصوص الصفات من غير إثبات معنىٰ لها، فيبقىٰ الأمر دائرًا بين أن نؤمن بألفاظ جوفاء لا معنىٰ لها - وهذه طريقة السلف علىٰ زعمه - وبين أن نثبت للنصوص معاني تخالف ظاهرها الدال علىٰ إثبات الصفات لله، وهذه هي طريقة الخلف؛ ولا ريب أن إثبات معاني النصوص أبلغ في العلم



والحكمة من إثبات ألفاظ جوفاء ليس لها معنىٰ، ومن ثم فَضَّلَ هذا الغبي طريقة الخلف في العلم والحكمة علىٰ طريقة السلف.

وقول هذا الغبي يتضمن حقًّا وباطلًا: فأما الحقّ فقوله: «إن مذهب السلف أسلم» وأما الباطل فقوله: «إن مذهب الخلف أعلم وأحكم» وبيان بطلانه من وجوه:

**الوجه الأول**: أنه يُناقض قوله: «إن طريقة السلف أسلم»؛ فإن كون طريقة السلف أسلم من لوازم كونها أعلم وأحكم، إذ لا سلامة إلا بالعلم والحكمة، العلم بأسباب السلامة، والحكمة في سلوك تلك الأسباب، وبهذا يتبين أن طريقة السلف أسلم، وأعلم، وأحكم، وهو لازم لهذا الغبي لزومًا لا محيد عنه.

**الوجه الثاني**: أن اعتقاده أن الله ليس له صفة حقيقية – دلت عليها هذه النصوص – اعتقاد باطل؛ لأنه مبني علىٰ شبهات فاسدة؛ ولأن الله تعالىٰ قد ثبت له صفات الكمال عقلًا، وفطرة، وشرعًا.

فأما دلالة العقل علىٰ ثبوت صفات الكمال لله فوجهه أن يقال:

إن كل موجود في الخارج فلا بد أن يكون له صفة: إما صفة كمال، وإما صفة نقص، والثاني باطل بالنسبة إلىٰ الرب الكامل المستحق للعبادة. وبذلك استدل الله تعالىٰ علىٰ بطلان ألوهية الأصنام باتصافها بصفات النقص والعجز بكونها لا تسمع، ولا تبصر، ولا تنفع، ولا تضر، ولا تخلق، ولا تنصر فإذا بطل الثاني تعين الأول، وهو ثبوت صفات الكمال لله.

ثم إنه قد ثبت بالحسِّ والمشاهدة أن للمخلوق صفات كمال، والله سبحانه هو الذي أعطاه إياها فمعطي الكمال أولىٰ به.

وأما دلالة الفطرة علىٰ ثبوت صفات الكمال لله؛ فلأن النفوس السليمةِ مجبولةٌ ومفطورةٌ علىٰ محبة الله، وتعظيمِهِ، وعبادتِه، وهل تحب وتعظم وتعبد إلا من عرَفَتْ أنه متصف بصفات الكمال اللائقة بربوبيته وألوهيته؟

وأما دلالة الشرع علىٰ ثبوت صفات الكمال لله؛ فأكثر من أن تحصر مثل قوله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَـٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ



عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾[الحشر]. وقوله: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الروم:٢٧]. وقوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة:٢٥٥]. ومثل قوله ﷺ: «**أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا قَرِيبًا؛ إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَىٰ أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ**».

إلىٰ غير ذلك من الآيات والأحاديث.

**الوجه الثالث**: أن اعتقاده أن طريقة السلف مجرد الإيمان بألفاظ النصوص بغير إثبات معناها، اعتقاد باطل كذب علىٰ السلف؛ فإن السلف أعلم الأمة بنصوص الصفات لفظًا ومعنىٰ، وأبلغهم في إثبات معانيها اللائقة بالله تعالىٰ علىٰ حسب مراد الله ورسوله.

**الوجه الرابع**: أن السلف هم ورثة الأنبياء والمرسلين، فقد تلقوا علومهم من ينبوع الرسالة الإلهية وحقائق الإيمان.

أما أولئك الخلف، فقد تلقَوا ما عندهم من المجوس، والمشركين، وضلال اليهود واليونان. فكيف يكون ورثة المجوس، والمشركين، واليهود، واليونان، وأفراخِهِم، أعلم، وأحكم في أسماء الله وصفاته من ورثة الأنبياء والمرسلين؟

**الوجه الخامس**: أن هؤلاء الخلف الذين فضل هذا الغبي طريقتهم في العلم والحكمة علىٰ طريقة السلف، كانوا حيارىٰ مضطربين بسبب إعراضهم عما بعث الله به محمدًا ﷺ من البينات والهدىٰ، والتماسهم علم معرفة الله تعالىٰ ممن لا يعرفه بإقراره علىٰ نفسه وشهادة الأمة عليه، حتىٰ قال الرازي وهو من رؤسائهم مُبيِّنًا ما ينتهي إليه أمرهم:

نهاية إقدام العقول عقال ... وأكثر سعى العالمين ضلال

وأرواحنا فى وحشة من جسومنا ... وغاية دنيانا أذى ووبالُ



ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا    سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

لقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلًا ولا تروي غليلًا، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن، اقرأ في الإثبات: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه]. ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾ [فاطر:١٠]. واقرأ في النفي: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورىٰ]. ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا﴾ [طه: ١١٠]. ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي». اهـ. كلامه.

فكيف تكون طريقة هؤلاء الحيارىٰ الذين أقروا علىٰ أنفسهم بالضلال والحيرة أعلم وأحكم من طريقة السلف، الذين هم أعلام الهدىٰ ومصابيح الدّجَىٰ، الذين وهبهم الله من العلم والحكمة ما برزوا به علىٰ سائر أتباع الأنبياء، والذين أدركوا من حقائق الإيمان والعلوم ما لو جُمِع إليه ما حَصَلَ لغيرهم لاستحيا من يطلب المقارنة، فكيف بالحكم بتفضيل غيرهم عليهم؟

وبهذا يتبين أن طريقة السلف أسلم، وأعلم، وأحكم.

## الباب الخامس: في حكاية بعض المتأخرين لمذهب السلف

**قال بعض المتأخرين:** «مذهب السلف في الصفات إمرار النصوص علىٰ ما جاءت به مع اعتقاد أن ظاهرها غير مراد». اهـ.

وهذا القول علىٰ إطلاقه فيه نظر، فإن لفظ (ظاهر) مجمل يحتاج إلىٰ تفصيل:

فإن أريد بالظاهر ما يظهر من النصوص من الصفات التي تليق بالله من غير تشبيه، فهذا مرادٌ قطعًا، ومن قال: إنه غير مراد فهو ضال إن اعتقده في نفسه، وكاذب أو مخطئ إن نسبه إلىٰ السلف.

وإن أريد بالظاهر ما قد يظهر لبعض الناس من أن ظاهرها تشبيه الله بخلقه، فهذا غير مراد قطعًا، وليس هو ظاهر النصوص، لأن مشابهة الله لخلقه أمر مستحيل، ولا يمكن أن يكون ظاهر الكتاب والسنة أمرًا مستحيلًا، ومن ظن أن هذا هو ظاهرها فإنه يبين له أن ظنه خطأ وأن ظاهرها، بل صريحها إثبات صفات تليق بالله وتختص به.



وبهذا التفصيل نكون قد أعطينا النصوص حقها لفظًا ومعنىٰ. والله أعلم.

## الباب السَّادس: في لبس الحق بالباطل من بعض المتأخرين

**قال بعض المتأخرين**: «إنه لا فرق بين مذهب السلف ومذهب المؤولين في نصوص الصفات؛ فإن الكل اتفقوا علىٰ أن الآيات والأحاديث لا تدل علىٰ صفات الله، لكن المتأولون رأوا المصلحة في تأويلها لمسيس الحاجة إليه وعيّنوا المراد، وأما السلف فأمسكوا عن التعيين لجواز أن يكون المراد غيره». اهـ.

وهذا كذب صريح علىٰ السلف فما منهم أحد نفىٰ دلالة النصوص علىٰ صفات الله التي تليق به، بل كلامهم يدل علىٰ تقرير جنس الصفات في الجملة، والإنكار علىٰ من نفاها، أو شبه الله بخلقه؛ كقول نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري: «من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس ما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيهًا». اهـ. وكلامهم في هذا كثير.

ومما يدل علىٰ إثبات السلف للصفات، وأنهم ليسوا علىٰ وفاق مع أولئك المتأولين: أن أولئك المتأولة كانوا خصومًا للسلف، وكانوا يرمونهم بالتشبيه والتجسيم؛ لإثباتهم الصفات، ولو كان السلف، يوافقونهم في عدم دلالة النصوص علىٰ صفات الله لم يجعلوهم خصومًا لهم، ويرموهم بالتشبيه والتجسيم، وهذا ظاهر، ولله الحمد.

## الباب السَّابع: في أقوال السلف المأثورة في الصفات

اشتهر عن السلف كلمات عامة وأخرىٰ خاصة في آيات الصفات وأحاديثها. فمن الكلمات العامة، قولهم: «أَمِرُّوها كما جاءت بلا كيف». روي هذا عن مكحول، والزهري، ومالك بن أنس، وسفيان الثوري، والليث بن سعد، والأوزاعي.

وفي هذه العبارة رد علىٰ المعطّلة والمشبهة؛ ففي قولهم: «أمِرُّوها كما جاءت» رد علىٰ المعطلة. وفي قولهم: «بلا كيف». رد علىٰ المشبهة.

وفيها أيضًا دليل علىٰ أن السلف كانوا يُثبتون لنصوص الصفات المعاني الصحيحة التي تليق بالله، تدل علىٰ ذلك من وجهين:



**الأول**: قولهم: «أمِرُّوها كما جاءت». فإن معناها إبقاء دلالتها علىٰ ما جاءت به من المعاني، ولا ريب أنها جاءت لإثبات المعاني اللائقة بالله تعالىٰ ولو كانوا لا يعتقدون لها معنىٰ لقالوا: «أمروا لفظها، ولا تتعرضوا لمعناها». ونحو ذلك.

**الثاني**: قولهم: «بلا كيف»؛ فإنه ظاهر في إثبات حقيقة المعنىٰ، لأنهم لو كانوا لا يعتقدون ثبوته ما احتاجوا إلىٰ نفي كيفيته، فإن غير الثابت لا وجود له في نفسه، فنفي كيفيته من لَغْوِ القول.

فإن قيل: ما الجواب عما قاله الإمام أحمد في حديث النزول وشبْهِهِ: «نؤمن بها ونصدق، لا كيف، ولا معنىٰ».

قلنا: الجواب علىٰ ذلك: أن المعنىٰ الذي نفاه الإمام أحمد في كلامه هو المعنىٰ الذي ابتكره المعطلة من الجهمية وغيرهم، وحرّفوا به نصوص الكتاب والسنة عن ظاهرها إلىٰ معاني تُخالفه.

ويدلّ علىٰ ما ذكرنا أنه نفىٰ المعنىٰ، ونفىٰ الكيفية؛ ليتضمن كلامه الردّ علىٰ كلتا الطائفتين المبتدعتين: طائفة المعطلة وطائفة المشبهة.

ويدلّ عليه أيضًا ما قاله المؤلف في قول محمد بن الحسن: «اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلىٰ المغرب علىٰ الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاءت بها الثقات عن رسول الله ﷺ، في صفة الربّ عَزَّوَجَلَّ من غير تفسير، ولا وصف، ولا تشبيه». اهـ.

قال المؤلف: أراد به تفسير الجهمية المعطلة، الذين ابتدعوا تفسير الصفات، بخلاف ما كان عليه الصحابة، والتابعون من الإثبات. اهـ.

فهذا دليل علىٰ أن تفسير آيات الصفات وأحاديثها علىٰ نوعين:

- **تفسير مقبول**: وهو ما كان عليه الصحابة والتابعون من إثبات المعنىٰ اللائق بالله عَزَّوَجَلَّ الموافق لظاهر الكتاب والسنة.

- **وتفسير غير مقبول**: وهو ما كان بخلاف ذلك.

وهكذا المعنىٰ منه مقبول، ومنه مردود علىٰ ما تقدّم.

فإن قيل: هل لصفات الله كيفية؟



فالجواب: نعم لها كيفية، لكنها مجهولة لنا؛ لأن الشيء إنما تعلم كيفيته بمشاهدته، أو مشاهدة نظيره، أو خبر الصادق عنه، وكل هذه الطرق غير موجودة في صفات الله، وبهذا عُرف أن قول السلف: «بلا كيف». معناه بلا تكييف، لم يريدوا نفي الكيفية مطلقًا، لأن هذا تعطيل محض. والله أعلم.

## الباب الثَّامن: في علو الله تعالى وأدلة العلو

علوّ الله تعالىٰ من صفاته الذاتية، وينقسم إلىٰ قسمين:

**علوّ ذات، وعلوّ صفات.**

**فأما علو الصفات**، فمعناه: أنه ما من صفة كمال إلا ولله تعالىٰ أعلاها، وأكملها، سواء كانت من صفات المجد والقهر، أم من صفات الجمال والقدر.

**وأما علو الذات**، فمعناه: أن الله بذاته فوق جميع خلقه، وقد دلّ علىٰ ذلك الكتاب، والسنة، والإجماع، والعقل، والفطرة.

فأما الكتاب والسنة فإنهما مملوءان بما هو صريح، أو ظاهر في إثبات علو الله تعالىٰ بذاته فوق خلقه.

**وقد تنوعت دلالتهما علىٰ ذلك:**

فتارة بذكر العلو، والفوقية، والاستواء علىٰ العرش، وكونه في السماء، مثل قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة]، ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾﴾ [الأعلىٰ: ١]. ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]. ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [طه] ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾ [تبارك: ١٦]، وقوله ﷺ: «**وَالْعَرْشُ فَوْقَ ذَلِكَ، وَاللهُ فَوْقَ الْعَرْشِ**»، وقوله: «**أَلَا تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ؟!**».

وتارة بصعود الأشياء، وعروجها، ورفعها إليه، مثل قوله تعالىٰ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر:١٠]، وقوله تعالىٰ: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤]، وقوله تعالىٰ: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨]. وقوله ﷺ: «**وَلَا يَصْعَدُ إِلَىٰ اللهِ إِلَّا الطَّيِّبُ**»، وقوله ﷺ: «**ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ**»، وقوله ﷺ: «**يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ**» رواه أحمد.



وتارة بنزول الأشياء منه، ونحو ذلك، مثل قوله تعالىٰ: ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [الواقعة]، وقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ﴾ [النحل: ١٠٢]، وقوله ﷺ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَىٰ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ».

إلىٰ غير ذلك من الآيات والأحاديث التي تواترت عن النبي ﷺ، في علو الله تعالىٰ علىٰ خلقه، تواترًا يوجب علمًا ضروريًّا بأن النبي ﷺ قالها عن ربه، وتلقتها أمته عنه.

وأما الإجماع: فقد أجمع الصحابة، والتابعون لهم بإحسان، وأئمة أهل السنة علىٰ أن الله تعالىٰ فوق سماواته علىٰ عرشه، وكلامهم مملوء بذلك نصًّا وظاهرًا. قال الأوزاعي: «كنّا والتابعون متوافرون. نقول: إن الله تعالىٰ ذكره فوق عرشه، ونؤمن بما جاءت به السنة من الصفات». قال الأوزاعي هذا بعد ظهور مذهب جهم النافي لصفات الله وعلوه؛ ليعرف الناس أن مذهب السلف كان يُخالف مذهب جَهْم.

ولم يقل أحد من السلف قطّ: إن الله ليس في السماء، ولا إنه بذاته في كل مكان، ولا إن جميع الأمكنة بالنسبة إليه سواء، ولا إنه لا داخل العالم، ولا خارجه، ولا متصل، ولا منفصل، ولا إنه لا تجوز الإشارة الحسية إليه، بل قد أشار إليه أعلم الخلق به في حجة الوداع يوم عرفة في ذلك المجمع العظيم، حينما رفع إصبعه إلىٰ السماء، يقول: «اللهم اشهد»، يُشهد ربه علىٰ إقرار أمته بإبلاغه الرسالة، صلوات الله وسلامه عليه.

**وأما العقل**: فإن كل عقل صريح يدل علىٰ وجوب علو الله بذاته فوق خلقه، من وجهين:

**الأول**: أن العلو صفة كمال، والله تعالىٰ قد وجب له الكمال المطلق من جميع الوجوه، فلزم ثبوت العلو له تبارك وتعالىٰ.

**الثاني**: أن العلو ضده السفل، والسفل صفة نقص، والله تعالىٰ مُنزّه عن جميع صفات النقص، فلزم تنزيهه عن السفل، وثبوت ضده له، وهو العلو.

**وأما الفطرة**: فإن الله تعالىٰ فطر الخلق كلهم: العرب، والعجم حتىٰ البهائم علىٰ الإيمان به وبِعُلُوّه، فما من عبد يتوجه إلىٰ ربه بدعاء أو عبادة إلا وجد من نفسه ضرورة بطلب العلو، وارتفاع قلبه إلىٰ السماء لا يلتفت إلىٰ غيره يمينًا، ولا شمالًا، ولا ينصرف عن مقتضىٰ هذه الفطرة إلا من اجتالته الشياطين والأهواء.

وكان أبو المعالي الجويني يقول في مجلسه: «كان الله ولا شيء وهو الآن علىٰ ما كان



عليه»؛ (يُعرِّض بإنكار استواء الله علىٰ عرشه)، فقال أبو جعفر الهمداني: «دعنا من ذكر العرش - أيْ: لأنه ثبت بالسمع - وأخبرنا عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا، ما قال عارف قطّ: يا الله! إلا وجد من قلبه ضرورة بطلب العلو، لا يلتفت يَمنة، ولا يَسرة، فكيف ندفع هذه الضرورة من قلوبنا؟».

فصرخ أبو المعالي ولطم رأسه، وقال: «حيرني الهمداني، حيرني الهمداني».

فهذه الأدلة الخمسة كلها تطابقت علىٰ إثبات علو الله بذاته فوق خلقه.

فأما قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ [الأنعام: ٣]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤]. فليس معناهما أن الله في الأرض كما أنه في السماء، ومن توهّم هذا، أو نقله عن أحد من السلف فهو مخطئ في وهمه، وكاذب في نقله.

**وإنما معنىٰ الآية الأولىٰ**: أن الله مألوه في السماوات وفي الأرض، كل من فيهما فإنه يتألّه إليه ويعبده. وقيل معناها: أن الله في السماوات ثم ابتدأ فقال: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ [الأنعام: ٣]؛ أي: إن الله يعلم سركم وجهركم في الأرض، فليس علوه فوق السماوات بمانع من علمه سركم وجهركم في الأرض.

**وأما الآية الثانية فمعناها**: أن الله إله في السماء وإله في الأرض، فألوهيته ثابتة فيهما، وإن كان هو في السماء؛ ونظير ذلك قول القائل: فلان أمير في مكة، وأمير في المدينة؛ أي: أن إمارته ثابتة في البلدين، وإن كان هو في أحدهما.

وهذا تعبير صحيح، لغة وعرفًا، والله أعلم.



## الباب التَّاسع: في الجهة

نريد بهذه الترجمة أن نُبيِّن: هل الجهة ثابتة لله تعالىٰ، أو منتفية عنه؟

**والتحقيق في هذا**: أنه لا يصح إطلاق الجهة علىٰ الله تعالىٰ لا نفيًا، ولا إثباتًا، بل لا بد من التفصيل:

فإن أُريد بها جهة سُفْلٍ، فإنها منتفية عن الله، وممتنعة عليه؛ لأن الله تعالىٰ قد وجب له العلو المطلق بذاته وصفاته.



وإن أُريد بها جهة علو تُحيط به، فهي منتفية عن الله، وممتنعة عليه - أيضًا - فإن الله أعظم وأجلّ من أن يُحيط به شيء من مخلوقاته، كيف وقد وسع كرسيّه السماوات والأرض؟

﴿وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٦٧﴾ [الزمر].

وإن أُريد بها جهة علو تليق بعظمته وجلاله من غير إحاطة به، فهي حق ثابتة لله تعالىٰ واجبة له. قال الشيخ أبو محمد عبد القادر الجيلاني في كتابه «الغنية»: «وهو سبحانه بجهة العلو، مستوٍ علىٰ العرشِ، محتوٍ علىٰ الملك». اهـ.

ومعنىٰ قوله: «محتوٍ علىٰ الملك»؛ أنه محيط بالملك تبارك وتعالىٰ.

فإن قيل: إذا نفيتم أن يكون شيء من مخلوقات الله محيطًا به، فما الجواب عما أثبته الله لنفسه في كتابه، وعلىٰ لسان نبيه ﷺ، وأجمع عليه المسلمون من أن الله سبحانه في السماء؟

فالجواب: إن كون الله في السماء لا يقتضي أن السماء تُحيط به، ومن قال ذلك فهو ضالّ، إن قاله من عنده، وكاذب أو مخطئ، إن نسبه إلىٰ غيره؛ فإن كل من عرف عظمة الله تعالىٰ وإحاطته بكل شيء، وأن الأرض جميعًا قبضته يوم القيامة، وأنه يطوي السماء كطيّ السجل للكتب، فإنه لن يخطر بباله أن شيئًا من مخلوقاته يمكن أن يُحيط به سبحانه وتعالىٰ.

**وعلىٰ هذا فيخرج كونه في السماء علىٰ أحد معنيين:**

**الأول**: أن يراد بالسماء العلو، فيكون المعنىٰ: أن الله في العلو؛ أي: في جهة العلو، والسماء بمعنىٰ العلو ثابت في القرآن. قال الله تعالىٰ: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ﴾ [الأنفال: ١١]؛ أي: من العلو لا من السماء نفسها؛ لأن المطر ينزل من السحاب.

**الثاني**: أن تجعل «في» بمعنىٰ «علىٰ» فيكون المعنىٰ: أن الله علىٰ السماء، وقد جاءت «في» بمعنىٰ: «علىٰ» في مواضع كثيرة من القرآن وغيره. قال الله تعالىٰ: ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [التوبة: ٢]؛ - أي: علىٰ الأرض -.

## الباب العاشر: في استواء الله على عرشه

**الاستواء في اللغة**: يُطلق علىٰ معانٍ تدور علىٰ الكمال والانتهاء.



وقد ورد في القرآن علىٰ ثلاثة وجوه:

١ - **مطلق**؛ كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ﴾ [القصص: ١٤]؛ أي كمل.

٢ - **ومقيد بـ«إلىٰ»**؛ كقوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ٢٩]؛ أي: قصد بإرادة تامة.

٣ - **ومقيد بـ«علىٰ»**؛ كقوله تعالىٰ: ﴿لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ [الزخرف:١٣]. ومعناه حينئذٍ العلو والاستقرار.

**فاستواء الله علىٰ عرشه معناه**: علوه واستقراره عليه، علوًّا واستقرارًا يليق بجلاله وعظمته، وهو من صفاته الفعلية التي دل عليها الكتاب والسنة، والإجماع.

**فمن أدلة الكتاب**: قوله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه].

**ومن أدلة السنة**: ما رواه الخلال في كتاب «السنة» بإسناد صحيح علىٰ شرط البخاري عن قتادة بن النعمان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «**لَمَّا فَرَغَ اللهُ مِنْ خَلْقِهِ اسْتَوَىٰ عَلَىٰ عَرْشِهِ**».

وقال الشيخ عبد القادر الجيلاني: «إنه مذكور في كل كتاب أنزله الله علىٰ كل نبيّ». اهـ.

وقد أجمع أهل السنة علىٰ أن الله تعالىٰ فوق عرشه، ولم يقل أحد منهم إنه ليس علىٰ العرش، ولا يمكن لأحدٍ أن ينقل عنهم ذلك لا نصًّا ولا ظاهرًا.

وقال رجل للإمام مالك رحمه الله: يا أبا عبد الله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [طه:٥]. كيف استوىٰ؟ فأطرق مالك برأسه حتىٰ علاه الرحضاء (العرق). ثم قال: «الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا مبتدعًا» ثم أُمر به أن يخرج.

وقد روي نحو هذا عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن شيخ مالك.

فقوله: «الاستواء غير مجهول»؛ أي: غير مجهول المعنىٰ في اللغة، فإن معناه: العلو والاستقرار.

وقوله: «والكيف غير معقول». معناه: أَنَّا لا ندرك كيفية استواء الله علىٰ عرشه بعقولنا، وإنما طريق ذلك السمع، ولم يرد السمع بذكر الكيفية، فإذا انتفىٰ عنها الدليلان العقلي، والسمعي كانت مجهولة يجب الكفّ عنها.

وقوله: «الإيمان به واجب». معناه: أن الإيمان باستواء الله علىٰ عرشه علىٰ الوجه اللائق واجب، لأن الله أخبر به عن نفسه، فوجب تصديقه، والإيمان به.

وقوله: «والسؤال عنه بدعة». معناه: أن السؤال عن كيفية الاستواء بدعة؛ لأنه لم يكن معروفًا في عهد النبي ﷺ، وأصحابه.

وهذا الذي ذكره الإمام مالك رَحِمَهُ اللهُ في الاستواء ميزان عام لجميع الصفات التي أثبتها الله لنفسه في كتابه، وعلىٰ لسان رسوله ﷺ، فإن معناها معلوم لنا، وأما كيفيتها فمجهولة لنا؛ لأن الله أخبرنا عنها، ولم يخبر عن كيفيتها؛ ولأن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات، فإذا كنّا نثبت ذات الله تعالىٰ من غير تكييف لها، فكذلك يكون إثبات صفاته من غير تكييف.

قال بعض أهل العلم: إذا قال لك الجهمي: إن الله ينزل إلىٰ السماء الدنيا، فكيف ينزل؟ فقل له: إن الله أخبرنا أنه ينزل ولم يخبرنا كيف ينزل.

وقال آخر: إذا قال لك الجهمي في صفة من صفات الله: كيف هي؟ فقل له: كيف هو بذاته؟ فإنه لا يمكن أن يكيف ذاته فقل له: إذا كان لا يمكن تكييف ذاته، فكذلك لا يمكن تكييف صفاته؛ لأن الصفات تابعة للموصوف.

فإن قال قائل: إذا كان استواء الله علىٰ عرشه بمعنىٰ: العلو عليه، لزم من ذلك أن يكون أكبر من العرش، أو أصغر، أو مساويًا، وهذا يقتضي أن يكون جسمًا، والجسم ممتنع علىٰ الله.

فجوابه أن يُقال: لا ريب أن الله أكبر من العرش، وأكبر من كل شيء، ولا يلزم علىٰ هذا القول شيء من اللوازم الباطلة، التي يُنزّه الله عنها.

وأما قوله: «إن الجسم ممتنع علىٰ الله»، فجوابه: أن الكلام في الجسم وإطلاقه علىٰ الله نفيًا أو إثباتًا من البدع التي لم ترد في الكتاب، والسنة، وأقوال السلف، وهو من الألفاظ المجملة التي تحتاج إلىٰ تفصيل:

فإن أريد بالجسم الشيء المحدث المركب، المفتقر كل جزء منه إلىٰ الآخر، فهذا ممتنع علىٰ الربّ الحيّ القيّوم.

وإن أُريد بالجسم ما يقوم بنفسه، ويتصف بما يليق به، فهذا غير ممتنع علىٰ الله تعالىٰ؛ فإن



الله قائم بنفسه، متصف بالصفات الكاملة التي تليق به سبحانه وتعالىٰ.

لكن لما كان لفظ الجسم يحتمل ما هو حق وباطل بالنسبة إلىٰ الله صار إطلاق لفظه نفيًا، أو إثباتًا ممتنعًا علىٰ الله.

وهذه اللوازم التي يذكرها أهل البدع ليتوصلوا بها إلىٰ نفي ما أثبته الله لنفسه من صفات الكمال، علىٰ نوعين:

**الأول**: لوازم صحيحة لا تنافي ما وجب لله من الكمال، فهذه حق يجب القول بها، وبيان أنها غير ممتنعة علىٰ الله.

**الثاني**: لوازم فاسدة تنافي ما وجب لله من الكمال، فهذه باطلة يجب نفيها، وأن يبين أنها غير لازمة لنصوص الكتاب، والسنة؛ لأن الكتاب والسنة حق ومعانيهما حق، والحق لا يمكن أن يلزم منه باطل أبدًا.

فإن قال قائل: إذا فسرتم استواء الله علىٰ عرشه بعلوه عليه، أوهم ذلك أن يكون الله محتاجًا إلىٰ العرش لِيُقلّه.

فالجواب: أن كل من عرف عظمة الله تعالىٰ، وكمال قدرته، وقوته، وغناه، فإنه لن يخطر بباله أن يكون الله محتاجًا إلىٰ العرش ليقلّه، كيف والعرش وغيره من المخلوقات مفتقر إلىٰ الله، ومضطر إليه لا قوام له إلا به، ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [الروم: ٢٥].

فإن قيل: هل يصح تفسير استواء الله علىٰ عرشه باستيلائه عليه، كما فسره به المعطلة فرارًا من هذه اللوازم؟

فالجواب: أنه لا يصح وذلك لوجوه، منها:

١ - أن هذه اللوازم إن كانت حقًّا فإنها لا تَمنع من تفسير الاستواء بمعناه الحقيقي، وإن كانت باطلًا فإنه لا يمكن أن تكون من لوازم نصوص الكتاب والسنة، ومن ظن أنها لازمة لها فهو ضال.

٢ - أن تفسيره بالاستيلاء يلزم عليه لوازم باطلة - لا يمكن دفعها - كمخالفة إجماع السلف، وجواز أن يُقال: إن الله مستوٍ علىٰ الأرض، ونحوها مما ينزه الله عنه، وكون الله - تعالىٰ - غير مستولٍ علىٰ العرش حين خلق السماوات والأرض.



٣ - أن تفسيره بالاستيلاء غير معروف في اللغة، فهو كذب عليها، والقرآن نزل بلغة العرب، فلا يمكن أن نفسره بما لا يعرفونه في لغتهم.

٤ - أن الذين فسروه بالاستيلاء كانوا مُقرّين بأن هذا معنىٰ مَجازي، والمعنىٰ المجازي لا يُقبل إلا **بعد تمام أربعة أمور:**

**الأول**: الدليل الصحيح المقتضي لصرف الكلام عن حقيقته إلىٰ مجازه.

**الثاني**: احتمال اللفظ للمعنىٰ المجازي الذي ادعاه من حيث اللغة.

**الثالث**: احتمال اللفظ للمعنىٰ المجازي الذي ادعاه في ذلك السياق المعيّن، فإنه لا يلزم من احتمال اللفظ لمعنىٰ من المعاني من حيث الجملة أن يكون محتملًا له في كل سياق؛ لأن قرائن الألفاظ والأحوال قد تمنع بعض المعاني التي يحتملها اللفظ في الجملة.

**الرابع**: أن يبين الدليل علىٰ أن المراد من المعاني المجازية هو ما ادعاه؛ لأنه يجوز أن يكون المراد غيره فلا بد من دليل علىٰ التعيين. والله أعلم.

### فصلٌ

**والعرش في اللغة**: سرير الملك، قال الله تعالىٰ عن يوسف: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [يوسف: ١٠٠]. وقال عن ملكة سبأ: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ [النمل].

وأما عرش الرحمن الذي استوىٰ عليه فهو: عرش عظيم محيط بالمخلوقات، وهو أعلاها، وأكبرها، كما في حديث أبي ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ، قال: «**مَا السَّمٰوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرَضُونَ السَّبْعُ عِنْدَ الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَحَلَقَةٍ مُلْقَاةٍ فِي أَرْضٍ فَلَاةٍ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَرْشِ عَلَىٰ الْكُرْسِيِّ كَفَضْلِ الْفَلَاةِ عَلَىٰ تِلْكَ الْحَلَقَةِ**». قال المؤلف شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ في «الرسالة العرشية»: «والحديث له طرق. وقد رواه أبو حاتم، وابن حبان في صحيحه، وأحمد في «المسند» وغيرهم». اهـ.

**والكرسي في اللغة**: السرير وما يقعد عليه.

وأما الكرسي الذي أضافه الله إلىٰ نفسه فهو: موضع قدميه تعالىٰ، قال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «الْكُرْسِيُّ مَوْضِعُ الْقَدَمَيْنِ، وَالْعَرْشُ لَا يَقْدُرُ قَدْرَهُ إِلَّا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ». رواه الحاكم في «المستدرك». وقال: إنه علىٰ شرط الشيخين، وقد روي مرفوعًا، والصواب أنه موقوف.



وهذا المعنىٰ الذي ذكره ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في الكرسي هو المشهور بين أهل السنة، وهو المحفوظ عنه، وما روي عنه أنه العلم فغير محفوظ، وكذلك ما روي عن الحسن: أنه العرش ضعيف لا يصح عنه؛ قاله ابن كثير رحمه الله تعالىٰ.

## الباب الحادي عشر: في المعيَّة

أثبت الله لنفسه في كتابه، وعلىٰ لسان رسوله ﷺ، أنه مع خلقه.

**فمن أدلة الكتاب**: قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ١٩﴾ [الأنفال]، وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ٤٦﴾ [طه].

**ومن أدلة السنة**: قوله ﷺ: «**أَفْضَلُ الْإِيمَانِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللهَ مَعَكَ حَيْثُمَا كُنْتَ**». وقوله ﷺ، لصاحبه أبي بكر وهما في الغار: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ﴾ [التوبة: ٤٠].

وقد أجمع علىٰ ذلك سلف الأمة، وأئمتها.

**والمعية في اللغة**: مطلق المقارنة والمصاحبة. لكن مقتضاها ولازمها يختلف باختلاف الإضافة وقرائن السياق والأحوال:

فتارة تقتضي: **اختلاطًا**؛ كما يقال: جعلت الماء مع اللبن.

وتارة تقتضي: **تهديدًا وإنذارًا**؛ كما يقول المؤدب للجاني: اذهب فأنا معك.

وتارة تقتضي: **نصرًا وتأييدًا**؛ كمن يقول لمن يستغيث به: أنا معك، أنا معك. إلىٰ غير ذلك من اللوازم والمقتضيات المختلفة باختلاف الإضافة والقرائن والأحوال.

ومثل هذا اللفظ الذي يتفق في أصل معناه ويختلف مقتضاه وحكمه باختلاف الإضافات والقرائن يسميه بعض الناس: مشككًا؛ لتشكيك المستمع هل هو من قبيل المشترك الذي اتحد لفظه، واختلف معناه، نظرًا لاختلاف مقتضاه وحكمه؟ أو هو من قبيل المتواطئ الذي اتحد لفظه ومعناه، نظرًا لأصل المعنىٰ؟

والتحقيق أنه نوع من المتواطئ؛ لأن واضع اللغة وضع هذا اللفظ بإزاء القدر المشترك، واختلاف حكمه ومقتضاه إنما هو بحسب الإضافات والقرائن لا بأصل الوضع، لكن لما كانت نوعًا خاصًّا من المتواطئة فلا بأس بتخصيصها بلفظ.



إذا تبين ذلك فقد اتضح أن لفظ المعية المضاف إلىٰ الله مستعمل في حقيقته لا في مجازه، غير أن معية الله لخلقه معية تليق به، فليست كمعية المخلوق للمخلوق؛ بل هي أعلىٰ، وأكمل، ولا يلحقها من اللوازم والخصائص ما يلحق معية المخلوق للمخلوق.

هذا وقد فسّر بعض السّلف معية الله لخلقه: بعلمه بهم، وهذا تفسير للمعية ببعض لوازمها، وغرضهم به: الردّ علىٰ حلولية الجهمية، الذين قالوا: إن الله بذاته في كل مكان، واستدلوا بنصوص المعية، فبيَّن هؤلاء السلف أنه لا يراد من المعية كون الله معنا بذاته؛ فإن هذا محال عقلًا، وشرعًا؛ لأنه ينافي ما وجب من علوه، ويقتضي أن تُحيط به مخلوقاته وهو محال.

**أقسام معية الله لخلقه:**

تنقسم معية الله لخلقه إلىٰ قسمين: **عامة، وخاصة:**

**فالعامة هي**: التي تقتضي الإحاطة بجميع الخلق من مؤمن، وكافر وبَر وفاجر، في العلم، والقدرة، والتدبير والسلطان وغير ذلك من معاني الربوبية.

وهذه المعية توجب لمن آمن بها كمال المراقبة لله عَزَّوَجَلَّ، ولذلك قال النبي ﷺ: «**الْإِيمَانِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللهَ مَعَكَ حَيْثُمَا كُنْتَ**».

ومن أمثلة هذا القسم قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤] ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾ [المجادلة: ٧].

**وأما الخاصة فهي**: التي تقتضي النصر والتأييد لمن أضيفت له. وهي مختصة بمن يستحق ذلك من الرسل وأتباعهم.

وهذه المعية توجب لمن آمن بها كمال الثبات والقوة.

ومن أمثلتها قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١٩﴾ [الأنفال]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ۝١٢٨﴾ [النحل]. ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ۝٤٦﴾ [طه]. وقوله عن نبيه ﷺ: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

فإن قيل: هل المعية من صفات الله الذاتية أو من صفاته الفعلية؟



فالجواب: أن المعية العامة من الصفات الذاتية؛ لأن مقتضياتها ثابتة لله تعالىٰ أزلًا وأبدًا، وأما المعية الخاصة فهي من الصفات الفعلية؛ لأن مقتضياتها تابعة لأسبابها، توجد بوجودها، وتنتفي بانتفائها.

## الباب الثَّاني عشر: في الجمع بين نصوص علو الله بذاته ومعيته

قبل أن نذكر الجمع بينهما نُحبّ أن نقدّم قاعدة نافعة أشار إليها المؤلف شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «العقل والنقل» وخلاصتها:

أنه إذا قيل بالتعارض بين دليلين، فإما أن يكونا قطعيين، أو ظنيين، أو أحدهما قطعيًّا، والآخر ظنيًّا. **فهذه ثلاثة أقسام:**

**الأول: القطعيّان:** وهما ما يقطع العقل بثبوت مدلولهما، فالتعارض بينهما محال؛ لأن القول بجواز تعارضهما يستلزم إما وجوب ارتفاع أحدهما وهو محال؛ لأن القطعي واجب الثبوت، وإما ثبوت كل منهما مع التعارض وهو محال أيضًا؛ لأنه جَمْعٌ بين النقيضين.

فإن ظن التعارض بينهما فإما: ألا يكونا قطعيين، وإما ألا يكون بينهما تعارض، بحيث يُحمل أحدهما علىٰ وجه، والثاني علىٰ وجه آخر، ولا يرد علىٰ ذلك ما يثبت نسخه من نصوص الكتاب والسنة القطعية؛ لأن الدليل المنسوخ غير قائم، فلا معارض للناسخ.

**الثاني: أن يكونا ظنيين:** إما من حيث الدلالة، وإما من حيث الثبوت، فيطلب الترجيح بينهما ثم يقدم الراجح.

**الثالث: أن يكون أحدهما قطعيًّا، والآخر ظنيًّا**، فيقدم القطعي باتفاق العقلاء؛ لأن اليقين لا يُدفع بالظنّ.

إذا تبين هذا، فنقول: لا ريب أن النصوص قد جاءت بإثبات علو الله بذاته فوق خلقه وأنه معهم، وكل منهما قطعيٌّ الثبوت والدلالة. وقد جمع الله بينهما في قوله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الحديد].

ففي هذه الآية أثبت الله تعالىٰ استواءه علىٰ العرش الذي هو أعلىٰ المخلوقات، وأثبت أنه



معنا، وليس بينهما تعارض؛ فإن الجمع بينهما ممكن.

**وبيان إمكانه من وجوه:**

**الأول**: أن النصوص جمعت بينهما فيمتنع أن يكون اجتماعهما محالًا؛ لأن النصوص لا تدل علىٰ محال، ومن ظن دلالتها عليه فقد أخطأ فليعد النظر مرة بعد أخرىٰ، مستعينًا بالله، سائلًا منه الهداية والتوفيق، باذلًا جهده في الوصول إلىٰ معرفة الحق. فإن تبين له الحق فليحمد الله علىٰ ذلك، وإلا فليكل الأمر إلىٰ عالمه وليقل: آمنا به كل من عند ربنا، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم.

**الثاني**: أنه لا منافاة بين معنىٰ العلو والمعية؛ فإن المعية لا تستلزم الاختلاط والحلول في المكان - كما تقدم -، فقد يكون الشيء عاليًا بذاته، وتضاف إليه المعية كما يقال: ما زلنا نسير والقمر معنا، مع أن القمر في السماء، ولا يعد ذلك تناقضًا لا في اللفظ ولا في المعنىٰ، فإن المخاطب يعرف معنىٰ المعية هنا، وأنه لا يمكن أن يكون مقتضاها أن القمر في الأرض. فإذا جاز اجتماع العلو والمعية في حق المخلوق ففي حق الخالق أولىٰ.

**الثالث**: أنه لو فرض أن بين معنىٰ العلو والمعية تناقضًا وتعارضًا في حق المخلوق فإن ذلك لا يلزم في حق الخالق؛ لأن الله تعالىٰ ليس كمثله شيء في جميع صفاته، فلا تقاس معيته بمعية خلقه، ولا تقتضي معيته لهم أن يكون مختلطًا بهم أو حالًّا في أمكنتهم لوجوب علوه بذاته؛ ولأنه لا يحيط به شيء من مخلوقاته؛ بل هو بكل شيء محيط.

وبنحو هذه الوجوه يمكن الجمع بين ما ثبت من علو الله بذاته وكونه قِبَل وجه المصلي، فيقال: **الجمع بينهما من وجوه:**

**الأول**: أن النصوص جمعت بينهما، والنصوص لا تأتي بالمحال.

**الثاني**: أنه لا منافاة بين معنىٰ العلو والمقابلة، فقد يكون الشيء عاليًا وهو مقابل، لأن المقابلة لا تستلزم المحاذاة، ألا ترىٰ أن الرجل ينظر إلىٰ الشمس حال بزوغها فيقول: إنها قِبَل وجهي، مع أنها في السماء، ولا يعد ذلك تناقضًا في اللفظ ولا في المعنىٰ، فإذا جاز هذا في حق المخلوق ففي حق الخالق أولىٰ.

**الثالث**: أنه لو فرض أن بين معنىٰ العلو والمقابلة تناقضًا وتعارضًا في حق المخلوق فإن ذلك لا يلزم في حق الخالق؛ لأن الله تعالىٰ ليس كمثله شيء في جميع صفاته، فلا يقتضي



كونه قِبَل وجه المصلي أن يكون في المكان أو الحائط الذي يصلي إليه لوجوب علوه بذاته؛ ولأنه لا يحيط به شيء من المخلوقات، بل هو بكل شيء محيط سبحانه وتعالىٰ.

## الباب الثَّالث عشر: في نزول الله إلى السماء الدنيا

في «الصحيحين» عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَىٰ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟**».

وقد روىٰ هذا الحديث عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نحو ثمانٍ وعشرين نفسًا من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، واتفق أهل السنة علىٰ تلقي ذلك بالقبول.

ونزوله تعالىٰ إلىٰ السماء الدنيا من صفاته الفعلية التي تتعلق بمشيئته وحكمته، وهو نزول حقيقي يليق بجلاله وعظمته.

ولا يصحّ تحريف معناه إلىٰ نزول أمره، أو رحمته، أو ملك من ملائكته، فإن هذا باطل لوجوه:

**الأول**: أنه خلاف ظاهر الحديث؛ لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أضاف النزول إلىٰ الله، والأصل أن الشيء إنّما يُضاف إلىٰ من وقع منه أو قام به، فإذا صرف إلىٰ غيره كان ذلك تحريفًا يُخالف الأصل.

**الثاني**: أن تفسيره بذلك يقتضي أن يكون في الكلام شيء محذوف، والأصل عدم الحذف.

**الثالث**: أن نزول أمره أو رحمته لا يختص بهذا الجزء من الليل، بل أمره ورحمته ينزلان كل وقت.

فإن قيل: المراد نزول أمر خاصّ، ورحمة خاصة، وهذا لا يلزم أن يكون كل وقت.

فالجواب: أنه لو فرض صحة هذا التقدير والتأويل، فإن الحديث يدل علىٰ أن منتهىٰ نزول هذا الشيء هو السماء الدنيا، وأي فائدة لنا في نزول رحمة إلىٰ السماء الدنيا حتىٰ يخبرنا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنها؟



**الرابع**: أن الحديث دلّ علىٰ أن الذي ينزل يقول: «**مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟**». ولا يمكن أن يقول ذلك أحد سوىٰ الله سبحانه وتعالىٰ.

### فصلٌ: في الجمع بين نصوص علو الله تعالى بذاته

ونزوله إلىٰ السماء الدنيا علو الله تعالىٰ من صفاته الذاتية التي لا يمكن أن ينفكّ عنها، وهو لا يُنافي ما جاءت به النصوص من نزوله إلىٰ السماء الدنيا، والجمع بينهما من وجهين:

**الأول**: أن النصوص جمعت بينهما، والنصوص لا تأتي بالمحال، كما تقدم.

**الثاني**: أن الله ليس كمثله شيء في جميع صفاته، فليس نزوله كنزول المخلوقين حتىٰ يقال: إنه ينافي علوه ويناقضه. والله أعلم..



## الباب الرَّابع عشر: في إثبات الوجه لله تعالى

مذهب أهل السنة والجماعة: أن لله وجهًا حقيقيًّا يليق به موصوفًا بالجلال والإكرام.

قد دلّ علىٰ ثبوته لله الكتاب والسنة.

فمن أدلّة الكتاب قوله تعالىٰ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن].

ومن أدلّة السنة قول النبي ﷺ في الدعاء المأثور: «**وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَىٰ وَجْهِكَ، وَالشَّوْقَ إِلَىٰ لِقَائِكَ**».

فوجه الله تعالىٰ من صفاته الذاتية الثابتة له حقيقة علىٰ الوجه اللائق به.

ولا يصح تحريف معناه إلىٰ الثواب لوجوه منها:

**أولًا**: أنه خلاف ظاهر النّص، وما كان مخالفًا لظاهر النص فإنه يحتاج إلىٰ دليل، ولا دليل علىٰ ذلك.

**ثانيًا**: أن هذا الوجه ورد في النصوص مضافًا إلىٰ الله تعالىٰ والمضاف إلىٰ الله إما: أن يكون شيئًا قائمًا بنفسه، وإما أن يكون غير قائم بنفسه، فإن كان قائمًا بنفسه فهو مخلوق، وليس من صفاته كبيت الله، وناقة الله، وإنما أُضيف إليه إما: للتشريف، وإما من باب إضافة المملوك والمخلوق إلىٰ مالكه وخالقه. وإن كان غير قائم بنفسه فهو من صفات الله، وليس



بمخلوق كعلم الله، وقدرته، وعزته، وكلامه، ويده، وعينه ونحو ذلك، والوجه بلا ريب من هذا النوع؛ فإضافته إلىٰ الله من باب إضافة الصفة إلىٰ الموصوف.

**ثالثًا**: أن الثواب مخلوق بائن عن الله تعالىٰ، والوجه صفة من صفات الله غير مخلوق ولا بائن، فكيف يفسر هذا بهذا؟

**رابعًا**: أن ذلك الوجه وُصِف في النصوص بالجلال والإكرام، وبأن لـه نـورًا يستعاذ بـه، وسُبُحَات تحرق ما انتهىٰ إليه بصره من خلقه.

وكل هذه الأوصاف تمنع أن يكون المراد به الثواب. والله أعلم.

## الباب الخامس عشر: في يدي الله عَزَّوَجَلَّ

مذهب أهل السنة والجماعة: أن لله تعالىٰ يدين اثنتين، مبسوطتين بالعطاء والنعم، وهما من صفاته الذاتية الثابتة له حقيقة علىٰ الوجه اللائق به.

وقد دلّ علىٰ ثبوتهما الكتاب، والسنة.

فمن أدلّة الكتاب قوله تعالىٰ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ [ص: ٧٥].

ومن أدلة السنة قوله ﷺ: «**يَدُ اللهِ مَلْأَىٰ لَا تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ؟ فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَمِينِهِ**».

وقد أجمع أهل السنة علىٰ أنهما يدان حقيقيتان لا تُشبهان أيـدي المخلـوقين، ولا يصحّ تحريف معناهما إلىٰ القوة، أو النعمة أو نحو ذلك لوجوه منها:

**أولًا**: أنه صرف للكلام عن حقيقته إلىٰ مجازه بلا دليل.

**ثانيًا**: أنه معنىٰ تأباه اللغة في مثل السياق الذي جاءت به مضافة إلىٰ الله تعالىٰ؛ فإن الله قال: ﴿لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ [ص: ٧٥]. ولا يصح أن يكون المعنىٰ: لما خلقت بنعمتي، أو قوتي.

**ثالثًا**: أنه ورد إضافة اليد إلىٰ الله بصيغة التثنية، ولم يرد في الكتاب والسـنة ولا في موضـع واحد إضافة النعمة والقوة إلىٰ الله بصيغة التثنية فكيف يفسر هذا بهذا؟

**رابعًا**: أنه لو كان المراد بهما القوة لصح أن يُقال: إن الله خلق إبلـيس بيـده ونحـو ذلـك. وهذا ممتنع. ولو كان جائزًا لاحتج به إبليس علىٰ ربه حين قال لـه: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ [ص: ٧٥].



**خامسًا**: أن اليد التي أضافها الله إلىٰ نفسه وردت علىٰ وجوه تمنع أن يكون المراد بها النعمة، أو القوة فجاءت بلفظ اليد، والكفّ. وجاء إثبات الأصابع لله تعالىٰ، والقبض، والهزّ، كقوله ﷺ: «**يَقْبِضُ اللهُ سَمَاوَاتِهِ بِيَدِهِ، وَالْأَرْضِ بِالْيَدِ الْأُخْرَىٰ، ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ وَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ**».

وهذه الوجوه تمنع أن يكون المراد بهما النعمة، أو القوة.

## الباب السَّادس عشر: في عيني الله تعالى

مذهب أهل السنة والجماعة: أن لله عينين اثنتين، ينظر بهما حقيقة علىٰ الوجه اللائق به، وهما من الصفات الذاتية الثابتة بالكتاب والسنة.

فمن أدلّة الكتاب قوله تعالىٰ: ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ۝١٤﴾ [القمر].

ومن أدلّة السنة قول النبي ﷺ: «**إِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ**».

وقوله: «**يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ أَزِلِينَ قَنِطِينَ**».

وقوله: «**حِجَابُهُ النُّورُ، لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَىٰ إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**».

فهما عينان حقيقيتان لا تشبهان أعين المخلوقين. ولا يصح تحريف معناهما إلىٰ العلم، والرؤية لوجوه منها:

**أولًا**: أنه صرف للكلام عن حقيقته إلىٰ مجازه بلا دليل.

**ثانيًا**: أن في النصوص ما يمنع ذلك، مثل قوله ﷺ: «**يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ**». وقوله: «**لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَىٰ إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**». وقوله: «**إِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ**».

## الباب السَّابع عشر: في الوجوه التي وردت عليها صفتا اليدين والعينين

وردت صفتا اليدين، والعينين في النصوص مضافة إلىٰ الله تعالىٰ علىٰ ثلاثة أوجه: **الإفراد، والتثنية، والجمع**.

**فمن أمثلة الإفراد**: قوله تعالىٰ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [الملك: ١]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ۝٣٩﴾ [طه].

**ومن أمثلة الجمع**: قوله تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ



لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ [يس]، وقوله تعالىٰ: ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤].

**ومن أمثلة التثنية**: قوله تعالىٰ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]. وقول النبي ﷺ: «**إِذَا قَامَ الْعَبْدُ فِي الصَّلَاةِ قَامَ بَيْنَ عَيْنَيِ الرَّحْمَنِ**». هكذا هو في «مختصر الصواعق» عن عطاء عن أبي هريرة عن النبي ﷺ، ولم يَعْزه.

ولم ترد صفة العينين في القرآن بصورة التثنية.

هذه هي الوجوه الثلاثة التي وردت عليها صفتا اليدين والعينين.

والجمع بين هذه الوجوه أن يقال:

إن الإفراد لا ينافي التثنية، ولا الجمع؛ لأن المفرد المضاف يعمّ فيتناول كل ما ثبت لله من يد، أو عين واحدة كانت أو أكثر.

وأما الجمع بين ما جاء بلفظ التثنية وبلفظ الجمع فإن قلنا: أقل الجمع اثنان فلا منافاة أصلًا بين صيغتي التثنية والجمع؛ لاتحاد مدلوليهما.

وإن قلنا: أقل الجمع ثلاثة وهو المشهور فالجمع بينهما أن يقال: إنه لا يراد من صيغة الجمع مدلولها الذي هو ثلاثة فأكثر، وإنما أريد بها - والله أعلم - التعظيم والمناسبة، أعني مناسبة المضاف للمضاف إليه؛ فإن المضاف إليه، وهو «نا» يراد به هنا: التعظيم قطعًا؛ فناسب أن يُؤتىٰ بالمضاف بصيغة الجمع ليناسب المضاف إليه؛ فإن الجمع أدلّ علىٰ التعظيم من الإفراد والتثنية، وإذا كان كل من المضاف والمضاف إليه دالًّا علىٰ التعظيم حصل من بينهما تعظيم أبلغ.

## الباب الثَّامن عشر: في كلام الله سبحانه وتعالى

اتفق أهل السنة والجماعة علىٰ أن الله يتكلّم، وأن كلامه صفة حقيقية ثابتة له علىٰ الوجه اللائق به.

وهو سبحانه يتكلم بحرف وصوت، كيف شاء، متىٰ شاء، فكلامه صفة ذات باعتبار جنسه، وصفة فعل باعتبار آحاده.

وقد دل علىٰ هذا القول الكتاب، والسنة.

**فمن أدلة الكتاب** قوله تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣].



وقوله تعالىٰ: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [آل عمران: ٥٥].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾﴾ [مريم].

**ففي الآية الأولىٰ**: إثبات أن الكلام يتعلق بمشيئته، وأن آحاده حادثة.

**وفي الآية الثانية**: دليل علىٰ أنه بحرف فإن مقول القول فيها حروف.

**وفي الآية الثالثة**: دليل علىٰ أنه بصوت إذ لا يعقل النداء والمناجاة إلا بصوت.

**ومن أدلة السنة** قول النبي ﷺ: «**يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: يَا آدَمُ؛ فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، فَيُنَادِي بِصَوْتٍ: إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعْثًا إِلَىٰ النَّارِ**».

وكلامه سبحانه هو اللفظ والمعنىٰ جميعًا، ليس هو اللفظ وحده أو المعنىٰ وحده. هذا هو قول أهل السنة والجماعة في كلام الله تعالىٰ، أما أقوال غيرهم فإليك ملخصها من «مختصر الصواعق المرسلة»:

١ - قول الكَرَّامية: وهو كقول أهل السنة، إلا أنهم قالوا: «إنه حادث بعد أن لم يكن»، فرارًا من إثبات حوادث لا أول لها.

٢ - قول الكُلَّابية: «إنه معنىٰ قائم بذاته لازم لها كلزوم الحياة والعلم، فلا يتعلق بمشيئته، والحروف والأصوات حكاية عنه خلقها الله لتدل علىٰ ذلك المعنىٰ القائم بذاته، وهو أربعة معان: أمر، ونهي، وخبر، واستخبار».

٣ - قول الأشعرية: وهو كقول الكلابية إلا أنهم يخالفونهم في شيئين:

**أحدهما**: في معاني الكلام، فالكلابية يقولون: «إنه أربعة معان» والأشعرية يقولون: إنه معنىٰ واحد، فالخبر، والاستخبار، والأمر، والنهي كل واحد منها هو عين الآخر، وليست أنواعًا للكلام، بل صفات له، بل التوراة والإنجيل، والقرآن كل واحد منها عين الآخر، لا تختلف إلا بالعبارة.

**الثاني**: أن الكلابية قالوا: «إن الحروف والأصوات حكاية عن كلام الله». وأما الأشعرية فقالوا: «إنها عبارة عن كلام الله».

٤ - قول السَّالِمية: «أنه صفة قائمة بذاته لازمة لها كلزوم الحياة، والعلم، فلا يتعلّق بمشيئته، وهو حروف وأصوات متقارنة لا يسبق بعضها بعضًا، فالباء والسين والميم في البسملة - مثلًا - كل حرف منها مقارن للآخر في آن واحد، ومع ذلك لم تزل ولا تزال



موجودة».

٥ - قول الجهمية والمعتزلة: «إنه مخلوق من المخلوقات وليس من صفات الله».

ثم من الجهمية من صرح بنفي الكلام عن الله، ومنهم من أقرّ به، وقال: إنه مخلوق.

٦ - قول فلاسفة المتأخرين أتباع أرسطو: «أنه فيض من العقل الفعال علىٰ النفوس الفاضلة الزكية بحسب استعدادها وقبولها، فيوجب لها تصورات، وتصديقات، بحسب ما قبلته منه، وهذه التصورات والتصديقات المتخيلة تقوىٰ حتىٰ تصور الشيء المعقول صورًا نورانية تخاطبها بكلام تسمعه الآذان».

٧ - قول الاتِحادية: «القائلين بوحدة الوجود: إن كل كلام في الوجود كلام الله» كما قال قائلهم:

وكل كلام في الوجود كلامه ... سواء علينا نثره ونظامه

وكل هذه الأقوال مخالفة لما دل عليه الكتاب، والسنة، والعقل، ومن رزقه الله علمًا وحكمة فهم ذلك.

## فصلٌ: في أن القرآن كلام الله

مذهب أهل السنة والجماعة: أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، تكلّم به حقيقة، وألقاه إلىٰ جبريل فنزل به علىٰ قلب محمد ﷺ.

وقد دل علىٰ هذا القولِ الكتاب والسنة.

فمن أدلة الكتاب قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]. يعني القرآن، وقوله تعالىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص]، وقوله تعالىٰ: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء].

ومن أدلة السنة قوله ﷺ - وهو يعرض نفسه علىٰ الناس في الموقف -: «**أَلَا رَجُلٌ يَحْمِلُنِي إِلَىٰ قَوْمِهِ لِأُبَلِّغَ كَلَامَ رَبِّي؟ فَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أُبَلِّغَ كَلَامَ رَبِّي عَزَّوَجَلَّ**».

وقوله ﷺ للبراء بن عازب: «**إِذَا أَوَيْتَ إِلَىٰ فِرَاشِكَ فَقُلْ: اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لَا**



مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَىٰ مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ».

وقال عمرو بن دينار: «أدركت الناس منذ سبعين سنة، يقولون: الله الخالق وما سواه مخلوق، إلا القرآن فإنه كلام الله غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود». اهـ.

ومعنىٰ قولهم: «منه بدأ»؛ أن الله تكلم به ابتداء، وفيه رد علىٰ الجهمية القائلين: بأنه خلقه في غيره.

وأما قولهم: «وإليه يعود»؛ فيحتمل معنيين:

**أحدهما**: أنه تعود صفة الكلام بالقرآن إليه، بمعنىٰ: أن أحدًا لا يوصف بأنه تكلّم به غير الله؛ لأنه هو المتكلّم به، والكلام صفة للمتكلّم.

**الثاني**: أنه يرفع إلىٰ الله تعالىٰ كما جاء في بعض الآثار أنه يَسري به من المصاحف والصدور، وذلك إنما يقع - والله أعلم - حين يعرض الناس عن العمل بالقرآن إعراضًا كليًّا فيرفع عنهم تكريمًا له. والله المستعان.

### فصلٌ: في اللفظ والملفوظ

الكلام في هذا الفصل يتعلّق بالقرآن؛ فإنه قد سبق أن القرآن كلام الله غير مخلوق، لكن اللفظ بالقرآن هل يصح أن نقول: إنه مخلوق، أو غير مخلوق، أو يجب السكوت؟

فالجواب: أن يقال: أن إطلاق القول في هذا نفيًا أو إثباتًا غير صحيح.

وأما عند التفصيل فيقال: إن أُريد باللفظ التلفظ الذي هو فعل العبد فهو مخلوق؛ لأن العبد وفعله مخلوقان، وإن أُريد باللفظ الملفوظ به فهو كلام الله غير مخلوق؛ لأن كلام الله من صفاته، وصفاته غير مخلوقة.

ويشير إلىٰ هذا التفصيل قول الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من قال: لفظي بالقرآن مخلوق يريد به القرآن؛ فهو جهمي».

فقوله: «يريد به القرآن»؛ يدل علىٰ أنه إن أراد به غير القرآن وهو التلفظ الذي هو فعل الإنسان فليس بجهمي. والله أعلم.



## الباب التَّاسع عشر: في ظهور مقالة التعطيل واستمدادها

شاعت مقالة التعطيل بعد القرون المفضلة - الصحابة والتابعين وتابعيهم - وإن كان



أصلها قد نبغ في أواخر عصر التابعين.

وأول من تكلم بالتعطيل الجعد بن درهم. فقال: «إن الله لم يتخذ إبراهيم خليلًا، ولم يكلم موسىٰ تكليمًا». فقتله خالد بن عبد الله القسري الذي كان واليًا علىٰ العراق لهشام بن عبد الملك، خرج به إلىٰ مصلىٰ العيد بوَثاقه ثم خطب الناس، وقال: «أيها الناس! ضحوا، تقبّل الله ضحاياكم، فإني مضحٍ بالجعد بن درهم، إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلًا، ولم يُكلّم موسىٰ تكليمًا»، ثم نزل وذبحه، وذلك في عيد الأضحىٰ سنة ١١٩هـ.

وفي ذلك يقول ابن القيم رحمه الله في «النونية»:

وَلِأَجْلِ ذَا ضَحَّى بِجَعْدٍ خَالِدُ الْـ ... قَسْرِيُّ يَوْمَ ذَبَائِحِ الْقُرْبَانِ

إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لَيْسَ خَلِيلَهُ ... كَلَّا وَلَا مُوسَى الْكَلِيمُ الدَّانِي

شَكَرَ الضَّحِيَّةَ كُلُّ صَاحِبِ سُنَّةٍ ... لِلَّهِ دَرُّكَ مِنْ أَخِي قُرْبَانِ

ثم أخذها عن الجعد رجل يقال له: الجهم بن صفوان، وهو الذي ينسب إليه مذهب الجهمية المعطلة؛ لأنه نشره فقتله سَلم بن أحوز صاحب شرطة نصر بن سيار، وذلك في خراسان سنة ١٢٨هـ.

وفي حدود المئة الثانية عُربت الكتب اليونانية والرومانية؛ فازداد الأمر بلاء وشدة.

ثم في حدود المئة الثالثة انتشرت مقالة الجهمية بسبب بشر بن غياث المريسي وطبقته الذين أجمع الأئمة علىٰ ذمهم، وأكثرهم كفّروهم أو ضلّلوهم. وصَنّف عثمان بن سعيد الدارمي كتابًا رد به علىٰ المريسي سماه: «نَقْض عثمان بن سعيد علىٰ الكافر العنيد فيما افترىٰ علىٰ الله من التوحيد» مَن طالع هذا الكتاب بعلم وعدل، تبين له ضعف حجة هؤلاء المعطلة، بل بطلانها، وأن هذه التأويلات التي توجد في كلام كثير من المتأخرين كالرازي، والغزالي، وابن عقيل، وغيرهم هي بعينها تأويلات بشر.

وأما استمداد مقالة التعطيل فكان من اليهود والمشركين وضلال الصابئين والفلاسفة؛ فإن الجعد بن درهم أخذ مقالته – علىٰ ما قيل – من أبان بن سمعان عن طالوت عن لبيد بن الأعصم اليهودي الذي سحر النبي ﷺ.

ثم إن الجعد كان – علىٰ ما قيل – من أرض حَرَّان وفيها خلق كثير من المشركين



والصابئة والفلاسفة، ولا ريب أن للبيئة تأثيرًا قويًّا في عقيدة الإنسان وأخلاقه.

وكان مذهب النفاة من هؤلاء أن الله ليس له صفات ثبوتية؛ لأن ثبوت الصفات يقتضي - علىٰ زعمهم - أن الله مشابه لخلقه، وإنما يثبتون له صفات سلبية، أو إضافية، أو مركبة منهما.

فالسلبية: ما كان مدلولها عدم أمر لا يليق بالله عَزَّوَجَلَّ مثل قولهم: «إن الله واحد» بمعنىٰ أنه مسلوب عنه القسمة بالْكَمّ، أو القول، ومسلوب عنه الشريك.

والإضافية: هي التي لا يوصف الله بها علىٰ أنها صفة ثابتة له، ولكن يوصف بها باعتبار إضافتها إلىٰ الغير، كقولهم عن الله تعالىٰ: «إنه مبدأ وعلة» فهو مبدأ وعلة، باعتبار أن الأشياء صدرت منه، لا باعتبار صفة ثابتة له هي البداء والعلية.

والمركبة منها هي: التي تكون سلبية باعتبار، وإضافية باعتبار، كقولهم عن الله تعالىٰ: «أنه أول» فهي سلبية باعتبار أنه مسلوب عنه الحدوث إضافية باعتبار أن الأشياء بعده.

فإذا كان هذا هو ما تستمد منه طريقة النفاة فكيف تطيب نفس مؤمن أو عاقل أن يأخذ به ويترك سبيل الذين أنعم الله عليهم من النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين؟

## الباب العشرون: في طريقة النفاة فيما يجب إثباته أو نفيه من صفات الله

اتفق النفاة علىٰ أن يُثبتوا لله من الصفات ما اقتضت عقولهم إثباته، وأن ينفوا عنه ما اقتضت عقولهم نفيه، سواء وافق الكتاب والسنة، أم خالفهما، فطريق إثبات الصفات لله أو نفيها عنه عندهم هو العقل.

ثم اختلفوا فيما لا يقتضي العقل إثباته، أو نفيه، فأكثرهم نفوه وخرجوا ما جاء منه علىٰ المجاز، وبعضهم توقف فيه وفوض علمه إلىٰ الله مع نفي دلالته علىٰ شيء من الصفات.

وهم يزعمون أنهم وَفقوا بهذه الطريقة بين الأدلة العقلية والنقلية، ولكنهم كذبوا في ذلك؛ لأن الأدلة العقلية والنقلية متفقة علىٰ إثبات صفات الكمال لله، وكل ما جاء في الكتاب والسنة من صفات الله، فإنه لا يخالف العقل، وإن كان العقل يعجز عن إدراك التفصيل في ذلك.

وقد شابه هؤلاء النفاة في طريقتهم طريقة من قال الله فيهم:



﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾﴾ [النساء].

**ووجه مشابهتهم لهم من وجوه:**

**الأول**: أن كل واحد من الفريقين يزعم أنّه مؤمن بما أنزل على النبي ﷺ، مع أنهم لا يقبلون كل ما جاء به.

**الثاني**: أن هؤلاء النفاة إذا دعوا إلىٰ ما جاء به الكتاب والسنة من إثبات صفات الكمال لله أعرضوا وامتنعوا، كما أن أولئك المنافقين إذا قيل لهم: تعالوا إلىٰ ما أنزل الله وإلىٰ الرسول؛ صدّوا وأعرضوا.

**الثالث**: أن هؤلاء النفاة لهم طواغيت يقلدونهم ويقدمونهم علىٰ ما جاءت به الرسل، ويريدون أن يكون التحاكم عند النزاع إليهم لا إلىٰ الكتاب والسنة، كما أن أولئك المنافقين يريدون أن يتحاكموا إلىٰ الطاغوت، وقد أُمروا أن يكفروا به.

**الرابع**: أن هؤلاء النفاة زعموا أنهم أرادوا بطريقتهم هذه عملًا حسنًا، وتوفيقًا بين العقل والسمع، كما أن أولئك المنافقين يحلفون أنهم ما أرادوا إلا إحسانًا وتوفيقًا.

وكل مبطل يتستر في باطله، ويتظاهر بالحق فإنه يأتي بالدعاوىٰ الباطلة التي يروج بها باطله، ولكن من وهبه الله علمًا، وفهمًا، وحكمة، وحسن قصد فإنه لا يلتبس عليه الباطل، ولا تروج عليه الدعاوىٰ الكاذبة. والله المستعان.

## فصلٌ: فيما يلزم على طريقة النفاة من اللوازم الباطلة

يلزم علىٰ طريقة النفاة لوازم باطلة منها:

**أولًا**: أنّ الكتاب والسنة صرحا بالكفر والدعوة إليه؛ لأنهما مملوءان من إثبات صفات الله التي زعم هؤلاء النفاة أن إثباتها تشبيه وكفر.

**ثانيًا**: أن الكتاب والسنة لم يُبينا الحقّ؛ لأن الحقّ عند هؤلاء هو نفي الصفات، وليس في



الكتاب ولا في السنة ما يدلّ علىٰ نفي صفات الكمال عن الله لا نصًّا، ولا ظاهرًا.

وغاية المتحذلق من هؤلاء أن يستنتج ذلك من مثل قوله تعالىٰ: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم]. وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص].

ومن المعلوم لكل عاقل أن المقصود من أمثال هذه النصوص إثبات كمال الله تعالىٰ، وأنه لا شبيه له في صفاته، ولا يمكن أن يُراد بها بيان انتفاء الصفات عنه، إذ لا ريب أن من دلّ الناس علىٰ انتفاء الصفات عن الله بمثل هذا الكلام، فهو إما مُلْغز في كلامه، أو مدلس، أو عاجز عن البيان، وكل هذه الأمور ممتنعة في كلام الله تعالىٰ، وكلام رسوله ﷺ، فإن كلامهما قد تضمّن كمال البيان والإرادة، فليس المقصود به إرادة ضلال الخلق والتعمية عليهم، وليس فيه نقص في البيان والفصاحة.

**ثالثًا**: إن السابقين الأولين من المهاجرين، والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان كانوا قائلين بالباطل وكاتمين للحق، أو جاهلين به؛ فإنه قد تواتر النقل عنهم بإثبات صفات الكمال لله، الذي زعم هؤلاء أنه باطل، ولم يتكلموا مرة واحدة بنفي الصفات الذي زعم هؤلاء أنه الحق، وهذا اللازم ممتنع علىٰ خير القرون وأفضل الأمة.

**رابعًا**: أنه إذا انتفت صفة الكمال عن الله لزم أن يكون متصفًا بصفات النقص، فإن كل موجود في الخارج فلا بد له من صفة، فإذا انتفت عنه صفات الكمال لزم أن يكون متصفًا بصفات النقص، وبهذا ينعكس الأمر علىٰ هؤلاء النفاة، ويقعون في شرّ مما فروا منه.

### فصلٌ: فيما يعتمد عليه النفاة من الشبهات

يعتمد نفاة الصفات علىٰ شبهات باطلة يعرف بطلانها كل من رزقه الله علمًا صحيحًا، وفهمًا سليمًا.

وغالب ما يعتمدون عليه ما يأتي:

١ - دعوىٰ كاذبة مثل أن يدعي الإجماع علىٰ قوله، أو أنه هو التحقيق، أو أنه قول المحققين، أو أن قول خصمه خلاف الإجماع، ونحو ذلك.

٢ - شبهة مركبة من قياس فاسد، مثل قولهم: إثبات الصفات لله يستلزم التشبيه، لأن الصفات، أعراض والعرض لا يقوم إلا بجسم، والأجسام متماثلة.



٣ - تمسك بألفاظ مشتركة بين معان يصحّ نسبتها إلىٰ الله تعالىٰ ومعان لا يصح نسبتها إليه. مثل: الجسم، والحيز، والجهة، فهذه الألفاظ المجملة يتوصلون بإطلاق نفيها عن الله إلىٰ نفي صفاته عنه ثم هم يصوغون هذه الشّبهات بعبارات مزخرفة طويلة غريبة يحسبها الجاهل بها حقًّا بما كسيته من زخارف القول، فإذا حقق الأمر تبين له أنها شبهات باطلة، كما قيل:

حُجَجٌ تَهَافَتُ كَالزُّجَاجِ تَخَالُهَا حَقًّا وَكُلٌّ كَاسِرٌ مَكْسُورُ

والرد علىٰ هؤلاء من وجوه:

**الأول**: نقض شبهاتهم وحججهم، وأنه يلزمهم فيما أثبتوه نظير ما فروا منه فيما نفوه.

**الثاني**: بيان تناقض أقوالهم واضطرابها، حيث كان كل طائفة منهم تدعي أن العقل يوجب ما تدعي الأخرىٰ أنه يمنعه ونحو ذلك، بل الواحد منهم ربما يقول قولاً يدعي أن العقل يوجبه، ثم ينقضه في محل آخر، وتناقض الأقوال من أقوىٰ الأدلة علىٰ فسادها.

**الثالث**: بيان ما يلزم علىٰ نفيهم من اللوازم الباطلة فإن فساد اللازم يدل علىٰ فساد الملزوم.

**الرابع**: أن النصوص الواردة في الصفات لا تحتمل التأويل، ولئن احتمله بعضها فليس فيه ما يمنع إرادة الظاهر فتعين المصير إليه.

**الخامس**: أن عامة هذه الأمور من الصفات يعلم بالضرورة من دين الإسلام أن الرسول ﷺ جاء بها، فتأويلها بمنزلة تأويل القرامطة والباطنية للصلاة، والصوم، والحج، ونحو ذلك.

**السادس**: أن العقل الصريح - أي: السالم من الشبهات، والشهوات - لا يُحيل ما جاءت به النصوص من صفات الله، بل إنه يدل علىٰ ثبوت صفات الكمال لله في الجملة، وإن كان في النصوص من التفاصيل في هذا الباب ما تعجز العقول عن إدراكه والإحاطة به.

وقد اعترف الفحول من هؤلاء أن العقل لا يمكنه الوصول إلىٰ اليقين في عامة المطالب الإلهية، وعلىٰ هذا فالواجب تلقّي ذلك من النبوات علىٰ ما هو عليه من غير تحريف. والله أعلم.



## الباب الحادي والعشرون: في أن كل واحد من فريقي التعطيل والتمثيل قد جمع بين التعطيل والتمثيل

**المعطل**: هو من نفىٰ شيئًا من أسماء الله، أو صفاته، كالجهمية والمعتزلة والأشعرية ونحوهم.

**والممثل**: هو من أثبت الصفات لله ممثلًا له بخلقه، كمتقدمي الرافضة ونحوهم.

وحقيقة الأمر أن كل معطّل ممثّل، وكل ممثل معطل.

أما المعطل فتعطيله ظاهر؛ وأما تمثيله فوجهه: أنه إنما عطّل؛ لأنه اعتقد أن إثبات الصفات يستلزم التشبيه، فأخذ ينفي الصفات فرارًا من ذلك، فمثّل أولًا، وعطَّل ثانيًا.

وأما الممثل فتمثيله ظاهر، وأما تعطيله فمن وجوه ثلاثة:

**أحدها**: أنه عطَّل نفس النص الذي أثبت به الصفة حيث صرفه عن مقتضىٰ ما يدل عليه؛ فإن النص دال علىٰ إثبات صفة تليق بالله، لا علىٰ مشابهة الله لخلقه.

**الثاني**: أنه إذا مثّل الله بخلقه فقد عطّل كل نصّ يدل علىٰ نفي مشابهته لخلقه، مثل قوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورىٰ: ١١]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص].

**الثالث**: أنه إذا مثّل الله بخلقه فقد عطله عن كماله الواجب، حيث شبّه الرب الكامل من جميع الوجوه بالمخلوق الناقص.

## الباب الثَّاني والعشرون: في تحذير السلف عن علم الكلام

**علم الكلام هو**: ما أحدثه المتكلّمون في أصول الدين من إثبات العقائد بالطرق التي ابتكروها، وأعرضوا بها عما جاء الكتاب والسنة به، وقد تنوعت عبارات السلف في التحذير عن الكلام وأهله، لما يفضي إليه من الشّبهات والشّكوك، حتىٰ قال الإمام أحمد: «لا يفلح صاحب كلام أبدًا». وقال الشافعي: «حُكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد، والنعال، ويطاف بهم في العشائر والقبائل، ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل علىٰ علم الكلام» اهـ.



وهم مستحقون لما قاله الإمام الشافعي من وجه؛ ليتوبوا إلىٰ الله، ويرتدع غيرهم عن اتباع مذهبهم، وإذا نظرنا إليهم من وجه آخر، وقد استولت عليهم الحيرة، واستحوذ عليهم الشيطان، فإننا نرحمهم ونرقّ لهم، ونحمد الله الذي عافانا مما ابتلاهم به.

فلنا فيهم نظران: نظر من جهة الشرع: نؤدبهم ونمنعهم به من نشر مذهبهم.

ونظر من جهة القدر: نرحمهم، ونسأل الله لهم العافية، ونحمد الله الذي عافانا من حالهم.

وأكثر من يخاف عليهم الضلال هم الذين دخلوا في علم الكلام ولم يصلوا إلىٰ غايته.

ووجه ذلك أن من لم يدخل فيه فهو في عافية، ومن وصل إلىٰ غايته فقد تبين له فساده، ورجع إلىٰ الكتاب والسنة، كما جرىٰ لبعض كبارهم فيبقىٰ الخطر علىٰ من خرج عن الصّراط المستقيم، ولم يتبين له حقيقة الأمر.

وقد نقل المؤلف شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في هذه الفتوىٰ كثيرًا من كلام من تكلم في هذا الباب من المتكلمين: قال: «وإن كنا مستغنين بالكتاب والسنة وآثار السلف عن كل كلام، ولكن كثيرًا من الناس قد صار منتسبًا إلىٰ بعض طوائف المتكلمين ومحسنًا للظن بهم دون غيرهم، ومتوهّمًا أنهم حقّقوا في هذا الباب ما لم يحقّقه غيرهم، فلو أتىٰ بكل آية ما تبعها حتىٰ يؤتىٰ بشيء من كلامهم». ثم قال: «وليس كل من ذكرنا قوله من المتكلمين وغيرهم، نقول بجميع ما يقوله في هذا وغيره، ولكن الحق يقبل من كل من تكلم به». اهـ.

فبيّن رحمه الله أن الغرض من نقله بيان الحق من أي إنسان، وإقامة الحجة علىٰ هؤلاء من كلام أئمتهم. والله أعلم.

## الباب الثَّالث والعشرون: في أقسام المنحرفين عن الاستقامة في باب الإيمان بالله واليوم الآخر

طريقة النبي ﷺ، وأصحابه، والتابعين لهم بإحسان علىٰ الصراط المستقيم علمًا، وعملًا، يعرف ذلك من تتبعها بعلم وعدل، فقد حقّقوا الإيمان بالله واليوم الآخر، وأقرّوا بأن ذلك حق علىٰ حقيقته، وهم في عملهم مخلصون لله، متّبعون لشرعه، فلا شرك، ولا ابتداع، ولا تحريف، ولا تكذيب.

**وأما المنحرفون عن طريقتهم فهم ثلاث طوائف:**



**أهل التخييل، وأهل التأويل، وأهل التجهيل.**

١ - **فأما أهل التخييل**: فهم الفلاسفة، والباطنية، ومن سلك سبيلهم من المتكلمين وغيرهم. وحقيقة مذهبهم: أن ما جاءت به الأنبياء مما يتعلق بالإيمان بالله واليوم الآخر أمثال وتخييلات لا حقيقة لها في الواقع، وإنما المقصود بها انتفاع العامة وجمهور الناس؛ لأن الناس إذا قيل لهم: إن لكم ربًّا عظيمًا، قادرًا رحيمًا، قاهرًا، وإن أمامكم يومًا عظيمًا تبعثون فيه، وتُجازون بأعمالكم، ونحو ذلك استقاموا علىٰ الطريقة المطلوبة منهم، وإن كان هذا لا حقيقة له علىٰ زعم هؤلاء.

ثم إن هؤلاء علىٰ قسمين: غلاة، وغير غلاة.

**فأما الغلاة فيزعمون**: أن الأنبياء لا يعلمون حقائق هذه الأمور، وأن من المتفلسفة الإلهية - ومن يزعمونهم أولياء - من يعلم هذه الحقائق، فزعموا أن من الفلاسفة من هو أعلم بالله واليوم الآخر من النبيين الذين هم أعلم الناس بذلك.

**وأما غير الغلاة فيزعمون** أن الأنبياء يعلمون حقائق هذه الأمور، ولكنهم ذكروا للناس أمورًا تخييلية لا تُطابق الحق؛ لتقوم مصلحة الناس، فزعموا أن مصلحة العباد لا تقوم إلا بهذه الطريقة التي تتضمن كذب الأنبياء في أعظم الأمور وأهمها.

فالطائفة الأولىٰ حكمت علىٰ الرسل بالجهل. والطائفة الثانية حكمت عليهم بالخيانة والكذب.

هذا هو قول أهل التخييل فيما يتعلق بالإيمان بالله واليوم الآخر.

أما في الأعمال فمنهم من يجعلها حقائق يؤمر بها كل أحد، ومنهم من يجعلها تخييلات ورموزًا يؤمر بها العامة دون الخاصة، فيؤولون الصلاة بمعرفة أسرارهم، والصيام بكتمانها، والحج بالسفر إلىٰ شيوخهم ونحو ذلك. وهؤلاء هم الملاحدة من الإسماعيلية والباطنية ونحوهم.

وفساد قول هؤلاء معلوم بضرورة الحس، والعقل، والشرع فإننا نشاهد من الآيات الدالة علىٰ وجود الله وكمال صفاته ما لا يمكن حصره:

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ ... تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدُ



فإن هذه الحوادث المنتظمة لا يمكن أن تحدث إلا بمدبر حكيم قادر علىٰ كل شيء.

والإيمان باليوم الآخر دلت عليه جميع الشرائع، واقتضته حكمة الله البالغة، ولا ينكره إلا مكابر، أو مجنون.

وأهل التخييل لا يحتاجون في الرد عليهم إلىٰ شيء كثير؛ لأن نفور الناس عنهم معلوم ظاهر.

٢ - **وأما أهل التأويل فهم**: المتكلمون من الجهمية والمعتزلة وأتباعهم وحقيقة مذهبهم أن ما جاء به النبي ﷺ، من نصوص الصفات مَجَازٌ لم يقصد به ظاهره، وإنما المقصود به معان تُخالفه، يعلمها النبي ﷺ، لكنه تركها للناس يستنتجونها بعقولهم، ثم يحاولون صرف ظواهر النصوص إليها، وغرضه بذلك امتحان عقولهم، وكثرة الثواب بما يعانونه من محاولة صرف الكلام عن ظاهره، وتنزيله علىٰ شواذ اللغة وغرائب الكلام.

وهؤلاء هم أكثر الناس اضطرابًا وتناقضًا؛ لأنهم ليس لهم قدم ثابت فيما يمكن تأويله وما لا يمكن، ولا في تعيين المعنىٰ المراد.

ثم إن غالب ما يزعمونه من المعاني يعلم من حال المتكلم وسياق كلامه أنه لم يرده في ذلك الخطاب المعين الذي أولوه.

وهؤلاء كانوا يتظاهرون بنصر السنة، ويتسترون بالتنزيه، ولكن الله تعالىٰ هتك أستارهم برد شبهاتهم ودحض حججهم، فلقد تصدىٰ شيخ الإسلام وغيره للرد عليهم أكثر من غيرهم؛ لأن الاغترار بهم أكثر من الاغترار بغيرهم؛ لما يتظاهرون به من نصر السنة.

## فصلٌ

مذهب أهل التأويل في نصوص المعاد: الإيمان بها علىٰ حقيقتها من غير تأويل، ولما كان مذهبهم في نصوص الصفات صرفها عن حقائقها إلىٰ معانٍ مجازية تُخالف ظاهرها، استطال عليهم أهل التخييل فألزموهم القول بتأويل نصوص المعاد كما فعلوا في نصوص الصفات. فقال أهل التأويل لهم: نحن نعلم بالاضطرار أن الرسول ﷺ، جاء بإثبات المعاد، وقد علمنا فساد الشبهة المانعة منه، فلزم القول بثبوته. اهـ.



وهذا جواب صحيح، وحجة قاطعة، تتضمن الدفاع عنهم في عدم تأويلهم نصوص المعاد وإلزام أهل التخييل أن يقولوا بإثبات المعاد، وإجراء نصوصه علىٰ حقائقها؛ لأنه إذا قام الدليل، وانتفىٰ المانع وجب ثبوت المدلول.

وقد احتج أهل السنة علىٰ أهل التأويل بهذه الحجة نفسها؛ ليقولوا بثبوت الصفات وإجراء نصوصها علىٰ حقيقتها، فقالوا لأهل التأويل: «نحن نعلم بالاضطرار أن الرسول ﷺ، جاء بإثبات الصفات لله، وقد علمنا فساد الشبهة المانعة منه، فلزم القول بثبوتها». وهذا إلزام صحيح وحجة قائمة لا محيد لأهل التأويل عنها؛ فإن من منع صرف الكلام عن حقيقته في نصوص المعاد يلزمه أن يمنعه في نصوص الصفات التي هي أعظم وأكثر إثباتًا في الكتب الإلهية من إثبات المعاد، وإن لم يفعل فقد تبين تناقضه وفساد عقله..

## فصلٌ

٣ - **وأما أهل التجهيل فهم**: كثير من المنتسبين إلىٰ السنة وأتباع السلف.

وحقيقة مذهبهم: أن ما جاء به النبي ﷺ، من نصوص الصفات ألفاظ مجهولة لا يعرف معناه حتىٰ النبي ﷺ، يتكلّم بأحاديث الصفات، ولا يعرف معناها.

ثم هم مع ذلك يقولون: ليس للعقل مدخل في باب الصفات. فيلزم علىٰ قولهم ألا يكون عند النبي ﷺ، وأصحابه وأئمة السلف في هذا الباب علوم عقلية ولا سمعية، وهذا من أبطل الأقوال.

وطريقتهم في نصوص الصفات: إمرار لفظها مع تفويض معناها، ومنهم من يتناقض فيقول: تجري علىٰ ظاهرها مع أن لها تأويلًا يخالفه لا يعلمه إلا الله، وهذا ظاهر التناقض، فإنه إذا كان المقصود بها التأويل الذي يخالف الظاهر وهو لا يعلمه إلا الله، فكيف يمكن إجراؤها علىٰ ظاهرها؟

وقد قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ عن طريقة هؤلاء في كتاب «العقل والنقل» ص١٢١ ج١: «فتبين أن قول أهل التفويض الذين يزعمون أنهم متبعون للسنة والسلف من شر أقوال أهل البدع والإلحاد» اهـ.

والشبهة التي احتج بها أهل التجهيل هي وقف أكثر السلف علىٰ ﴿إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾ من قوله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ



وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧].

**وقد بنوا شبهتهم علىٰ مقدمتين:**

**الأولىٰ**: أن آيات الصفات من المتشابه.

**الثانية**: أن التأويل المذكور في الآية: هو صرف اللفظ عن ظاهره إلىٰ المعنىٰ الذي يخالف الظاهر، فتكون النتيجة أن لآيات الصفات معنىٰ يُخالف ظاهرها لا يعلمه إلا الله.

**والرد عليهم من وجوه:**

**الأول**: أن نسألهم ماذا يُريدون بالتشابه الذي أطلقوه علىٰ آيات الصفات. أيُريدون اشتباه المعنىٰ وخفاءه، أم يُريدون اشتباه الحقيقة وخفاءها؟

فإن أرادوا المعنىٰ الأول - وهو مرادهم - فليست آيات الصفات منه لأنها ظاهرة المعنىٰ، وإن أرادوا المعنىٰ الثاني فآيات الصفات منه، لأنه لا يعلم حقيقتها وكيفيتها إلا الله تعالىٰ.

وبهذا عرف أنه لا يصحّ إطلاق التشابه علىٰ آيات الصفات، بل لا بد من التفصيل السابق.

**الثاني**: أن قولهم: «إن التأويل المذكور في الآية هو صرف اللفظ عن ظاهره إلىٰ المعنىٰ الذي يُخالف الظاهر»؛ غير صحيح، فإن هذا المعنىٰ للتأويل اصطلاح حادث لم يعرفه العرب والصحابة الذين نزل القرآن بلغتهم، وإنما المعروف عندهم أن التأويل يراد به معنيان:

١ - إما التفسير ويكون التأويل علىٰ هذا معلومًا لأولي العلم، كما قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أنا من الراسخين في العلم الذين يعلمون تأويله» وعليه يحمل وقف كثير من السلف علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٧]. من الآية السابقة.

٢ - وأما حقيقة الشيء ومآله، وعلىٰ هذا يكون تأويل ما أخبر الله به عن نفسه، وعن اليوم الآخر غير معلوم لنا؛ لأن ذلك هو الحقيقة والكيفية التي هو عليها، وهو مجهول لنا، كما قاله مالك وغيره في الاستواء وغيره، وعليه يحمل وقف جمهور السلف علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ﴾ [آل عمران: ٧] من الآية السابقة.

**الوجه الثالث**: أن الله أنزل القرآن للتدبّر، وحثنا علىٰ تدبره كله، ولم يستثن آيات الصفات، والحثّ علىٰ تدبره يقتضي أنه يمكن الوصول إلىٰ معناه وإلا لم يكن للحث علىٰ



تدبره معنىٰ؛ لأن الحث علىٰ شيء لا يمكن الوصول إليه لغو من القول، ينزه كلام الله وكلام رسوله ﷺ عنه، وهذا - أعني الحث علىٰ تدبره كله من غير استثناء - يدل علىٰ أن لآيات الصفات معنىٰ يمكن الوصول إليه بالتدبر، وأقرب الناس إلىٰ فهم ذلك المعنىٰ هو النبي ﷺ، وأصحابه؛ لأن القرآن نزل بلغتهم، ولأنّهم أسرع الناس إلىٰ امتثال الحثّ علىٰ التدبّر خصوصًا فيما هو أهم مقاصد الدين.

وقد قال أبو عبد الرحمن السلمي: حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن عثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما، أنهم كانوا إذا تعلّموا من النبي ﷺ، عشر آيات لا يتجاوزونها حتىٰ يتعلموها وما فيها من العلم والعمل، قال: فتعلمنا القرآن، والعلم، والعمل جميعًا، فكيف يجوز مع هذا أن يكونوا جاهلين بمعاني نصوص الصفات التي هي أهم شيء في الدين؟

**الرابع**: أن قولهم يستلزم أن يكون الله قد أنزل في كتابه المبين ألفاظًا جوفاء لا يبين بها الحق، وإنما هي بمنزلة الحروف الهجائية والأبجدية، وهذا ينافي حكمة الله التي أنزل الله الكتاب، وأرسل الرسول من أجلها.

**تنبيه: عُلم مما سبق أن معاني التأويل ثلاثة:**

**الأول**: التفسير وهو إيضاح المعنىٰ وبيانه، وهذا اصطلاح جمهور المفسرين، ومنه قوله ﷺ لابن عباس: «**اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ**» وهذا معلوم عند العلماء في آيات الصفات وغيرها.

**الثاني**: الحقيقة التي يؤول الشيء إليها، وهذا هو المعروف من معنىٰ التأويل في الكتاب والسنة، كما قال تعالىٰ: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ﴾ [الأعراف: ٥٣]، وقوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ۝٥٩﴾ [النساء]. فتأويل آيات الصفات بهذا المعنىٰ هو الكُنه والحقيقة التي هي عليها، وهذا لا يعلمه إلا الله.

**الثالث**: صرف اللفظ عن ظاهره إلىٰ المعنىٰ الذي يُخالف الظاهر، وهو اصطلاح المتأخرين من المتكلمين وغيرهم. وهذان نوعان؛ صحيح وفاسد:

**فالصحيح**: ما دلّ الدليل عليه، مثل تأويل قوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ۝٩٨﴾ [النحل]. إلىٰ أن المعنىٰ إذا أردت أن تقرأ.



**والفاسد**: ما لا دليل عليه؛ كتأويل استواء الله علىٰ عرشه باستيلائه، ويده بقوته ونعمته، ونحو ذلك.

## فصلٌ

روي عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أنه قال: «تفسير القرآن علىٰ أربعة أوجه: تفسير تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يُعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله، فمن ادعىٰ علمه فهو كاذب». اهـ.

١ - **فالتفسير الذي تعرفه العرب من كلامها هو**: تفسير مفردات اللغة، كمعرفة معنىٰ القرء، والنمارق، والكهف ونحوها.

٢ - **والتفسير الذي لا يُعذر أحد بجهالته وهو**: تفسير الآيات المكلّف بها اعتقادًا، أو عملًا، كمعرفة الله بأسمائه وصفاته، ومعرفة اليوم الآخر، والطهارة، والصلاة، والزكاة، وغيرها.

٣ - **والتفسير الذي يعلمه العلماء هو**: ما يخفىٰ علىٰ غيرهم مما يمكن الوصول إلىٰ معرفته، كمعرفة أسباب النزول، والناسخ، والمنسوخ، والعام، والخاص، والمحكم، والمتشابه، ونحو ذلك.

٤ - **وأما التفسير الذي لا يعلمه إلا الله فهو**: حقائق ما أخبر الله به عن نفسه، وعن اليوم الآخر، فإن هذه الأشياء نفهم معناها، لكن لا ندرك حقيقة ما هي عليه في الواقع.

**مثال ذلك**: أننا نفهم معنىٰ استواء الله علىٰ عرشه، ولكننا لا ندرك كيفيته التي هي حقيقة ما هو عليه في الواقع، وكذلك نفهم معنىٰ الفاكهة والعسل، والماء، واللبن، وغيرها مما أخبر الله أنه في الجنة، ولكن لا ندرك حقيقته في الواقع، كما قال تعالىٰ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ١٧﴾ [السجدة]. قال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «ليس في الدنيا شيء مما في الجنة إلا الأسماء».

وبهذا تبين أن في القرآن ما لا يعلم تأويله إلا الله؛ كحقائق أسمائه، وصفاته، وما أخبر الله به عن اليوم الآخر، وأما معاني هذه الأشياء فإنها معلومة لنا، وإلا لَمَا كان للخطاب بها فائدة. والله أعلم.





## الباب الرَّابع والعشرون: في انقسام أهل القبلة في آيات الصفات وأحاديثها

المراد بأهل القبلة: من يصلي إلىٰ القبلة، وهم كل من ينتسب إلىٰ الإسلام.

وقد انقسم أهل القبلة في آيات الصفات وأحاديثها إلىٰ ست طوائف:

**طائفتان قالوا**: تُجرىٰ علىٰ ظاهرها.

**وطائفتان قالوا**: تُجرىٰ علىٰ خلاف ظاهرها.

**وطائفتان واقفتان.**

**فالطائفتان الذين قالوا: تجرىٰ علىٰ ظاهرها، هم:**

١ - طائفة المشبهة الذين جعلوها من جنس صفات المخلوقين. ومذهبهم باطل؛ أنكره عليهم السلف.

٢ - طائفة السلف الذين أجروها علىٰ ظاهرها اللائق بالله عَزَّوَجَلَّ، ومذهبهم هو الصواب المقطوع به لدلالة الكتاب والسنة والعقل عليه دلالة ظاهرة. إما قطعية، وإما ظنية، كما تقدم دليل وجوبها وصحتها في البابين: الثالث والرابع.

والفرق بين هاتين الطائفتين، أن الأولىٰ تقول بالتشبيه، والثانية تنكره.

فإن قال المشبه في علم الله ونزوله ويده - مثلًا -: أنا لا أعقل من العلم والنزول، واليد إلا مثل ما يكون للمخلوق من ذلك. فجوابه من وجوه:

**الأول**: أن العقل، والسمع قد دلّ كل منهما علىٰ مباينة الخالق للمخلوق في جميع صفاته، فصفات الخالق تليق به، وصفات المخلوق تليق به، فمن أدلة السمع علىٰ مباينة الخالق للمخلوق قوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورىٰ: ١١]، وقوله: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾ [النحل]. ومن أدلة العقل أن يقال: كيف يكون الخالق الكامل من جميع الوجوه، الذي الكمال من لوازم ذاته، وهو معطي الكمال مشابهًا للمخلوق الناقص، الذي النقص من لوازم ذاته، وهو مفتقر إلىٰ من يكمِّله؟

**الثاني**: أن يُقال له: ألست تعقل لله ذاتًا لا تشبه ذات المخلوقين؟ فسيقول: بلىٰ! فيقال له: فلتعقل إذن أن لله صفاتٍ لا تشبه صفات المخلوقين؛ فإن القول في الصفات كالقول في الذات، ومن فرق بينهما فقد تناقض.

**الثالث**: أن يُقال: نحن نشاهد من صفات المخلوقات صفات اتفقت في أسمائها، وتباينت



في كيفيتها؛ فليست يد الإنسان كيد الحيوان الآخر، فإذا جاز اختلاف الكيفية في صفات المخلوقات مع اتحادها في الاسم؛ فاختلاف ذلك بين صفات الخالق والمخلوق من باب أولىٰ، بل التباين بين صفات الخالق والمخلوق واجب كما تقدم.

**وأما الطائفتان الذين قالوا**: تُجرىٰ علىٰ خلاف ظاهرها، وأنكروا أن يكون لله صفات ثبوتية، أو أنكروا بعض الصفات، أو أثبتوا الأحوال دون الصفات فهم:

١ - أهل التأويل من الجهمية وغيرهم الذين أوّلُوا نصوص الصفات إلىٰ معانٍ عينوها، كتأويلهم اليد بالنعمة، والاستواء بالاستيلاء، ونحو ذلك.

٢ - أهل التجهيل المفوضة الذين قالوا: الله أعلم بما أراد بنصوص الصفات، لكننا نعلم أنه لم يرد إثبات صفة خارجية له تعالىٰ، وهذا القول متناقض. فإن قولهم: نعلم أنه لم يرد إثبات صفة خارجية له يناقض التفويض؛ لأن حقيقة التفويض ألا يحكم المفوض بنفي ولا إثبات، وهذا ظاهر.

والفرق بين هاتين الطائفتين: أن الأولىٰ أثبتوا لنصوص الصفات معنىٰ، لكنه خلاف ظاهرها، وأما الثانية فيفوضون ذلك إلىٰ الله من غير إثبات معنىٰ، مع قولهم: «أنه لا يراد من تلك النصوص إثبات صفة لله عَزَّوَجَلَّ».

**وأما الطائفتان الذين توقفوا فهم:**

١ - طائفة جوزوا أن يكون المراد بنصوص الصفات إثبات صفة تليق بالله، وألا يكون المراد ذلك، وهؤلاء كثير من الفقهاء وغيرهم.

٢ - طائفة أعرضوا بقلوبهم وألسنتهم عن هذا كله، ولم يزيدوا علىٰ قراءة القرآن والحديث.

والفرق بين هذه الطائفة والتي قبلها: أن الأولىٰ تحكم بتجويز الأمرين: الإثبات وعدمه. وأما الثانية، فلا تحكم بشيء أبدًا. والله أعلم.

## الباب الخامس والعشرون: في ألقاب السوء التي وضعها المبتدعة على أهل السنة

من حكمة الله تعالىٰ أن جعل لكل نبي عدوًّا من المجرمين، يصدون عن الحق بما استطاعوا من قول وفعل، بأنواع المكائد، والشبهات، والدعاوىٰ الباطلة؛ ليتبين بذلك



الحق، ويتضح ويعلو على الباطل، وقد لقي النبي ﷺ، وأصحابه من هذا شيئًا كثيرًا، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًاۚ﴾ [آل عمران: ١٨٦]. فقد وضع أولئك الظالمون المشركون للنبي ﷺ، وأصحابه ألقاب التشنيع والسخرية. مثل: ساحر، مجنون، كاهن، كذّاب، ونحو ذلك.

ولما كان أهل العلم والإيمان هم ورثة النبي ﷺ، لقوا من أهل الكلام والبدع، مثل ما لقيه النبي ﷺ، وأصحابه من أولئك المشركين، فكانت كل طائفة من هذه الطوائف تلقّب أهل السنة بما برأهم الله منه من ألقاب التشنيع والسخرية، إما لجهلهم بالحق، حيث ظنوا صحة ما هم عليه وبطلان ما عليه أهل السنة، وإما لسوء القصد حيث أرادوا بذلك التنفير عن أهل السنة، والتعصب لآرائهم مع علمهم بفسادها.

فالجهمية ومن تبعهم من المعطلة سَمُّوا أهل السنة «مشبهة»، زعمًا منهم أن إثبات الصفات يستلزم التشبيه.

والروافض سَمُّوا أهل السنة «نواصب»؛ لأنهم يُوالون أبا بكر وعمر، كما كانوا يوالون آل النبي ﷺ، والروافض تزعم أن من والىٰ أبا بكر وعمر فقد نصب العداوة لآل البيت، ولذلك كانوا يقولون: «لا ولاء إلا ببراء». أي لا ولاية لآل البيت إلا بالبراءة من أبي بكر وعمر.

والقدرية النفاة قالوا: أهل السنة «مجْبِرة»، لأن إثبات القدر جبر عند هؤلاء النفاة.

والمرجئة المانعون من الاستثناء في الإيمان يسمون أهل السنة «شكاكًا»؛ لأن الإيمان عندهم هو إقرار القلب، والاستثناء شك فيه عند هؤلاء المرجئة.

وأهل الكلام والمنطق يُسمون أهل السنة «حَشوية». من الحشو، وهو: ما لا خير فيه، ويسمونهم «نوابت». وهي بذور الزرع التي تنبت معه ولا خير فيها. ويسمونهم «غُثاء». وهو ما تحمله الأودية من الأوساخ، لأن هؤلاء المناطقة زعموا أن من لم يحط علمًا بالمنطق فليس علىٰ يقين من أمره، بل هو من الرعاع الذين لا خير فيهم.

والحقّ أن هذا العلم الذي فخروا به لا يغني من الحق شيئًا، كما قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه: «الرد علىٰ المنطقيين»: «إني كنت دائمًا أعلم أن المنطق اليوناني لا يحتاج إليه الذكي، ولا ينتفع به البليد». اهـ.



## الباب السَّادس والعشرون: في الإسلام والإيمان

**الإسلام لغة**: الانقياد.

**وشرعًا**: استسلام العبد لله ظاهرًا وباطنًا، بفعل أوامره، واجتناب نواهيه. فيشمل الدين كله، قال الله تعالىٰ: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾ [المائدة:٣]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُۗ﴾ [آل عمران:١٩]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران:٨٥].

**وأما الإيمان فهو لغة**: التصديق. قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ [يوسف:١٧].

**وفي الشرع**: إقرار القلب المستلزم للقول والعمل، فهو اعتقاد وقول وعمل، اعتقاد القلب، وقول اللسان، وعمل القلب، والجوارح.

والدليل علىٰ دخول هذه الأشياء كلها في الإيمان، قوله ﷺ: «**الْإِيمَانُ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**».

وقوله: «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، فَأَعْلَاهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ**».

فالإيمان بالله وملائكته... إلخ؛ اعتقاد القلب.

وقول لا إله إلا الله؛ قول اللسان.

وإماطة الأذىٰ عن الطريق عمل الجوارح.

والحياء؛ عمل القلب.

وبذلك عرف أن الإيمان يشمل الدين كله، وحينئذٍ لا فرق بينه وبين الإسلام، وهذا حينما ينفرد أحدهما عن الآخر، أما إذا اقترن أحدهما بالآخر فإن الإسلام يفسر بالاستسلام الظاهر الذي هو قول اللسان، وعمل الجوارح، ويصدر من المؤمن كامل الإيمان، وضعيف الإيمان. قال الله تعالىٰ: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمْۖ﴾ [الحجرات: ١٤]. ومن المنافق لكن يُسمّىٰ مسلمًا ظاهرًا، ولكنه كافر باطنًا.

ويفسر الإيمان بالاستسلام الباطن الذي هو إقرار القلب وعمله، ولا يصدر إلا من



المؤمن حقًّا، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾ [الأنفال].

وبهذا المعنىٰ يكون الإيمان أعلىٰ. فكل مؤمن مسلم؛ ولا عكس.

## فصلٌ: في زيادة الإيمان ونقصانه

من أصول أهل السنة والجماعة: أن الإيمان يزيد وينقص. وقد دل علىٰ ذلك الكتاب والسنة.

فمن أدلة الكتاب، قوله تعالىٰ: ﴿لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفتح: ٤].

ومن أدلة السنة، قوله ﷺ، في النساء: «**مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتٍ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ**».

ففي الآية إثبات زيادة الإيمان، وفي الحديث إثبات نقص الدين.

وكل نص يدل علىٰ زيادة الإيمان، فإنه يتضمن الدلالة علىٰ نقصه؛ وبالعكس لأن الزيادة والنقص متلازمان، لا يعقل أحدهما دون الآخر.

وقد ثبت لفظ الزيادة والنقص منه عن الصحابة، ولم يعرف منهم مخالف فيه، وجمهور السلف علىٰ ذلك قال ابن عبد البر:

وعلىٰ أن الإيمان يزيد وينقص جماعة أهل الآثار والفقهاء أهل الفتيا في الأمصار. وذكر عن مالك روايتين في إطلاق النقص إحداهما: التوقف. والثانية: موافقة الجماعة.

وخالف في هذا الأصل طائفتان:

**الأولىٰ**: المرجئة الخالصة الذين يقولون: إن الإيمان إقرار القلب، وزعموا أن إقرار القلب لا يتفاوت؛ فالفاسق والعدل عندهم سواء في الإيمان.

**الثانية**: الوعيدية من المعتزلة والخوارج، الذين أخرجوا أهل الكبائر من الإيمان، وقالوا: إن الإيمان إما أن يوجد كله، وإما أن يعدم كله، ومنعوا من تفاضله.

وكل من هاتين الطائفتين محجوج بالسمع والعقل.

أما السمع فقد تقدّم في النصوص ما دل علىٰ إثبات زيادة الإيمان ونقصه.



وأما العقل فنقول للمرجئة: قولكم: إن الإيمان هو إقرار القلب، وإقرار القلب لا يتفاوت،

ممنوع في المقدمتين جميعًا.

**أما المقدمة الأولىٰ**: فتخصيصكم الإيمان بإقرار القلب مخالف لما دلّ عليه الكتاب والسنة من دخول القول والعمل في الإيمان.

**وأما المقدمة الثانية**: فقولكم: إن إقرار القلب لا يتفاوت مخالف للحس، فإن من المعلوم لكل أحد أن إقرار القلب إنما يتبع العلم؛ ولا ريب أن العلم يتفاوت بتفاوت طرقه، فإن خبر الواحد لا يفيد ما يفيده خبر الاثنين وهكذا، وما أدركه الإنسان بالخبر لا يساوي في العلم ما أدركه بالمشاهدة، فاليقين درجات متفاوتة، وتفاوت الناس في اليقين أمر معلوم، بل الإنسان الواحد يجد من نفسه أنه يكون في أوقات وحالات أقوىٰ منه يقينًا في أوقات وحالات أخرىٰ.

ونقول: كيف يصح لعاقل أن يحكم بتساوي رجلين في الإيمان:

**أحدهما**: مثابر علىٰ طاعة الله تعالىٰ فرضها ونفلها، متباعد عن محارم الله، وإذا بدرت منه المعصية بادر إلىٰ الإقلاع عنها والتوبة منها.

**والثاني**: مُضيّع لما أوجب الله عليه، ومنهمك فيما حرّم الله عليه، غير أنه لم يأت ما يكفره، كيف يتساوىٰ هذا وهذا؟

وأما الوعيدية، فنقول لهم: قولكم: إن فاعل الكبيرة خارج من الإيمان مخالف لما دل عليه الكتاب والسنة، فإذا تبين ذلك فكيف نحكم بتساوي رجلين في الإيمان؟

**أحدهما**: مقتصد فاعل للواجبات، تارك للمحرّمات.

**والثاني**: ظالم لنفسه يفعل ما حرم الله عليه، ويترك ما أوجب الله عليه من غير أن يفعل ما يكفر به؟

ونقول ثانيًا: هب أننا أخرجنا فاعل الكبيرة من الإيمان، فكيف يمكن أن نحكم علىٰ رجلين بتساويهما في الإيمان وأحدهما مقتصد، والآخر سابق بالخيرات بإذن الله؟

## فصلٌ

**ولزيادة الإيمان أسباب منها:**



١ – معرفة أسماء الله وصفاته، فإن العبد كلما ازداد معرفة بها وبمقتضياتها، وآثارها، ازداد إيمانًا بربه وحبًّا له وتعظيمًا.

٢ – النظر في آيات الله الكونية والشرعية، فإن العبد كلما نظر فيها وتأمل ما اشتملت عليه من القدرة الباهرة، والحكمة البالغة، ازداد إيمانًا ويقينًا بلا ريب.

٣ – فعل الطاعة تقربًا إلىٰ الله تعالىٰ، فإن الإيمان يزداد به بحسب حسن العمل وجنسه وكثرته، فكلما كان العمل أحسن كانت زيادة الإيمان به أعظم، وحسن العمل يكون بحسب الإخلاص والمتابعة.

وأما جنس العمل فإن الواجب أفضل من المسنون، وبعض الطاعات أوكد وأفضل من البعض الآخر، وكلما كانت الطاعة أفضل كانت زيادة الإيمان بها أعظم، وأما كثرة العمل فإن الإيمان يزداد بها؛ لأن العمل من الإيمان فلا جرم أن يزيد بزيادته.

٤ – ترك المعصية خوفًا من الله عَزَّوَجَلَّ، وكلما قوي الداعي إلىٰ فعل المعصية كانت زيادة الإيمان بتركها أعظم؛ لأن تركها مع قوة الداعي إليها دليل علىٰ قوة إيمان العبد، وتقديمه ما يحبه الله ورسوله علىٰ ما تهواه نفسه.

**وأما نقص الإيمان فله أسباب منها:**

١ – الجهل بالله تعالىٰ وأسمائه وصفاته.

٢ – الغفلة والإعراض عن النظر في آيات الله وأحكامه الكونية والشرعية، فإن ذلك يُوجب مرض القلب أو موته باستيلاء الشهوات والشبهات عليه.

٣ – فعل المعصية، فينقص الإيمان بحسب جنسها، وقدرها، والتهاون بها، وقوة الداعي إليها أو ضعفه.

فأما جنسها وقدرها فإن نقص الإيمان بالكبائر أعظم من نقصه بالصغائر، ونقص الإيمان بقتل النفس المحرمة أعظم من نقصه بأخذ مال محترم، ونقصه بمعصيتين أكثر من نقصه بمعصية واحدة، وهكذا.

وأما التهاون بها فإن المعصية إذا صدرت من قلب متهاون بمن عصاه ضعيف الخوف منه كان نقص الإيمان بها أعظم من نقصه إذا صدرت من قلب معظم لله تعالىٰ شديد الخوف منه، لكن فرطت منه المعصية.



وأما قوة الداعي إليها فإن المعصية إذا صدرت ممن ضعفت منه دواعيها كان نقص الإيمان بها أعظم من نقصه إذا صدرت ممن قويت منه دواعيها، ولذلك كان استكبار الفقير، وزنىٰ الشيخ أعظم إثمًا من استكبار الغني، وزنىٰ الشاب، كما في الحديث: «**ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**». وذكر منهم الأُشَيْمَطُ الزاني، والعائل المستكبر، لقلة داعي تلك المعصية فيهما.

٤ - ترك الطاعة فإن الإيمان ينقص به، والنقص به علىٰ حسب تأكد الطاعة، فكلما كانت الطاعة أوكد كان نقص الإيمان بتركها أعظم، وربما فقد الإيمان كله كترك الصلاة.

ثم إن نقص الإيمان بترك الطاعة علىٰ نوعين: نوع يعاقب عليه، وهو: ترك الواجب بلا عذر. ونوع لا يعاقب عليه وهو: ترك الواجب لعذر شرعي، أو حسي، وترك المستحب، فالأول كترك المرأة الصلاة أيام الحيض، والثاني كترك صلاة الضحىٰ. والله أعلم.

## فصلٌ: في الاستثناء في الإيمان

الاستثناء في الإيمان: أن يقول: أنا مؤمن إن شاء الله.

**وقد اختلف الناس فيه علىٰ ثلاثة أقوال:**

**القول الأول**: تحريم الاستثناء، وهو قول المرجئة، والجهمية ونحوهم. ومأخذ هذا القول: إن الإيمان شيء واحد، يعلمه الإنسان من نفسه، وهو التصديق الذي في القلب، فإذا استثنىٰ فيه كان دليلًا علىٰ شكه، ولذلك كانوا يسمون الذين يستثنون في الإيمان «شكاكًا».

**القول الثاني**: وجوب الاستثناء، وهذا القول له مأخذان:

١ - أن الإيمان هو ما مات الإنسان عليه، فالإنسان إنما يكون مؤمنًا وكافرًا بحسب الوفاة، وهذا شيء مستقبل غير معلوم. فلا يجوز الجزم به، وهذا مأخذ كثير من المتأخرين من الكلابية وغيرهم، لكن هذا المأخذ لم يُعلم أن أحدًا من السلف علل به، وإنما كانوا يُعللون بالمأخذ الثاني. وهو:

٢ - أن الإيمان المطلق يتضمن فعل جميع المأمورات، وترك جميع المحظورات، وهذا لا يجزم به الإنسان من نفسه، ولو جزم لكان قد زكىٰ نفسه، وشهد لها بأنه من المتقين الأبرار، وكان ينبغي علىٰ هذا أن يشهد لنفسه بأنه من أهل الجنة، وهذه لوازم ممتنعة.

**القول الثالث**: التفصيل فإن كان الاستثناء صادرًا عن شك في وجود أصل الإيمان فهذا



مُحرّم، بل كفر؛ لأن الإيمان جزم، والشك يُنافيه، وإن كان صادرًا عن خوف تزكية النفس والشهادة لها بتحقيق الإيمان قولًا، وعملًا، واعتقادًا، فهذا واجب خوفًا من هذا المحذور، وإن كان المقصود من الاستثناء التبرك بذكر المشيئة، أو بيان التعليل، وأن ما قام بقلبه من الإيمان بمشيئة الله، فهذا جائز.

والتعليق بالمشيئة علىٰ هذا الوجه - أعني بيان التعليل - لا ينافي تحقق المعلق، فإنه قد ورد التعليق علىٰ هذا الوجه في الأمور المحققة. كقوله تعالىٰ: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾ [الفتح: ٢٧].

وبهذا عرف أنه لا يصح إطلاق الحكم علىٰ الاستثناء، بل لا بد من التفصيل السابق. والله أعلم، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

حرر في ٨ من ذي القعدة سنة ١٣٨٠هـ والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.







# متن: «العَقِيدَةِ التَّدْمُرِيَّةِ»

لِشَيْخِ الإِسْلامِ:
أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الحَلِيمِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

**وبِهِ نَسْتَعِين، رَبِّ يَسِّرْ وَأَعِنْ**

الْحَمْدُ للهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كثيرًا.

أَمَّا بَعْدُ؛ فَقَدْ سَأَلَنِي مَنْ تَعَيَّنَتْ إِجَابَتُهُمْ أَنْ أَكْتُبَ لَهُمْ مَضْمُونَ مَا سَمِعُوهُ مِنِّي فِي بَعْضِ الْمَجَالِسِ؛ مِنَ الْكَلَامِ فِي التَّوْحِيدِ وَالصِّفَاتِ، وَفِي الشَّرْعِ وَالْقَدَرِ؛ لِمَسِيسِ الْحَاجَةِ إِلَىٰ تَحْقِيقِ هَذَيْنِ الْأَصْلَيْنِ، وَكَثْرَةِ الِاضْطِرَابِ فِيهِمَا، فَإِنَّهُمَا مَعَ حَاجَةِ كُلِّ أَحَدٍ إِلَيْهِمَا، وَمَعَ أَنَّ أَهْلَ النَّظَرِ وَالْعِلْمِ وَالْإِرَادَةِ وَالْعِبَادَةِ؛ لَا بُدَّ أَنْ يَخْطِرَ لَهُمْ فِي ذَلِكَ مِنَ الْخَوَاطِرِ وَالْأَقْوَالِ مَا يَحْتَاجُونَ مَعَهُ إِلَىٰ بَيَانِ الْهُدَىٰ مِنَ الضَّلَالِ، لَا سِيَّمَا مَعَ كَثْرَةِ مَنْ خَاضَ فِي ذَلِكَ بِالْحَقِّ تَارَةً، وَبِالْبَاطِلِ تَارَاتٍ، وَمَا يَعْتَرِي الْقُلُوبَ فِي ذَلِكَ مِنَ الشُّبَهِ الَّتِي تُوقِعُهَا فِي أَنْوَاعِ الضَّلَالَاتِ.

**فَالْكَلَامُ فِي بَابِ التَّوْحِيدِ وَالصِّفَاتِ**؛ هُوَ: مِنْ بَابِ الْخَبَرِ الدَّائِرِ بَيْنَ النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ.

**وَالْكَلَامُ فِي الشَّرْعِ وَالْقَدَرِ**؛ هُوَ: مِنْ بَابِ الطَّلَبِ وَالْإِرَادَةِ الدَّائِرِ بَيْنَ الْإِرَادَةِ وَالْمَحَبَّةِ وَبَيْنَ الْكَرَاهَةِ وَالْبُغْضِ نَفْيًا وَإِثْبَاتًا.

وَالْإِنْسَانُ يَجِدُ فِي نَفْسِهِ الْفَرْقَ بَيْنَ النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ، وَالتَّصْدِيقِ وَالتَّكْذِيبِ، وَبَيْنَ الْحُبِّ وَالْبُغْضِ، وَالْحَضِّ وَالْمَنْعِ.

حَتَّىٰ إِنَّ الْفَرْقَ بَيْنَ هَذَا النَّوْعِ وَبَيْنَ النَّوْعِ الْآخَرِ مَعْرُوفٌ عِنْدَ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ، مَعْرُوفٌ



عِنْدَ أَصْنَافِ الْمُتَكَلِّمِينَ فِي الْعِلْمِ، كَمَا ذَكَرَ ذَلِكَ الْفُقَهَاءُ فِي كِتَابِ الْأَيْمَانِ، وَكَمَا ذَكَرَهُ الْمُقَسِّمُونَ لِلْكَلَامِ؛ مِنْ أَهْلِ النَّظَرِ وَالنَّحْوِ وَالْبَيَانِ؛ فَذَكَرُوا أَنَّ الْكَلَامَ نَوْعَانِ: خَبَرٌ وَإِنْشَاءٌ، وَالْخَبَرُ: دَائِرٌ بَيْنَ النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ، وَالْإِنْشَاءُ: أَمْرٌ أَوْ نَهْيٌ أَوْ إِبَاحَةٌ.

وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ: فَلَا بُدَّ لِلْعَبْدِ أَنْ يُثْبِتَ لِلَّهِ مَا يَجِبُ إِثْبَاتُهُ لَهُ مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ، وَيَنْفِي عَنْهُ مَا يَجِبُ نَفْيُهُ عَنْهُ مِمَّا يُضَادُّ هَذِهِ الْحَالَ، وَلَا بُدَّ لَهُ فِي أَحْكَامِهِ مِنْ أَنْ يُثْبِتَ خَلْقَهُ وَأَمْرَهُ، فَيُؤْمِنَ بِخَلْقِهِ الْمُتَضَمِّنِ كَمَالَ قُدْرَتِهِ وَعُمُومَ مَشِيئَتِهِ، وَيُثْبِتَ أَمْرَهُ الْمُتَضَمِّنَ بَيَانَ مَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ مِنْ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، وَيُؤْمِنَ بِشَرْعِهِ وَقَدَرِهِ إِيمَانًا خَالِيًا مِنَ الزَّلَلِ

وَهَذَا يَتَضَمَّنُ التَّوْحِيدَ فِي عِبَادَتِهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَهُوَ التَّوْحِيدُ فِي الْقَصْدِ وَالْإِرَادَةِ وَالْعَمَلِ، وَالْأَوَّلُ يَتَضَمَّنُ التَّوْحِيدَ فِي الْعِلْمِ وَالْقَوْلِ؛ كَمَا دَلَّتْ عَلَىٰ ذَلِكَ سُورَةُ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ وَدَلَّ عَلَىٰ الْآخَرِ سُورَةُ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، وَهُمَا سُورَتَا الْإِخْلَاصِ، وَبِهِمَا كَانَ يَقْرَأُ النَّبِيُّ ﷺ بَعْدَ الْفَاتِحَةِ فِي رَكْعَتَيِ الْفَجْرِ وَرَكْعَتَيِ الطَّوَافِ وَغَيْرِ ذَلِكَ

**فَأَمَّا الْأَوَّلُ وَهُوَ التَّوْحِيدُ فِي الصِّفَاتِ**؛ فَالْأَصْلُ فِي هَذَا الْبَابِ أَنْ يُوصَفَ اللهُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَبِمَا وَصَفَتْهُ بِهِ رُسُلُهُ نَفْيًا وَإِثْبَاتًا؛ فَيُثْبَتُ لِلَّهِ مَا أَثْبَتَهُ لِنَفْسِهِ وَيَنْفِي عَنْهُ مَا نَفَاهُ عَنْ نَفْسِهِ.

وَقَدْ عُلِمَ أَنَّ طَرِيقَةَ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّتِهَا إِثْبَاتُ مَا أَثْبَتَهُ مِنَ الصِّفَاتِ مِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَكَذَلِكَ يَنْفُونَ عَنْهُ مَا نَفَاهُ عَنْ نَفْسِهِ مَعَ إِثْبَاتِ مَا أَثْبَتَهُ مِنْ الصِّفَاتِ مِنْ غَيْرِ إِلْحَادٍ، لَا فِي أَسْمَائِهِ وَلَا فِي آيَاتِهِ.

فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذَمَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ وَآيَاتِهِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾ [فُصِّلَت].

**فَطَرِيقَتُهُمْ** تَتَضَمَّنُ إِثْبَاتَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، مَعَ نَفْيِ مُمَاثَلَةِ الْمَخْلُوقَاتِ، إِثْبَاتًا بِلَا تَشْبِيهٍ، وَتَنْزِيهًا بِلَا تَعْطِيلٍ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورىٰ]. فَفِي قَوْلِهِ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ رَدٌّ لِلتَّشْبِيهِ وَالتَّمْثِيلِ، وَقَوْلُهُ: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ



ٱلْبَصِيرُ ١١﴾. رَدٌّ لِلْإِلْحَادِ وَالتَّعْطِيلِ.

وَاللهُ سُبْحَانَهُ: بَعَثَ رُسُلَهُ بِإِثْبَاتٍ مُفَصَّلٍ وَنَفْيٍ مُجْمَلٍ، فَأَثْبَتُوا لَهُ الصِّفَاتِ عَلَىٰ وَجْهِ التَّفْصِيلِ، وَنَفَوْا عَنْهُ مَا لَا يَصْلُحُ لَهُ مِنَ التَّشْبِيهِ وَالتَّمْثِيلِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ٦٥﴾ [مريم]. قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾؛ أَيْ: نَظِيرًا يَسْتَحِقُّ مِثْلَ اسْمِهِ. وَيُقَالُ: مُسَامِيًا يُسَامِيهِ، وَهَذَا مَعْنَىٰ مَا يُرْوَىٰ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: هَلْ تَعْلَمُ لَهُ مِثْلًا أَوْ شَبِيهًا؟

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ٤﴾، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ٢٢﴾ [البقرة]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِۗ﴾ [البقرة:١٦٥]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ١٠٠ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ١٠١﴾[الأنعام]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ١ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾[الفرقان]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ١٤٩ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ١٥٠ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ١٥١ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ١٥٢ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ١٥٣ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ١٥٤ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ١٥٥ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ١٥٦ فَأْتُواْ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ١٥٧ وَجَعَلُواْ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًاۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ١٥٨ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٥٩ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ١٦٠﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ١٨١ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ١٨٢﴾ [الصافات]؛ فَسَبَّحَ نَفْسَهُ عَمَّا يَصِفُهُ الْمُفْتَرُونَ الْمُشْرِكُونَ، وَسَلَّمَ عَلَىٰ الْمُرْسَلِينَ لِسَلَامَةِ مَا قَالُوهُ مِنَ الْإِفْكِ وَالشِّرْكِ، وَحَمِدَ نَفْسَهُ؛ إِذْ هُوَ سُبْحَانَهُ الْمُسْتَحِقُّ لِلْحَمْدِ بِمَا لَهُ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَبَدِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ.

**وَأَمَّا الْإِثْبَاتُ الْمُفَصَّلُ**؛ فَإِنَّهُ ذَكَرَ مِنْ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ مَا أَنْزَلَهُ فِي مُحْكَمِ آيَاتِهِ؛ كَقَوْلِهِ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُۚ﴾ [البقرة:٢٥٥] الْآيَةَ بِكَمَالِهَا، وَقَوْلِهِ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ



﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾﴾ [الإخلاص] السُّورَةَ، وَقَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾[التحريم]، ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾﴾ [الروم]، ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[الشورىٰ]، ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾﴾ [إبراهيم]، ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ [يونس]، ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ [البروج]، ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الحديد].

وَقَوْلِهِ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾﴾ [محمد]، وَقَوْلِهِ: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة:٥٥]. وَقَوْلِهِ: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [البينة:٨]، وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾[النساء]، وَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾﴾ [غافر]، وَقَوْلِهِ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾[البقرة:٢١٠]، وَقَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾ [فصلت].

وَقَوْلِهِ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [النساء]، وَقَوْلِهِ: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾﴾ [مريم]، وَقَوْلِهِ: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [القصص]، وَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس].

وَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر].

إِلَىٰ أَمْثَالِ هَذِهِ الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ الثَّابِتَةِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي أَسْمَاءِ الرَّبِّ تَعَالَىٰ وَصِفَاتِهِ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ مِنْ إِثْبَاتِ ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ عَلَىٰ وَجْهِ التَّفْصِيلِ، وَإِثْبَاتِ وَحْدَانِيَّتِهِ بِنَفْيِ التَّمْثِيلِ؛ مَا



هَدَىٰ اللهُ بِهِ عِبَادَهُ إِلَىٰ سَوَاءِ السَّبِيلِ، فَهَـذِهِ طَرِيقَـةُ الرُّسُـلِ -صَـلَوَاتُ اللهِ وَسَـلَامُهُ عَلَـيْهِمْ أَجْمَعِينَ.

وَأَمَّا مَنْ زَاغَ وَحَادَ عَنْ سَبِيلِهِمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ، وَمَنْ دَخَلَ فِي هَؤُلَاءِ مِنْ الصَّابِئَةِ وَالْمُتَفَلْسِفَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ وَالْقَرَامِطَةِ وَالْبَاطِنِيَّةِ وَنَحْوِهِمْ: فَإِنَّهُمْ عَلَىٰ ضِدِّ ذَلِكَ؛ فَإِنَّهُمْ يَصِفُونَهُ بِالصِّفَاتِ السَّلْبِيَّةِ عَلَىٰ وَجْهِ التَّفْصِيلِ، وَلَا يُثْبِتُونَ إِلَّا وُجُودًا مُطْلَقًا لَا حَقِيقَةَ لَهُ عِنْدَ التَّحْصِيلِ، وَإِنَّمَا يَرْجِعُ إِلَىٰ وُجُودٍ فِي الْأَذْهَـانِ يَمْتَنِـعُ تَحَقُّقُـهُ فِـي الْأَعْيَـانِ، فَقَوْلُهُمْ يَسْتَلْزِمُ غَايَةَ التَّعْطِيلِ وَغَايَـةَ التَّمْثِيـلِ؛ فَـإِنَّهُمْ يُمَثِّلُونَـهُ بِالْمُمْتَنِعَـاتِ وَالْمَعْـدُومَاتِ وَالْجَمَادَاتِ؛ وَيُعَطِّلُونَ الْأَسْمَاءَ وَالصِّفَاتِ تَعْطِيلًا يَسْتَلْزِمُ نَفْيَ الذَّاتِ.

فَغُلَاتُهُمْ يَسْلُبُونَ عَنْهُ النَّقِيضَيْنِ؛ فَيَقُولُونَ: لَا مَوْجُودَ وَلَا مَعْدُومَ، وَلَا حَيَّ وَلَا مَيِّتَ، وَلَا عَالِمَ وَلَا جَاهِلَ. لِأَنَّهُمْ يَزْعُمُـونَ أَنَّهُـمْ إِذَا وَصَـفُوهُ بِالْإِثْبَـاتِ شَـبَّهُوهُ بِـالْمَوْجُودَاتِ، وَإِذَا وَصَفُوهُ بِالنَّفْيِ شَبَّهُوهُ بِالْمَعْدُومَاتِ، فَسَلَبُوا النَّقِيضَيْنِ.

وَهَذَا مُمْتَنِعٌ فِي بَدَاهَةِ الْعُقُولِ؛ وَحَرَّفُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ الْكِتَابِ، وَمَـا جَـاءَ بِـهِ الرَّسُـولُ، فَوَقَعُوا فِي شَـرٍّ مِمَّـا فَـرُّوا مِنْـهُ؛ فَـإِنَّهُمْ شَـبَّهُوهُ بِالْمُمْتَنِعَـاتِ؛ إِذْ سَـلْبُ النَّقِيضَـيْنِ كَجَمْـعِ النَّقِيضَيْنِ؛ كِلَاهُمَا مِنَ الْمُمْتَنِعَاتِ.

**وَقَدْ عُلِمَ بِالِاضْطِرَارِ**: أَنَّ الْوُجُودَ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ مُوجِدٍ، وَاجِبٍ بِذَاتِهِ، غَنِيٍّ عَمَّا سِوَاهُ؛ قَدِيمٍ أَزَلِيٍّ؛ لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ الْحُدُوثُ وَلَا الْعَدَمُ، فَوَصَفُوهُ بِمَا يَمْتَنِعُ وُجُودُهُ فَضْلًا عَنِ الْوُجُوبِ أَوْ الْوُجُودِ أَوْ الْقِدَمِ.

**وَقَارَبَهُمْ طَائِفَةٌ مِنَ الْفَلَاسِفَةِ وَأَتْبَاعِهِمْ**: فَوَصَفُوهُ بِالسُّـلُوبِ وَالْإِضَـافَاتِ، دُونَ صِـفَاتِ الْإِثْبَاتِ، وَجَعَلُوهُ هُوَ الْوُجُودَ الْمُطْلَقَ بِشَرْطِ الْإِطْلَاقِ.

وَقَـدْ عُلِـمَ بِصَـرِيحِ الْعَقْـلِ أَنَّ هَـذَا لَا يَكُـونُ إِلَّا فِـي الـذِّهْنِ، لَا فِيمَـا خَـرَجَ عَنْـهُ مِـنَ الْمَوْجُودَاتِ، وَجَعَلُوا الصِّفَةَ هِيَ الْمَوْصُوفَ، فَجَعَلُوا الْعِلْمَ عَيْنَ الْعَالِمِ، مُكَـابَرَةً لِلْقَضَـايَا الْبَدِيهَاتِ، وَجَعَلُوا هَذِهِ الصِّفَةَ هِيَ الْأُخْرَىٰ، فَلَـمْ يُمَيِّـزُوا بَـيْنَ الْعِلْـمِ وَالْقُـدْرَةِ وَالْمَشِـيئَةِ، جَحْدًا لِلْعُلُومِ الضَّرُورِيَّاتِ.

وَقَارَبَهُمْ طَائِفَةٌ ثَالِثَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ مِنْ الْمُعْتَزِلَةِ وَمَنِ اتَّبَعَهُمْ؛ فَأَثْبَتُوا لِلَّهِ الْأَسْمَاءَ دُونَ مَا تَتَضَمَّنُهُ مِنَ الصِّفَاتِ - فَمِنْهُمْ مَنْ جَعَلَ الْعَلِـيمَ وَالْقَـدِيرَ؛ وَالسَّـمِيعَ؛ وَالْبَصِـيرَ؛ كَـالْأَعْلَامِ



الْمَحْضَةِ الْمُتَرَادِفَاتِ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ عَلِيمٌ بِلَا عِلْمٍ قَدِيرٌ بِلَا قُدْرَةٍ سَمِيعٌ بَصِيرٌ بِلَا سَمْعٍ وَلَا بَصَرٍ، فَأَثْبَتُوا الِاسْمَ دُونَ مَا تَضَمَّنَهُ مِنَ الصِّفَاتِ.

وَالْكَلَامُ عَلَىٰ فَسَادِ مَقَالَةِ هَؤُلَاءِ وَبَيَانِ تَنَاقُضِهَا بِصَرِيحِ الْمَعْقُولِ الْمُطَابِقِ لِصَحِيحِ الْمَنْقُولِ، مَذْكُورٌ فِي غَيْرِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ.

وَهَؤُلَاءِ جَمِيعُهُمْ يَفِرُّونَ مِنْ شَيْءٍ فَيَقَعُونَ فِي نَظِيرِهِ وَفِي شَرٍّ مِنْهُ، مَعَ مَا يَلْزَمُهُمْ مِنَ التَّحْرِيفَاتِ وَالتَّعْطِيلَاتِ، وَلَوْ أَمْعَنُوا النَّظَرَ لَسَوَّوْا بَيْنَ الْمُتَمَاثِلَاتِ، وَفَرَّقُوا بَيْنَ الْمُخْتَلِفَاتِ، كَمَا تَقْتَضِيهِ الْمَعْقُولَاتُ؛ وَلَكَانُوا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِينَ يَرَوْنَ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ الرَّسُولِ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِ وَيَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ.

وَلَكِنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ الْمَجْهُولَاتِ الْمُشَبَّهَةِ بِالْمَعْقُولَاتِ، يُسَفْسِطُونَ فِي الْعَقْلِيَّاتِ، وَيُقَرْمِطُونَ فِي السَّمْعِيَّاتِ.

وَذَلِكَ أَنَّهُ قَدْ عُلِمَ بِضَرُورَةِ الْعَقْلِ أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ مَوْجُودٍ قَدِيمٍ غَنِيٍّ عَمَّا سِوَاهُ، إِذْ نَحْنُ نُشَاهِدُ حُدُوثَ الْمُحْدَثَاتِ: كَالْحَيَوَانِ وَالْمَعْدِنِ وَالنَّبَاتِ، وَالْحَادِثُ مُمْكِنٌ لَيْسَ بِوَاجِبٍ وَلَا مُمْتَنِعٍ، وَقَدْ عُلِمَ بِالِاضْطِرَارِ أَنَّ الْمُحْدَثَ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ مُحْدِثٍ، وَالْمُمْكِنُ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ مُوجِدٍ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الطور]، فَإِذَا لَمْ يَكُونُوا خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ خَالِقٍ، وَلَا هُمْ الْخَالِقُونَ لِأَنْفُسِهِمْ تَعَيَّنَ أَنَّ لَهُمْ خَالِقًا خَلَقَهُمْ.

وَإِذَا كَانَ مِنَ الْمَعْلُومِ بِالضَّرُورَةِ [أَنَّ] فِي الْوُجُودِ مَا هُوَ قَدِيمٌ وَاجِبٌ بِنَفْسِهِ، وَمَا هُوَ مُحْدَثٌ مُمْكِنٌ يَقْبَلُ الْوُجُودَ وَالْعَدَمَ= فَمَعْلُومٌ أَنَّ هَذَا مَوْجُودٌ وَهَذَا مَوْجُودٌ، وَلَا يَلْزَمُ مِنَ اتِّفَاقِهِمَا فِي مُسَمَّىٰ الْوُجُودِ أَنْ يَكُونَ وُجُودُ هَذَا مِثْلَ وُجُودِ هَذَا؛ بَلْ وُجُودُ هَذَا يَخُصُّهُ وَوُجُودُ هَذَا يَخُصُّهُ.

وَاتِّفَاقُهُمَا فِي اسْمٍ عَامٍّ لَا يَقْتَضِي تَمَاثُلَهُمَا فِي مُسَمَّىٰ ذَلِكَ الِاسْمِ عِنْدَ الْإِضَافَةِ وَالتَّخْصِيصِ وَالتَّقْيِيدِ، وَلَا فِي غَيْرِهِ.

**فَلَا يَقُولُ عَاقِلٌ**: إِذَا قِيلَ: إِنَّ الْعَرْشَ شَيْءٌ مَوْجُودٌ وَأَنَّ الْبَعُوضَ شَيْءٌ مَوْجُودٌ: إِنَّ هَذَا مِثْلَ هَذَا؛ لِاتِّفَاقِهِمَا فِي مُسَمَّىٰ الشَّيْءِ وَالْوُجُودِ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ فِي الْخَارِجِ شَيْءٌ مَوْجُودٌ غَيْرُهُمَا يَشْتَرِكَانِ فِيهِ؛ بَلْ الذِّهْنُ يَأْخُذُ مَعْنًىٰ مُشْتَرَكًا كُلِّيًّا؛ هُوَ: مُسَمَّىٰ الِاسْمِ الْمُطْلَقِ، وَإِذَا قِيلَ: هَذَا مَوْجُودٌ وَهَذَا مَوْجُودٌ= فَوُجُودُ كُلٍّ مِنْهُمَا يَخُصُّهُ، لَا يَشْرَكُهُ فِيهِ غَيْرُهُ؛ مَعَ أَنَّ الِاسْمَ حَقِيقَةٌ



فِي كُلٍّ مِنْهُمَا.

وَلِهَذَا سَمَّىٰ اللهُ نَفْسَهُ بِأَسْمَاءٍ وَسَمَّىٰ صِفَاتِهِ بِأَسْمَاءٍ؛ وَكَانَتْ تِلْكَ الْأَسْمَاءُ مُخْتَصَّةً بِهِ إِذَا أُضِيفَتْ إِلَيْهِ لَا يَشْرَكُهُ فِيهَا غَيْرُهُ، وَسَمَّىٰ بَعْضَ مَخْلُوقَاتِهِ بِأَسْمَاءٍ مُخْتَصَّةٍ بِهِمْ مُضَافَةٍ إِلَيْهِمْ تُوَافِقُ تِلْكَ الْأَسْمَاءَ، إِذَا قُطِعَتْ عَنِ الْإِضَافَةِ وَالتَّخْصِيصِ.

وَلَمْ يَلْزَمْ مِنِ اتِّفَاقِ الِاسْمَيْنِ وَتَمَاثُلِ مُسَمَّاهُمَا وَاتِّحَادِهِ عِنْدَ الْإِطْلَاقِ وَالتَّجْرِيدِ عَنْ الْإِضَافَةِ وَالتَّخْصِيصِ= اتِّفَاقُهُمَا، وَلَا تَمَاثُلَ الْمُسَمَّىٰ عِنْدَ الْإِضَافَةِ وَالتَّخْصِيصِ، فَضْلًا عَنْ أَنْ يَتَّحِدَ مُسَمَّاهُمَا عِنْدَ الْإِضَافَةِ وَالتَّخْصِيصِ.

فَقَدْ سَمَّىٰ اللهُ نَفْسَهُ حَيًّا؛ فَقَالَ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ۝٢﴾ [آل عمران] وَسَمَّىٰ بَعْضَ عِبَادِهِ حَيًّا؛ فَقَالَ: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ﴾ [يونس:٣١]، وَلَيْسَ هَذَا الْحَيُّ مِثْلَ هَذَا الْحَيِّ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿ٱلْحَيَّ﴾ اسْمٌ للهِ مُخْتَصٌّ بِهِ، وَقَوْلَهُ: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ [يونس:٣١] اسْمٌ لِلْحَيِّ الْمَخْلُوقِ مُخْتَصٌّ بِهِ، وَإِنَّمَا يَتَّفِقَانِ إِذَا أُطْلِقَا وَجُرِّدَا عَنِ التَّخْصِيصِ؛ وَلَكِنْ لَيْسَ لِلْمُطْلَقِ مُسَمًّىٰ مَوْجُودٌ فِي الْخَارِجِ؛ وَلَكِنَّ الْعَقْلَ يَفْهَمُ مِنْ الْمُطْلَقِ قَدْرًا مُشْتَرَكًا بَيْنَ الْمُسَمَّيَيْنِ، وَعِنْدَ الِاخْتِصَاصِ يُقَيِّدُ ذَلِكَ بِمَا يَتَمَيَّزُ بِهِ الْخَالِقُ عَنْ الْمَخْلُوقِ، وَالْمَخْلُوقُ عَنِ الْخَالِقِ.

وَلَا بُدَّ مِنْ هَذَا فِي جَمِيعِ أَسْمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِهِ، يُفْهَمُ مِنْهَا مَا دَلَّ عَلَيْهِ الِاسْمُ بِالْمُوَاطَأَةِ وَالِاتِّفَاقِ، وَمَا دَلَّ عَلَيْهِ بِالْإِضَافَةِ وَالِاخْتِصَاصِ: الْمَانِعَةُ مِنْ مُشَارَكَةِ الْمَخْلُوقِ لِلْخَالِقِ فِي شَيْءٍ مِنْ خَصَائِصِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وَكَذَلِكَ سَمَّىٰ اللهُ نَفْسَهُ: عَلِيمًا حَلِيمًا، وَسَمَّىٰ بَعْضَ عِبَادِهِ: عَلِيمًا؛ فَقَالَ: ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَـٰمٍ عَلِيمٍ ۝٢٨﴾ [الذاريات] يَعْنِي: إِسْحَاقَ وَسَمَّىٰ آخَرَ حَلِيمًا؛ فَقَالَ: ﴿فَبَشَّرْنَـٰهُ بِغُلَـٰمٍ حَلِيمٍ ۝١٠١﴾ [الصافات] يَعْنِي: إِسْمَاعِيلَ، وَلَيْسَ الْعَلِيمُ كَالْعَلِيمِ وَلَا الْحَلِيمُ كَالْحَلِيمِ.

وَسَمَّىٰ نَفْسَهُ سَمِيعًا بَصِيرًا؛ فَقَالَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٥٨﴾ [النساء] وَسَمَّىٰ بَعْضَ عِبَادِهِ: سَمِيعًا بَصِيرًا؛ فَقَالَ: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَـٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢﴾ [الإنسان]. وَلَيْسَ السَّمِيعُ كَالسَّمِيعِ، وَلَا الْبَصِيرُ كَالْبَصِيرِ.



وَسَمَّىٰ نَفْسَهُ بِالرَّءُوفِ الرَّحِيمِ؛ فَقَالَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ١٤٣﴾ [البقرة]، وَسَمَّىٰ بَعْضَ عِبَادِهِ بِالرَّءُوفِ الرَّحِيمِ فَقَالَ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ١٢٨﴾ [التوبة]، وَلَيْسَ الرَّءُوفُ كَالرَّءُوفِ وَلَا الرَّحِيمُ كَالرَّحِيمِ.

وَسَمَّىٰ نَفْسَهُ بِالْمَلِكِ؛ فَقَالَ: ﴿ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ﴾ [الحشر:٢٣]، وَسَمَّىٰ بَعْضَ عِبَادِهِ بِالْمَلِكِ؛ فَقَالَ: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ٧٩﴾ [الكهف]، ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ﴾ [يوسف:٥٤] وَلَيْسَ الْمَلِكُ كَالْمَلِكِ.

وَسَمَّىٰ نَفْسَهُ بِالْمُؤْمِنِ [الْمُهَيْمِنِ]، وَسَمَّىٰ بَعْضَ عِبَادِهِ بِالْمُؤْمِنِ؛ فَقَالَ: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ١٨﴾ [السجدة]، وَلَيْسَ الْمُؤْمِنُ كَالْمُؤْمِنِ.

وَسَمَّىٰ نَفْسَهُ بِالْعَزِيزِ؛ فَقَالَ: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ﴾ [الحشر:٢٣]، وَسَمَّىٰ بَعْضَ عِبَادِهِ بِالْعَزِيزِ؛ فَقَالَ: ﴿قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ﴾ [يوسف:٥١]، وَلَيْسَ الْعَزِيزُ كَالْعَزِيزِ.

وَسَمَّىٰ نَفْسَهُ الْجَبَّارَ الْمُتَكَبِّرَ، وَسَمَّىٰ بَعْضَ خَلْقِهِ بِالْجَبَّارِ الْمُتَكَبِّرِ؛ قَالَ: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ٣٥﴾ [غافر:٣٥]، وَلَيْسَ الْجَبَّارُ كَالْجَبَّارِ، وَلَا الْمُتَكَبِّرُ كَالْمُتَكَبِّرِ. وَنَظَائِرُ هَذَا مُتَعَدِّدَةٌ.

وَكَذَلِكَ سَمَّىٰ صِفَاتِهِ بِأَسْمَاءٍ، وَسَمَّىٰ صِفَاتِ عِبَادِهِ بِنَظِيرِ ذَلِكَ؛ فَقَالَ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ﴾ [البقرة:٢٥٥]، وَقَالَ: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ﴾ [النساء:١٦٦]، وَقَالَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ٥٨﴾ [الذاريات]، وَقَالَ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ﴾ [فُصِّلَت:١٥].

وَسَمَّىٰ صِفَةَ الْمَخْلُوقِ عِلْمًا وَقُوَّةً؛ فَقَالَ: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ٨٥﴾ [الإسراء]، وَقَالَ: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ٧٦﴾ [يوسف]، وَقَالَ: ﴿فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [غافر:٨٣]، وَقَالَ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ﴾[الروم:٥٤]، وَقَالَ: ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾[هود:٥٢]، وَقَالَ: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ﴾[الذاريات:٤٧] أَيْ: بِقُوَّةٍ، وَقَالَ: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ﴾ [ص:١٧] أَيْ: ذَا الْقُوَّةِ، وَلَيْسَ الْعِلْمُ كَالْعِلْمِ، وَلَا الْقُوَّةُ كَالْقُوَّةِ.



وَكَذَلِكَ وَصَفَ نَفْسَهُ بِالْمَشِيئَةِ، وَوَصَفَ عَبْدَهُ بِالْمَشِيئَةِ؛ فَقَالَ: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾[التكوير]، وَقَالَ: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾﴾[المزَّمل]، ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾﴾[الإنسان]، وَكَذَلِكَ وَصَفَ نَفْسَهُ بِالْإِرَادَةِ وَوَصَفَ عَبْدَهُ بِالْإِرَادَةِ؛ فَقَالَ: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾﴾[الأنفال].

وَوَصَفَ نَفْسَهُ بِالْمَحَبَّةِ وَوَصَفَ عَبْدَهُ بِالْمَحَبَّةِ؛ فَقَالَ: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة:٥٤]، وَقَالَ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٣١].

وَوَصَفَ نَفْسَهُ بِالرِّضَا، وَوَصَفَ عَبْدَهُ بِالرِّضَا؛ فَقَالَ: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ﴾ [المائدة:١١٩].

وَمَعْلُومٌ أَنَّ مَشِيئَةَ اللهِ لَيْسَتْ مِثْلَ مَشِيئَةِ الْعَبْدِ، وَلَا إِرَادَتَهُ مِثْلَ إِرَادَتِهِ، وَلَا مَحَبَّتَهُ مِثْلَ مَحَبَّتِهِ، وَلَا رِضَاهُ مِثْلَ رِضَاهُ.

وَكَذَلِكَ وَصَفَ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ يَمْقُتُ الْكُفَّارَ، وَوَصَفَهُمْ بِالْمَقْتِ؛ فَقَالَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾﴾ [غافر]، وَلَيْسَ الْمَقْتُ مِثْلَ الْمَقْتِ.

وَهَكَذَا وَصَفَ نَفْسَهُ بِالْمَكْرِ وَالْكَيْدِ، كَمَا وَصَفَ عَبْدَهُ بِذَلِكَ؛ فَقَالَ: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ﴾ [الأنفال:٣٠]، وَقَالَ: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾﴾ [الطارق]، وَلَيْسَ الْمَكْرُ كَالْمَكْرِ وَلَا الْكَيْدُ كَالْكَيْدِ.

وَوَصَفَ نَفْسَهُ بِالْعَمَلِ؛ فَقَالَ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾﴾ [يس]، وَوَصَفَ عَبْدَهُ بِالْعَمَلِ فَقَالَ: ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الأحقاف]، وَلَيْسَ الْعَمَلُ كَالْعَمَلِ.

وَوَصَفَ نَفْسَهُ بِالْمُنَادَاةِ وَالْمُنَاجَاةِ؛ فَقَالَ: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾﴾ [مريم]، وَقَالَ: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ [القصص:٦٢]، وَقَالَ: ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ﴾ [الأعراف:٢٢]، وَوَصَفَ عِبَادَهُ بِالْمُنَادَاةِ وَالْمُنَاجَاةِ؛ فَقَالَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ



ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝٤﴾[الحجرات]، وَقَالَ: ﴿إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ﴾[المجادلة:١٢]، وَقَالَ: ﴿تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْاْ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [المجادلة:٩]، وَلَيْسَ الْمُنَادَاةُ كَالْمُنَاجَاةِ، وَلَا الْمُنَاجَاةُ وَالْمُنَادَاةِ.

وَوَصَفَ نَفْسَهُ بِالتَّكْلِيمِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ۝١٦٤﴾[النساء]، وَقَوْلِهِ: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف:١٤٣]، وَقَوْلِهِ: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:٢٥٣]، وَوَصَفَ عَبْدَهُ بِالتَّكْلِيمِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ۝٥٤﴾ [يوسف] وَلَيْسَ التَّكْلِيمُ كَالتَّكْلِيمِ.

وَوَصَفَ نَفْسَهُ بِالتَّنْبِئَةِ وَوَصَفَ بَعْضَ الْخَلْقِ بِالتَّنْبِئَةِ، فَقَالَ: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِىُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝٣﴾ [التحريم] وَلَيْسَ الْإِنْبَاءُ كَالْإِنْبَاءِ.

وَوَصَفَ نَفْسَهُ بِالتَّعْلِيمِ وَوَصَفَ عَبْدَهُ بِالتَّعْلِيمِ؛ فَقَالَ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤﴾ [الرحمن]، وَقَالَ: ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ﴾ [المائدة:٤]، وَقَالَ: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [آل عمران:١٦٤]، وَلَيْسَ التَّعْلِيمُ كَالتَّعْلِيمِ.

وَهَكَذَا وَصَفَ نَفْسَهُ بِالْغَضَبِ؛ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ﴾ [الفتح:٦]، وَوَصَفَ عَبْدَهُ بِالْغَضَبِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا﴾ [الأعراف:١٥٠] وَلَيْسَ الْغَضَبُ كَالْغَضَبِ.

وَوَصَفَ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ اسْتَوَىٰ عَلَىٰ عَرْشِهِ، فَذَكَرَ ذَلِكَ فِي سَبْعِ مَوَاضِعَ مِنْ كِتَابِهِ أَنَّهُ اسْتَوَىٰ عَلَىٰ الْعَرْشِ، وَوَصَفَ بَعْضَ خَلْقِهِ بِالِاسْتِوَاءِ عَلَىٰ غَيْرِهِ، فِي مِثْلِ قَوْلِهِ: ﴿لِتَسْتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ [الزُّخرُف:١٣]، وَقَوْلِهِ: ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ﴾ [المؤمنون:٢٨]، وَقَوْلِهِ: ﴿وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ﴾ [هود:٤٤] وَلَيْسَ الِاسْتِوَاءُ كَالِاسْتِوَاءِ.

وَوَصَفَ نَفْسَهُ بِبَسْطِ الْيَدَيْنِ؛ فَقَالَ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ



بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة:٦٤]، وَوَصَفَ بَعْضَ خَلْقِهِ بِبَسْطِ الْيَدِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ [الإسراء:٢٩]، وَلَيْسَ الْيَدُ كَالْيَدِ، وَلَا الْبَسْطُ كَالْبَسْطِ؛ وَإِذَا كَانَ الْمُرَادُ بِالْبَسْطِ الْإِعْطَاءَ وَالْجُودَ: فَلَيْسَ إِعْطَاءُ اللهِ كَإِعْطَاءِ خَلْقِهِ، وَلَا جُودُهُ كَجُودِهِمْ، وَنَظَائِرُ هَذَا كَثِيرَةٌ.

فَلَا بُدَّ مِنْ إِثْبَاتِ مَا أَثْبَتَهُ اللهُ لِنَفْسِهِ، وَنَفْيِ مُمَاثَلَتِهِ بِخَلْقِهِ، فَمَنْ قَالَ: لَيْسَ لِلَّهِ عِلْمٌ وَلَا قُوَّةٌ وَلَا رَحْمَةٌ وَلَا كَلَامٌ، وَلَا يُحِبُّ وَلَا يَرْضَىٰ، وَلَا نَادَىٰ وَلَا نَاجَىٰ وَلَا اسْتَوَىٰ: كَانَ مُعَطِّلًا جَاحِدًا مُمَثِّلًا لِلَّهِ بِالْمَعْدُومَاتِ وَالْجَمَادَاتِ.

وَمَنْ قَالَ: لَهُ عِلْمٌ كَعِلْمِي أَوْ قُوَّةٌ كَقُوَّتِي أَوْ حُبٌّ كَحُبِّي أَوْ رِضًا كَرِضَايَ أَوْ يَدَانِ كَيدَيَّ أَوْ اسْتِوَاءٌ كَاسْتِوَائِي= كَانَ مُشَبِّهًا مُمَثِّلًا لِلَّهِ بِالْحَيَوَانَاتِ؛ بَلْ لَا بُدَّ مِنْ إِثْبَاتٍ بِلَا تَمْثِيلٍ وَتَنْزِيهٍ بِلَا تَعْطِيلٍ.

وَيَتَبَيَّنُ هَذَا بِـ:

أَصْلَيْنِ شَرِيفَيْنِ،

وَمَثَلَيْنِ مَضْرُوبَيْنِ -وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ-،

وَبِخَاتِمَةٍ جَامِعَةٍ.

## فصلٌ

فَأَمَّا الْأَصْلَانِ:

**فَأَحَدُهُمَا** أَنْ يُقَالَ: **الْقَوْلُ فِي بَعْضِ الصِّفَاتِ كَالْقَوْلِ فِي بَعْضٍ**، فَإِنْ كَانَ الْمُخَاطَبُ مِمَّنْ يَقُولُ: بِأَنَّ اللهَ حَيٌّ بِحَيَاةٍ، عَلِيمٌ بِعِلْمٍ، قَدِيرٌ بِقُدْرَةٍ، سَمِيعٌ بِسَمْعٍ، بَصِيرٌ بِبَصَرٍ، مُتَكَلِّمٌ بِكَلَامٍ، مُرِيدٌ بِإِرَادَةٍ، وَيَجْعَلُ ذَلِكَ كُلَّهُ حَقِيقَةً، وَيُنَازِعُ فِي مَحَبَّتِهِ وَرِضَاهُ، وَغَضَبِهِ وَكَرَاهَتِهِ؛ فَيَجْعَلُ ذَلِكَ مَجَازًا، وَيُفَسِّرُهُ إِمَّا بِالْإِرَادَةِ، وَإِمَّا بِبَعْضِ الْمَخْلُوقَاتِ مِنَ النِّعَمِ وَالْعُقُوبَاتِ.

فَيُقَالُ لَهُ: لَا فَرْقَ بَيْنَ مَا نَفَيْتَهُ وَبَيْنَ مَا أَثْبَتَّهُ؛ بَلْ الْقَوْلُ فِي أَحَدِهِمَا كَالْقَوْلِ فِي الْآخَرِ.

فَإِنْ قُلْتَ: إِنَّ إِرَادَتَهُ مِثْلُ إِرَادَةِ الْمَخْلُوقِينَ؛ فَكَذَلِكَ مَحَبَّتُهُ وَرِضَاهُ وَغَضَبُهُ، وَهَذَا هُوَ التَّمْثِيلُ.

وَإِنْ قُلْتَ: [إِنَّ] لَهُ إِرَادَةً تَلِيقُ بِهِ؛ كَمَا أَنَّ لِلْمَخْلُوقِ إِرَادَةً تَلِيقُ بِهِ.



قِيلَ لَكَ: وَكَذَلِكَ لَهُ مَحَبَّةٌ تَلِيقُ بِهِ، وَلِلْمَخْلُوقِ مَحَبَّةٌ تَلِيقُ بِهِ، وَلَهُ رِضًا وَغَضَبٌ يَلِيقُ بِهِ، وَلِلْمَخْلُوقِ رِضًا وَغَضَبٌ يَلِيقُ بِهِ.

وَإِنْ قَالَ: الْغَضَبُ غَلَيَانُ دَمِ الْقَلْبِ لِطَلَبِ الِانْتِقَامِ.

فَيُقَالُ لَهُ: وَالْإِرَادَةُ مَيْلُ النَّفْسِ إِلَىٰ جَلْبِ مَنْفَعَةٍ أَوْ دَفْعِ مَضَرَّةٍ.

فَإِنْ قُلْتَ: هَذِهِ إِرَادَةُ الْمَخْلُوقِ. قِيلَ لَكَ: وَهَذَا غَضَبُ الْمَخْلُوقِ.

وَكَذَلِكَ يَلْزَمُ الْقَوْلُ فِي كَلَامِهِ وَسَمْعِهِ وَبَصَرِهِ وَعِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ، إِنْ نَفَىٰ عَنْهُ الْغَضَبَ وَالْمَحَبَّةَ وَالرِّضَا وَنَحْوُ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ مِنْ خَصَائِصِ الْمَخْلُوقِينَ؛ فَهَذَا مُنْتَفٍ عَنِ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَالْكَلَامِ وَجَمِيعِ الصِّفَاتِ.

وَإِنْ قَالَ: إِنَّهُ لَا حَقِيقَةَ لِهَذَا إِلَّا مَا يَخْتَصُّ بِالْمَخْلُوقِينَ؛ فَيَجِبُ نَفْيُهُ عَنْهُ قِيلَ لَهُ: وَهَكَذَا السَّمْعُ وَالْبَصَرُ وَالْكَلَامُ وَالْعِلْمُ وَالْقُدْرَةُ.

فَهَذَا الْمُفَرِّقُ بَيْنَ بَعْضِ الصِّفَاتِ وَبَعْضٍ، يُقَالُ لَهُ: فِيمَا نَفَاهُ كَمَا يَقُولُهُ هُوَ لِمُنَازِعِهِ فِيمَا أَثْبَتَهُ.

**فَإِذَا قَالَ الْمُعْتَزِلِيُّ**: لَيْسَ لَهُ إِرَادَةٌ وَلَا كَلَامٌ قَائِمٌ بِهِ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الصِّفَاتِ لَا تَقُومُ إِلَّا بِالْمَخْلُوقَاتِ، فَإِنَّهُ يُبَيِّنُ لِلْمُعْتَزِلِيِّ أَنَّ هَذِهِ الصِّفَاتِ يَتَّصِفُ بِهَا الْقَدِيمُ، وَلَا تَكُونُ كَصِفَاتِ الْمُحْدَثَاتِ، فَهَكَذَا يَقُولُ لَهُ الْمُثْبِتُونَ لِسَائِرِ الصِّفَاتِ مِنْ الْمَحَبَّةِ وَالرِّضَا وَنَحْوِ ذَلِكَ.

فَإِنْ قَالَ: تِلْكَ الصِّفَاتُ أَثْبَتَهَا بِالْعَقْلِ؛ لِأَنَّ الْفِعْلَ الْحَادِثَ دَلَّ عَلَىٰ الْقُدْرَةِ، وَالتَّخْصِيصَ دَلَّ عَلَىٰ الْإِرَادَةِ، وَالْإِحْكَامَ دَلَّ عَلَىٰ الْعِلْمِ، وَهَذِهِ الصِّفَاتُ مُسْتَلْزِمَةٌ لِلْحَيَاةِ، وَالْحَيُّ لَا يَخْلُو عَنِ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَالْكَلَامِ أَوْ ضِدِّ ذَلِكَ.

**قَالَ لَهُ سَائِرُ أَهْلِ الْإِثْبَاتِ**: لَكَ جَوَابَانِ:

**أَحَدُهُمَا**: أَنْ يُقَالَ: عَدَمُ الدَّلِيلِ الْمُعَيَّنِ لَا يَسْتَلْزِمُ عَدَمَ الْمَدْلُولِ الْمُعَيَّنِ، فَهَبْ أَنَّ مَا سَلَكْتَهُ مِنَ الدَّلِيلِ الْعَقْلِيِّ لَا يُثْبِتُ ذَلِكَ فَإِنَّهُ لَا يَنْفِيهِ، وَلَيْسَ لَكَ أَنْ تَنْفِيَهُ بِغَيْرِ دَلِيلٍ؛ لِأَنَّ النَّافِيَ عَلَيْهِ الدَّلِيلُ، كَمَا عَلَىٰ الْمُثْبِتِ، وَالسَّمْعُ قَدْ دَلَّ عَلَيْهِ، وَلَمْ يُعَارِضْ ذَلِكَ مُعَارِضٌ عَقْلِيٌّ وَلَا سَمْعِيٌّ، فَيَجِبُ إِثْبَاتُ مَا أَثْبَتَهُ الدَّلِيلُ السَّالِمُ عَنِ الْمُعَارِضِ الْمُقَاوِمِ.

**الثَّانِي**: أَنْ يُقَالَ: يُمْكِنُ إِثْبَاتُ هَذِهِ الصِّفَاتِ بِنَظِيرِ مَا أَثْبَتَ بِهِ تِلْكَ مِنَ الْعَقْلِيَّاتِ فَيُقَالُ نَفْعُ الْعِبَادِ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ يَدُلُّ عَلَىٰ الرَّحْمَةِ؛ كَدَلَالَةِ التَّخْصِيصِ عَلَىٰ الْمَشِيئَةِ، وَإِكْرَامُ



الطَّائِعِينَ يَدُلُّ عَلَىٰ مَحَبَّتِهِمْ وَعِقَابُ الْكَافِرِينَ يَدُلُّ عَلَىٰ بُغْضِهِمْ؛ كَمَا قَدْ ثَبَتَ بِالشَّهَادَةِ وَالْخَبَرِ: مِنْ إِكْرَامِ أَوْلِيَائِهِ وَعِقَابِ أَعْدَائِهِ.

وَالْغَايَاتُ الْمَحْمُودَةُ فِي مَفْعُولَاتِهِ وَمَأْمُورَاتِهِ -وَهِيَ: مَا تَنْتَهِي إِلَيْهِ مَفْعُولَاتُهُ وَمَأْمُورَاتُهُ مِنْ الْعَوَاقِبِ الْحَمِيدَةِ- تَدُلُّ عَلَىٰ حِكْمَتِهِ الْبَالِغَةِ؛ كَمَا يَدُلُّ التَّخْصِيصُ عَلَىٰ الْمَشِيئَةِ وَأَوْلَىٰ؛ لِقُوَّةِ الْعِلَّةِ الْغَائِيَّةِ؛ وَلِهَذَا كَانَ مَا فِي الْقُرْآنِ مِنْ بَيَانِ مَا فِي مَخْلُوقَاتِهِ مِنَ النِّعَمِ وَالْحِكَمِ: أَعْظَمُ مِمَّا فِي الْقُرْآنِ مِنْ بَيَانِ مَا فِيهَا مِنْ الدَّلَالَةِ عَلَىٰ مَحْضِ الْمَشِيئَةِ.

وَإِنْ كَانَ الْمُخَاطَبُ مِمَّنْ يُنْكِرُ الصِّفَاتِ، وَيُقِرُّ بِالْأَسْمَاءِ؛ كَالْمُعْتَزِلِيِّ الَّذِي يَقُولُ: إِنَّهُ حَيٌّ عَلِيمٌ قَدِيرٌ، وَيُنْكِرُ أَنْ يَتَّصِفَ بِالْحَيَاةِ وَالْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ.

**قِيلَ لَهُ**: لَا فَرْقَ بَيْنَ إِثْبَاتِ الْأَسْمَاءِ وَبَيْنَ إِثْبَاتِ الصِّفَاتِ، فَإِنَّك إِنْ قُلْتَ: إِثْبَاتُ الْحَيَاةِ وَالْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ يَقْتَضِي تَشْبِيهًا أَوْ تَجْسِيمًا؛ لِأَنَّا لَا نَجِدُ فِي الشَّاهِدِ مُتَّصِفًا بِالصِّفَاتِ، إِلَّا مَا هُوَ جِسْمٌ.

**قِيلَ لَكَ**: وَلَا تَجِدُ فِي الشَّاهِدِ مَا هُوَ مُسَمًّىٰ بِأَنَّهُ حَيٌّ عَلِيمٌ قَدِيرٌ إِلَّا مَا هُوَ جِسْمٌ، فَإِنْ نَفَيْتَ مَا نَفَيْتَ لِكَوْنِكَ لَمْ تَجِدْهُ فِي الشَّاهِدِ إِلَّا لِجِسْمٍ فَانْفِ الْأَسْمَاءَ؛ بَلْ وَكُلَّ شَيْءٍ لِأَنَّكَ لَا تَجِدُهُ فِي الشَّاهِدِ إِلَّا لِجِسْمٍ.

فَكُلُّ مَا يَحْتَجُّ بِهِ مَنْ نَفَىٰ الصِّفَاتِ، يَحْتَجُّ بِهِ نَافِي الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَىٰ؛ فَمَا كَانَ جَوَابًا لِذَلِكَ كَانَ جَوَابًا لِمُثْبِتِي الصِّفَاتِ.

وَإِنْ كَانَ الْمُخَاطَبُ مِنَ الْغُلَاةِ؛ نُفَاةُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، وَقَالَ: لَا أَقُولُ: هُوَ مَوْجُودٌ وَلَا حَيٌّ وَلَا عَلِيمٌ وَلَا قَدِيرٌ؛ بَلْ هَذِهِ الْأَسْمَاءُ لِمَخْلُوقَاتِهِ، أَوْ هِيَ مَجَازٌ؛ لِأَنَّ إِثْبَاتَ ذَلِكَ يَسْتَلْزِمُ التَّشْبِيهَ بِالْمَوْجُودِ الْحَيِّ الْعَلِيمِ الْقَدِيرِ.

**قِيلَ لَهُ**: كَذَلِكَ إِذَا قُلْتَ: لَيْسَ بِمَوْجُودٍ وَلَا حَيٍّ وَلَا عَلِيمٍ وَلَا قَدِيرٍ= كَانَ ذَلِكَ تَشْبِيهًا بِالْمَعْدُومَاتِ، وَذَلِكَ أَقْبَحُ مِنْ التَّشْبِيهِ بِالْمَوْجُودَاتِ.

**فَإِنْ قَالَ**: أَنَا أَنْفِي النَّفْيَ وَالْإِثْبَاتَ.

**قِيلَ لَهُ**: فَيَلْزَمُك التَّشْبِيهُ بِمَا اجْتَمَعَ فِيهِ النَّقِيضَانِ مِنْ الْمُمْتَنِعَاتِ؛ فَإِنَّهُ يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ الشَّيْءُ مَوْجُودًا مَعْدُومًا، أَوْ لَا مَوْجُودًا وَلَا مَعْدُومًا، وَيَمْتَنِعُ أَنْ يُوصَفُ ذَلِكَ بِاجْتِمَاعِ الْوُجُودِ وَالْعَدَمِ، أَوْ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ، أَوْ الْعِلْمِ وَالْجَهْلِ، أَوْ يُوصَفَ بِنَفْيِ الْوُجُودِ وَالْعَدَمِ،



وَنَفْيِ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ، وَنَفْيِ الْعِلْمِ وَالْجَهْلِ.

**فَإِنْ قُلْتَ:** إِنَّمَا يَمْتَنِعُ نَفْيُ النَّقِيضَيْنِ عَمَّا يَكُونُ قَابِلًا لَهُمَا، وَهَذَانِ يَتَقَابَلَانِ تَقَابُلَ الْعَدَمِ وَالْمَلَكَةِ؛ لَا تَقَابُلَ السَّلْبِ وَالْإِيجَابِ؛ فَإِنَّ الْجِدَارَ لَا يُقَالُ لَهُ: أَعْمَىٰ وَلَا بَصِيرٌ، وَلَا حَيٌّ وَلَا مَيِّتٌ؛ إِذْ لَيْسَ بِقَابِلٍ لَهُمَا.

**قِيلَ لَكَ:** أَوَّلًا هَذَا لَا يَصِحُّ فِي الْوُجُودِ وَالْعَدَمِ، فَإِنَّهُمَا مُتَقَابِلَانِ تَقَابُلَ السَّلْبِ وَالْإِيجَابِ بِاتِّفَاقِ الْعُقَلَاءِ؛ فَيَلْزَمُ مِنْ رَفْعِ أَحَدِهِمَا ثُبُوتُ الْآخَرِ.

وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَهُ مِنَ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ وَالْعِلْمِ وَالْجَهْلِ: فَهَذَا اصْطِلَاحٌ اصْطَلَحَتْ عَلَيْهِ الْمُتَفَلْسِفَةُ الْمَشَّاؤُونَ، وَالِاصْطِلَاحَاتُ اللَّفْظِيَّةُ لَيْسَتْ دَلِيلًا عَلَىٰ نَفْيِ الْحَقَائِقِ الْعَقْلِيَّةِ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۝٢٠ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ۝٢١﴾ [النحل]، فَسَمَّىٰ الْجَمَادَ مَيِّتًا، وَهَذَا مَشْهُورٌ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ.

**وَقِيلَ لَكَ: ثَانِيًا:** فَمَا لَا يَقْبَلُ الِاتِّصَافَ بِالْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ وَالْعَمَىٰ وَالْبَصَرِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الْمُتَقَابِلَاتِ أَنْقَصُ مِمَّا يَقْبَلُ ذَلِكَ - فَالْأَعْمَىٰ الَّذِي يَقْبَلُ الِاتِّصَافَ بِالْبَصَرِ أَكْمَلُ مِنَ الْجَمَادِ الَّذِي لَا يَقْبَلُ وَاحِدًا مِنْهُمَا، فَأَنْتَ فَرَرْتَ مِنْ تَشْبِيهِهِ بِالْحَيَوَانَاتِ الْقَابِلَةِ لِصِفَاتِ الْكَمَالِ، وَوَصَفْتَهُ بِصِفَاتِ الْجَامِدَاتِ الَّتِي لَا تَقْبَلُ ذَلِكَ.

وَأَيْضًا فَمَا لَا يَقْبَلُ الْوُجُودَ وَالْعَدَمَ: أَعْظَمُ امْتِنَاعًا مِنَ الْقَابِلِ لِلْوُجُودِ وَالْعَدَمِ؛ بَلْ وَمِنِ اجْتِمَاعِ الْوُجُودِ وَالْعَدَمِ وَنَفْيِهِمَا جَمِيعًا، فَمَا نَفَيْتَ عَنْهُ قَبُولَ الْوُجُودِ وَالْعَدَمِ كَانَ أَعْظَمَ امْتِنَاعًا مِمَّا نَفَيْتَ عَنْهُ الْوُجُودَ وَالْعَدَمَ، وَإِذَا كَانَ هَذَا مُمْتَنِعًا فِي صَرَائِحِ الْعُقُولِ فَذَاكَ أَعْظَمُ امْتِنَاعًا؛ فَجَعَلْتَ الْوُجُودَ الْوَاجِبَ الَّذِي لَا يَقْبَلُ الْعَدَمَ هُوَ أَعْظَمُ الْمُمْتَنِعَاتِ. وَهَذَا غَايَةُ التَّنَاقُضِ وَالْفَسَادِ.

**وَهَؤُلَاءِ الْبَاطِنِيَّةُ:**

مِنْهُمْ مَنْ يُصَرِّحُ بِرَفْعِ النَّقِيضَيْنِ: الْوُجُودِ وَالْعَدَمِ؛ وَرَفْعُهُمَا كَجَمْعِهِمَا.

وَمِنْهُم مَنْ يَقُولُ: لَا أُثْبِتُ وَاحِدًا مِنْهُمَا، وَامْتِنَاعُهُ عَنْ إِثْبَاتِ أَحَدِهِمَا فِي نَفْسِ الْأَمْرِ لَا يَمْنَعُ تَحَقُّقَ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِي نَفْسِ الْأَمْرِ، وَإِنَّمَا هُوَ كَجَهْلِ الْجَاهِلِ، وَسُكُوتِ السَّاكِتِ الَّذِي



لَا يُعَبِّرُ عَنِ الْحَقَائِقِ.

وَإِذَا كَانَ مَا لَا يَقْبَلُ الْوُجُودَ وَلَا الْعَدَمَ أَعْظَمَ امْتِنَاعًا مِمَّا يُقَدَّرُ قَبُولُهُ لَهُمَا - مَعَ نَفْيِهِمَا عَنْهُ - فَمَا يُقَدَّرُ لَا يَقْبَلُ الْحَيَاةَ وَلَا الْمَوْتَ، وَلَا الْعِلْمَ وَلَا الْجَهْلَ، وَلَا الْقُدْرَةَ وَلَا الْعَجْزَ، وَلَا الْكَلَامَ وَلَا الْخَرَسَ، وَلَا الْعَمَىٰ وَلَا الْبَصَرَ وَلَا السَّمْعَ وَلَا الصَّمَمَ= أَقْرَبُ إِلَىٰ الْمَعْدُومِ الْمُمْتَنِعِ مِمَّا يُقَدَّرُ قَابِلًا لَهُمَا - مَعَ نَفْيِهِمَا عَنْهُ.

وَحِينَئِذٍ فَنَفْيُهُمَا مَعَ كَوْنِهِ قَابِلًا لَهُمَا أَقْرَبُ إِلَىٰ الْوُجُودِ وَالْمُمْكِنِ، وَمَا جَازَ لِوَاجِبِ الْوُجُودِ - قَابِلًا - وَجَبَ لَهُ؛ لِعَدَمِ تَوَقُّفِ صِفَاتِهِ عَلَىٰ غَيْرِهِ؛ فَإِذَا جَازَ الْقَبُولُ وَجَبَ؛ وَإِذَا جَازَ وُجُودُ الْقَبُولِ وَجَبَ.

وَقَدْ بُسِطَ هَذَا فِي مَوْضِعٍ آخَرَ، وَبُيِّنَ وُجُوبُ اتِّصَافِهِ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ الَّتِي لَا نَقْصَ فِيهَا بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ.

**وَقِيلَ لَهُ أَيْضًا**: اتِّفَاقُ الْمُسَمَّيَيْنِ فِي بَعْضِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ: لَيْسَ هُوَ التَّشْبِيهُ وَالتَّمْثِيلُ الَّذِي نَفَتْهُ الْأَدِلَّةُ السَّمْعِيَّاتُ وَالْعَقْلِيَّاتُ، وَإِنَّمَا نَفَتْ مَا يَسْتَلْزِمُ اشْتِرَاكَهُمَا فِيمَا يَخْتَصُّ بِهِ الْخَالِقُ، مِمَّا يَخْتَصُّ بِوُجُوبِهِ أَوْ جَوَازِهِ أَوِ امْتِنَاعِهِ؛ فَلَا يَجُوزُ أَنْ يَشْرَكَهُ فِيهِ مَخْلُوقٌ، وَلَا يَشْرَكَهُ مَخْلُوقٌ فِي شَيْءٍ مِنْ خَصَائِصِهِ ﷻ.

**وَأَمَّا مَا نَفَيْتَهُ**: فَهُوَ ثَابِتٌ بِالشَّرْعِ وَالْعَقْلِ، وَتَسْمِيَتُكَ ذَلِكَ تَشْبِيهًا وَتَجْسِيمًا تَمْوِيهٌ عَلَىٰ الْجُهَّالِ؛ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّ كُلَّ مَعْنًىٰ سَمَّاهُ مُسَمٍّ بِهَذَا الِاسْمِ يَجِبُ نَفْيُهُ؛ وَلَوْ سَاغَ هَذَا لَكَانَ كُلُّ مُبْطِلٍ يُسَمِّي الْحَقَّ بِأَسْمَاءَ يَنْفِرُ عَنْهَا بَعْضُ النَّاسِ؛ لِيُكَذِّبَ النَّاسُ بِالْحَقِّ الْمَعْلُومِ بِالسَّمْعِ وَالْعَقْلِ.

**وَبِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ**: أَفْسَدَتِ الْمَلَاحِدَةُ عَلَىٰ طَوَائِفَ مِنَ النَّاسِ عَقْلَهُمْ وَدِينَهُمْ حَتَّىٰ أَخْرَجُوهُمْ إِلَىٰ أَعْظَمِ الْكُفْرِ وَالْجَهَالَةِ، وَأَبْلَغِ الْغَيِّ وَالضَّلَالَةِ.

وَإِنْ قَالَ نُفَاةُ الصِّفَاتِ: إِثْبَاتُ الْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ وَالْإِرَادَةِ مُسْتَلْزِمٌ تَعَدُّدَ الصِّفَاتِ، وَهَذَا تَرْكِيبٌ مُمْتَنِعٌ.

قِيلَ: وَإِذَا قُلْتُمْ: هُوَ مَوْجُودٌ وَاجِبٌ، وَعَقْلٌ وَعَاقِلٌ وَمَعْقُولٌ، وَعَاشِقٌ وَمَعْشُوقٌ، وَلَذِيذٌ وَمُلْتَذٌّ وَلَذَّةٌ. أَفَلَيْسَ الْمَفْهُومُ مِنْ هَذَا هُوَ الْمَفْهُومُ مِنْ هَذَا؟ فَهَذِهِ مَعَانٍ مُتَعَدِّدَةٌ مُتَغَايِرَةٌ فِي الْعَقْلِ، وَهَذَا تَرْكِيبٌ عِنْدَكُمْ، وَأَنْتُمْ تُثْبِتُونَهُ وَتُسَمُّونَهُ تَوْحِيدًا.



**فَإِنْ قَالُوا**: هَذَا تَوْحِيدٌ فِي الْحَقِيقَةِ، وَلَيْسَ هَذَا تَرْكِيبًا مُمْتَنِعًا.

**قِيلَ لَهُمْ**: وَاتِّصَافُ الذَّاتِ بِالصِّفَاتِ اللَّازِمَةِ لَهَا تَوْحِيدٌ فِي الْحَقِيقَةِ وَلَيْسَ هُوَ تَرْكِيبًا مُمْتَنِعًا.

وَذَلِكَ أَنَّهُ مِنَ الْمَعْلُومِ بِصَرِيحِ الْمَعْقُولِ أَنَّهُ لَيْسَ مَعْنَىٰ كَوْنِ الشَّيْءِ عَالِمًا هُوَ مَعْنَىٰ كَوْنِهِ قَادِرًا، وَلَا نَفْسُ ذَاتِهِ هُوَ نَفْسُ كَوْنِهِ عَالِمًا قَادِرًا؛ فَمَنْ جَوَّزَ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الصِّفَةُ هِيَ الْأُخْرَىٰ، وأَنْ تَكُونَ الصِّفَةُ هِيَ الْمَوْصُوفُ؛ فَهُوَ: مِنْ أَعْظَمِ النَّاسِ سَفْسَطَةً.

ثُمَّ إِنَّهُ مُتَنَاقِضٌ؛ فَإِنَّهُ إِنْ جَوَّزَ ذَلِكَ جَازَ أَنْ يَكُونَ وُجُودُ هَذَا هُوَ وُجُودُ هَذَا، فَيَكُونُ الْوُجُودُ وَاحِدًا بِالْعَيْنِ لَا بِالنَّوْعِ.

وَحِينَئِذٍ فَإِذَا كَانَ وُجُودُ الْمُمْكِنِ هُوَ وُجُودَ الْوَاجِبِ؛ كَانَ وُجُودُ كُلِّ مَخْلُوقٍ يُعْدَمُ بِعَدَمِ وُجُودِهِ، وَيُوجَدُ بَعْدَ عَدَمِهِ؛ هُوَ: نَفْسُ وُجُودِ الْحَقِّ الْقَدِيمِ الدَّائِمِ الْبَاقِي الَّذِي لَا يَقْبَلُ الْعَدَمَ.

وَإِذَا قُدِّرَ هَذَا؛ كَانَ الْوُجُودُ الْوَاجِبُ مَوْصُوفًا بِكُلِّ تَشْبِيهٍ وَتَجْسِيمٍ، وَكُلِّ نَقْصٍ وَكُلِّ عَيْبٍ؛ كَمَا يُصَرِّحُ بِذَلِكَ أَهْلُ وَحْدَةِ الْوُجُودِ الَّذِينَ طَرَدُوا هَذَا الْأَصْلَ الْفَاسِدَ، وَحِينَئِذٍ فَتَكُونُ أَقْوَالُ نُفَاةُ الصِّفَاتِ بَاطِلَةً عَلَىٰ كُلِّ تَقْدِيرٍ.

وَهَذَا بَابٌ مُطَّرِدٌ؛ فَإِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ النُّفَاةِ لِمَا أَخْبَرَ بِهِ الرَّسُولُ مِنَ الصِّفَاتِ: لَا يَنْفِي شَيْئًا فِرَارًا مِمَّا هُوَ مَحْذُورٌ، إِلَّا وَقَدْ أَثْبَتَ مَا يَلْزَمُهُ فِيهِ نَظِيرُ مَا فَرَّ مِنْهُ، فَلَا بُدَّ فِي آخِرِ الْأَمْرِ مِنْ أَنْ يُثْبِتَ مَوْجُودًا وَاجِبًا قَدِيمًا مُتَّصِفًا بِصِفَاتٍ تُمَيِّزُهُ عَنْ غَيْرِهِ، وَلَا يَكُونُ فِيهَا مُمَاثِلًا لِخَلْقِهِ.

**فَيُقَالُ لَهُ**: وَهَكَذَا الْقَوْلُ فِي جَمِيعِ الصِّفَاتِ، وَكُلُّ مَا نُثْبِتُهُ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ: فَلَا بُدَّ أَنْ يَدُلَّ عَلَىٰ قَدْرٍ مُشْتَرِكٍ تَتَوَاطَأُ فِيهِ الْمُسَمَّيَاتُ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمَا فُهِمَ الْخِطَابُ؛ وَلَكِنْ نَعْلَمُ أَنَّ مَا اخْتَصَّ اللهُ بِهِ وَامْتَازَ عَنْ خَلْقِهِ: أَعْظَمُ مِمَّا يَخْطُرُ بِالْبَالِ أَوْ يَدُورُ فِي الْخَيَالِ.

**وَهَذَا يَتَبَيَّنُ بِالْأَصْلِ الثَّانِي**؛ وَهُوَ أَنْ يُقَالَ: **الْقَوْلُ فِي الصِّفَاتِ كَالْقَوْلِ فِي الذَّاتِ**، فَإِنَّ اللهَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ؛ لَا فِي ذَاتِهِ، وَلَا فِي صِفَاتِهِ، وَلَا فِي أَفْعَالِهِ. فَإِذَا كَانَ لَهُ ذَاتٌ حَقِيقَةً لَا تُمَاثِلُ الذَّوَاتَ. فَالذَّاتُ مُتَّصِفَةٌ بِصِفَاتٍ حَقِيقَةً لَا تُمَاثِلُ صِّفَاتِ سَائِرِ الذَّوَاتِ.

**فَإِذَا قَالَ السَّائِلُ**: كَيْفَ اسْتَوَىٰ عَلَىٰ الْعَرْشِ؟ قِيلَ لَهُ كَمَا قَالَ رَبِيعَةُ وَمَالِكٌ وَغَيْرُهُمَا: الِاسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ، وَالْكَيْفُ مَجْهُولٌ، وَالْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ وَالسُّؤَالُ عَنِ الْكَيْفِيَّةِ بِدْعَةٌ.

لِأَنَّهُ سُؤَالٌ عَمَّا لَا يَعْلَمُهُ الْبَشَرُ، وَلَا يُمْكِنُهُمُ الْإِجَابَةُ عَنْهُ.



**وَكَذَلِكَ إِذَا قَالَ**: كَيْفَ يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا؟

**قِيلَ لَهُ**: كَيْفَ هُوَ؟

**فَإِذَا قَالَ**: لَا أَعْلَمُ كَيْفِيَّتَهُ.

**قِيلَ لَهُ**: وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ كَيْفِيَّةَ نُزُولِهِ إِذْ الْعِلْمُ بِكَيْفِيَّةِ الصِّفَةِ يَسْتَلْزِمُ الْعِلْمَ بِكَيْفِيَّةِ الْمَوْصُوفِ؛ وَهُوَ فَرْعٌ لَهُ وَتَابِعٌ لَهُ.

فَكَيْفَ تُطَالِبُنِي بِالْعِلْمِ بِكَيْفِيَّةِ سَمْعِهِ وَبَصَرِهِ وَتَكْلِيمِهِ وَنُزُولِهِ وَاسْتِوَائِهِ، وَأَنْتَ لَا تَعْلَمُ كَيْفِيَّةَ ذَاتِهِ.

وَإِذَا كُنْت تُقِرُّ بِأَنَّ لَهُ ذَاتًا حَقِيقَةً ثَابِتَةً فِي نَفْسِ الْأَمْرِ، مُسْتَوْجِبَةً لِصِفَاتِ الْكَمَالِ، لَا يُمَاثِلُهَا شَيْءٌ؛ فَسَمْعُهُ وَبَصَرُهُ وَكَلَامُهُ وَنُزُولُهُ وَاسْتِوَاؤُهُ ثَابِتٌ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ، وَهُوَ مُتَّصِفٌ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ الَّتِي لَا يُشَابِهُهُ فِيهَا سَمْعُ الْمَخْلُوقِينَ وَبَصَرُهُمْ، وَكَلَامُهُمْ وَنُزُولُهُمْ وَاسْتِوَاؤُهُمْ.

وَهَذَا الْكَلَامُ لَازِمٌ لَهُمْ فِي الْعَقْلِيَّاتِ وَفِي تَأْوِيلِ السَّمْعِيَّاتِ: فَإِنَّ مَنْ أَثْبَتَ شَيْئًا وَنَفَىٰ شَيْئًا بِالْعَقْلِ إِذَا أُلْزِمَ فِيمَا نَفَاهُ مِنْ الصِّفَاتِ الَّتِي جَاءَ بِهَا الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ نَظِيرُ مَا يَلْزَمُهُ فِيمَا أَثْبَتَهُ، وَلَوْ طُولِبَ بِالْفَرْقِ بَيْنَ الْمَحْذُورِ فِي هَذَا وَهَذَا= لَمْ يَجِدْ بَيْنَهُمَا فَرْقًا.

وَلِهَذَا لَا يُوجَدُ لِنُفَاةِ بَعْضِ الصِّفَاتِ دُونَ بَعْضٍ؛ الَّذِينَ يُوجِبُونَ فِيمَا نَفَوْهُ: إمَّا التَّفْوِيضَ، وَإِمَّا التَّأْوِيلَ الْمُخَالِفَ لِمُقْتَضَىٰ اللَّفْظِ = قَانُونٌ مُسْتَقِيمٌ.

**فَإِذَا قِيلَ لَهُمْ**: لِمَ تَأَوَّلْتُمْ هَذَا، وَأَقْرَرْتُمْ هَذَا، وَالسُّؤَالُ فِيهِمَا وَاحِدٌ؟ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَوَابٌ صَحِيحٌ؛ فَهَذَا تَنَاقُضُهُمْ فِي النَّفْيِ.

وَكَذَلِكَ تَنَاقُضُهُمْ فِي الْإِثْبَاتِ؛ فَإِنَّ مَنْ تَأَوَّلَ النُّصُوصَ عَلَىٰ مَعْنًىٰ مِنَ الْمَعَانِي الَّتِي يُثْبِتُهَا فَإِنَّهُمْ إِذَا صَرَفُوا النَّصَّ عَنِ الْمَعْنَىٰ الَّذِي هُوَ مُقْتَضَاهُ إِلَىٰ مَعْنًىٰ آخَرَ: لَزِمَهُمْ فِي الْمَعْنَىٰ الْمَصْرُوفِ إِلَيْهِ مَا كَانَ يَلْزَمُهُمْ فِي الْمَعْنَىٰ الْمَصْرُوفِ عَنْهُ.

**فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ**: تَأْوِيلُ مَحَبَّتِهِ وَرِضَاهُ وَغَضَبِهِ وَسَخَطِهِ؛ هُوَ: إِرَادَتُهُ لِلثَّوَابِ وَالْعِقَابِ؛ كَانَ مَا يَلْزَمُهُ فِي الْإِرَادَةِ نَظِيرَ مَا يَلْزَمُهُ فِي الْحُبِّ وَالْمَقْتِ وَالرِّضَا وَالسَّخَطِ، وَلَوْ فَسَّرَ ذَلِكَ بِمَفْعُولَاتِهِ وَهُوَ مَا يَخْلُقُهُ مِنَ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ؛ فَإِنَّهُ يَلْزَمُهُ فِي ذَلِكَ نَظِيرُ مَا فَرَّ مِنْهُ.

فَإِنَّ الْفِعْلَ لَا بُدَّ أَنْ يَقُومَ أَوَّلًا بِالْفَاعِلِ، وَالثَّوَابُ وَالْعِقَابُ الْمَفْعُولُ إِنَّمَا يَكُونُ عَلَىٰ فِعْلٍ



مَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ وَيَسْخَطُهُ وَيُبْغِضُهُ الْمُثِيبُ الْمُعَاقِبُ، فَهُمْ إِنْ أَثْبَتُوا الْفِعْلَ عَلَىٰ مِثْلِ الْوَجْهِ الْمَعْقُولِ فِي الشَّاهِدِ لِلْعَبْدِ مَثَّلُوا، وَإِنْ أَثْبَتُوهُ عَلَىٰ خِلَافِ ذَلِكَ؛ فَكَذَلِكَ سائر الصِّفَاتُ.

## فصلٌ

**وَأَمَّا الْمَثَلَانِ الْمَضْرُوبَانِ:**

فَإِنَّ اللهَ ﷻ أَخْبَرَنَا عَمَّا فِي الْجَنَّةِ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ: مِنْ أَصْنَافِ الْمَطَاعِمِ وَالْمَلَابِسِ وَالْمَنَاكِحِ وَالْمَسَاكِنِ؛ فَأَخْبَرَنَا أَنَّ فِيهَا لَبَنًا وَعَسَلًا وَخَمْرًا وَمَاءً وَلَحْمًا وَفَاكِهَةً وَحَرِيرًا وَذَهَبًا وَفِضَّةً وَحُورًا وَقُصُورًا.

وَقَدْ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما لَيْسَ فِي الدُّنْيَا شَيْءٌ مِمَّا فِي الْجَنَّةِ إِلَّا الْأَسْمَاءَ.

فَإِذَا كَانَتْ تِلْكَ الْحَقَائِقُ الَّتِي أَخْبَرَ اللهُ عَنْهَا هِيَ مُوَافِقَةٌ فِي الْأَسْمَاءِ لِلْحَقَائِقِ الْمَوْجُودَةِ فِي الدُّنْيَا وَلَيْسَتْ مُمَاثِلَةً لَهَا؛ بَلْ بَيْنَهُمَا مِنَ التَّبَايُنِ مَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ تَعَالَىٰ: **فَالْخَالِقُ ﷻ أَعْظَمُ مُبَايَنَةً لِلْمَخْلُوقَاتِ مِنْ مُبَايَنَةَ الْمَخْلُوقِ لِلْمَخْلُوقِ.**

وَمُبَايَنَتُهُ لِمَخْلُوقَاتِهِ أَعْظَمُ مِنْ مُبَايَنَةِ مَوْجُودِ الْآخِرَةِ لِمَوْجُودِ الدُّنْيَا، إِذِ الْمَخْلُوقُ أَقْرَبُ إِلَىٰ الْمَخْلُوقِ الْمُوَافِقُ لَهُ فِي الِاسْمِ مِنَ الْخَالِقِ إِلَىٰ الْمَخْلُوقِ. وَهَذَا بَيِّنٌ وَاضِحٌ.

وَلِهَذَا افْتَرَقَ النَّاسُ فِي هَذَا الْمَقَامِ ثَلَاثَ فِرَقٍ:

**فَالسَّلَفُ وَالْأَئِمَّةُ وَأَتْبَاعُهُمْ:** آمَنُوا بِمَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ، وَعَنْ الْيَوْمِ الْآخِرِ، مَعَ عِلْمِهِمْ بِالْمُبَايَنَةِ الَّتِي بَيْنَ مَا فِي الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا فِي الْآخِرَةِ، وَأَنَّ مُبَايَنَةَ اللهِ لِخَلْقِهِ أَعْظَمُ.

**وَالْفَرِيقُ الثَّانِي:** الَّذِينَ أَثْبَتُوا مَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ فِي الْآخِرَةِ مِنْ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، وَنَفَوْا كَثِيرًا مِمَّا أَخْبَرَ بِهِ مِنْ الصِّفَاتِ؛ مِثْلَ طَوَائِفَ مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ: [الْمُعْتَزِلَةُ] وَمَنْ وَافَقَهُمْ.

**وَالْفَرِيقُ الثَّالِثُ:** نَفَوْا هَذَا وَهَذَا، كَالْقَرَامِطَةِ الْبَاطِنِيَّةِ وَالْفَلَاسِفَةِ أَتْبَاعِ الْمَشَّائِينَ، وَنَحْوِهِمْ مِنْ الْمَلَاحِدَةِ الَّذِينَ يُنْكِرُونَ حَقَائِقَ مَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ وَعَنْ الْيَوْمِ الْآخِرِ.

ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ يَجْعَلُونَ الْأَمْرَ وَالنَّهْيَ مِنْ هَذَا الْبَابِ؛ فَيَجْعَلُونَ الشَّرَائِعَ الْمَأْمُورَ بِهَا، وَالْمَحْظُورَاتِ الْمَنْهِيَّ عَنْهَا، لَهَا تَأْوِيلَاتٌ بَاطِنَةٌ تُخَالِفُ مَا يَعْرِفُهُ الْمُسْلِمُونَ مِنْهَا، كَمَا يَتَأَوَّلُونَ مِنْ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، وَصِيَامِ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، فَيَقُولُونَ: إِنَّ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ مَعْرِفَةُ أَسْرَارِهِمْ، وَإِنَّ صِيَامَ رَمَضَانَ كِتْمَانُ أَسْرَارِهِمْ، وَإِنَّ حَجَّ الْبَيْتِ السَّفَرُ إِلَىٰ



شُيُوخِهِمْ، وَنَحْوُ ذَلِكَ مِنْ التَّأْوِيلَاتِ الَّتِي يُعْلَمُ بِالِاضْطِرَارِ أَنَّهَا كَذِبٌ وَافْتِرَاءٌ عَلَىٰ الرُّسُلِ - صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ - وَتَحْرِيفٌ لِكَلَامِ اللهِ وَرَسُولِهِ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَإِلْحَادٌ فِي آيَاتِ اللهِ.

وَقَدْ يَقُولُونَ: الشَّرَائِعُ تَلْزَمُ الْعَامَّةَ دُونَ الْخَاصَّةِ فَإِذَا صَارَ الرَّجُلُ مِنْ عَارِفِيهِمْ وَمُحَقِّقِيهِمْ وَمُوَحِّدِيهِمْ رَفَعُوا عَنْهُ الْوَاجِبَاتِ، وَأَبَاحُوا لَهُ الْمَحْظُورَاتِ.

وَقَدْ يَدْخُلُ فِي الْمُنْتَسِبِينَ إِلَىٰ التَّصَوُّفِ وَالسُّلُوكِ مَنْ يَدْخُلُ فِي بَعْضِ هَذِهِ الْمَذَاهِبِ.

وَهَؤُلَاءِ الْبَاطِنِيَّةُ: هُمْ الْمَلَاحِدَةُ الَّذِينَ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَىٰ أَنَّهُمْ أَكْفَرُ مِنْ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ.

وَمَا يَحْتَجُّ بِهِ عَلَىٰ الْمَلَاحِدَةِ أَهْلُ الْإِيمَانِ وَالْإِثْبَاتِ: يَحْتَجُّ بِهِ كُلُّ مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ وَالْإِثْبَاتِ عَلَىٰ مَنْ يَشْرَكُ هَؤُلَاءِ فِي بَعْضِ إِلْحَادِهِمْ فَإِذَا أَثْبَتَ لِلَّهِ تَعَالَىٰ الصِّفَاتِ وَنَفَىٰ عَنْهُ مُمَاثَلَةَ الْمَخْلُوقَاتِ - كَمَا دَلَّ عَلَىٰ ذَلِكَ الْآيَاتُ الْبَيِّنَاتُ - كَانَ ذَلِكَ هُوَ الْحَقَّ الَّذِي يُوَافِقُ الْمَعْقُولَ وَالْمَنْقُولَ، وَيَهْدِمُ أَسَاسَ الْإِلْحَادِ وَالضَّلَالَاتِ.

وَاللهُ ﷻ لَا تُضْرَبُ لَهُ الْأَمْثَالُ الَّتِي فِيهَا مُمَاثَلَةٌ لِخَلْقِهِ، فَإِنَّ اللهَ لَا مِثْلَ لَهُ؛ بَلْ لَهُ «**الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ**»، فَلَا يَجُوزُ أَنْ يَشْتَرِكَ هُوَ وَالْمَخْلُوقَاتُ فِي قِيَاسِ تَمْثِيلٍ، وَلَا فِي قِيَاسِ شُمُولٍ تَسْتَوِي أَفْرَادُهُ، وَلَكِنْ يُسْتَعْمَلُ فِي حَقِّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ أَنَّ كُلَّ مَا اتَّصَفَ بِهِ الْمَخْلُوقُ مِنْ كَمَالٍ فَالْخَالِقُ أَوْلَىٰ بِهِ، وَكُلَّ مَا تَنَزَّهَ عَنْهُ الْمَخْلُوقُ مِنْ نَقْصٍ فَالْخَالِقُ أَوْلَىٰ بِالتَّنْزِيهِ عَنْهُ، فَإِذَا كَانَ الْمَخْلُوقُ مُنَزَّهًا عَنْ مُمَاثَلَةِ الْمَخْلُوقِ مَعَ الْمُوَافَقَةِ فِي الِاسْمِ، فَالْخَالِقُ أَوْلَىٰ أَنْ يُنَزَّهَ عَنْ مُمَاثَلَةِ الْمَخْلُوقِ، وَإِنْ حَصَلَتْ مُوَافَقَةٌ فِي الِاسْمِ.

وَهَكَذَا الْقَوْلُ فِي الْمَثَلِ الثَّانِي. وَهُوَ الرُّوحُ الَّتِي فِينَا، فَإِنَّهَا قَدْ وُصِفَتْ بِصِفَاتٍ ثُبُوتِيَّةٍ وَسَلْبِيَّةٍ، وَقَدْ أَخْبَرَتْ النُّصُوصُ أَنَّهَا تَعْرُجُ وَتَصْعَدُ مِنْ سَمَاءٍ إِلَىٰ سَمَاءٍ، وَأَنَّهَا تُقْبَضُ مِنْ الْبَدَنِ، وَتُسَلُّ مِنْهُ كَمَا تُسَلُّ الشَّعْرَةُ مِنْ الْعَجِينِ.

**وَالنَّاسُ مُضْطَرِبُونَ فِيهَا:**

فَمِنْهُمْ طَوَائِفُ مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ يَجْعَلُونَهَا جُزْءًا مِنْ الْبَدَنِ، أَوْ صِفَةً مِنْ صِفَاتِهِ، كَقَوْلِ بَعْضِهِمْ: أَنَّهَا النَّفْسُ أَوْ الرِّيحُ الَّتِي تَتَرَدَّدُ فِي الْبَدَنِ، وَقَوْلُ بَعْضِهِمْ: إِنْهَا الْحَيَاةُ، أَوِ الْمِزَاجُ، أَو نَفَسُ الْبَدَنِ.

وَمِنْهُمْ طَوَائِفُ مِنْ أَهْلِ الْفَلْسَفَةِ يَصِفُونَهَا بِمَا يَصِفُونَ بِهِ وَاجِبَ الْوُجُودِ عِنْدَهُمْ، وَهِيَ



أُمُورٌ لَا يَتَّصِفُ بِهَا إِلَّا مُمْتَنِعُ الْوُجُودِ، فَيَقُولُونَ: لَا هِيَ دَاخِلَ الْبَدَنِ وَلَا خَارِجَه وَلَا مُبَايِنَةٌ لَهُ وَلَا مُدَاخِلَةٌ لَهُ، وَلَا مُتَحَرِّكَةٌ وَلَا سَاكِنَةٌ، وَلَا تَصْعَدُ وَلَا تَهْبِطُ، وَلَا هِيَ جِسْمٌ وَلَا عَرَضٌ.

وَقَدْ يَقُولُونَ: إِنَّهَا لَا تُدْرِكُ الْأُمُورَ الْمُعَيَّنَةَ وَالْحَقَائِقَ الْمَوْجُودَةَ فِي الْخَارِجِ وَإِنَّمَا تُدْرِكُ الْأُمُورَ الْكُلِّيَّةَ الْمُطْلَقَةَ.

وَقَدْ يَقُولُونَ: إِنَّهَا لَا دَاخِلَ الْعَالَمِ وَلَا خَارِجَهُ وَلَا مُبَايِنَةٌ لَهُ وَلَا مُدَاخِلَةٌ وَرُبَّمَا قَالُوا لَيْسَتْ دَاخِلَةً فِي أَجْسَامِ الْعَالَمِ وَلَا خَارِجَةً عَنْهَا مَعَ تَفْسِيرِهِمْ لِلْجِسْمِ بِمَا لَا يَقْبَلُ الْإِشَارَةَ الْحِسِّيَّةَ، فَيَصِفُونَهَا بِأَنَّهَا لَا يُمْكِنُ الْإِشَارَةُ إِلَيْهَا وَنَحْوَ ذَلِكَ مِنْ الصِّفَاتِ السَّلْبِيَّةِ الَّتِي تُلْحِقُهَا بِالْمَعْدُومِ وَالْمُمْتَنِعِ.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ: إِثْبَاتُ مِثْلِ هَذَا مُمْتَنِعٌ فِي ضَرُورَةِ الْعَقْلِ.

قَالُوا: بَلْ هَذَا مُمْكِنٌ بِدَلِيلِ أَنَّ الْكُلِّيَّاتِ مُمْكِنَةٌ مَوْجُودَةٌ وَهِيَ غَيْرُ مُشَارٍ إِلَيْهَا.

وَقَدْ غَفَلُوا عَنْ كَوْنِ الْكُلِّيَّاتِ لَا تُوجَدُ كُلِّيَّةً إِلَّا فِي الْأَذْهَانِ لَا فِي الْأَعْيَانِ؛ فَيَعْتَمِدُونَ فِيمَا يَقُولُونَهُ فِي الْمَبْدَإِ وَالْمَعَادِ عَلَىٰ مِثْلِ هَذَا الْخَيَالِ الَّذِي لَا يَخْفَىٰ فَسَادُهُ عَلَىٰ غَالِبِ الْجُهَّالِ.

وَاضْطِرَابُ النُّفَاةِ وَالْمُثْبِتَةِ فِي الرُّوحِ كَثِيرٌ، وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الرُّوحَ - الَّتِي تُسَمَّىٰ بِالنَّفْسِ النَّاطِقَةِ عِنْدَ الْفَلَاسِفَةِ - لَيْسَتْ هِيَ مِنْ جِنْسِ هَذَا الْبَدَنِ، وَلَا مِنْ جِنْسِ الْعَنَاصِرِ وَالْمُوَلَّدَاتِ مِنْهَا؛ بَلْ هِيَ مِنْ جِنْسٍ آخَرَ مُخَالِفٍ لِهَذِهِ الْأَجْنَاسِ، فَصَارَ هَؤُلَاءِ لَا يُعَرِّفُونَهَا إِلَّا بِالسُّلُوبِ الَّتِي تُوجِبُ مُخَالَفَتَهَا لِلْأَجْسَامِ الْمَشْهُودَةِ، وَأُولَئِكَ يَجْعَلُونَهَا مِنْ جِنْسِ الْأَجْسَامِ الْمَشْهُودَةِ، وَكِلَا الْقَوْلَيْنِ خَطَأٌ.

وَإِطْلَاقُ الْقَوْلِ عَلَيْهَا بِأَنَّهَا جِسْمٌ، أَوْ لَيْسَتْ بِجِسْمٍ يَحْتَاجُ إِلَىٰ تَفْصِيلٍ، فَإِنَّ لَفْظَ الْجِسْمِ لِلنَّاسِ فِيهِ أَقْوَالٌ مُتَعَدِّدَةٌ اصْطِلَاحِيَّةٌ غَيْرَ مَعْنَاهُ اللُّغَوِيِّ.

فَأَهْلُ اللُّغَةِ يَقُولُونَ: الْجِسْمُ هُوَ الْجَسَدُ وَالْبَدَنُ. وَبِهَذَا الِاعْتِبَارِ فَالرُّوحُ لَيْسَتْ جِسْمًا؛ وَلِهَذَا يَقُولُونَ: الرُّوحُ وَالْجِسْمُ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ﴾ [المنافقون:٤] وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ﴾ [البقرة:٢٤٧].

وَأَمَّا أَهْلُ الْكَلَامِ: فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: الْجِسْمُ هُوَ الْمَوْجُودُ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: هُوَ الْقَائِمُ



بِنَفْسِهِ.

وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: هُوَ الْمُرَكَّبُ مِنَ الْجَوَاهِرِ الْمُنْفَرِدَةِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: هُوَ الْمُرَكَّبُ مِنَ الْمَادَّةِ وَالصُّورَةِ. وَكُلُّ هَؤُلَاءِ يَقُولُونَ: إِنَّهُ مُشَارٌ إِلَيْهِ إِشَارَةً حِسِّيَّةً.

وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: لَيْسَ بِمُرَكَّبٍ لَا مِنْ هَذَا وَلَا مِنْ هَذَا، بَلْ هُوَ مِمَّا يُشَارُ إِلَيْهِ وَيُقَالُ: إِنَّهُ هُنَا أَوْ هُنَاكَ.

فَعَلَىٰ هَذَا إِذَا كَانَتْ الرُّوحُ مِمَّا يُشَارُ إِلَيْهِ وَيَتْبَعُهُ بَصَرُ الْمَيِّتِ - كَمَا قَالَ ﷺ: «أَنَّ الرُّوحَ إِذَا خَرَجَتْ تَبِعَهَا الْبَصَرُ وَأَنَّهَا تُقْبَضُ وَيُعْرَجُ بِهَا إِلَىٰ السَّمَاءِ» - كَانَتْ الرُّوحُ جِسْمًا بِهَذَا الِاصْطِلَاحِ.

وَالْمَقْصُودُ: أَنَّ الرُّوحَ إِذَا كَانَتْ مَوْجُودَةً حَيَّةً عَالِمَةً قَادِرَةً سَمِيعَةً بَصِيرَةً، تَصْعَدُ وَتَنْزِلُ وَتَذْهَبُ وَتَجِيءُ وَنَحْوَ ذَلِكَ مِنَ الصِّفَاتِ، وَالْعُقُولُ قَاصِرَةٌ عَنْ تَكْيِيفِهَا وَتَحْدِيدِهَا؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يُشَاهِدُوا لَهَا نَظِيرًا، وَالشَّيْءُ إِنَّمَا تُدْرَكُ حَقِيقَتُهُ إِمَّا بِمُشَاهَدَتِهِ أَوْ مُشَاهَدَةِ نَظِيرِهِ، فَإِذَا كَانَتْ الرُّوحُ مُتَّصِفَةً بِهَذِهِ الصِّفَاتِ مَعَ عَدَمِ مُمَاثَلَتِهَا لِمَا يُشَاهَدُ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ فَالْخَالِقُ أَوْلَىٰ بِمُبَايَنَتِهِ لِمَخْلُوقَاتِهِ مَعَ اتِّصَافِهِ بِمَا يَسْتَحِقُّهُ مِنْ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ؛ وَأَهْلُ الْعُقُولِ هُمْ أَعْجَزُ عَنْ أَنْ يَحُدُّوهُ أَوْ يُكَيِّفُوهُ مِنْهُمْ عَنْ أَنْ يَحُدُّوا الرُّوحَ أَوْ يُكَيِّفُوهَا.

فَإِذَا كَانَ مَنْ نَفَىٰ صِفَاتِ الرُّوحِ جَاحِدًا مُعَطِّلًا لَهَا، وَمَنْ مَثَّلَهَا بِمَا يُشَاهِدُهُ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ جَاهِلًا مُمَثِّلًا لَهَا بِغَيْرِ شَكْلِهَا، وَهِيَ مَعَ ذَلِكَ ثَابِتَةٌ بِحَقِيقَةِ الْإِثْبَاتِ، مُسْتَحِقَّةٌ لِمَا لَهَا مِنَ الصِّفَاتِ، فالْخَالِقُ ﷻ أَوْلَىٰ أَنْ يَكُونَ مَنْ نَفَىٰ صِفَاتِهِ جَاحِدًا مُعَطِّلًا، وَمَنْ قَاسَهُ بِخَلْقِهِ جَاهِلًا بِهِ مُمَثِّلًا وَهُوَ سُبْحَانَهُ ثَابِتٌ بِحَقِيقَةِ الْإِثْبَاتِ مُسْتَحِقٌّ لِمَا لَهُ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ.



## فصلٌ

### وَأَمَّا الْخَاتِمَةُ الْجَامِعَةُ فَفِيهَا قَوَاعِدُ نَافِعَةٌ:

الْقَاعِدَةُ الْأُولَىٰ: أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ مَوْصُوفٌ بِالْإِثْبَاتِ وَالنَّفْيِ. فَالْإِثْبَاتُ كَإِخْبَارِهِ أَنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ، وَعَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَنَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ، وَنَحْوُ ذَلِكَ، وَالنَّفْيُ كَقَوْلِهِ: لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ.



وَيَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ النَّفْيَ لَيْسَ فِيهِ مَدْحٌ وَلَا كَمَالٌ، إلَّا إذَا تَضَمَّنَ إثْبَاتًا، وَإِلَّا فَمُجَرَّدُ النَّفْيِ لَيْسَ فِيهِ مَدْحٌ وَلَا كَمَالٌ؛ لِأَنَّ النَّفْيَ الْمَحْضَ عَدَمٌ مَحْضٌ، وَالْعَدَمُ الْمَحْضُ لَيْسَ بِشَيْءٍ وَمَا لَيْسَ بِشَيْءٍ هُوَ كَمَا قِيلَ: لَيْسَ بِشَيْءٍ، فَضْلًا عَنْ أَنْ يَكُونَ مَدْحًا أَوْ كَمَالًا.

وَلِأَنَّ النَّفْيَ الْمَحْضَ يُوصَفُ بِهِ الْمَعْدُومُ وَالْمُمْتَنِعُ، وَالْمَعْدُومُ وَالْمُمْتَنِعُ لَا يُوصَفُ بِمَدْحٍ وَلَا كَمَالٍ.

فَلِهَذَا كَانَ عَامَّةُ مَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ مِنْ النَّفْيِ مُتَضَمِّنًا لِإِثْبَاتِ مَدْحٍ.

كَقَوْلِهِ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾ [البقرة:٢٥٥] إلَى قَوْلِهِ: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ﴾ [البقرة:٢٥٥].

**فَنَفْيُ السِّنَةِ وَالنَّوْمِ:** يَتَضَمَّنُ كَمَالَ الْحَيَاةِ وَالْقِيَامِ، فَهُوَ مُبَيِّنٌ لِكَمَالِ أَنَّهُ الْحَيُّ الْقَيُّومُ.

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ﴾ [البقرة:٢٥٥] أَيْ لَا يُكْرِثُهُ وَلَا يُثْقِلُهُ، وَذَلِكَ مُسْتَلْزِمٌ لِكَمَالِ قُدْرَتِهِ وَتَمَامِهَا. بِخِلَافِ الْمَخْلُوقِ الْقَادِرِ إذَا كَانَ يَقْدِرُ عَلَى الشَّيْءِ بِنَوْعِ كُلْفَةٍ وَمَشَقَّةٍ، فَإِنَّ هَذَا نَقْصٌ فِي قُدْرَتِهِ، وَعَيْبٌ فِي قُوَّتِهِ.

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [سبأ:٣] فَإِنَّ نَفْيَ الْعُزُوبِ مُسْتَلْزِمٌ لِعِلْمِهِ بِكُلِّ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ.

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ ٣٨﴾ [ق] فَإِنَّ نَفْيَ مَسِّ اللُّغُوبِ الَّذِي هُوَ التَّعَبُ وَالْإِعْيَاءُ دَلَّ عَلَى كَمَالِ الْقُدْرَةِ وَنِهَايَةِ الْقُوَّةِ. بِخِلَافِ الْمَخْلُوقِ الَّذِي يَلْحَقُهُ مِنْ النَّصَبِ وَالْكَلَالِ مَا يَلْحَقُهُ.

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [الأنعام:١٠٣]، إنَّمَا نَفَى الْإِدْرَاكَ الَّذِي هُوَ الْإِحَاطَةُ، كَمَا قَالَهُ أَكْثَرُ الْعُلَمَاءِ. وَلَمْ يَنْفِ مُجَرَّدَ الرُّؤْيَةِ؛ لِأَنَّ الْمَعْدُومَ لَا يُرَى وَلَيْسَ فِي كَوْنِهِ لَا يُرَى مَدْحٌ؛ إذْ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَكَانَ الْمَعْدُومُ مَمْدُوحًا، وَإِنَّمَا الْمَدْحُ فِي كَوْنِهِ لَا يُحَاطُ بِهِ وَإِنْ رُئِيَ، كَمَا أَنَّهُ لَا يُحَاطُ بِهِ وَإِنْ عُلِمَ، فَكَمَا أَنَّهُ إذَا عُلِمَ لَا يُحَاطُ بِهِ عِلْمًا: فَكَذَلِكَ إذَا رُئِيَ لَا يُحَاطُ بِهِ رُؤْيَةً.

فَكَانَ فِي نَفْيِ الْإِدْرَاكِ مِنْ إثْبَاتِ عَظَمَتِهِ مَا يَكُونُ مَدْحًا وَصِفَةَ كَمَالٍ وَكَانَ ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَى إثْبَاتِ الرُّؤْيَةِ لَا عَلَى نَفْيِهَا لَكِنَّهُ دَلِيلٌ عَلَى إثْبَاتِ الرُّؤْيَةِ مَعَ عَدَمِ الْإِحَاطَةِ، وَهَذَا هُوَ الْحَقُّ الَّذِي اتَّفَقَ عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّتُهَا.



**وَإِذَا تَأَمَّلْت ذَلِكَ**: وَجَدْت كُلَّ نَفْيٍ لَا يَسْتَلْزِمُ ثُبُوتًا هُوَ مِمَّا لَمْ يَصِفْ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ فَالَّذِينَ لَا يَصِفُونَهُ إلَّا بِالسُّلُوبِ لَمْ يُثْبِتُوا فِي الْحَقِيقَةِ إلَهًا مَحْمُودًا؛ بَلْ وَلَا مَوْجُودًا.

وَكَذَلِكَ مَنْ شَارَكَهُمْ فِي بَعْضِ ذَلِكَ كَالَّذِينَ قَالُوا لَا يَتَكَلَّمُ، أَوْ لَا يَرَىٰ، أَوْ لَيْسَ فَوْقَ الْعَالَمِ، أَوْ لَمْ يَسْتَوِ عَلَىٰ الْعَرْشِ، **وَيَقُولُونَ**: لَيْسَ بِدَاخِلِ الْعَالَمِ وَلَا خَارِجَهُ وَلَا مُبَايِنٍ لِلْعَالَمِ وَلَا محايثٍ لَهُ؛ إذْ هَذِهِ الصِّفَاتُ يُمْكِنُ أَنْ يُوصَفَ بِهَا الْمَعْدُومُ وَلَيْسَتْ هِيَ مُسْتَلْزِمَةً صِفَةَ ثُبُوتٍ، وَلِهَذَا «**قَالَ مَحْمُودُ بْنُ سبكتكين**» لِمَنْ ادَّعَىٰ ذَلِكَ فِي الْخَالِقِ: مَيِّزْ لَنَا بَيْنَ هَذَا الرَّبِّ الَّذِي تُثْبِتُهُ وَبَيْنَ الْمَعْدُوم.

وَكَذَلِكَ كَوْنُهُ لَا يَتَكَلَّمُ، أَوْ لَا يَنْزِلُ، لَيْسَ فِي ذَلِكَ صِفَةُ مَدْحٍ وَلَا كَمَالٍ؛ بَلْ هَذِهِ الصِّفَاتُ فِيهَا تَشْبِيهٌ لَهُ بِالْمَنْقُوصَاتِ أَوْ الْمَعْدُومَاتِ، فَهَذِهِ الصِّفَاتُ: مِنْهَا مَا لَا يَتَّصِفُ بِهِ إلَّا الْمَعْدُومُ وَمِنْهَا مَا لَا يَتَّصِفُ بِهِ إلَّا الْجَمَادُ أَوالنَّاقِصُ.

**فَمَنْ قَالَ**: لَا هُوَ مُبَايِنٌ لِلْعَالَمِ وَلَا مُدَاخِلٌ لِلْعَالَمِ، فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ **مَنْ قَالَ**: لَا هُوَ قَائِمٌ بِنَفْسِهِ وَلَا بِغَيْرِهِ، وَلَا قَدِيمٌ وَلَا مُحْدَثٌ، وَلَا مُتَقَدِّمٌ عَلَىٰ الْعَالَمِ وَلَا مُقَارِنٌ لَهُ.

**وَمَنْ قَالَ**: إنَّهُ لَيْسَ بِحَيٍّ وَلَا سَمِيعٍ وَلَا بَصِيرٍ وَلَا مُتَكَلِّمٍ، لَزِمَهُ أَنْ يَكُونَ مَيِّتًا أَصَمَّ أَعْمَىٰ أَبْكَمَ.

**فَإِنْ قَالَ**: الْعَمَىٰ عَدَمُ الْبَصَرِ عَمَّا مَنْ شَأْنُهُ أَنْ يَقْبَلَ الْبَصَرَ وَمَا لَمْ يَقْبَلْ الْبَصَرَ كَالْحَائِطِ لَا يُقَالُ لَهُ أَعْمَىٰ وَلَا بَصِيرٌ.

**قِيلَ لَهُ**: هَذَا اصْطِلَاحٌ اصْطَلَحْتُمُوهُ، وَإِلَّا فَمَا يُوصَفُ بِعَدَمِ الْحَيَاةِ وَالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَالْكَلَامِ يُمْكِنُ وَصْفُهُ بِالْمَوْتِ وَالْعَمَىٰ وَالْخَرَسِ وَالْعُجْمَةِ.

**وَأَيْضًا**: فَكُلُّ مَوْجُودٍ يَقْبَلُ الِاتِّصَافَ بِهَذِهِ الْأُمُورِ وَنَقَائِضِهَا، فَإِنَّ اللهَ قَادِرٌ عَلَىٰ جَعْلِ الْجَمَادِ حَيًّا، كَمَا جَعَلَ عَصَىٰ مُوسَىٰ حَيَّةً، ابْتَلَعَتْ الْحِبَالَ وَالْعِصِيَّ.

**وَأَيْضًا**: فَالَّذِي لَا يَقْبَلُ الِاتِّصَافَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ أَعْظَمُ نَقْصًا مِمَّنْ يَقْبَلُ الِاتِّصَافَ بِهَا مَعَ اتِّصَافِهِ بِنَقَائِضِهَا. فَالْجَمَادُ الَّذِي لَا يُوصَفُ بِالْبَصَرِ وَلَا الْعَمَىٰ وَلَا الْكَلَامِ وَلَا الْخَرَسِ: أَعْظَمُ نَقْصًا مِنْ الْحَيِّ الْأَعْمَىٰ الْأَخْرَسِ.

**فَإِذَا قِيلَ**: إنَّ الْبَارِيَ عَزَّوَجَلَّ لَا يُمْكِنُ اتِّصَافُهُ بِذَلِكَ كَانَ فِي ذَلِكَ مِنْ وَصْفِهِ بِالنَّقْصِ أَعْظَمُ مِمَّا إذَا وُصِفَ بِالْخَرَسِ وَالْعَمَىٰ وَالصَّمَمِ وَنَحْوَ ذَلِكَ، مَعَ أَنَّهُ إذَا جُعِلَ غَيْرَ قَابِلٍ لَهُمَا كَانَ



تَشْبِيهًا لَهُ بِالْجَمَادِ الَّذِي لَا يَقْبَلُ الِاتِّصَافَ بِوَاحِدٍ مِنْهُمَا، وَهَذَا تَشْبِيهٌ بِالْجَمَادَاتِ؛ لَا بِالْحَيَوَانَاتِ، فَكَيْفَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ عَلَىٰ غَيْرِهِ مَا يَزْعُمُ أَنَّهُ تَشْبِيهٌ بِالْحَيِّ!

**وَأَيْضًا** فَنَفْسُ نَفْيِ هَذِهِ الصِّفَاتِ نَقْصٌ كَمَا أَنَّ إِثْبَاتَهَا كَمَالٌ فَالْحَيَاةُ مِنْ حَيْثُ هِيَ، هِيَ مَعَ قَطْعِ النَّظَرِ عَنْ تَعْيِينِ الْمَوْصُوفِ بِهَا صِفَةُ كَمَالٍ. وَكَذَلِكَ الْعِلْمُ وَالْقُدْرَةُ وَالسَّمْعُ وَالْبَصَرُ وَالْكَلَامُ وَالْفِعْلُ وَنَحْوُ ذَلِكَ؛ وَمَا كَانَ صِفَةَ كَمَالٍ فَهُوَ سُبْحَانَهُ أَحَقُّ أَنْ يَتَّصِفَ بِهِ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ، فَلَوْ لَمْ يَتَّصِفْ بِهِ مَعَ اتِّصَافِ الْمَخْلُوقِ بِهِ لَكَانَ الْمَخْلُوقُ أَكْمَلَ مِنْهُ.

وَاعْلَمْ أَنَّ الْجَهْمِيَّةَ الْمَحْضَةَ كَالْقَرَامِطَةِ وَمَنْ ضَاهَاهُمْ: يَنْفُونَ عَنْهُ تَعَالَىٰ اتِّصَافَهُ بِالنَّقِيضَيْنِ **حَتَّىٰ يَقُولُوا**: لَيْسَ بِمَوْجُودٍ وَلَا لَيْسَ بِمَوْجُودٍ، وَلَا حَيٍّ وَلَا لَيْسَ بِحَيٍّ.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْخُلُوَّ عَنِ النَّقِيضَيْنِ مُمْتَنِعٌ فِي بَدَائِهِ الْعُقُولِ، كَالْجَمْعِ بَيْنَ النَّقِيضَيْنِ.

وَآخَرُونَ وَصَفُوهُ بِالنَّفْيِ فَقَطْ، **فَقَالُوا**: لَيْسَ بِحَيٍّ وَلَا سَمِيعٍ وَلَا بَصِيرٍ.

وَهَؤُلَاءِ أَعْظَمُ كُفْرًا مِنْ أُولَئِكَ مِنْ وَجْهٍ، وَأُولَئِكَ أَعْظَمُ كُفْرًا مِنْ هَؤُلَاءِ مِنْ وَجْهٍ.

فَإِذَا قِيلَ لِهَؤُلَاءِ هَذَا يَسْتَلْزِمُ وَصْفَهُ بِنَقِيضِ ذَلِكَ كَالْمَوْتِ وَالصَّمَمِ وَالْبُكْمِ.

**قَالُوا**: إِنَّمَا يَلْزَمُ ذَلِكَ لَوْ كَانَ قَابِلًا لِذَلِكَ.

وَهَذَا الِاعْتِذَارُ يَزِيدُ قَوْلَهُمْ فَسَادًا.

وَكَذَلِكَ مَنْ ضَاهَىٰ هَؤُلَاءِ - وَهُمُ الَّذِينَ **يَقُولُونَ**: لَيْسَ بِدَاخِلِ الْعَالَمِ وَلَا خَارِجَهُ - إِذَا قِيلَ هَذَا مُمْتَنِعٌ فِي ضَرُورَةِ الْعَقْلِ، كَمَا إِذَا **قِيلَ**: لَيْسَ بِقَدِيمٍ وَلَا مُحْدَثٍ، وَلَا وَاجِبٍ وَلَا مُمْكِنٍ، وَلَا قَائِمٍ بِنَفْسِهِ وَلَا قَائِمٍ بِغَيْرِهِ.

**قَالُوا**: هَذَا إِنَّمَا يَكُونُ إِذَا كَانَ قَابِلًا لِذَلِكَ، وَالْقَبُولُ إِنَّمَا يَكُونُ مِنَ الْمُتَحَيِّزِ، فَإِذَا انْتَفَىٰ التَّحَيُّزُ انْتَفَىٰ قَبُولُ هَذَيْنِ الْمُتَنَاقِضَيْنِ.

**فَيُقَالُ لَهُمْ**: عِلْمُ الْخَلْقِ بِامْتِنَاعِ الْخُلُوِّ مِنْهُ هَذَيْنِ النَّقِيضَيْنِ هُوَ عِلْمٌ مُطْلَقٌ، لَا يُسْتَثْنَىٰ مِنْهُ مَوْجُودٌ. وَالتَّحَيُّزُ الْمَذْكُورُ إِنْ أُرِيدَ بِهِ كَوْنُ الأحياز الْمَوْجُودَةِ تُحِيطُ بِهِ، فَهَذَا هُوَ الدَّاخِلُ فِي الْعَالَمِ، وَإِنْ أُرِيدَ بِهِ أَنَّهُ مُنْحَازٌ عَنِ الْمَخْلُوقَاتِ، أَيْ: مُبَايِنٌ لَهَا، مُتَمَيِّزٌ عَنْهَا فَهَذَا هُوَ الْخُرُوجُ.

فَالْمُتَحَيِّزُ يُرَادُ بِهِ تَارَةً مَا هُوَ دَاخِلَ الْعَالَمِ، وَتَارَةً مَا هُوَ خَارِجَ الْعَالَمِ، فَإِذَا **قِيلَ**: لَيْسَ بِمُتَحَيِّزٍ، كَانَ مَعْنَاهُ لَيْسَ بِدَاخِلِ الْعَالَمِ وَلَا خَارِجَهُ.



فَهُمْ غَيَّرُوا الْعِبَارَةَ لِيُوهِمُوا مَنْ لَا يَفْهَمُ حَقِيقَةَ قَوْلِهِمْ أَنَّ هَذَا مَعْنًىٰ آخَرَ، وَهُوَ الْمَعْنَىٰ الَّذِي عُلِمَ فَسَادُهُ بِضَرُورَةِ الْعَقْلِ. كَمَا فَعَلَ أُولَئِكَ **بِقَوْلِهِمْ**: لَيْسَ بِحَيٍّ وَلَا مَيِّتٍ، وَلَا مَوْجُودٍ وَلَا مَعْدُوم، وَلَا عَالِمٍ وَلَا جَاهِلٍ.

**الْقَاعِدَةُ الثَّانِيَةُ**: أَنَّ مَا أَخْبَرَ بِهِ الرَّسُولُ عَنْ رَبِّهِ -عَزَّوَجَلَّ- فَإِنَّهُ يَجِبُ الْإِيمَانُ بِهِ، سَوَاءٌ عَرَفْنَا مَعْنَاهُ أَوْ لَمْ نَعْرِفْ؛ لِأَنَّهُ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ، فَمَا جَاءَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَجَبَ عَلَىٰ كُلِّ مُؤْمِنٍ الْإِيمَانُ بِهِ وَإِنْ لَمْ يَفْهَمْ مَعْنَاهُ.

وَكَذَلِكَ مَا ثَبَتَ بِاتِّفَاقِ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّتِهَا مَعَ أَنَّ هَذَا الْبَابَ يُوجَدُ عَامَّتُه مَنْصُوصًا فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، مُتَّفَقًا عَلَيْهِ بَيْنَ سَلَفِ الْأُمَّةِ.

وَمَا تَنَازَعَ فِيهِ الْمُتَأَخِّرُونَ، نَفْيًا وَإِثْبَاتًا، فَلَيْسَ عَلَىٰ أَحَدٍ؛ بَلْ وَلَا لَهُ أَنْ يُوَافِقَ أَحَدًا عَلَىٰ إِثْبَاتِ لَفْظٍ أَوْ نَفْيِهِ، حَتَّىٰ يَعْرِفَ مُرَادَهُ، فَإِنْ أَرَادَ حَقًّا قُبِلَ، وَإِنْ أَرَادَ بَاطِلًا رُدَّ، وَإِنْ اشْتَمَلَ كَلَامُهُ عَلَىٰ حَقٍّ وَبَاطِلٍ لَمْ يُقْبَلْ مُطْلَقًا وَلَمْ يُرِدْ جَمِيعَ مَعْنَاهُ؛ بَلْ يُوقَفُ اللَّفْظُ وَيُفَسَّرُ الْمَعْنَىٰ، كَمَا تَنَازَعَ النَّاسُ فِي الْجِهَةِ وَالتَّحَيُّزِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

فَلَفْظُ «الْجِهَةِ» قَدْ يُرَادُ بِهِ شَيْءٌ مَوْجُودٌ غَيْرُ اللهِ فَيَكُونُ مَخْلُوقًا، كَمَا إِذَا أُرِيدَ بِالْجِهَةِ نَفْسُ الْعَرْشِ أَوْ نَفْسُ السَّمَوَاتِ. وَقَدْ يُرَادُ بِهِ مَا لَيْسَ بِمَوْجُودٍ غَيْرِ اللهِ تَعَالَىٰ، كَمَا إِذَا أُرِيدَ بِالْجِهَةِ مَا فَوْقَ الْعَالَمِ.

وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ لَيْسَ فِي النَّصِّ إِثْبَاتُ لَفْظِ «الْجِهَةِ» وَلَا نَفْيُهُ، كَمَا فِيهِ إِثْبَاتُ «الْعُلُوِّ» وَ«الِاسْتِوَاءِ» وَ«الْفَوْقِيَّةِ» وَ«الْعُرُوجِ إِلَيْهِ» وَنَحْوُ ذَلِكَ.

وَقَدْ عُلِمَ أَنَّ مَا ثَمَّ مَوْجُودٌ إِلَّا الْخَالِقَ وَالْمَخْلُوقَ، وَالْخَالِقُ مُبَايِنٌ لِلْمَخْلُوقِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لَيْسَ فِي مَخْلُوقَاتِهِ شَيْءٌ مِنْ ذَاتِهِ، وَلَا فِي ذَاتِهِ شَيْءٌ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ.

**فَيُقَالُ لِمَنْ نَفَىٰ الْجِهَةَ**: أَتُرِيدُ بِالْجِهَةِ أَنَّهَا شَيْءٌ مَوْجُودٌ مَخْلُوقٌ؟ فَاللهُ لَيْسَ دَاخِلًا فِي الْمَخْلُوقَاتِ، أَمْ تُرِيدُ بِالْجِهَةِ مَا وَرَاءَ الْعَالَمِ؟ فَلَا رَيْبَ أَنَّ اللهَ فَوْقَ الْعَالَمِ، بَائِنٌ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ.

**وَكَذَلِكَ يُقَالُ لِمَنْ قَالَ**: اللهُ فِي جِهَةٍ أَتُرِيدُ بِذَلِكَ أَنَّ اللهَ فَوْقَ الْعَالَمِ؟ أَوْ تُرِيدُ بِهِ أَنَّ اللهَ دَاخِلٌ فِي شَيْءٍ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ؟ فَإِنْ أَرَدْتَ الْأَوَّلَ فَهُوَ حَقٌّ، وَإِنْ أَرَدْتَ الثَّانِيَ فَهُوَ بَاطِلٌ.



وَكَذَلِكَ لَفْظُ «الْمُتَحَيِّزِ»: إِنْ أَرَادَ بِهِ أَنَّ اللهَ تَحُوزُهُ الْمَخْلُوقَاتُ فَاللهُ أَعْظَمُ وَأَكْبَرُ؛ بَلْ قَدْ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ﴾ [الزُّمَر:٦٧]. وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصِّحَاحِ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**يَقْبِضُ اللهُ الْأَرْضَ وَيَطْوِي السَّمَوَاتِ بِيَمِينِهِ ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ؟**».

وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ: «**وَإِنَّهُ لَيَدْحُوهَا كَمَا يَدْحُو الصِّبْيَانَ بِالْكُرَةِ**» وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ: «**مَا السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُونَ السَّبْعُ وَمَا فِيهِنَّ فِي يَدِ الرَّحْمَنِ إِلَّا كَخَرْدَلَةٍ فِي يَدِ أَحَدِكُمْ**».

وَإِنْ أَرَادَ بِهِ أَنَّهُ مُنْحَازٌ عَنِ الْمَخْلُوقَاتِ؛ أَيْ: مُبَايِنٌ لَهَا، مُنْفَصِلٌ عَنْهَا، لَيْسَ حَالًّا فِيهَا. فَهُوَ سُبْحَانَهُ **كَمَا قَالَ أَئِمَّةُ السُّنَّةِ**: فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ عَلَىٰ عَرْشِهِ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ.

**الْقَاعِدَةُ الثَّالِثَةُ: إِذَا قَالَ الْقَائِلُ**: ظَاهِرُ النُّصُوصِ مُرَادٌ، أَوْ ظَاهِرُهَا لَيْسَ بِمُرَادٍ.

**فَإِنَّهُ يُقَالُ**: لَفْظُ «الظَّاهِرِ» فِيهِ إِجْمَالٌ وَاشْتِرَاكٌ، فَإِنْ كَانَ الْقَائِلُ يَعْتَقِدُ أَنَّ ظَاهِرَهَا التَّمْثِيلُ بِصِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ، أَوْ مَا هُوَ مِنْ خَصَائِصِهِمْ، فَلَا رَيْبَ أَنَّ هَذَا غَيْرُ مُرَادٍ.

وَلَكِنِ السَّلَفُ وَالْأَئِمَّةُ لَمْ يَكُونُوا يُسَمُّونَ هَذَا ظَاهِرًا، وَلَا يَرْتَضُونَ أَنْ يَكُونَ ظَاهِرُ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ كُفْرًا وَبَاطِلًا، وَاللهُ أَعْلَمُ وَأَحْكَمُ مِنْ أَنْ يَكُونَ كَلَامُهُ الَّذِي وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ لَا يَظْهَرُ مِنْهُ إِلَّا ماهُو كُفْرٌ وَضَلَالٌ.

وَالَّذِينَ يَجْعَلُونَ ظَاهِرَهَا ذَلِكَ يَغْلَطُونَ مِنْ وَجْهَيْنِ:

تَارَةً يَجْعَلُونَ الْمَعْنَىٰ الْفَاسِدَ ظَاهِرَ اللَّفْظِ، حَتَّىٰ يَجْعَلُوهُ مُحْتَاجًا إِلَىٰ تَأْوِيلٍ يُخَالِفُ الظَّاهِرَ، وَلَا يَكُونُ كَذَلِكَ.

وَتَارَةً يَرُدُّونَ الْمَعْنَىٰ الْحَقَّ الَّذِي هُوَ ظَاهِرُ اللَّفْظِ، لِاعْتِقَادِهِمْ أَنَّهُ بَاطِلٌ.

فَالْأَوَّلُ كَمَا قَالُوا فِي قَوْلِهِ: «**عَبْدِي جُعْتُ فَلَمْ تُطْعِمْنِي**» الْحَدِيثَ، وَفِي الْأَثَرِ الْآخَرِ: «**الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ يَمِينُ اللهِ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ صَافَحَهُ أَوْ قَبَّلَهُ فَكَأَنَّمَا صَافَحَ اللهَ وَقَبَّلَ يَمِينَهُ**».

وَقَوْلُه: «**قُلُوبُ الْعِبَادِ بَيْنَ إِصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ**».

**فَقَالُوا**: قَدْ عُلِمَ أَنَّ لَيْسَ فِي قُلُوبِنَا أَصَابِعُ الْحَقِّ.

**فَيُقَالُ لَهُمْ**: لَوْ أَعْطَيْتُمْ النُّصُوصَ حَقَّهَا مِنْ الدَّلَالَةِ لَعَلِمْتُمْ أَنَّهَا لَمْ تَدُلَّ إِلَّا عَلَىٰ حَقٍّ.



أَمَّا الْوَاحِدُ فَقَوْلُهُ: «الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ يَمِينُ اللهِ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ صَافَحَهُ وَقَبَّلَهُ فَكَأَنَّمَا صَافَحَ اللهَ وَقَبَّلَ يَمِينَهُ» صَرِيحٌ فِي أَنَّ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ لَيْسَ هُوَ صِفَةً لِلَّهِ وَلَا هُوَ نَفْسُ يَمِينِهِ؛ لِأَنَّهُ قَالَ: [يَمِينُ اللهِ فِي الْأَرْضِ].

وَقَالَ: «فَمَنْ قَبَّلَهُ وَصَافَحَهُ فَكَأَنَّمَا صَافَحَ اللهَ وَقَبَّلَ يَمِينَهُ» وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْمُشَبَّهَ لَيْسَ هُوَ الْمُشَبَّهَ بِهِ، فَفِي نَفْسِ الْحَدِيثِ بَيَانُ أَنَّ مُسْتَلِمَهُ لَيْسَ مُصَافِحًا لِلَّهِ، وَأَنَّهُ لَيْسَ هُوَ نَفْسَ يَمِينِهِ، فَكَيْفَ يُجْعَلُ ظَاهِرُهُ كُفْرًا، وَأَنَّهُ مُحْتَاجٌ إِلَىٰ التَّأْوِيلِ. مَعَ أَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ إِنَّمَا يُعْرَفُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ.

**المثال الثَّانِي**: وَأَمَّا الْحَدِيثُ الْآخَرُ فَهُوَ فِي الصَّحِيحِ مُفَسَّرًا: «يَقُولُ اللهُ عَبْدِي جُعْتُ فَلَمْ تُطْعِمْنِي. فَيَقُولُ: رَبِّ كَيْفَ أُطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ فَيَقُولُ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا جَاعَ، فَلَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي. عَبْدِي مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي. فَيَقُولُ: رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ فَيَقُولُ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا مَرِضَ، فَلَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ».

وَهَذَا صَرِيحٌ فِي أَنَّ اللهَ ﷻ لَمْ يَمْرَضْ وَلَمْ يَجُعْ؛ وَلَكِنْ مَرِضَ عَبْدُهُ، وَجَاعَ عَبْدُهُ فَجَعَلَ جُوعَهُ جُوعَهُ، وَمَرَضَهُ مَرَضَهُ، مُفَسِّرًا ذَلِكَ بِأَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي وَلَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؛ فَلَمْ يَبْقَ فِي الْحَدِيثِ لَفْظٌ يَحْتَاجُ إِلَىٰ تَأْوِيلٍ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ «قُلُوبُ الْعِبَادِ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ»، فَإِنَّهُ لَيْسَ فِي ظَاهِرِهِ أَنَّ الْقَلْبَ مُتَّصِلٌ بِالْأَصَابِعِ، وَلَا مُمَاسٌّ لَهَا، وَلَا أَنَّهَا فِي جَوْفِهِ. وَلَا فِي قَوْلِ الْقَائِلِ: هَذَا بَيْنَ يَدَيَّ. مَا يَقْتَضِي مُبَاشَرَتَهُ لِيَدَيْهِ. وَإِذَا قِيلَ: ﴿وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة:١٦٤] لَمْ يَقْتَضِ أَنْ يَكُونَ مُمَاسًّا لِلسَّمَاءِ وَالْأَرْضِ. وَنَظَائِرُ هَذَا كَثِيرَةٌ.

وَمِمَّا يُشْبِهُ هَذَا الْقَوْلَ أَنْ يُجْعَلَ اللَّفْظُ نَظِيرًا لِمَا لَيْسَ مِثْلَهُ، كَمَا قِيلَ فِي قَوْلِهِ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥]؟ فَقِيلَ هُوَ مِثْلُ قَوْلِهِ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا﴾ [يس:٧١].

فَهَذَا لَيْسَ مِثْلَ هَذَا، لِأَنَّهُ هُنَا أَضَافَ الْفِعْلَ إِلَىٰ الْأَيْدِي؛ فَصَارَ شَبِيهًا بِقَوْلِهِ: ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾، [الشورىٰ:٣٠] وَهُنَاكَ أَضَافَ الْفِعْلَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: ﴿لِمَا خَلَقْتُ﴾ ثُمَّ قَالَ: ﴿بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥].



وَأَيْضًا فَإِنَّهُ هُنَاكَ ذَكَرَ نَفْسَهُ الْمُقَدَّسَةَ بِصِيغَةِ الْمُفْرَدِ، وَفِي الْيَدَيْنِ ذَكَرَ لَفْظَ التَّثْنِيَةِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾،[المائدة:٦٥] وَهُنَا أَضَافَ الْأَيْدِي إِلَىٰ صِيغَةِ الْجَمْعِ، فَصَارَ كَقَوْلِهِ: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾[القمر:١٤].

وَهَذَا فِي الْجَمْعِ نَظِيرُ قَوْلِهِ: ﴿بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [المُلك:١]، و﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ﴾ [آل عمران:٢٦] فِي الْمُفْرَدِ.

فَاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يَذْكُرُ نَفْسَهُ تَارَةً بِصِيغَةِ الْمُفْرَدِ، مُظْهَرًا أَوْ مُضْمَرًا، وَتَارَةً بِصِيغَةِ الْجَمْعِ، كَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾ [الفتح:١] وَأَمْثَالُ ذَلِكَ. وَلَا يَذْكُرُ نَفْسَهُ بِصِيغَةِ التَّثْنِيَةِ قَطُّ، لِأَنَّ صِيغَةَ الْجَمْعِ تَقْتَضِي التَّعْظِيمَ الَّذِي يَسْتَحِقُّهُ؛ وَرُبَّمَا تَدُلُّ عَلَىٰ مَعَانِي أَسْمَائِهِ، وَأَمَّا صِيغَةُ التَّثْنِيَةِ فَتَدُلُّ عَلَىٰ الْعَدَدِ الْمَحْصُورِ، وَهُوَ مُقَدَّسٌ عَنْ ذَلِكَ.

فَلَوْ قَالَ: مَامَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتِ يَدَيَّ. كَانَ كَقَوْلِهِ: ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ [يس:٧١]، وَهُوَ نَظِيرُ قَوْلِهِ: ﴿بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [المُلك:١] وَبِيَدِهِ الْخَيْرُ، وَلَوْ قَالَ: خَلَقْتُ بِيَدَيَّ. بِصِيغَةِ الْإِفْرَادِ، لَكَانَ مُفَارِقًا لَهُ، فَكَيْفَ إِذَا قَالَ خَلَقْت بِيَدَيَّ بِصِيغَةِ التَّثْنِيَةِ.

هَذَا، مَعَ دَلَالَةِ الْأَحَادِيثِ الْمُسْتَفِيضَةِ؛ بَلْ الْمُتَوَاتِرَةِ، وَإِجْمَاعِ السَّلَفِ عَلَىٰ مِثْلِ مَا دَلَّ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ، كَمَا هُوَ مَبْسُوطٌ فِي مَوْضِعِهِ، مِثْلَ قَوْلِهِ: «**الْمُقْسِطُونَ عِنْدَ اللهِ عَلَىٰ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وُلُّوا**». وَأَمْثَالُ ذَلِكَ.

وَإِنْ كَانَ الْقَائِلُ يَعْتَقِدُ أَنَّ ظَاهِرَ النُّصُوصِ الْمُتَنَازَعِ فِي مَعْنَاهَا مِنْ جِنْسِ ظَاهِرِ النُّصُوصِ الْمُتَّفَقِ عَلَىٰ مَعْنَاهَا، وَالظَّاهِرُ هُوَ الْمُرَادُ فِي الْجَمِيعِ، فَإِنَّ اللهَ لَمَّا أَخْبَرَ أَنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ، وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَاتَّفَقَ أَهْلُ السُّنَّةِ وَأَئِمَّةُ الْمُسْلِمِينَ عَلَىٰ أَنَّ هَذَا عَلَىٰ ظَاهِرِهِ، وَأَنَّ ظَاهِرَ ذَلِكَ مُرَادٌ كَانَ مِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّهُمْ لَمْ يُرِيدُوا بِهَذَا الظَّاهِرِ أَنْ يَكُونَ عِلْمُهُ كَعِلْمِنَا، وَقُدْرَتُهُ كَقُدْرَتِنَا.

وَكَذَلِكَ لَمَّا اتَّفَقُوا عَلَىٰ أَنَّهُ حَيٌّ حَقِيقَةً، عَالِمٌ حَقِيقَةً، قَادِرٌ حَقِيقَةً، لَمْ يَكُنْ مُرَادُهُمْ أَنَّهُ مِثْلُ الْمَخْلُوقِ الَّذِي هُوَ حَيٌّ عَلِيمٌ قَدِيرٌ.



فَكَذَلِكَ إِذَا قَالُوا فِي قَوْله: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥ﴾ [المائدة:٥٤]، ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ﴾ [التوبة:١٠٠]، وَقَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۖ﴾ [الأعراف:٥٤] إِنَّهُ عَلَىٰ ظَاهِرِهِ. لَمْ يَقْتَضِ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ ظَاهِرُهُ اسْتِوَاءً كَاسْتِوَاءِ الْمَخْلُوقِ، وَلَا حُبًّا كَحُبِّهِ، وَلَا رِضًا كَرِضَاهُ.

فَإِنْ كَانَ الْمُسْتَمِعُ يَظُنُّ أَنَّ ظَاهِرَ الصِّفَاتِ تُمَاثِلُ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ، لَزِمَهُ أَلَّا يَكُونَ شَيْءٌ مِنْ ظَاهِرِ ذَلِكَ مُرَادًا، وَإِنْ كَانَ يَعْتَقِدُ أَنَّ ظَاهِرَهَا مَا يَلِيقُ بِالْخَالِقِ وَيَخْتَصُّ بِهِ، لَمْ يَكُنْ لَهُ نَفْيُ هَذَا الظَّاهِرِ، وَنَفْيُ أَنْ يَكُونَ مُرَادًا إِلَّا بِدَلِيلٍ يَدُلُّ عَلَىٰ النَّفْيِ. وَلَيْسَ فِي الْعَقْلِ وَلَا فِي السَّمْعِ مَا يَنْفِي هَذَا إِلَّا مِنْ جِنْسِ مَا يَنْفِي بِهِ سَائِرَ الصِّفَاتِ، فَيَكُونُ الْكَلَامُ فِي الْجَمِيعِ وَاحِدًا.

وَبَيَانُ هَذَا، أَنَّ صِفَاتِنَا مِنْهَا مَا هِيَ أَعْيَانٌ وَأَجْسَامٌ، وَهِيَ أَبْعَاضٌ لَنَا كَالْوَجْهِ وَالْيَدِ؛ وَمِنْهَا مَا هُوَ مَعَانٍ وَأَعْرَاضٌ، وَهِيَ قَائِمَةٌ بِنَا، كَالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَالْكَلَامِ وَالْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ.

ثُمَّ إِنَّ مِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ الرَّبَّ لَمَّا وَصَفَ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ حَيٌّ عَلِيمٌ قَدِيرٌ، لَمْ يَقُلْ الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ ظَاهِرَ هَذَا غَيْرُ مُرَادٍ، لِأَنَّ مَفْهُومَ ذَلِكَ فِي حَقِّهِ مِثْلَ مَفْهُومِهِ فِي حَقِّنَا؛ فَكَذَلِكَ لَمَّا وَصَفَ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ خَلَقَ آدَمَ بِيَدَيْهِ، لَمْ يُوجِبْ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ ظَاهِرُهُ غَيْرَ مُرَادٍ لِأَنَّ مَفْهُومَ ذَلِكَ فِي حَقِّهِ كَمَفْهُومِهِ فِي حَقِّنَا، بَلْ صِفَةُ الْمَوْصُوفِ تُنَاسِبُهُ.

فَإِذَا كَانَتْ نَفْسُهُ الْمُقَدَّسَةُ لَيْسَتْ مِثْلَ ذَوَاتِ الْمَخْلُوقِينَ فَصِفَاتُهُ كَذَاتِهِ لَيْسَتْ كَصِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ.

وَنِسْبَةُ صِفَةِ الْمَخْلُوقِ إِلَيْهِ، كَنِسْبَةِ صِفَةِ الْخَالِقِ إِلَيْهِ، وَلَيْسَ الْمَنْسُوبُ كَالْمَنْسُوبِ، وَلَا الْمَنْسُوبُ إِلَيْهِ كَالْمَنْسُوبِ إِلَيْهِ، كَمَا قَالَ ﷺ: «**تَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ**» فَشَبَّهَ الرُّؤْيَةَ بِالرُّؤْيَةِ، وَلَمْ يُشَبِّهْ الْمَرْئِيَّ بِالْمَرْئِيِّ.

وَهَذَا يَتَبَيَّنُ **بِالْقَاعِدَةِ الرَّابِعَةِ** وَهُوَ أَنَّ كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ يَتَوَهَّمُ فِي بَعْضِ الصِّفَاتِ، أَوْ كَثِيرٍ مِنْهَا، أَوْ أَكْثَرِهَا، أَوْ كُلِّهَا، أَنَّهَا تُمَاثِلُ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ؛ ثُمَّ يُرِيدُ أَنْ يَنْفِيَ ذَلِكَ الَّذِي فَهِمَهُ فَيَقَعُ فِي أَرْبَعَةِ أَنْوَاعٍ مِنْ الْمَحَاذِيرِ:

**أَحَدُهَا:** كَوْنُهُ مَثَّلَ مَا فَهِمَهُ مِنْ النُّصُوصِ بِصِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ وَظَنَّ أَنَّ مَدْلُولَ النُّصُوصِ هُوَ التَّمْثِيلُ.



**الثَّانِي**: أَنَّهُ إِذَا جَعَلَ ذَلِكَ هُوَ مَفْهُومَهَا وَعَطَّلَهُ بَقِيَتْ النُّصُوصُ مُعَطَّلَةً عَمَّا دَلَّتْ عَلَيْهِ مِنْ إِثْبَاتِ الصِّفَاتِ اللَّائِقَةِ بِاللهِ، فَيَبْقَىٰ مَعَ جِنَايَتِهِ عَلَىٰ النُّصُوصِ، وَظَنِّهِ السَّيِّءِ الَّذِي ظَنَّهُ بِاللهِ وَرَسُولِهِ - حَيْثُ ظَنَّ أَنَّ الَّذِي يُفْهَمُ مِنْ كَلَامِهِمَا هُوَ التَّمْثِيلُ الْبَاطِلُ - قَدْ عَطَّلَ مَا أَوْدَعَ اللهُ وَرَسُولُهُ فِي كَلَامِهِمَا مِنْ إِثْبَاتِ الصِّفَاتِ لِلَّهِ، وَالْمَعَانِي الْإِلَهِيَّةِ اللَّائِقَةِ بِجَلَالِ اللهِ سُبْحَانَهُ.

**الثَّالِثُ**: أَنَّهُ يَنْفِي تِلْكَ الصِّفَاتِ عَنْ اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَيَكُونُ مُعَطِّلًا لِمَا يَسْتَحِقُّهُ الرَّبُّ.

**الرَّابِعُ**: أَنَّهُ يَصِفُ الرَّبَّ بِنَقِيضِ تِلْكَ الصِّفَاتِ مِنْ صِفَاتِ الْمَوَاتِ وَالْجَمَادَاتِ، أَوْ صِفَاتِ الْمَعْدُومَاتِ.

فَيَكُونُ قَدْ عَطَّلَ صِفَاتِ الْكَمَالِ الَّتِي يَسْتَحِقُّهَا الرَّبُّ، وَمَثَّلَهُ بِالْمَنْقُوصَاتِ وَالْمَعْدُومَاتِ، وَعَطَّلَ النُّصُوصَ عَمَّا دَلَّتْ عَلَيْهِ مِنْ الصِّفَاتِ، وَجَعَلَ مَدْلُولَهَا هُوَ التَّمْثِيلَ بِالْمَخْلُوقَاتِ، فَيُجْمَعُ فِي اللهِ وَفِي كَلَامِ اللهِ بَيْنَ التَّعْطِيلِ وَالتَّمْثِيلِ، فَيَكُونُ مُلْحِدًا فِي أَسْمَاءِ اللهِ وَآيَاتِهِ.

**مِثَالُ ذَلِكَ** أَنَّ النُّصُوصَ كُلَّهَا دَلَّتْ عَلَىٰ وَصْفِ الْإِلَهِ بِالْعُلُوِّ وَالْفَوْقِيَّةِ عَلَىٰ الْمَخْلُوقَاتِ وَاسْتِوَائِهِ عَلَىٰ الْعَرْشِ - فَأَمَّا عُلُوُّهُ وَمُبَايَنَتُهُ لِلْمَخْلُوقَاتِ فَيُعْلَمُ بِالْعَقْلِ الْمُوَافِقِ لِلسَّمْعِ، وَأَمَّا الِاسْتِوَاءُ عَلَىٰ الْعَرْشِ فَطَرِيقُ الْعِلْمِ بِهِ هُوَ السَّمْعُ. وَلَيْسَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَصْفٌ لَهُ بِأَنَّهُ لَا دَاخِلَ الْعَالَمِ وَلَا خَارِجَهُ، وَلَا مُبَايِنَهُ وَلَا مُدَاخِلَهُ.

فَيَظُنُّ الْمُتَوَهِّمُ أَنَّهُ إِذَا وُصِفَ بِالِاسْتِوَاءِ عَلَىٰ الْعَرْشِ: كَانَ اسْتِوَاؤُهُ كَاسْتِوَاءِ الْإِنْسَانِ عَلَىٰ ظُهُورِ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ؛ كَقَوْلِهِ: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ۝١٢ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ [الزُّخرُف] فَيَتَخَيَّلُ أَنَّهُ إِذَا كَانَ مُسْتَوِيًا عَلَىٰ الْعَرْشِ كَانَ مُحْتَاجًا إِلَيْهِ كَحَاجَةِ الْمُسْتَوِي عَلَىٰ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ فَلَوْ إِنْخَرَقَتِ السَّفِينَةُ لَسَقَطَ الْمُسْتَوِي عَلَيْهَا، وَلَوْ عَثَرَتْ الدَّابَّةُ لَخَرَّ الْمُسْتَوِي عَلَيْهَا. فَقِيَاسُ هَذَا أَنَّهُ لَوْ عَدِمَ الْعَرْشُ لَسَقَطَ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ثُمَّ يُرِيدُ بِزَعْمِهِ أَنْ يَنْفِيَ هَذَا فَيَقُولَ: لَيْسَ اسْتِوَاؤُهُ بِقُعُودٍ وَلَا اسْتِقْرَارٍ.

وَلَا يُعْلَمُ أَنَّ مُسَمَّىٰ «الْقُعُودِ» وَ«الِاسْتِقْرَارِ» يُقَالُ فِيهِ مَا يُقَالُ فِي مُسَمَّىٰ «الِاسْتِوَاءِ»، فَإِنْ كَانَتْ الْحَاجَةُ دَاخِلَةً فِي ذَلِكَ فَلَا فَرْقَ بَيْنَ الِاسْتِوَاءِ وَالْقُعُودِ وَالِاسْتِقْرَارِ، وَلَيْسَ هُوَ بِهَذَا الْمَعْنَىٰ مُسْتَوِيًا وَلَا مُسْتَقِرًّا وَلَا قَاعِدًا، وَإِنْ لَمْ يَدْخُلْ فِي مُسَمَّىٰ ذَلِكَ إِلَّا مَا يَدْخُلُ فِي مُسَمَّىٰ «الِاسْتِوَاءِ» فَإِثْبَاتُ أَحَدِهِمَا وَنَفْيُ الْآخَرِ تَحَكُّمٌ.



وَقَدْ عُلِمَ أَنَّ بَيْنَ مُسَمَّىٰ «الِاسْتِوَاءِ» وَ«الِاسْتِقْرَارِ» وَ«الْقُعُودِ» فُرُوقًا مَعْرُوفَةً، وَلَكِنَّ الْمَقْصُودَ هُنَا أَنْ يُعْلَمَ خطأُ مَنْ يَنْفِي الشَّيْءَ مَعَ إِثْبَاتِ نَظِيرِهِ.

وَكَأَنَّ هَذَا الْخَطَأَ مِنْ خَطَئِهِ فِي مَفْهُومِ اسْتِوَائِهِ عَلَىٰ الْعَرْشِ، حَيْثُ ظَنَّ أَنَّهُ مِثْلَ اسْتِوَاءِ الْإِنْسَانِ عَلَىٰ ظُهُورِ الْأَنْعَامِ وَالْفُلْكِ.

وَلَيْسَ فِي هَذَا اللَّفْظِ مَا يَدُلُّ عَلَىٰ ذَلِكَ، لِأَنَّهُ أَضَافَ الِاسْتِوَاءَ إِلَىٰ نَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ، كَمَا أَضَافَ إِلَيْهِ سَائِرَ أَفْعَالِهِ وَصِفَاتِهِ، فَذَكَرَ أَنَّهُ خَلَقَ ثُمَّ اسْتَوَىٰ، كَمَا ذَكَرَ أَنَّهُ قَدَّرَ فَهَدَىٰ، وَأَنَّهُ بَنَىٰ السَّمَاءَ بِأَيْدٍ، وَكَمَا ذَكَرَ أَنَّهُ مَعَ مُوسَىٰ وَهَارُونَ يَسْمَعُ وَيَرَىٰ، وَأَمْثَالِ ذَلِكَ. فَلَمْ يَذْكُرْ اسْتِوَاءً مُطْلَقًا يَصْلُحُ لِلْمَخْلُوقِ، وَلَا عَامًّا يَتَنَاوَلُ الْمَخْلُوقَ، كَمَا لَمْ يَذْكُرْ مِثْلَ ذَلِكَ فِي سَائِرِ صِفَاتِهِ، وَإِنَّمَا ذَكَرَ اسْتِوَاءً أَضَافَهُ إِلَىٰ نَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ.

فَلَوْ قُدِّرَ - عَلَىٰ وَجْهِ الْفَرْضِ الْمُمْتَنِعِ - أَنَّهُ هُوَ مِثْلُ خَلْقِهِ - تَعَالَىٰ عَنْ ذَلِكَ - لَكَانَ اسْتِوَاؤُهُ مِثْلَ اسْتِوَاءِ خَلْقِهِ. أَمَّا إِذَا كَانَ هُوَ لَيْسَ مُمَاثِلًا لِخَلْقِهِ، بَلْ قَدْ عُلِمَ أَنَّهُ الْغَنِيُّ عَنْ الْخَلْقِ، وَأَنَّهُ الْخَالِقُ لِلْعَرْشِ وَلِغَيْرِهِ، وَأَنَّ كُلَّ مَا سِوَاهُ مُفْتَقِرٌ إِلَيْهِ، وَهُوَ الْغَنِيُّ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ،

وَهُوَ لَمْ يَذْكُرْ إِلَّا اسْتِوَاءً يَخُصُّهُ، لَمْ يَذْكُرْ اسْتِوَاءً يَتَنَاوَلُ غَيْرَهُ وَلَا يَصْلُحُ لَهُ، كَمَا لَمْ يَذْكُرْ فِي عِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ وَرُؤْيَتِهِ وَسَمْعِهِ وَخَلْقِهِ إِلَّا مَا يَخْتَصُّ بِهِ - فَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يَتَوَهَّمَ أَنَّهُ إِذَا كَانَ مُسْتَوِيًا عَلَىٰ الْعَرْشِ كَانَ مُحْتَاجًا إِلَيْهِ، وَأَنَّهُ لَوْ سَقَطَ الْعَرْشُ لَخَرَّ مَنْ عَلَيْهِ؟ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ وَالْجَاحِدُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا.

هَلْ هَذَا إِلَّا جَهْلٌ مَحْضٌ وَضَلَالٌ مِمَّنْ فَهِمَ ذَلِكَ، وَتَوَهَّمَهُ، أَوْ ظَنَّهُ ظَاهِرَ اللَّفْظِ وَمَدْلُولَهُ، أَوْ جَوَّزَ ذَلِكَ عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ الْغَنِيِّ عَنْ الْخَلْقِ. بَلْ لَوْ قُدِّرَ أَنَّ جَاهِلًا فَهِمَ مِثْلَ هَذَا، أَو تَوَهَّمَهُ لَبُيِّنَ لَهُ أَنَّ هَذَا لَا يَجُوزُ، وَأَنَّهُ لَمْ يَدُلَّ اللَّفْظُ عَلَيْهِ أَصْلًا، كَمَا لَمْ يَدُلَّ عَلَىٰ نَظَائِرِهِ فِي سَائِرِ مَا وَصَفَ بِهِ الرَّبُّ نَفْسَهُ.

فَلَمَّا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ﴾ [الذاريات:٤٧] فَهَلْ يَتَوَهَّمُ مُتَوَهِّمٌ أَنَّ بِنَاءَهُ مِثْلَ بِنَاءِ الْآدَمِيِّ الْمُحْتَاجِ، الَّذِي يَحْتَاجُ إِلَىٰ زِنْبِيلٍ وَمَجَارِفَ وَضَرْبِ لَبِنٍ وَجَبْلِ طِينٍ.

ثُمَّ قَدْ عُلِمَ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ خَلَقَ الْعَالَمَ بَعْضَهُ فَوْقَ بَعْضٍ، وَلَمْ يَجْعَلْ عَالِيَهُ مُفْتَقِرًا إِلَىٰ سَافِلِهِ، فَالْهَوَاءُ فَوْقَ الْأَرْضِ، وَلَيْسَ مُفْتَقِرًا إِلَىٰ أَنْ تَحْمِلَهُ الْأَرْضُ، وَالسَّحَابُ أَيْضًا فَوْقَ



الْأَرْضِ، وَلَيْسَ مُفْتَقِرًا إِلَىٰ أَنْ تَحْمِلَهُ، وَالسَّمَوَاتُ فَوْقَ الْأَرْضِ، وَلَيْسَتْ مُفْتَقِرَةً إِلَىٰ حَمْلِ الْأَرْضِ لَهَا؛ فَالْعَلِيُّ الْأَعْلَىٰ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكُهُ إِذَا كَانَ فَوْقَ جَمِيعِ خَلْقِهِ: كَيْفَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مُحْتَاجًا إِلَىٰ خَلْقِهِ، أَوْ عَرْشِهِ!

أَوْ كَيْفَ يَسْتَلْزِمُ عُلُوُّهُ عَلَىٰ خَلْقِهِ هَذَا الِافْتِقَارَ وَهُوَ لَيْسَ بِمُسْتَلْزِمٍ فِي الْمَخْلُوقَاتِ! وَقَدْ عُلِمَ أَنَّ مَا ثَبَتَ لِمَخْلُوقٍ مِنْ الْغِنَىٰ عَنْ غَيْرِهِ فَالْخَالِقُ ﷻ أَحَقُّ بِهِ وَأَوْلَىٰ.

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ١٦﴾ [المُلك] مَنْ تَوَهَّمَ أَنَّ مُقْتَضَىٰ هَذِهِ الْآيَةِ أَنْ يَكُونَ اللهُ فِي دَاخِلِ السَّمَوَاتِ، فَهُوَ جَاهِلٌ ضَالٌّ بِالِاتِّفَاقِ، وَإِنْ كُنَّا إِذَا قُلْنَا: إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ فِي السَّمَاءِ يَقْتَضِي ذَلِكَ، فَإِنَّ حَرْفَ «فِي» مُتَعَلِّقٌ بِمَا قَبْلَهُ وَبِمَا بَعْدَهُ، فَهُوَ بِحَسَبِ الْمُضَافِ إِلَيْهِ.

وَلِهَذَا يُفَرَّقُ بَيْنَ كَوْنِ الشَّيْءِ فِي الْمَكَانِ، وَكَوْنِ الْجِسْمِ فِي الْحَيِّزِ، وَكَوْنِ الْعَرَضِ فِي الْجِسْمِ، وَكَوْنِ الْوَجْهِ فِي الْمِرْآةِ، وَكَوْنِ الْكَلَامِ فِي الْوَرَقِ، فَإِنَّ لِكُلِّ نَوْعٍ مِنْ هَذِهِ الْأَنْوَاعِ خَاصَّةً يَتَمَيَّزُ بِهَا عَنْ غَيْرِهِ، وَإِنْ كَانَ حَرْفُ «فِي» مُسْتَعْمَلًا فِي ذَلِكَ.

**فَلَوْ قَالَ قَائِلٌ**: الْعَرْشُ فِي السَّمَاءِ أَوْ فِي الْأَرْضِ؟ لَقِيلَ: فِي السَّمَاءِ. وَلَوْ قِيلَ: الْجَنَّةُ فِي السَّمَاءِ أَمْ فِي الْأَرْضِ؟ لَقِيلَ: الْجَنَّةُ فِي السَّمَاءِ. وَلَا يَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ الْعَرْشُ دَاخِلَ السَّمَوَاتِ، بَلْ وَلَا الْجَنَّةُ.

فَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**إِذَا سَأَلْتُمْ اللهَ الْجَنَّةَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ فَإِنَّهُ أَعْلَىٰ الْجَنَّةِ وَأَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَسَقْفُهَا عَرْشُ الرَّحْمَنِ**».

فَهَذِهِ الْجَنَّةُ، سَقْفُهَا الَّذِي هُوَ الْعَرْشُ فَوْقَ الْأَفْلَاكِ، مَعَ أَنَّ الْجَنَّةَ فِي السَّمَاءِ، والسَّمَاءِ يُرَادُ بِهِ الْعُلُوُّ، سَوَاءٌ كَانَتْ فَوْقَ الْأَفْلَاكِ أَوْ تَحْتَهَا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الحج:١٥] وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ طَهُورٗا ٤٨﴾ [الفرقان].

وَلَمَّا كَانَ قَدْ اسْتَقَرَّ فِي نُفُوسِ الْمُخَاطَبِينَ أَنَّ اللهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْأَعْلَىٰ، وَأَنَّهُ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، كَانَ الْمَفْهُومُ مِنْ قَوْلِهِ: إِنَّهُ فِي السَّمَاءِ، أَنَّهُ فِي الْعُلُوِّ وَأَنَّهُ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ.

وَكَذَلِكَ الْجَارِيَةُ لَمَّا قَالَ لَهَا: «**أَيْنَ اللهُ؟**». قَالَتْ فِي السَّمَاءِ، إِنَّمَا أَرَادَتْ الْعُلُوَّ مَعَ عَدَمِ تَخْصِيصِهِ بِالْأَجْسَامِ الْمَخْلُوقَةِ وَحُلُولِهِ فِيهَا.



وَإِذَا قِيلَ: الْعُلُوُّ، فَإِنَّهُ يَتَنَاوَلُ مَا فَوْقَ الْمَخْلُوقَاتِ كُلِّهَا، فَمَا فَوْقَهَا كُلَّهَا هُوَ فِي السَّمَاءِ، وَلَا يَقْتَضِي هَذَا أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ ظَرْفٌ وُجُودِيٌّ يُحِيطُ بِهِ إِذْ لَيْسَ فَوْقَ الْعَالَمِ شَيْءٌ مَوْجُودٌ إِلَّا اللهُ كَمَا لَوْ قِيلَ: الْعَرْشُ فِي السَّمَاءِ فَإِنَّهُ لَا يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ الْعَرْشُ فِي شَيْءٍ آخَرَ مَوْجُودٌ مَخْلُوقٌ.

وَإِنْ قُدِّرَ أَنَّ السَّمَاءَ الْمُرَادُ بِهَا الْأَفْلَاكُ: كَانَ الْمُرَادُ إِنَّهُ عَلَيْهَا، كَمَا قَالَ: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه:٧١] وَكَمَا قَالَ: ﴿فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [آل عمران:١٣٧]، وَكَمَا قَالَ: ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [التوبة:٢]، وَيُقَالُ: فُلَانٌ فِي الْجَبَلِ، وَفِي السَّطْحِ. وَإِنْ كَانَ عَلَى أَعْلَى شَيْءٍ فِيهِ.

**القاعدة الخامسة:** أَنَّا نَعْلَمُ لَمَّا أُخْبِرْنَا بِهِ مِنْ وَجْهٍ دُونَ وَجْهٍ. فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء]، وَقَالَ: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ ٱلْقَوْلَ﴾ [المؤمنون:٦٨]، وَقَالَ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص]، وَقَالَ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد]، فَأَمَرَ بِتَدَبُّرِ الْكِتَابِ كُلِّهِ.

وَقَالَ: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾﴾ [آل عمران].

وَجُمْهُورُ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَخَلَفِهَا عَلَى أَنَّ الْوَقْفَ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾ [آل عمران:٧]، وَهَذَا هُوَ الْمَأْثُورُ عَنْ أَبِي بْنِ كَعْبٍ وَابْنِ مَسْعُودٍ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَغَيْرِهِمْ، وَرُوِيَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ: التَّفْسِيرُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَوْجُهٍ، تَفْسِيرٌ تَعْرِفُهُ الْعَرَبُ مِنْ كَلَامِهَا، وَتَفْسِيرٌ لَا يُعْذَرُ أَحَدٌ بِجَهَالَتِهِ، وَتَفْسِيرٌ تَعْلَمُهُ الْعُلَمَاءُ، وَتَفْسِيرٌ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ، مَنْ ادَّعَى عِلْمَهُ فَهُوَ كَاذِبٌ.

وَقَدْ رُوِيَ عَنْ مُجَاهِدٍ وَطَائِفَةٍ: أَنَّ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ يَعْلَمُونَ تَأْوِيلَهُ، وَقَدْ قَالَ مُجَاهِدٌ: عَرَضْت الْمُصْحَفَ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ مِنْ فَاتِحَتِهِ إِلَى خَاتِمَتِهِ أُوقِفُهُ عِنْدَ كُلِّ آيَةٍ وَأَسْأَلُهُ عَنْ تَفْسِيرِهَا.



وَلَا مُنَافَاةَ بَيْنَ الْقَوْلَيْنِ عِنْدَ التَّحْقِيقِ، فَإِنَّ لَفْظَ التَّأْوِيلِ قَدْ صَارَ بِتَعَدُّدِ الِاصْطِلَاحَاتِ مُسْتَعْمَلًا فِي ثَلَاثَةِ مَعَانٍ:

**أَحَدُهَا:** وَهُوَ اصْطِلَاحُ كَثِيرٍ مِنْ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنْ الْمُتَكَلِّمِينَ فِي الْفِقْهِ وَأُصُولِهِ - أَنَّ التَّأْوِيلَ هُوَ صَرْفُ اللَّفْظِ عَنْ الِاحْتِمَالِ الرَّاجِحِ إلَىٰ الِاحْتِمَالِ الْمَرْجُوحِ لِدَلِيلٍ يَقْتَرِنُ بِهِ؛ وَهَذَا هُوَ الَّذِي عَنَاهُ أَكْثَرُ مَنْ تَكَلَّمَ مِنْ الْمُتَأَخِّرِينَ فِي تَأْوِيلِ نُصُوصِ الصِّفَاتِ وَتَرْكِ تَأْوِيلِهَا، وَهَلْ ذَلِكَ مَحْمُودٌ أَوْ مَذْمُومٌ أَوْ حَقٌّ أَوْ بَاطِلٌ؟

**الثَّانِي:** أَنَّ التَّأْوِيلَ بِمَعْنَىٰ التَّفْسِيرِ، وَهَذَا هُوَ الْغَالِبُ عَلَىٰ اصْطِلَاحِ الْمُفَسِّرِينَ لِلْقُرْآنِ، كَمَا يَقُولُ ابْنُ جَرِيرٍ وَأَمْثَالُهُ - مِنْ الْمُصَنِّفِينَ فِي التَّفْسِيرِ - وَاخْتَلَفَ عُلَمَاءُ التَّأْوِيلِ. وَمُجَاهِدٌ إمَامُ الْمُفَسِّرِينَ؛ قَالَ الثَّوْرِيُّ: «**إذَا جَاءَك التَّفْسِيرُ عَنْ مُجَاهِدٍ فَحَسْبُك بِهِ**». وَعَلَىٰ تَفْسِيرِهِ يَعْتَمِدُ الشَّافِعِيُّ وَأَحْمَدُ وَالْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُم فَإِذَا ذَكَرَ أَنَّهُ يَعْلَمُ تَأْوِيلَ الْمُتَشَابِهِ، فَالْمُرَادُ بِهِ مَعْرِفَةُ تَفْسِيرِهِ.

**الثَّالِثُ:** مِنْ مَعَانِي التَّأْوِيلِ: هُوَ الْحَقِيقَةُ الَّتِي يُؤَوَّلُ إلَيْهَا الْكَلَامُ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف:٥٣].

فَتَأْوِيلُ مَا فِي الْقُرْآنِ مِنْ أَخْبَارِ الْمُعَادِ هُوَ مَا أَخْبَرَ اللهُ تعالىٰ بِهِ فِيهِ، مِمَّا يَكُونُ مِنْ الْقِيَامَةِ وَالْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، كَمَا قَالَ فِي قِصَّةِ يُوسُفَ لَمَّا سَجَدَ أَبَوَاهُ وَإِخْوَتُهُ قَالَ: ﴿يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ﴾ [يوسف:١٠٠]، فَجَعَلَ عَيْنَ مَا وَجَدَ فِي الْخَارِجِ هُوَ تَأْوِيلَ الرُّؤْيَا.

**فالتأويل الثَّانِي**: هُوَ تَفْسِيرُ الْكَلَامِ، وَهُوَ الْكَلَامُ الَّذِي يُفَسَّرُ بِهِ اللَّفْظُ حَتَّىٰ يُفْهَمَ مَعْنَاهُ أَوْ تُعْرَفَ عِلَّتُهُ أَوْ دَلِيلُهُ، وَهَذَا التَّأْوِيلُ الثَّالِثُ هُوَ عَيْنُ مَا هُوَ مَوْجُودٌ فِي الْخَارِجِ، وَمِنْهُ قَوْلُ عَائِشَةَ. كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «**سُبْحَانَك اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِك اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي**» يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ يَعْنِي قَوْلَهُ: «**فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ**» وَقَوْلُ سُفْيَانَ بْنِ عيينة: السُّنَّةُ هِيَ تَأْوِيلُ الْأَمْرِ.

فَإِنَّ نَفْسَ الْفِعْلِ الْمَأْمُورِ بِهِ: هُوَ تَأْوِيلُ الْأَمْرِ بِهِ، وَنَفْسَ الْمَوْجُودِ الْمُخْبَرِ عَنْهُ هُوَ تَأْوِيلُ الْخَبَرِ، وَالْكَلَامُ خَبَرٌ وَأَمْرٌ، وَلِهَذَا يَقُولُ أَبُو عُبَيْدٍ وَغَيْرُهُ: الْفُقَهَاءُ أَعْلَمُ بِالتَّأْوِيلِ مِنْ أَهْلِ



اللُّغَةِ. كَمَا ذَكَرُوا ذَلِكَ فِي تَفْسِيرِ اشْتِمَالِ الصَّمَّاءِ؛ لِأَنَّ الْفُقَهَاءَ يَعْلَمُونَ تَفْسِيرَ مَا أَمَرَ بِهِ وَنَهَىٰ عَنْهُ؛ لِعِلْمِهِمْ بِمَقَاصِدِ الرَّسُولِ ﷺ، كَمَا يَعْلَمُ أَتْبَاعُ أَبقراط وَسِيبَوَيْهِ وَنَحْوِهِمَا مِنْ مَقَاصِدِهِمَا مَا لَا يُعْلَمُ بِمُجَرَّدِ اللُّغَةِ. وَلَكِنَّ تَأْوِيلَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ لَا بُدَّ مِنْ مَعْرِفَتِهِ بِخِلَافِ تَأْوِيلِ الْخَبَرِ.

إِذَا عُرِفَ ذَلِكَ. فَتَأْوِيلُ مَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ الْمُقَدَّسَةِ الْمُتَّصِفَةِ بِمَا لَهَا مِنْ حَقَائِقِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ هُوَ حَقِيقَةٌ لِنَفْسِهِ الْمُقَدَّسَةِ الْمُتَّصِفَةِ بِمَا لَهَا مِنْ حَقَائِقِ الصِّفَاتِ، وَتَأْوِيلِ مَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ تَعَالَىٰ مِنْ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ هُوَ نَفْسُ مَا يَكُونُ مِنْ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ.

وَلِهَذَا مَا يَجِيءُ فِي الْحَدِيثِ نَعْمَلُ بِمُحْكَمِهِ وَنُؤْمِنُ بِمُتَشَابِهِهِ، لِأَنَّ مَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ وَعَنْ الْيَوْمِ الْآخِرِ فِيهِ أَلْفَاظٌ مُتَشَابِهَةٌ، يُشْبِهُ مَعَانِيهَا مَا نَعْلَمُهُ فِي الدُّنْيَا، كَمَا أَخْبَرَ أَنَّ فِي الْجَنَّةِ لَحْمًا وَلَبَنًا وَعَسَلًا وماءً وَخَمْرًا وَنَحْوَ ذَلِكَ وَهَذَا يُشْبِهُ مَا فِي الدُّنْيَا لَفْظًا وَمَعْنًى، وَلَكِنْ لَيْسَ هُوَ مِثْلَهُ وَلَا حَقِيقَتَهُ كَحَقِيقَتِهِ.

فَأَسْمَاءُ اللهِ تَعَالَىٰ وَصِفَاتُهُ أَوْلَىٰ وَإِنْ كَانَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ أَسْمَاءِ الْعِبَادِ وَصِفَاتِهِمْ تَشَابُهٌ أَلَّا يَكُونَ لِأَجْلِهَا الْخَالِقُ مِثْلَ الْمَخْلُوقِ، وَلَا حَقِيقَتُهُ كَحَقِيقَتِهِ.

وَالْإِخْبَارُ عَنْ الْغَائِبِ لَا يُفْهَمُ إنْ لَمْ يُعَبَّرْ عَنْهُ بِالْأَسْمَاءِ الْمَعْلُومَةِ مَعَانِيهَا فِي الشَّاهِدِ، وَيُعْلَمُ بِهَا مَا فِي الْغَائِبِ بِوَاسِطَةِ الْعِلْمِ بِمَا فِي الشَّاهِدِ، مَعَ الْعِلْمِ بِالْفَارِقِ الْمُمَيِّزِ، وَأَنَّ مَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ مِنْ الْغَيْبِ أَعْظَمُ مِمَّا يُعْلَمُ فِي الشَّاهِدِ.

وَفِي الْغَائِبِ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَىٰ قَلْبِ بَشَرٍ. فَنَحْنُ إِذَا أَخْبَرَنَا اللهُ بِالْغَيْبِ الَّذِي اخْتَصَّ بِهِ مِنْ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، عَلِمْنَا مَعْنَىٰ ذَلِكَ وَفَهِمْنَا مَا أُرِيدَ مِنَّا فَهْمُهُ بِذَلِكَ الْخِطَابِ، وَفَسَّرْنَا ذَلِكَ. وَأَمَّا نَفْسُ الْحَقِيقَةِ الْمُخْبَرِ عَنْهَا، مِثْلَ الَّتِي لَمْ تَكُنْ بَعْدُ، وَإِنَّمَا تَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَذَلِكَ مِنْ التَّأْوِيلِ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ.

وَلِهَذَا لَمَّا سُئِلَ مَالِكٌ وَغَيْرُهُ مِنْ السَّلَفِ عَنْ قَوْله تَعَالَىٰ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه]، قَالُوا: الِاسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ، وَالْكَيْفُ مَجْهُولٌ، وَالْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ. وَكَذَلِكَ قَالَ رَبِيعَةُ شَيْخُ مَالِكٍ قَبْلَهُ: الِاسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ، وَالْكَيْفُ مَجْهُولٌ، وَمِنْ اللهِ الْبَيَانُ، وَعَلَىٰ الرَّسُولِ الْبَلَاغُ، وَعَلَيْنَا الْإِيمَانُ. فَبَيَّنَ أَنَّ الِاسْتِوَاءَ مَعْلُومٌ، وَأَنَّ كَيْفِيَّةَ ذَلِكَ مَجْهُولٌ.



وَمِثْلُ هَذَا يُوجَدُ كَثِيرًا فِي كَلَامِ السَّلَفِ وَالْأَئِمَّةُ، يَنْفُونَ عِلْمَ الْعِبَادِ بِكَيْفِيَّةِ صِفَاتِ اللهِ، وَأَنَّهُ لَا يَعْلَمُ كَيْفَ اللهُ إِلَّا اللهُ، فَلَا يَعْلَمُ مَا هُوَ إِلَّا هُوَ. وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ: «**لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْك أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْت عَلَىٰ نَفْسِك**»، وَهَذَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ وَغَيْرِه، وَقَالَ فِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ: «**اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُك بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَك، سَمَّيْت بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْته فِي كِتَابِك، أَوْ عَلَّمْته أَحَدًا مَنْ خَلْقِك، أَوْ اسْتَأْثَرْت بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَك**». وَهَذَا الْحَدِيثُ فِي الْمُسْنَدِ، وَصَحِيحِ أَبِي حَاتِمٍ. وَقَدْ أَخْبَرَ فِيهِ أَنَّ لِلَّهِ مِنْ الْأَسْمَاءِ مَا اسْتَأْثَرَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَهُ، فَمَعَانِي هَذِهِ الْأَسْمَاءِ الَّتِي اسْتَأْثَرَ بِهَا فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَهُ لَا يَعْلَمُهَا غَيْرُهُ.

وَاللهُ سُبْحَانَهُ أَخْبَرَنَا أَنَّهُ عَلِيمٌ، قَدِيرٌ، سَمِيعٌ، بَصِيرٌ، غَفُورٌ، رَحِيمٌ، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ. فَنَحْنُ نَفْهَمُ مَعْنَىٰ ذَلِكَ، وَنُمَيِّزُ بَيْنَ الْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ، وَبَيْنَ الرَّحْمَةِ وَالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ، وَنَعْلَمُ أَنَّ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا اتَّفَقَتْ فِي دَلَالَتِهَا عَلَىٰ ذَاتِ اللهِ، مَعَ تَنَوُّعِ مَعَانِيهَا، فَهِيَ مُتَّفِقَةٌ مُتَوَاطِئَةٌ مِنْ حَيْثُ الذَّاتُ، مُتَبَايِنَةٌ مِنْ جِهَةِ الصِّفَاتِ.

وَكَذَلِكَ أَسْمَاءُ النَّبِيِّ ﷺ مِثْلُ مُحَمَّدٍ، وَأَحْمَدَ، وَالْمَاحِي، وَالْحَاشِرِ، وَالْعَاقِبِ. وَكَذَلِكَ أَسْمَاءُ الْقُرْآنِ مِثْلُ الْقُرْآنِ، وَالْفُرْقَانِ، وَالْهُدَىٰ، وَالنُّورِ، وَالتَّنْزِيلِ، وَالشِّفَاءِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ. وَمِثْلُ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ تَنَازَعَ النَّاسُ فِيهَا؛ هَلْ هِيَ مِنْ قَبِيلِ الْمُتَرَادِفَةِ لِاتِّحَادِ الذَّاتِ، أَوْ مِنْ قَبِيلِ الْمُتَبَايِنَةِ لِتَعَدُّدِ الصِّفَاتِ، كَمَا إذَا قِيلَ: السَّيْفُ، وَالصَّارِمُ، وَالْمُهَنَّدُ؛ وَقُصِدَ بِالصَّارِمِ مَعْنَىٰ الصَّرْمِ، وَفِي الْمُهَنَّدِ النِّسْبَةُ إِلَىٰ الْهِنْدِ؛ وَالتَّحْقِيقُ أَنَّهَا مُتَرَادِفَةٌ فِي الذَّاتِ مُتَبَايِنَةٌ فِي الصِّفَاتِ.

وَمِمَّا يُوَضِّحُ هَذَا أَنَّ اللهَ وَصَفَ الْقُرْآنَ كُلَّهُ بِأَنَّهُ مُحْكَمٌ وَبِأَنَّهُ مُتَشَابِهٌ، وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ جَعَلَ مِنْهُ مَا هُوَ مُحْكَمٌ وَمِنْهُ مَا هُوَ مُتَشَابِهٌ، فَيَنْبَغِي أَنْ يُعْرَفَ الْإِحْكَامُ وَالتَّشَابُهُ الَّذِي يَعُمُّهُ؛ وَالْإِحْكَامُ وَالتَّشَابُهُ الَّذِي يَخُصُّ بَعْضَهُ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ﴾ [هود:١]، فَأَخْبَرَ أَنَّهُ أَحْكَمَ آيَاتِهِ كُلَّهَا، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ﴾ [الزُّمَر:٢٣]، فَأَخْبَرَ أَنَّهُ كُلَّهُ مُتَشَابِهٌ.

وَالْحُكْمُ هُوَ الْفَصْلُ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ، فَالْحَاكِمُ يَفْصِلُ بَيْنَ الْخَصْمَيْنِ، وَالْحُكْمُ فَصْلٌ بَيْنَ الْمُتَشَابِهَاتِ عِلْمًا وَعَمَلًا، إذَا مَيَّزَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَالصِّدْقِ وَالْكَذِبِ، وَالنَّافِعِ وَالضَّارِّ، وَذَلِكَ يَتَضَمَّنُ فِعْلَ النَّافِعِ وَتَرْكَ الضَّارّ، فَيُقَالُ: حَكَمْت السَّفِيهَ وَأَحْكَمْته إذَا أَخَذْت عَلَىٰ



يَدِهِ، وَحَكَمْت الدَّابَّةَ وَأَحْكَمْتها إذَا جَعَلْت لَهَا حَكَمَةً وَهُوَ مَا أَحَاطَ بِالْحَنَكِ مِنْ اللِّجَامِ، وَإِحْكَامُ الشَّيْءِ إتْقَانُهُ، فَإِحْكَامُ الْكَلَامِ إتْقَانُهُ بِتَمْيِيزِ الصِّدْقِ مِنْ الْكَذِبِ فِي أَخْبَارِهِ، وَتَمْيِيزِ الرُّشْدِ مِنْ الْغَيِّ فِي أَوَامِرِهِ.

وَالْقُرْآنُ كُلُّهُ مُحْكَمٌ بِمَعْنَى الْإِتْقَانِ، فَقَدْ سَمَّاهُ اللهُ حَكِيمًا بِقَوْلِهِ: ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝١﴾ [يونس]، فَالْحَكِيمُ بِمَعْنَى الْحَاكِمِ؛ كَمَا جَعَلَهُ يَقُصُّ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝٧٦﴾ [النمل]، وَجَعَلَهُ مُفْتِيًا فِي قَوْلِهِ: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ [النساء:١٢٧]؛ أَيْ: مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ، وَجَعَلَهُ هَادِيًا وَمُبَشِّرًا فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الإسراء:٩].

وَأَمَّا التَّشَابُهُ الَّذِي يَعُمُّهُ فَهُوَ ضِدُّ الِاخْتِلَافِ الْمَنْفِيِّ عَنْهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ۝٨٢﴾ [النساء]؛ وَهُوَ: الِاخْتِلَافُ الْمَذْكُورُ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۝٨ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ۝٩﴾ [الذاريات].

فَالتَّشَابُهُ هُنَا هُوَ تَمَاثُلُ الْكَلَامِ وَتَنَاسُبُهُ، بِحَيْثُ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا؛ فَإِذَا أَمَرَ بِأَمْرٍ لَمْ يَأْمُرْ بِنَقِيضِهِ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ؛ بَلْ يَأْمُرُ بِهِ، أَوْ بِنَظِيرِهِ، أَوْ بِمَلْزُومَاتِهِ؛ إذَا لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ نَسْخٌ.

وَكَذَلِكَ إذَا أَخْبَرَ بِثُبُوتِ شَيْءٍ لَمْ يُخْبِرْ بِنَقِيضِ ذَلِكَ، بَلْ يُخْبِرُ بِثُبُوتِهِ، أَوْ بِثُبُوتِ مَلْزُومَاتِهِ، وَإِذَا أَخْبَرَ بِنَفْيِ شَيْءٍ لَمْ يُثْبِتْهُ، بَلْ يَنْفِيهِ، أَوْ يَنْفِي لَوَازِمَهُ، بِخِلَافِ الْقَوْلِ الْمُخْتَلِفِ الَّذِي يَنْقُضُ بَعْضُهُ بَعْضًا، فَيُثْبِتُ الشَّيْءَ تَارَةً وَيَنْفِيهِ أُخْرَىٰ، أَوْ يَأْمُرُ بِهِ وَيَنْهَىٰ عَنْهُ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ، وَيُفَرِّقُ بَيْنَ الْمُتَمَاثِلَيْنِ فَيَمْدَحُ أَحَدَهُمَا وَيَذُمُّ الْآخَرَ، فَالْأَقْوَالُ الْمُخْتَلِفَةُ هُنَا هِيَ الْمُتَضَادَّةُ، وَالْمُتَشَابِهَةُ هِيَ الْمُتَوَافِقَةُ.

وَهَذَا التَّشَابُهُ يَكُونُ فِي الْمَعَانِي وَإِنْ اخْتَلَفَتْ الْأَلْفَاظُ، فَإِذَا كَانَتْ الْمَعَانِي يُوَافِقُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَيُعَضِّدُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَيُنَاسِبُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَيَشْهَدُ بَعْضُهَا لِبَعْضٍ، وَيَقْتَضِي بَعْضُهَا بَعْضًا، كَانَ الْكَلَامُ مُتَشَابِهًا، بِخِلَافِ الْكَلَامِ الْمُتَنَاقِضِ الَّذِي يُضَادُّ بَعْضُهُ بَعْضًا.

فَهَذَا التَّشَابُهُ الْعَامُّ لَا يُنَافِي الْإِحْكَامَ الْعَامَّ، بَلْ هُوَ مُصَدِّقٌ لَهُ، فَإِنَّ الْكَلَامَ الْمُحْكَمَ الْمُتْقَنَ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا، لَا يُنَاقِضُ بَعْضُهُ بَعْضًا.



بِخِلَافِ الْإِحْكَامِ الْخَاصِّ، فَإِنَّهُ ضِدُّ التَّشَابُهِ الْخَاصِّ، وَالتَّشَابُهُ الْخَاصُّ هُوَ مُشَابَهَةُ الشَّيْءِ لِغَيْرِهِ مِنْ وَجْهٍ مَعَ مُخَالَفَتِهِ لَهُ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ، بِحَيْثُ يَشْتَبِهُ عَلَىٰ بَعْضِ النَّاسِ إِنَّهُ هُوَ أَوْ هُوَ مِثْلُهُ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ، وَالْإِحْكَامُ هُوَ الْفَصْلُ بَيْنَهُمَا بِحَيْثُ لَا يَشْتَبِهُ أَحَدُهُمَا بِالْآخَرِ. وَهَذَا التَّشَابُهُ إِنَّمَا يَكُونُ بِقَدْرٍ مُشْتَرَكٍ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ مَعَ وُجُودِ الْفَاصِلِ بَيْنَهُمَا.

ثُمَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ لَا يَهْتَدِي لِلْفَصْلِ بَيْنَهُمَا فَيَكُونُ مُشْتَبِهًا عَلَيْهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَهْتَدِي إِلَىٰ ذَلِكَ؛ فَالتَّشَابُهُ الَّذِي لَا يَتَمَيَّزُ مَعَهُ قَدْ يَكُونُ مِنَ الْأُمُورِ النِّسْبِيَّةِ الْإِضَافِيَّةِ بِحَيْثُ يَشْتَبِهُ عَلَىٰ بَعْضِ النَّاسِ دُونَ بَعْضٍ وَمِثْلُ هَذَا يَعْرِفُ مِنْهُ أَهْلُ الْعِلْمِ مَا يُزِيلُ عَنْهُمْ هَذَا الِاشْتِبَاهُ.

ثُمَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ لَا يَهْتَدِي لِلْفَصْلِ بَيْنَهُمَا، فَيَكُونُ مُشْتَبِهًا عَلَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَهْتَدِي إِلَىٰ ذَلِكَ، فَالتَّشَابُهُ الَّذِي لَا يَتَمَيَّزُ مَعَهُ قَدْ يَكُونُ مِنَ الْأُمُورِ النِّسْبِيَّةِ الْإِضَافِيَّةِ، بِحَيْثُ يَشْتَبِهُ عَلَىٰ بَعْضِ النَّاسِ دُونَ بَعْضٍ، وَمِثْلُ هَذَا يَعْرِفُ مِنْهُ أَهْلُ الْعِلْمِ مَا يُزِيلُ عَنْهُمْ هَذَا الِاشْتِبَاهُ، كَمَا إِذَا اشْتَبَهَ عَلَىٰ بَعْضِ النَّاسِ مَا وُعِدُوا بِهِ فِي الْآخِرَةِ بِمَا يَشْهَدُونَهُ فِي الدُّنْيَا فَظَنَّ أَنَّهُ مِثْلُهُ، فَعَلِمَ الْعُلَمَاءُ أَنَّهُ لَيْسَ مِثْلَهُ وَإِنْ كَانَ مُشْبِهًا لَهُ مِنْ بَعْضِ الْوُجُوهِ.

وَمِنْ هَذَا الْبَابِ الشُّبَهُ الَّتِي يَضِلُّ بِهَا بَعْضُ النَّاسِ، وَهِيَ مَا يَشْتَبِهُ فِيهَا الْحَقُّ وَالْبَاطِلُ، حَتَّىٰ تَشْتَبِهَ عَلَىٰ بَعْضِ النَّاسِ، وَمَنْ أُوتِيَ الْعِلْمَ بِالْفَصْلِ بَيْنَ هَذَا وَهَذَا لَمْ يَشْتَبِهْ عَلَيْهِ الْحَقُّ بِالْبَاطِلِ.

وَالْقِيَاسُ الْفَاسِدُ إِنَّمَا هُوَ مِنْ بَابِ الشُّبُهَاتِ، لِأَنَّهُ تَشْبِيهٌ لِلشَّيْءِ فِي بَعْضِ الْأُمُورِ بِمَا لَا يُشْبِهُهُ فِيهِ، فَمَنْ عَرَفَ الْفَصْلَ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ اهْتَدَىٰ لِلْفَرْقِ الَّذِي يَزُولُ بِهِ الِاشْتِبَاهُ وَالْقِيَاسُ الْفَاسِدُ.

وَمَا مِنْ شَيْئَيْنِ إِلَّا وَيَجْتَمِعَانِ فِي شَيْءٍ، وَيَفْتَرِقَانِ فِي شَيْءٍ، فَبَيْنَهُمَا اشْتِبَاهٌ مِنْ وَجْهٍ، وَافْتِرَاقٌ مِنْ وَجْهٍ، فَلِهَذَا كَانَ ضَلَالُ بَنِي آدَمَ مِنْ قِبَلِ التَّشَابُهِ وَالْقِيَاسِ الْفَاسِدِ لَا يَنْضَبِطُ كَمَا قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللهُ: أَكْثَرُ مَا يُخْطِئُ النَّاسُ مِنْ جِهَةِ التَّأْوِيلِ وَالْقِيَاسِ، **فَالتَّأْوِيلُ** فِي الْأَدِلَّةِ السَّمْعِيَّةِ، **وَالْقِيَاسُ** فِي الْأَدِلَّةِ الْعَقْلِيَّةِ، وَهُوَ كَمَا قَالَ، وَالتَّأْوِيلُ الْخَطَأُ إِنَّمَا يَكُونُ فِي الْأَلْفَاظِ الْمُتَشَابِهَةِ، وَالْقِيَاسُ الْخَطَأُ إِنَّمَا يَكُونُ فِي الْمَعَانِي الْمُتَشَابِهَةِ.

وَقَدْ وَقَعَ بَنُو آدَمَ فِي عَامَّةِ مَا يَتَنَاوَلُهُ هَذَا الْكَلَامُ مِنْ أَنْوَاعِ الضَّلَالَاتِ، حَتَّىٰ آلَ الْأَمْرُ إِلَىٰ مَنْ يَدَّعِي التَّحْقِيقَ وَالتَّوْحِيدَ وَالْعِرْفَانَ مِنْهُمْ إِلَىٰ أَنْ اشْتَبَهَ عَلَيْهِمْ وُجُودُ الرَّبِّ بِوُجُودِ كُلِّ



مَوْجُودٍ فَظَنُّوا أَنَّهُ هُوَ، فَجَعَلُوا وُجُودَ الْمَخْلُوقَاتِ عَيْنَ وُجُودِ الْخَالِقِ، مَعَ أَنَّهُ لَا شَيْءَ أَبْعَدَ عَنْ مُمَاثَلَةِ شَيْءٍ، وَأَنْ يَكُونَ إِيَّاهُ، أَوْ مُتَّحِدًا بِهِ، أَوْ حَالًّا فِيهِ مِنَ الْخَالِقِ مَعَ الْمَخْلُوقِ.

فَمَنْ اشْتَبَهَ عَلَيْهِ وُجُودُ الْخَالِقِ بِوُجُودِ الْمَخْلُوقَاتِ كُلِّهَا حَتَّىٰ ظَنُّوا وُجُودَهَا وُجُودَهُ؛ فَهُمْ أَعْظَمُ النَّاسِ ضَلَالًا مِنْ جِهَةِ الِاشْتِبَاهِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمَوْجُودَاتِ تَشْتَرِكُ فِي مُسَمَّىٰ الْوُجُودِ فَرَأَوْا الْوُجُودَ وَاحِدًا، وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ الْوَاحِدِ بِالْعَيْنِ وَالْوَاحِدِ بِالنَّوْعِ.

**وَآخَرُونَ تَوَهَّمُوا أَنَّهُ إِذَا قِيلَ**: الْمَوْجُودَاتُ تَشْتَرِكُ فِي مُسَمَّىٰ الْوُجُودِ، لَزِمَ التَّشْبِيهُ وَالتَّرْكِيبُ، فَقَالُوا: لَفْظُ الْوُجُودِ مَقُولٌ بِالِاشْتِرَاكِ اللَّفْظِيِّ، فَخَالَفُوا مَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ الْعُقَلَاءُ مَعَ اخْتِلَافِ أَصْنَافِهِمْ مِنْ أَنَّ الْوُجُودَ يَنْقَسِمُ إِلَىٰ قَدِيمٍ وَمُحْدَثٍ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنْ أَقْسَامِ الْمَوْجُودَاتِ.

وَطَائِفَةٌ ظَنَّتْ أَنَّهُ إِذَا كَانَتْ الْمَوْجُودَاتُ تَشْتَرِكُ فِي مُسَمَّىٰ الْوُجُودِ لَزِمَ أَنْ يَكُونَ فِي الْخَارِجِ عَنْ الْأَذْهَانِ مَوْجُودٌ مُشْتَرَكٌ فِيهِ، وَزَعَمُوا أَنَّ فِي الْخَارِجِ عَنْ الْأَذْهَانِ كُلِّيَّاتٍ مُطْلَقَةً: مِثْلَ وُجُودٍ مُطْلَقٍ، وَحَيَوَانٍ مُطْلَقٍ، وَجِسْمٍ مُطْلَقٍ، وَنَحْوِ ذَلِكَ؛ فَخَالَفُوا الْحِسَّ وَالْعَقْلَ وَالشَّرْعَ، وَجَعَلُوا مَا فِي الْأَذْهَانِ ثَابِتًا فِي الْأَعْيَانِ، وَهَذَا كُلُّهُ مِنْ نَوْعِ الِاشْتِبَاهِ.

وَمَنْ هَدَاهُ اللهُ فَرَّقَ بَيْنَ الْأُمُورِ وَإِنْ اشْتَرَكَتْ مِنْ بَعْضِ الْوُجُوهِ، وَعَلِمَ مَا بَيْنَهُمَا مِنْ الْجَمْعِ وَالْفَرْقِ، وَالتَّشَابُهِ وَالِاخْتِلَافِ؛ وَهَؤُلَاءِ لَا يَضِلُّونَ بِالْمُتَشَابِهِ مِنْ الْكَلَامِ لِأَنَّهُمْ يَجْمَعُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمُحْكَمِ الْفَارِقِ الَّذِي يُبَيِّنُ مَا بَيْنَهُمَا مِنْ الْفَصْلِ وَالِافْتِرَاقِ.

وَهَذَا كَمَا أَنَّ لَفْظَ إِنَّا وَنَحْنُ وَغَيْرُهُمَا مِنْ صِيَغِ الْجَمْعِ يَتَكَلَّمُ بِهَا الْوَاحِدُ لَهُ شُرَكَاءُ فِي الْفِعْلِ، وَيَتَكَلَّمُ بِهَا الْوَاحِدُ الْعَظِيمُ، الَّذِي لَهُ صِفَاتٌ تَقُومُ كُلُّ صِفَةٍ مَقَامَ وَاحِدٍ، وَلَهُ أَعْوَانٌ تَابِعُونَ لَهُ؛ لَا شُرَكَاءَ لَهُ. فَإِذَا تَمَسَّكَ النَّصْرَانِيُّ بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ﴾ [الحجر:٩] وَنَحْوَهُ عَلَىٰ تَعَدُّدِ الْآلِهَةِ. كَانَ الْمُحْكَمُ كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة] وَنَحْوُ ذَلِكَ.

وَنَحْوُ ذَلِكَ مِمَّا لَا يَحْتَمِلُ إِلَّا مَعْنًى وَاحِدًا يُزِيلُ مَا هُنَاكَ مِنْ الِاشْتِبَاهِ؛ وَكَانَ مَا ذَكَرَهُ مِنْ صِيغَةِ الْجَمْعِ مُبَيِّنًا لِمَا يَسْتَحِقُّهُ مِنْ الْعَظَمَةِ وَالْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَطَاعَةِ الْمَخْلُوقَاتِ مِنْ الْمَلَائِكَةِ وَغَيْرِهِمْ.



وَأَمَّا حَقِيقَةُ مَا دَلَّ عَلَيْهِ ذَلِكَ مِنْ حَقَائِقِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، وَمَا لَهُ مِنَ الْجُنُودِ الَّذِينَ يَسْتَعْمِلُهُمْ فِي أَفْعَالِهِ، فَلَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا هُوَ ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدَّثر:٣١]، وَهَذَا مِنْ تَأْوِيلِ الْمُتَشَابِهِ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ.

بِخِلَافِ الْمَلِكِ مِنْ الْبَشَرِ إِذَا قَالَ: قَدْ أَمَرْنَا لَك بِعَطَاءٍ. فَقَدْ عَلِمَ أَنَّهُ هُوَ وَأَعْوَانُهُ مِثْلُ كَاتِبِهِ وَحَاجِبِهِ وَخَادِمِهِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ أُمِرُوا بِهِ، وَقَدْ يَعْلَمُ مَا صَدَرَ عَنْهُ ذَلِكَ الْفِعْلُ مِنْ اعْتِقَادَاتِهِ وَإِرَادَاتِهِ وَنَحْوِ ذَلِكَ.

وَاللهُ ﷻ لَا يُعْلِمُ عِبَادَهُ الْحَقَائِقَ الَّتِي أَخْبَرَ عَنْهَا مِنْ صِفَاتِهِ وَصِفَاتِ الْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلَا يَعْلَمُونَ حَقَائِقَ مَا أَرَادَ بِخَلْقِهِ وَأَمْرِهِ مِنْ الْحِكْمَةِ، وَلَا حَقَائِقَ مَا صَدَرَتْ عَنْهُ مِنَ الْمَشِيئَةِ وَالْقُدْرَةِ.

وَبِهَذَا يَتَبَيَّنُ أَنَّ التَّشَابُهَ يَكُونُ فِي الْأَلْفَاظِ الْمُتَوَاطِئَةِ، كَمَا يَكُونُ فِي الْأَلْفَاظِ الْمُشْتَرَكَةِ الَّتِي لَيْسَتْ بِمُتَوَاطِئَةٍ، وَإِنْ زَالَ الِاشْتِبَاهُ بِمَا يُمَيِّزُ أَحَدَ النَّوْعَيْنِ: مِنْ إِضَافَةٍ أَوْ تَعْرِيفٍ، كَمَا إذَا قِيلَ: ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ﴾[محمد:١٥] فَهُنَاكَ قَدْ خَصَّ هَذَا الْمَاءَ بِالْجَنَّةِ، فَظَهَرَ الْفَرْقُ بَيْنَهُ، وَبَيْنَ مَاءِ الدُّنْيَا، لَكِنَّ حَقِيقَةَ مَا امْتَازَ بِهِ ذَلِكَ الْمَاءُ غَيْرُ مَعْلُومٍ لَنَا، وَهُوَ مَعَ مَا أَعَدَّهُ اللهُ لِعِبَادِهِ الصَّالِحِينَ - مِمَّا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَىٰ قَلْبِ بَشَرٍ - مِنْ التَّأْوِيلِ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ.

وَكَذَلِكَ مَدْلُولُ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ الَّذِي يَخْتَصُّ بِهَا، الَّتِي هِيَ حَقِيقَةٌ، لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ.

وَلِهَذَا كَانَ الْأَئِمَّةُ كَالْإِمَامِ أَحْمَدَ وَغَيْرِهِ يُنْكِرُونَ عَلَىٰ الْجَهْمِيَّةِ وَأَمْثَالِهِمْ - مِنْ الَّذِينَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ - تَأْوِيلَ مَا تَشَابَهَ عَلَيْهِمْ مِنْ الْقُرْآنِ عَلَىٰ غَيْرِ تَأْوِيلِهِ كَمَا قَالَ أَحْمَدُ: فِي كِتَابِهِ الَّذِي صَنَّفَهُ فِي الرَّدِّ عَلَىٰ الزَّنَادِقَةِ والْجَهْمِيَّةِ فِيمَا شَكَّتْ فِيهِ مِنْ مُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ وَتَأَوَّلَتْهُ عَلَىٰ غَيْرِ تَأْوِيلِهِ.

وَإِنَّمَا ذَمَّهُمْ لِكَوْنِهِمْ تَأَوَّلُوهُ عَلَىٰ غَيْرِ تَأْوِيلِهِ، وَذَكَرَ فِي ذَلِكَ مَا يَشْتَبِهُ عَلَيْهِمْ مَعْنَاهُ، وَإِنْ كَانَ لَا يَشْتَبِهُ عَلَىٰ غَيْرِهِمْ، وَذَمَّهُمْ عَلَىٰ أَنَّهُمْ تَأَوَّلُوهُ عَلَىٰ غَيْرِ تَأْوِيلِهِ، وَلَمْ يَنْفِ مُطْلَقَ لَفْظِ التَّأْوِيلِ، كَمَا تَقَدَّمَ: مِنْ أَنَّ لَفْظَ التَّأْوِيلِ يُرَادُ بِهِ التَّفْسِيرُ الْمُبَيِّنُ لِمُرَادِ اللهِ بِهِ، فَذَلِكَ لَا يُعَابُ بَلْ يُحْمَدُ، وَيُرَادُ بِالتَّأْوِيلِ الْحَقِيقَةُ الَّتِي اسْتَأْثَرَ اللهُ بِعِلْمِهَا، فَذَاكَ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا هُوَ، وَقَدْ بَسَطْنَا هَذَا فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ.



وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ هَذَا اضْطَرَبَتْ أَقْوَالُهُ، مِثْلُ طَائِفَةٍ يَقُولُونَ: إِنَّ التَّأْوِيلَ بَاطِلٌ، وَإِنَّهُ يَجِبُ إِجْرَاءُ اللَّفْظِ عَلَىٰ ظَاهِرِهِ، وَيَحْتَجُّونَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٧] وَيَحْتَجُّونَ بِهَذِهِ الْآيَةِ عَلَىٰ إِبْطَالِ التَّأْوِيلِ.

وَهَذَا تَنَاقُضٌ مِنْهُمْ، لِأَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ تَقْتَضِي أَنَّ هُنَاكَ تَأْوِيلًا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ، وَهُمْ يَنْفُونَ التَّأْوِيلَ مُطْلَقًا.

وَجِهَةُ الْغَلَطِ أَنَّ التَّأْوِيلَ الَّذِي اسْتَأْثَرَ اللهُ بِعِلْمِهِ هُوَ الْحَقِيقَةُ الَّتِي لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ، وَأَمَّا التَّأْوِيلُ الْمَذْمُومُ وَالْبَاطِلُ فَهُوَ تَأْوِيلُ أَهْلِ التَّحْرِيفِ وَالْبِدَعِ، الَّذِينَ يَتَأَوَّلُونَهُ عَلَىٰ غَيْرِ.

تَأْوِيلِهِ وَيَدَّعُونَ صَرْفَ اللَّفْظِ عَنْ مَدْلُولِهِ إِلَىٰ غَيْرِ مَدْلُولِهِ بِغَيْرِ دَلِيلٍ يُوجِبُ ذَلِكَ وَيَدَّعُونَ أَنَّ فِي ظَاهِرِهِ مِنْ الْمَحْذُورِ مَا هُوَ نَظِيرُ الْمَحْذُورِ اللَّازِمِ فِيمَا أَثْبَتُوهُ بِالْعَقْلِ.

وَيَصْرِفُونَهُ إِلَىٰ مَعَانٍ هِيَ نَظِيرُ الْمَعَانِي الَّتِي نَفَوْهَا عَنْهُ فَيَكُونُ مَا نَفَوْهُ.

فَيَكُونُ مَا نَفَوْهُ مِنْ جِنْسِ مَا أَثْبَتُوهُ فَإِنْ كَانَ الثَّابِتُ حَقًّا مُمْكِنًا كَانَ الْمَنْفِيُّ مِثْلَهُ وَإِنْ كَانَ الْمَنْفِيُّ بَاطِلًا مُمْتَنِعًا كَانَ الثَّابِتُ مِثْلَهُ.

وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَنْفُونَ التَّأْوِيلَ مُطْلَقًا وَيَحْتَجُّونَ بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٧] قَدْ يَظُنُّونَ أَنَّا خُوطِبْنَا فِي الْقُرْآنِ بِمَا لَا يَفْهَمُهُ أَحَدٌ؛ أَوْ بِمَا لَا مَعْنَىٰ لَهُ أَوْ بِمَا لَا يُفْهَمُ مِنْهُ شَيْءٌ.

وَهَذَا مَعَ أَنَّهُ بَاطِلٌ فَهُوَ مُتَنَاقِضٌ، لِأَنَّا إِذَا لَمْ نَفْهَمْ مِنْهُ شَيْئًا لَمْ يَجُزْ لَنَا أَنْ نَقُولَ: لَهُ تَأْوِيلٌ يُخَالِفُ الظَّاهِرَ وَلَا يُوَافِقُهُ، لِإِمْكَانَ أَنْ يَكُونَ لَهُ مَعْنًىٰ صَحِيحٌ، وَذَلِكَ الْمَعْنَىٰ الصَّحِيحُ لَا يُخَالِفُ الظَّاهِرَ الْمَعْلُومَ لَنَا، فَإِنَّهُ لَا ظَاهِرَ لَهُ عَلَىٰ قَوْلِهِمْ، فَلَا تَكُونُ دَلَالَتُهُ عَلَىٰ ذَلِكَ الْمَعْنَىٰ دَلَالَةً عَلَىٰ خِلَافِ الظَّاهِرِ فَلَا يَكُونُ تَأْوِيلًا، وَلَا يَجُوزُ نَفْيُ دَلَالَتِهِ عَلَىٰ مَعَانٍ لَا نَعْرِفُهَا عَلَىٰ هَذَا التَّقْدِيرِ، فَإِنَّ تِلْكَ الْمَعَانِيَ الَّتِي دَلَّ عَلَيْهَا قَدْ لَا نَكُونُ عَارِفِينَ بِهَا، وَلِأَنَّا إِذَا لَمْ نَفْهَمْ اللَّفْظَ وَمَدْلُولَهُ فَلِئَلَّا نَعْرِفَ الْمَعَانِيَ الَّتِي لَمْ يَدُلَّ عَلَيْهَا اللَّفْظُ أَوْلَىٰ، لِأَنَّ إِشْعَارَ اللَّفْظِ بِمَا يُرَادُ بِهِ أَقْوَىٰ مِنْ إِشْعَارِهِ بِمَا لَا يُرَادُ بِهِ؛ فَإِذَا كَانَ اللَّفْظُ لَا إِشْعَارَ لَهُ بِمَعْنًىٰ مِنْ الْمَعَانِي وَلَا يُفْهَمُ مِنْهُ مَعْنًىٰ أَصْلًا، لَمْ يَكُنْ مُشْعِرًا بِمَا أُرِيدَ بِهِ، فَلِئَلَا يَكُونَ مُشْعِرًا بِمَا لَمْ يُرَدْ بِهِ أَوْلَىٰ.

فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ هَذَا اللَّفْظَ مُتَأَوَّلٌ، بِمَعْنَىٰ أَنَّهُ مَصْرُوفٌ عَنْ الِاحْتِمَالِ الرَّاجِحِ إِلَىٰ الِاحْتِمَالِ الْمَرْجُوحِ، فَضْلًا عَنْ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ هَذَا التَّأْوِيلَ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ، اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يُرَادَ



بِالتَّأْوِيلِ مَا يُخَالِفُ ظَاهِرُهُ الْمُخْتَصَّ بِالْمَخْلُوقِينَ، فَلَا رَيْبَ أَنَّ مَنْ أَرَادَ بِالظَّاهِرِ هَـذَا لَا بُـدَّ وَأَنْ يَكُونَ لَهُ تَأْوِيلٌ يُخَالِفُ ظَاهِرَهُ.

لَكِنْ إِذَا قَالَ هَؤُلَاءِ: أَنَّهُ لَيْسَ لَهَا تَأْوِيلٌ يُخَالِفُ الظَّـاهِرَ، أَوْ أَنَّهَـا تَجْـرِي عَلَـىٰ الْمَعَـانِي الظَّاهِرَةِ مِنْهَا، كَانُوا مُتَنَاقِضِينَ. وَإِنْ أَرَادُوا بِالظَّاهِرِ، هُنَا مَعْنًىٰ وَهُنَا مَعْنًىٰ فِي سِيَاقٍ وَاحِدٍ مِنْ غَيْرِ بَيَانٍ كَانَ تَلْبِيسًا، وَإِنْ أَرَادُوا بِالظَّاهِرِ مُجَرَّدَ اللَّفْظِ، أَيْ تَجْرِي عَلَىٰ مُجَـرَّدِ اللَّفْـظِ الَّـذِي يَظْهَرُ مِنْ غَيْرِ فَهْمٍ لِمَعْنَاهُ كَانَ إِبْطَالُهُمْ لِلتَّأْوِيلِ أَوْ إِثْبَاتُهُ تَنَاقُضًا، لِأَنَّ مَنْ أَثْبَتَ تَأْوِيلًا أَوْ نَفَـاهُ فَقَدْ فَهِمَ مَعْنًىٰ مِنْ الْمَعَانِي. وَبِهَذَا التَّقْسِيمِ يَتَبَيَّنُ تَنَاقُضُ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ مِـنْ نُفَـاةِ الصِّـفَاتِ وَمُثْبِتِيهَا فِي هَذَا الْبَابِ.

**الْقَاعِدَةُ السَّادِسَةُ:** أَنَّهُ لِقَائِلٍ أَنْ يَقُولَ: لَا بُدَّ فِي هَذَا الْبَابِ مِنْ ضَابِطٍ يُعْرَفُ بِهِ مَـا يَجُـوزُ عَلَىٰ اللهِ مِمَّا لَا يَجُوزُ فِي النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ، إِذْ الِاعْتِمَادُ فِي هَذَا الْبَابِ عَلَىٰ مُجَرَّدِ نَفْيِ التَّشْبِيهِ أَوْ مُطْلَقِ الْإِثْبَاتِ مِنْ غَيْرِ تَشْبِيهٍ لَيْسَ بِسَدِيدٍ، وَذَلِكَ أَنَّهُ مَا مِنْ شَيْئَيْنِ إِلَّا بَيْنَهُمَا قَدْرٌ مُشْـتَرَكٌ وَقَدْرٌ مُمَيِّزٌ.

فَالنَّافِي إِنْ اعْتَمَدَ فِيمَا يَنْفِيهِ عَلَىٰ أَنَّ هَذَا تَشْبِيهٌ، قِيلَ لَهُ: إِنْ أَرَدْت أَنَّهُ مُمَاثِلٌ لَـهُ مِـنْ كُـلِّ وَجْهٍ فَهَذَا بَاطِلٌ، وَإِنْ أَرَدْت أَنَّهُ مُشَابِهٌ لَهُ مِنْ وَجْهٍ دُونَ وَجْهٍ، أَوْ مُشَارِكٌ لَهُ فِي الِاسْمِ، لَزِمَك هَذَا فِي سَائِرِ مَا تُثْبِتُهُ، وَأَنْتُمْ إِنَّمَا أَقَمْتُمْ الدَّلِيلَ عَلَىٰ إِبْطَالِ التَّشْبِيهِ وَالتَّمَاثُلِ، الَّذِي فَسَّـرْتُمُوهُ بِأَنَّهُ يَجُوزُ عَلَىٰ أَحَدِهِمَا مَا يَجُوزُ عَلَىٰ الْآخَرِ، وَيَمْتَنِعُ عَلَيْهِ مَا يَمْتَنِـعُ عَلَيْـهِ، وَيَجِـبُ لَـهُ مَـا يَجِبُ لَهُ.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ إِثْبَاتَ التَّشْبِيهِ بِهَذَا التَّفْسِيرِ مِمَّا لَا يَقُولُهُ عَاقِلٌ يَتَصَوَّرُ مَـا يَقُـولُ، فَإِنَّـهُ يُعْلَـمُ بِضَرُورَةِ الْعَقْلِ امْتِنَاعُهُ، وَلَا يَلْزَمُ مِنْ نَفْيِ هَذَا نَفْـيُ التَّشَـابُهِ مِـنْ بَعْـضِ الْوُجُـوهِ، كَمَـا فِـي الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ الْمُتَوَاطِئَةِ.

وَلَكِنَّ مِنْ النَّاسِ مَنْ يَجْعَلُ التَّشْبِيهَ مُفَسَّرًا بِمَعْنَىٰ مِنْ الْمَعَانِي، ثُمَّ أَنَّ كُلَّ مَنْ أَثْبَتَ ذَلِـكَ الْمَعْنَىٰ قَالُوا: إِنَّهُ مُشَبِّهٌ. وَمُنَازِعُهُمْ يَقُولُ: ذَلِكَ الْمَعْنَىٰ لَيْسَ مِنْ التَّشْبِيهِ.

وَقَدْ يُفَرِّقُ بَيْنَ لَفْظِ التَّشْبِيهِ وَالتَّمْثِيلِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمُعْتَزِلَـةَ وَنَحْـوَهُم مِـنْ نُفَـاةِ الصِّـفَاتِ يَقُولُونَ: كُلُّ مَنْ أَثْبَتَ لِلَّهِ صِفَةً قَدِيمَةً فَهُوَ مُشَبِّهٌ مُمَثِّلٌ، فَمَنْ قَـالَ: إِنَّ لِلَّـهِ عِلْمًـا قَـدِيمًا، أَوْ



قُدْرَةً قَدِيمَةً، كَانَ عِنْدَهُمْ مُشَبِّهًا مُمَثِّلًا، لِأَنَّ الْقَدِيمَ عِنْدَ جُمْهُورِهِمْ هُوَ أَخَصُّ وَصْفِ الْإِلَهِ، فَمَنْ أَثْبَتَ لَهُ صِفَةً قَدِيمَةً فَقَدْ أَثْبَتَ لِلَّهِ مِثْلًا قَدِيمًا، فَيُسَمُّونَهُ مُمَثِّلًا بِهَذَا الِاعْتِبَارِ.

وَمُثْبِتَةُ الصِّفَاتِ لَا يُوَافِقُونَهُمْ عَلَىٰ هَذَا، بَلْ يَقُولُونَ: أَخَصُّ وَصْفِهِ مَا لَا يَتَّصِفُ بِهِ غَيْرُهُ، مِثْلُ كَوْنِهِ رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَأَنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ، وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَنَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَنَحْوُ ذَلِكَ، وَالصِّفَةُ لَا تُوصَفُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ.

ثُمَّ مِنْ هَؤُلَاءِ **الصفاتية** مَنْ لَا يَقُولُ فِي الصِّفَاتِ: إِنَّهَا قَدِيمَةٌ، بَلْ يَقُولُ: الرَّبُّ بِصِفَاتِهِ قَدِيمٌ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: هُوَ قَدِيمٌ وَصِفَتُهُ قَدِيمَةٌ، وَلَا يَقُولُ: هُوَ وَصِفَاتُهُ قَدِيمَانِ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: هُوَ وَصِفَاتُهُ قَدِيمَانِ، وَلَكِنْ يَقُولُ: ذَلِكَ لَا يَقْتَضِي مُشَارَكَةَ الصِّفَةِ لَهُ فِي شَيْءٍ مِنْ خَصَائِصِهِ فَإِنَّ الْقِدَمَ لَيْسَ مِنْ خَصَائِصِ الذَّاتِ الْمُجَرَّدَةِ، بَلْ هُوَ مِنْ خَصَائِصِ الذَّاتِ الْمَوْصُوفَةِ بِصِفَاتٍ، وَإِلَّا فَالذَّاتُ الْمُجَرَّدَةُ لَا وُجُودَ لَهَا عِنْدَهُمْ، فَضْلًا عَنْ أَنْ تَخْتَصَّ بِالْقِدَمِ، وَقَدْ يَقُولُونَ: الذَّاتُ مُتَّصِفَةٌ بِالْقِدَمِ وَالصِّفَاتُ مُتَّصِفَةٌ بِالْقِدَمِ وَلَيْسَتْ الصِّفَاتُ إِلَهًا وَلَا رَبًّا، كَمَا أَنَّ النَّبِيَّ مُحْدَثٌ وَصِفَاتُهُ مُحْدَثَةٌ، وَلَيْسَتْ صِفَاتُهُ نَبِيًّا.

فَهَؤُلَاءِ إِذَا أَطْلَقُوا عَلَىٰ **الصفاتية** اسْمَ **التَّشْبِيهِ وَالتَّمْثِيلِ**: كَانَ هَذَا بِحَسَبِ اعْتِقَادِهِمْ الَّذِي يُنَازِعُهُمْ فِيهِ أُولَئِكَ، **ثُمَّ يَقُولُ لَهُمْ أُولَئِكَ: هَبْ أَنَّ هَذَا الْمَعْنَىٰ قَدْ يُسَمَّىٰ فِي اصْطِلَاحِ بَعْضِ النَّاسِ تَشْبِيهًا، فَهَذَا الْمَعْنَىٰ لَمْ يَنْفِهِ عَقْلٌ وَلَا سَمْعٌ، وَإِنَّمَا الْوَاجِبُ نَفْيُ مَا نَفَتْهُ الْأَدِلَّةُ الشَّرْعِيَّةُ وَالْعَقْلِيَّةُ.**

وَالْقُرْآنُ قَدْ نَفَىٰ مُسَمَّىٰ **الْمِثْلِ وَالْكُفْءِ وَالنِّدِّ** وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَلَكِنْ يَقُولُونَ: الصِّفَةُ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ لَيْسَتْ مِثْلَ الْمَوْصُوفِ وَلَا كُفُؤَهُ وَلَا نِدَّهُ فَلَا تَدْخُلُ فِي النَّصِّ، وَأَمَّا الْعَقْلُ: فَلَمْ يَنْفِ مُسَمَّىٰ التَّشْبِيهِ فِي اصْطِلَاحِ الْمُعْتَزِلَةِ.

وَكَذَلِكَ أَيْضًا يَقُولُونَ: إِنَّ الصِّفَاتِ لَا تَقُومُ إِلَّا بِجِسْمٍ مُتَحَيِّزٍ، وَالْأَجْسَامُ مُتَمَاثِلَةٌ، فَلَوْ قَامَتْ بِهِ الصِّفَاتُ لَلَزِمَ أَنْ يَكُونَ مُمَاثِلًا لِسَائِرِ الْأَجْسَامِ، وَهَذَا هُوَ التَّشْبِيهُ.

وَكَذَلِكَ يَقُولُ: هَذَا كَثِيرٌ مِنْ الصفاتية الَّذِينَ يُثْبِتُونَ الصِّفَاتِ وَيَنْفُونَ عُلُوَّهُ عَلَىٰ الْعَرْشِ وَقِيَامَ الْأَفْعَالِ الِاخْتِيَارِيَّةِ بِهِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَيَقُولُونَ: الصِّفَاتُ قَدْ تَقُومُ بِمَا لَيْسَ بِجِسْمٍ، وَأَمَّا الْعُلُوُّ عَلَىٰ الْعَالَمِ فَلَا يَصِحُّ إِلَّا إِذَا كَانَ جِسْمًا، فَلَوْ أَثْبَتْنَا عُلُوَّهُ لَلَزِمَ أَنْ يَكُونَ جِسْمًا، وَحِينَئِذٍ فَالْأَجْسَامُ مُتَمَاثِلَةٌ فَيَلْزَمُ التَّشْبِيهُ.



فَلِهَذَا تَجِدُ هَؤُلَاءِ يُسَمُّونَ مَنْ أَثْبَتَ الْعُلُوَّ وَنَحْوَهُ مُشَبِّهًا، وَلَا يُسَمُّونَ مَنْ أَثْبَتَ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْكَلَامَ وَنَحْوَهُ مُشَبِّهًا، كَمَا يَقُولُهُ؛ صَاحِبُ «الْإِرْشَادِ» وَأَمْثَالُهُ.

وَكَذَلِكَ قَدْ يُوَافِقُهُمْ عَلَىٰ الْقَوْلِ بِتَمَاثُلِ الْأَجْسَامِ الْقَاضِي أَبُو يَعْلَىٰ وَأَمْثَالُهُ مِنْ مُثْبِتَةِ الصِّفَاتِ وَالْعُلُوِّ، وَلَكِنَّ هَؤُلَاءِ قَدْ يَجْعَلُونَ الْعُلُوَّ صِفَةً خَبَرِيَّةً، كَمَا هُوَ أَوَّلُ قَوْلَيِ الْقَاضِي أَبِي يَعْلَىٰ، فَيَكُونُ الْكَلَامُ فِيهِ كَالْكَلَامِ فِي الْوَجْهِ، وَقَدْ يَقُولُونَ: إِنَّ مَا يُثْبِتُونَهُ لَا يُنَافِي الْجِسْمَ، كَمَا يَقُولُونَهُ فِي سَائِرِ الصِّفَاتِ . وَالْعَاقِلُ إِذَا تَأَمَّلَ وَجَدَ الْأَمْرَ فِي مَا نَفَوْهُ كَالْأَمْرِ فِي مَا أَثْبَتُوهُ لَا فَرْقَ.

وَأَصْلُ كَلَامِ هَؤُلَاءِ كُلِّهِمْ عَلَىٰ أَنَّ إِثْبَاتَ الصِّفَاتِ مُسْتَلْزِمٌ لِلتَّجْسِيمِ، وَالْأَجْسَامُ مُتَمَاثِلَةٌ. وَالْمُثْبِتُونَ يُجِيبُونَ عَنْ هَذَا تَارَةً بِمَنْعِ الْمُقَدِّمَةِ الْأُولَىٰ، وَتَارَةً بِمَنْعِ الْمُقَدِّمَةِ الثَّانِيَةِ، وَتَارَةً بِمَنْعِ كُلٍّ مِنْ الْمُقَدِّمَتَيْنِ، وَتَارَةً بِالِاسْتِفْصَالِ.

وَلَا رَيْبَ أَنَّ قَوْلَهُمْ بِتَمَاثُلِ الْأَجْسَامِ قَوْلٌ بَاطِلٌ، سَوَاءٌ فَسَّرُوا الْجِسْمَ بِمَا يُشَارُ إِلَيْهِ، أَوْ بِالْقَائِمِ بِنَفْسِهِ، أَوْ بِالْمَوْجُودِ، أَوْ بِالْمُرَكَّبِ مِنْ الْهَيُولَىٰ وَالصُّورَةِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ. فَأَمَّا إِذَا فَسَّرُوهُ بِالْمُرَكَّبِ مِنْ الْجَوَاهِرِ الْمُفْرَدَةِ وَعَلَىٰ أَنَّهَا مُتَمَاثِلَةٌ. فَهَذَا يُبْنَىٰ عَلَىٰ صِحَّةِ ذَلِكَ، وَعَلَىٰ إِثْبَاتِ الْجَوَاهِرِ الْمُفْرَدَةِ وَعَلَىٰ أَنَّهُ مُتَمَاثِلٌ. وَجُمْهُورُ الْعُقَلَاءِ يُخَالِفُونَهُمْ فِي ذَلِكَ.

وَالْمَقْصُودُ هُنَا أَنَّهُمْ يُطْلِقُونَ التَّشْبِيهَ عَلَىٰ مَا يَعْتَقِدُونَهُ تَجْسِيمًا بِنَاءً عَلَىٰ تَمَاثُلِ الْأَجْسَامِ، وَالْمُثْبِتُونَ يُنَازِعُونَهُمْ فِي اعْتِقَادِهِمْ، كَإِطْلَاقِ الرَّافِضَةِ لِلنَّصْبِ عَلَىٰ مَنْ تَوَلَّىٰ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، بِنَاءً عَلَىٰ أَنَّ مَنْ أَحَبَّهُمَا فَقَدْ أَبْغَضَ عَلِيًّا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَمَنْ أَبْغَضَهُ فَهُوَ نَاصِبِيٌّ؛ وَأَهْلُ السُّنَّةِ يُنَازِعُونَهُمْ فِي الْمُقَدِّمَةِ الْأُولَىٰ.

وَلِهَذَا يَقُولُ هَؤُلَاءِ: إِنَّ الشَّيْئَيْنِ لَا يَشْتَبِهَانِ مِنْ وَجْهٍ وَيَخْتَلِفَانِ مِنْ وَجْهٍ وَأَكْثَرُ الْعُقَلَاءِ عَلَىٰ خِلَافِ ذَلِكَ، وَقَدْ بَسَطْنَا الْكَلَامَ عَلَىٰ هَذَا فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ، وَبَيَّنَّا فِيهِ حُجَجَ مَنْ يَقُولُ بِتَمَاثُلِ الْأَجْسَامِ وَحُجَجَ مَنْ نَفَىٰ ذَلِكَ، وَبَيَّنَّا فَسَادَ قَوْلِ مَنْ يَقُولُ بِتَمَاثُلِهَا.

وَأَيْضًا، فَالِاعْتِمَادُ بِهَذَا الطَّرِيقِ عَلَىٰ نَفْيِ التَّشْبِيهِ اعْتِمَادٌ بَاطِلٌ، وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا أَثْبَتَ تَمَاثُلَ الْأَجْسَامِ فَهُمْ لَا يَنْفُونَ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحُجَّةِ الَّتِي يَنْفُونَ بِهَا الْجِسْمَ، وَإِذَا ثَبَتَ أَنَّ هَذَا يَسْتَلْزِمُ الْجِسْمَ، وَثَبَتَ امْتِنَاعُ الْجِسْمِ، كَانَ هَذَا وَحْدَهُ كَافِيًا فِي نَفْيِ ذَلِكَ، لَا يَحْتَاجُ نَفْيُ ذَلِكَ إِلَىٰ نَفْيِ مُسَمَّىٰ «التَّشْبِيهِ»، لَكِنَّ نَفْيَ التَّجْسِيمِ يَكُونُ مَبْنِيًّا عَلَىٰ نَفْيِ هَذَا التَّشْبِيهِ بِأَنْ يُقَالَ: لَوْ ثَبَتَ



لَهُ كَذَا وَكَذَا لَكَانَ جِسْمًا؛ ثُمَّ يُقَالُ: وَالْأَجْسَامُ مُتَمَاثِلَةٌ، فَيَجِبُ اشْتِرَاكُهَا فِيمَا يَجِبُ وَيَجُوزُ وَيَمْتَنِعُ، وَهَذَا مُمْتَنِعٌ عَلَيْهِ. لَكِنْ حِينَئِذٍ يَكُونُ مَنْ سَلَكَ هَذَا الْمَسْلَكَ مُعْتَمِدًا فِي نَفْيِ التَّشْبِيهِ عَلَىٰ نَفْيِ التَّجْسِيمِ؛ فَيَكُونُ أَصْلُ نَفْيِهِ نَفْيُ الْجِسْمِ، وَهَذَا مَسْلَكٌ آخَرُ سَنَتَكَلَّمُ عَلَيْهِ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ.

**وَإِنَّمَا الْمَقْصُودُ هُنَا**: أَنَّ مُجَرَّدَ الِاعْتِمَادِ فِي نَفْيِ مَا يُنْفَىٰ عَلَىٰ مُجَرَّدِ نَفْيِ التَّشْبِيهِ لَا يُفِيدُ، إِذْ مَا مِنْ شَيْئَيْنِ إِلَّا يَشْتَبِهَانِ مِنْ وَجْهٍ وَيَفْتَرِقَانِ مِنْ وَجْهٍ، بِخِلَافِ الِاعْتِمَادِ عَلَىٰ نَفْيِ النَّقْصِ وَالْعَيْبِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ سُبْحَانَهُ مُقَدَّسٌ عَنْهُ، فَإِنَّ هَذِهِ طَرِيقَةٌ صَحِيحَةٌ.

وَكَذَلِكَ إِذَا أُثْبِتَ لَهُ صِفَاتُ الْكَمَالِ، وَنُفِيَ مُمَاثَلَةُ غَيْرِهِ لَهُ فِيهَا، فَإِنَّ هَذَا نَفْيُ الْمُمَاثَلَةِ فِيمَا هُوَ مُسْتَحِقٌّ لَهُ، وَهَذَا حَقِيقَةُ التَّوْحِيدِ، وَهُوَ أَلَّا يَشْرَكَهُ شَيْءٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ فِيمَا هُوَ مِنْ خَصَائِصِهِ وَكُلُّ صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ فَهُوَ مُتَّصِفٌ بِهَا عَلَىٰ وَجْهٍ لَا يُمَاثِلُهُ فِيهِ أَحَدٌ، وَلِهَذَا كَانَ مَذْهَبُ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّتِهَا إِثْبَاتُ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ مِنَ الصِّفَاتِ وَنَفْيُ مُمَاثَلَتِهِ لِشَيْءٍ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ.

**فَإِنْ قِيلَ**: إِنَّ الشَّيْءَ إِذَا شَابَهَ غَيْرَهُ مِنْ وَجْهٍ جَازَ عَلَيْهِ مَا يَجُوزُ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ الْوَجْهِ، وَوَجَبَ لَهُ مَا وَجَبَ لَهُ، وَامْتَنَعَ عَلَيْهِ مَا امْتَنَعَ عَلَيْهِ.

**قِيلَ**: هَبْ أَنَّ الْأَمْرَ كَذَلِكَ، وَلَكِنْ إِذَا كَانَ ذَلِكَ الْقَدْرُ الْمُشْتَرَكُ لَا يَسْتَلْزِمُ إِثْبَاتَ مَا يَمْتَنِعُ عَلَىٰ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ وَلَا نَفْيُ مَا يَسْتَحِقُّهُ لَمْ يَكُنْ مُمْتَنِعًا؛ كَمَا إِذَا قِيلَ: إِنَّهُ مَوْجُودٌ حَيٌّ عَلِيمٌ سَمِيعٌ بَصِيرٌ وَقَدْ سَمَّ بَعْضَ الْمَخْلُوقَاتِ حَيًّا سَمْعِيًّا عَلِيمًا بَصِيرًا، فَإِذَا قِيلَ: يَلْزَمُ أَنْ يَجُوزُ عَلَيْهِ مَا يَجُوزُ عَلَىٰ ذَلِكَ مِنْ جِهَةِ كَوْنِهِ مَوْجُودًا حَيًّا عَلِيمًا سَمِيعًا بَصِيرًا. **قِيلَ**: لَازِمُ هَذَا الْقَدْرِ الْمُشْتَرَكِ لَيْسَ مُمْتَنِعًا عَلَىٰ الرَّبِّ تَعَالَىٰ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَقْتَضِي حُدُوثًا، وَلَا إِمْكَانًا، وَلَا نَقْصًا، وَلَا شَيْئًا مِمَّا يُنَافِي صِفَاتِ الرُّبُوبِيَّةِ.

وَذَلِكَ أَنَّ الْقَدْرَ الْمُشْتَرَكَ هُوَ مُسَمَّىٰ «الْوُجُودِ» أَوْ «الْمَوْجُودُ»، أَوْ «الْحَيَاةُ» أَوْ «الْحَيُّ»، أَوْ «الْعِلْمُ» أَوْ «الْعَلِيمُ»، أَوْ «السَّمْعُ» أَوْ «الْبَصَرُ» أَوْ «السَّمِيعُ» أَوْ «الْبَصِيرُ»، أَوْ «الْقُدْرَةُ» أَوْ «الْقَدِيرُ»، وَالْقَدْرُ الْمُشْتَرَكُ مُطْلَقٌ كُلِّيٌّ لَا يَخْتَصُّ بِأَحَدِهِمَا دُونَ الْآخَرِ، فَلَمْ يَقَعْ بَيْنَهُمَا اشْتِرَاكٌ لَا فِيمَا يَخْتَصُّ بِالْمُمْكِنِ الْمُحْدَثِ، وَلَا فِيمَا يَخْتَصُّ بِالْوَاجِبِ الْقَدِيمِ، فَإِنَّ مَا يَخْتَصُّ بِهِ أَحَدُهُمَا يَمْتَنِعُ اشْتِرَاكُهُمَا فِيهِ. فَإِذَا كَانَ الْقَدْرُ الْمُشْتَرَكُ الَّذِي اشْتَرَكَا فِيهِ صِفَةَ



كَمَالٍ: كَالْوُجُودِ وَالْحَيَاةِ وَالْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ مَا يَدُلُّ عَلَىٰ شَيْءٍ مِنْ خَصَائِصِ الْمَخْلُوقِينَ، كَمَا لَا يَدُلُّ عَلَىٰ شَيْءٍ مِنْ خَصَائِصِ الْخَالِقِ لَمْ يَكُنْ فِي إِثْبَاتِ هَذَا مَحْذُورٌ أَصْلًا؛ بَلْ إِثْبَاتُ هَذَا مِنْ لَوَازِمِ الْوُجُودِ، فَكُلُّ مَوْجُودَيْنِ لَا بُدَّ بَيْنَهُمَا مَنْ مِثْلِ هَذَا، وَمَنْ نَفْيِ هَذَا لَزِمَهُ تَعْطِيلُ وُجُودِ كُلِّ مَوْجُودٍ.

وَلِهَذَا لَمَّا اطَّلَعَ الْأَئِمَّةُ عَلَىٰ أَنَّ هَذَا حَقِيقَةُ قَوْلِ الْجَهْمِيَّةِ سَمَّوْهُمْ مُعَطِّلَةً، وَكَانَ جَهْمٌ يُنْكِرُ أَنْ يُسَمَّىٰ اللهُ شَيْئًا، وَرُبَّمَا قَالَتْ الْجَهْمِيَّةُ: هُوَ شَيْءٌ لَا كَالْأَشْيَاءِ، فَإِذَا نَفَىٰ الْقَدْرَ الْمُشْتَرَكَ مُطْلَقًا لَزِمَ التَّعْطِيلُ التَّامُّ.

وَالْمَعَانِي الَّتِي يُوصَفُ بِهَا الرَّبُّ تَعَالَىٰ، كَالْحَيَاةِ وَالْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ، بَلْ الْوُجُودُ وَالثُّبُوتُ وَالْحَقِيقَةُ وَنَحْوُ ذَلِكَ، تَجِبُ لَهُ لَوَازِمُهَا؛ فَإِنَّ ثُبُوتَ الْمَلْزُومِ يَقْتَضِي ثُبُوتَ اللَّازِمِ، وَخَصَائِصُ الْمَخْلُوقِ الَّتِي يَجِبُ تَنْزِيهُ الرَّبِّ عَنْهَا لَيْسَتْ مِنْ لَوَازِمِ ذَلِكَ أَصْلًا، بَلْ تِلْكَ مِنْ لَوَازِمِ مَا يَخْتَصُّ بِالْمَخْلُوقِ مِنْ وُجُودٍ وَحَيَاةٍ وَعِلْمٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ مُنَزَّهٌ عَنْ خَصَائِصِ الْمَخْلُوقِينَ وَمَلْزُومَاتِ خَصَائِصِهِ.

وَهَذَا الْمَوْضِعُ مَنْ فَهِمَهُ فَهْمًا جَيِّدًا، وَتَدَبَّرَهُ، زَالَتْ عَنْهُ عَامَّةُ الشُّبُهَاتِ، وَانْكَشَفَ لَهُ غَلَطُ كَثِيرٍ مِنْ الْأَذْكِيَاءِ فِي هَذَا الْمَقَامِ، وَقَدْ بُسِطَ هَذَا فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ، وَبُيِّنَ فِيهَا أَنَّ الْقَدْرَ الْمُشْتَرَكَ الْكُلِّيَّ لَا يُوجَدُ فِي الْخَارِجِ إِلَّا مُعَيَّنًا مُقَيَّدًا، وَأَنَّ مَعْنَىٰ اشْتِرَاكِ الْمَوْجُودَاتِ فِي أَمْرٍ مِنْ الْأُمُورِ هُوَ تَشَابُهُهَا مِنْ ذَلِكَ الْوَجْهِ، وَأَنَّ ذَلِكَ الْمَعْنَىٰ الْعَامَّ يُطْلَقُ عَلَىٰ هَذَا وَهَذَا، لِأَنَّ الْمَوْجُودَاتِ فِي الْخَارِجِ لَا يُشَارِكُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ فِي شَيْءٍ مَوْجُودٍ فِيهِ، بَلْ كُلُّ مَوْجُودٍ مُتَمَيِّزٌ عَنْ غَيْرِهِ بِذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ.

وَلَمَّا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ كَانَ كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ مُتَنَاقِضًا فِي هَذَا الْمَقَامِ، فَتَارَةً يَظُنُّ أَنَّ إِثْبَاتَ الْقَدْرِ الْمُشْتَرَكِ يُوجِبُ التَّشْبِيهَ الْبَاطِلَ، فَيَجْعَلُ ذَلِكَ لَهُ حُجَّةً فِيمَا يَظُنُّ نَفْيَهُ مِنْ الصِّفَاتِ، حَذَرًا مِنْ مَلْزُومَاتِ التَّشْبِيهِ؛ وَتَارَةً يَتَفَطَّنُ أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ إِثْبَاتِ هَذَا عَلَىٰ تَقْدِيرٍ، فَيُجِيبُ بِهِ فِيمَا يُثْبِتُهُ مِنْ الصِّفَاتِ لِمَنْ احْتَجَّ بِهِ مِنْ النُّفَاةِ.

وَلِكَثْرَةِ الِاشْتِبَاهِ فِي هَذَا الْمَقَامِ: وَقَعَتْ الشُّبْهَةُ فِي أَنَّ وُجُودَ الرَّبِّ هَلْ هُوَ عَيْنُ مَاهِيَّتِهِ، أَوْ زَائِدٌ عَلَىٰ مَاهِيَّتِهِ؛ وَهَلْ لَفْظُ الْوُجُودِ مَقُولٌ بِالِاشْتِرَاكِ اللَّفْظِيِّ، أَوْ التَّوَاطُيء، أَوْ



التَّشْكِيكِ، كَمَا وَقَعَ الِاشْتِبَاهُ فِي إِثْبَاتِ الْأَحْوَالِ وَنَفْيِهَا؛ وَفِي أَنَّ الْمَعْدُومَ هَلْ هُوَ شَيْءٌ أَمْ لَا؟، وَفِي وُجُودِ الْمَوْجُودَاتِ هَلْ هُوَ زَائِدٌ عَلَىٰ مَاهِيَّتِهَا أَمْ لَا؟.

وَقَدْ كَثُرَ مِنْ أَئِمَّةِ النُّظَّارِ الِاضْطِرَابُ وَالتَّنَاقُضُ فِي هَذِهِ الْمَقَامَاتِ، فَتَارَةً يَقُولُ أَحَدُهُمْ الْقَوْلَيْنِ الْمُتَنَاقِضَيْنِ، وَيَحْكِي عَنِ النَّاسِ مَقَالَاتٍ مَا قَالُوهَا، وَتَارَةً يَبْقَىٰ فِي الشَّكِّ وَالتَّحَيُّرِ، وَقَدْ بَسَطْنَا مِنَ الْكَلَامِ فِي هَذِهِ الْمَقَامَاتِ، وَمَا وَقَعَ مِنْ الِاشْتِبَاهِ وَالْغَلَطِ وَالْحَيْرَةِ فِيهَا لِأَئِمَّةِ الْكَلَامِ وَالْفَلْسَفَةِ مَا لَا تَتَّسِعُ لَهُ هَذِهِ الْجُمَلُ الْمُخْتَصَرَةُ.

وَبَيَّنَّا أَنَّ الصَّوَابَ هُوَ أَنَّ وُجُودَ كُلِّ شَيْءٍ فِي الْخَارِجِ هُوَ مَاهِيَّتُهُ الْمَوْجُودَةُ فِي الْخَارِجِ، بِخِلَافِ الْمَاهِيَّةِ الَّتِي فِي الذِّهْنِ فَإِنَّهَا مُغَايِرَةٌ لِلْمَوْجُودِ فِي الْخَارِجِ، وَأَنَّ لَفْظَ الْوُجُودِ كَلَفْظِ «الذَّاتِ» وَ«الشَّيْءِ» وَ«الْمَاهِيَّةِ» وَ«الْحَقِيقَةِ» وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَهَذِهِ الْأَلْفَاظُ كُلُّهَا مُتَوَاطِئَةٌ، وَإِذَا قِيلَ: إِنَّهَا مُشَكِّكَةٌ ، لِتَفَاضُلِ مَعَانِيهَا ، فَالْمُشَكِّكُ نَوْعٌ مِنَ الْمُتَوَاطِيءِ الْعَامِّ الَّذِي يُرَاعَىٰ فِيهِ دَلَالَةُ اللَّفْظِ عَلَىٰ الْقَدْرِ الْمُشْتَرَكِ ، سَوَاءٌ كَانَ الْمَعْنَىٰ مُتَفَاضِلًا فِي مَوَارِدِه ، أَو مُتَمَاثِلًا .

وَبَيَّنَّا أَنَّ الْمَعْدُومَ شَيْءٌ أَيْضًا فِي الْعِلْمِ وَالذِّهْنِ، لَا فِي الْخَارِجِ، فَلَا فَرْقَ بَيْنَ الثُّبُوتِ وَالْوُجُودِ، لَكِنَّ الْفَرْقَ ثَابِتٌ بَيْنَ الْوُجُودِ الْعِلْمِيِّ وَالْعَيْنِيِّ، مَعَ أَنَّ مَا فِي الْعِلْمِ لَيْسَ هُوَ الْحَقِيقَةَ الْمَوْجُودَةَ، وَلَكِنْ هُوَ الْعِلْمُ التَّابِعُ لِلْعَالِمِ الْقَائِمِ بِهِ.

وَكَذَلِكَ الْأَحْوَالُ الَّتِي تَتَمَاثَلُ فِيهَا الْمَوْجُودَاتُ وَتَخْتَلِفُ، لَهَا وُجُودٌ فِي الْأَذْهَانِ، وَلَيْسَ فِي الْأَعْيَانِ إِلَّا الْأَعْيَانُ الْمَوْجُودَةُ، وَصِفَاتُهَا الْقَائِمَةُ بِهَا الْمُعَيَّنَةُ، فَتَتَشَابَهُ بِذَلِكَ وَتَخْتَلِفُ بِهِ.

وَأَمَّا هَذِهِ الْجُمَلُ الْمُخْتَصَرَةُ فَإِنَّ الْمَقْصُودَ بِهَا التَّنْبِيهُ عَلَىٰ جُمَلٍ مُخْتَصَرَةٍ جَامِعَةٍ، مَنْ فَهِمَهَا عَلِمَ قَدْرَ نَفْعِهَا، وَانْفَتَحَ لَهُ بَابُ الْهُدَىٰ، وَإِمْكَانُ إِغْلَاقِ بَابِ الضَّلَالِ، ثُمَّ بَسْطُهَا وَشَرْحُهَا لَهُ مَقَامٌ آخَرُ، إِذْ لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالٌ.

**وَالْمَقْصُودُ هُنَا**: أَنَّ الِاعْتِمَادَ عَلَىٰ مِثْلِ هَذِهِ الْحُجَّةِ فِيمَا يُنْفَىٰ عَنْ الرَّبِّ، وَيُنَزَّهُ عَنْهُ - كَمَا يَفْعَلُهُ كَثِيرٌ مِنْ الْمُصَنِّفِينَ - خَطَأٌ لِمَنْ تَدَبَّرَ ذَلِكَ، وَهَذَا مِنْ طُرُقِ النَّفْيِ الْبَاطِلَةِ.

## فصلٌ

وَأَفْسَدُ مِنْ ذَلِكَ: مَا يَسْلُكُهُ نُفَاةُ الصِّفَاتِ أَوْ بَعْضِهَا، إِذَا أَرَادُوا أَنْ يُنَزِّهُوهُ عَمَّا يَجِبُ تَنْزِيهُهُ عَنْهُ مِمَّا هُوَ مِنْ أَعْظَمِ الْكُفْرِ، مِثْلَ أَنْ يُرِيدُوا تَنْزِيهَهُ عَنْ الْحُزْنِ وَالْبُكَاءِ وَنَحْوِ ذَلِكَ،



وَيُرِيدُونَ الرَّدَّ عَلَىٰ الْيَهُودِ الَّذِينَ يَقُولُونَ: إِنَّهُ بَكَىٰ عَلَىٰ الطُّوفَانِ حَتَّىٰ رَمِدَ وَعَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ بِإِلَٰهِيَّةِ بَعْضِ الْبَشَرِ، وَأَنَّهُ اللهُ.

فَإِنَّ كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ يَحْتَجُّ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ بِنَفْيِ التَّجْسِيمِ أَوِ التَّحَيُّزِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَيَقُولُونَ: لَوْ اتَّصَفَ بِهَذِهِ النَّقَائِصِ وَالْآفَاتِ لَكَانَ جِسْمًا أَوْ مُتَحَيِّزًا، وَذَلِكَ مُمْتَنِعٌ.

وَبِسُلُوكِهِمْ مِثْلَ هَذِهِ الطَّرِيقِ اسْتَظْهَرَ عَلَيْهِمْ الْمَلَاحِدَةُ، نُفَاةُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ.

**فَإِنَّ هَذِهِ الطَّرِيقَةَ لَا يَحْصُلُ بِهَا الْمَقْصُودُ لِوُجُوهٍ:**

**أَحَدُهَا:** أَنَّ وَصْفَ اللهِ تَعَالَىٰ بِهَذِهِ النَّقَائِصِ وَالْآفَاتِ أَظْهَرُ فَسَادًا فِي الْعَقْلِ وَالدِّينِ مِنْ نَفْيِ التَّحَيُّزِ وَالتَّجْسِيمِ، فَإِنَّ هَذَا فِيهِ مِنْ الِاشْتِبَاهِ وَالنِّزَاعِ وَالْخَفَاءِ مَا لَيْسَ فِي ذَلِكَ، وَكُفْرُ صَاحِبِ ذَلِكَ مَعْلُومٌ بِالضَّرُورَةِ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ، وَالدَّلِيلُ مُعَرِّفٌ لِلْمَدْلُولِ، وَمُبَيِّنٌ لَهُ، فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُسْتَدَلَّ عَلَىٰ الْأَظْهَرِ الْأَبْيَنِ بِالْأَخْفَىٰ، كَمَا لَا يُفْعَلُ مِثْلُ ذَلِكَ فِي الْحُدُودِ.

**الْوَجْهُ الثَّانِي:** أَنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَصِفُونَهُ بِهَذِهِ الْآفَاتِ يُمْكِنُهُمْ أَنْ يَقُولُوا: نَحْنُ لَا نَقُولُ بِالتَّجْسِيمِ وَالتَّحَيُّزِ، كَمَا يَقُولُهُ مَنْ يُثْبِتُ الصِّفَاتِ وَيَنْفِي التَّجْسِيمَ، فَيَصِيرُ نِزَاعُهُمْ مِثْلَ نِزَاعِ مُثْبِتَةِ صِفَاتِ الْكَمَالِ، فَيَصِيرُ كَلَامُ مَنْ وَصَفَ اللهَ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ وَصِفَاتِ النَّقْصِ وَاحِدًا، وَيَبْقَىٰ رَدُّ النُّفَاةِ عَلَىٰ الطَّائِفَتَيْنِ بِطَرِيقٍ وَاحِدٍ، وَهَذَا فِي غَايَةِ الْفَسَادِ.

**الثَّالِثُ:** أَنَّ هَؤُلَاءِ يَنْفُونَ صِفَاتِ الْكَمَالِ بِمِثْلِ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ، وَاتِّصَافُهُ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ وَاجِبٌ، ثَابِتٌ بِالْعَقْلِ وَالسَّمْعِ، فَيَكُونُ ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَىٰ فَسَادِ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ.

**الرَّابِعُ:** أَنَّ سَالِكِي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ مُتَنَاقِضُونَ، فَكُلُّ مَنْ أَثْبَتَ شَيْئًا مِنْهُمْ أَلْزَمَهُ الْآخَرُ بِمَا يُوَافِقُهُ فِيهِ مِنْ الْإِثْبَاتِ، كَمَا أَنَّ كُلَّ مَنْ نَفَىٰ شَيْئًا مِنْهُمْ أَلْزَمَهُ الْآخَرُ بِمَا يُوَافِقُهُ فِيهِ مِنْ النَّفْيِ، فَمُثْبِتَةُ الصِّفَاتِ كَالْحَيَاةِ وَالْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ وَالْكَلَامِ وَالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ، إِذَا قَالَتْ لَهُمْ النُّفَاةُ **كَالْمُعْتَزِلَةِ**: هَذَا تَجْسِيمٌ، لِأَنَّ هَذِهِ الصِّفَاتِ أَعْرَاضٌ، وَالْعَرَضُ لَا يَقُومُ إِلَّا بِالْجِسْمِ، أَوْ لِأَنَّا لَا نَعْرِفُ مَوْصُوفًا بِالصِّفَاتِ إِلَّا جِسْمًا. قَالَتْ لَهُمْ **الْمُثْبِتَةُ**: وَأَنْتُمْ قَدْ قُلْتُمْ: إِنَّهُ حَيٌّ عَلِيمٌ قَدِيرٌ، وَقُلْتُمْ: لَيْسَ بِجِسْمٍ، وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ مَوْجُودًا حَيًّا عَالِمًا قَادِرًا إِلَّا جِسْمًا، فَقَدْ أَثْبَتُّمُوهُ عَلَىٰ خِلَافِ مَا عَلِمْتُمْ، فَكَذَلِكَ نَحْنُ، وَقَالُوا لَهُمْ: أَنْتُمْ أَثْبَتُّمْ حَيًّا عَالِمًا قَادِرًا، بِلَا حَيَاةٍ وَلَا عِلْمٍ وَلَا قُدْرَةٍ وَهَذَا تَنَاقُضٌ يُعْلَمُ بِضَرُورَةِ الْعَقْلِ.

ثُمَّ هَؤُلَاءِ الْمُثْبِتَةُ إِذَا قَالُوا لِمَنْ أَثْبَتَ أَنَّهُ يَرْضَىٰ وَيَغْضَبُ وَيُحِبُّ وَيُبْغِضُ، أَوْ مَنْ وَصَفَهُ



بِالِاسْتِوَاءِ وَالنُّزُولِ وَالْإِتْيَانِ وَالْمَجِيءِ، أَوْ بِالْوَجْهِ وَالْيَدِ وَنَحْوِ ذَلِكَ- إِذَا قَالُوا: هَذَا يَقْتَضِي التَّجْسِيمَ، لِأَنَّا لَا نَعْرِفُ مَا يُوصَفُ بِذَلِكَ إِلَّا مَا هُوَ جِسْمٌ، قَالَتْ لَهُمُ **الْمُثْبِتَةُ**: فَأَنْتُمْ قَدْ وَصَفْتُمُوهُ بِالْحَيَاةِ وَالْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ وَالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَالْكَلَامِ، وَهَذَا هَكَذَا، فَإِذَا كَانَ هَذَا لَا يُوصَفُ بِهِ إِلَّا الْجِسْمُ فَالْآخَرُ كَذَلِكَ، وَإِنْ أَمْكَنَ أَنْ يُوصَفَ بِأَحَدِهِمَا مَا لَيْسَ بِجِسْمٍ فَالْآخَرُ كَذَلِكَ، فَالتَّفْرِيقُ بَيْنَهُمَا تَفْرِيقٌ بَيْنَ الْمُتَمَاثِلَيْنِ.

وَلِهَذَا لَمَّا كَانَ الرَّدُّ عَلَىٰ مَنْ وَصَفَ اللهَ تَعَالَىٰ بِالنَّقَائِصِ بِهَذَا الطَّرِيقِ طَرِيقًا فَاسِدًا- لَمْ يَسْلُكْهُ أَحَدٌ مِنَ السَّلَفِ وَالْأَئِمَّةِ، فَلَمْ يَنْطِقْ أَحَدٌ مِنْهُمْ فِي حَقِّ اللهِ تَعَالَىٰ بِالْجِسْمِ لَا نَفْيًا وَلَا إِثْبَاتًا، وَلَا بِالْجَوْهَرِ وَالتَّحَيُّزِ؛ وَنَحْوِ ذَلِكَ لِأَنَّهَا عِبَارَاتٌ مُجْمَلَةٌ، لَا تُحِقُّ حَقًّا وَلَا تُبْطِلُ بَاطِلًا، وَلِهَذَا لَمْ يَذْكُرْ اللهُ فِي كِتَابِهِ فِيمَا أَنْكَرَهُ عَلَىٰ الْيَهُودِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ الْكُفَّارِ مَا هُوَ مِنْ هَذَا النَّوْعِ، بَلْ هَذَا هُوَ مِنَ الْكَلَامِ الْمُبْتَدَعِ الَّذِي أَنْكَرَهُ السَّلَفُ وَالْأَئِمَّةُ.

## فصلٌ

وَأَمَّا فِي طُرُقِ الْإِثْبَاتِ فَمَعْلُومٌ أَيْضًا أَنَّ الْمُثْبَتَ لَا يَكْفِي فِي إِثْبَاتِهِ مُجَرَّدُ نَفْيِ التَّشْبِيهِ، إِذْ لَوْ كَفَىٰ فِي إِثْبَاتِهِ مُجَرَّدُ نَفْيِ التَّشْبِيهِ لَجَازَ أَنْ يُوصَفَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مِنْ الْأَعْضَاءِ وَالْأَفْعَالِ بِمَا لَا يَكَادُ يُحْصَىٰ مِمَّا هُوَ مُمْتَنِعٌ عَلَيْهِ - مَعَ نَفْيِ التَّشْبِيهِ، وَأَنْ يُوصَفَ بِالنَّقَائِصِ الَّتِي لَا تَجُوزُ عَلَيْهِ مَعَ نَفْيِ التَّشْبِيهِ، كَمَا لَوْ وَصَفَهُ مُفْتَرٍ عَلَيْهِ بِالْبُكَاءِ وَالْحُزْنِ وَالْجُوعِ وَالْعَطَشِ مَعَ نَفْيِ التَّشْبِيهِ، وَكَمَا لَوْ قَالَ الْمُفْتَرِي: يَأْكُلُ لَا كَأَكْلِ الْعِبَادِ، وَيَشْرَبُ لَا كَشُرْبِهِمْ، وَيَبْكِي وَيَحْزَنُ لَا كَبُكَائِهِمْ وَلَا حُزْنِهِمْ، كَمَا يُقَالُ: يَضْحَكُ لَا كَضَحِكِهِمْ، وَيَفْرَحُ لَا كَفَرَحِهِمْ، وَيَتَكَلَّمُ لَا كَكَلَامِهِمْ، وَلَجَازَ **أَنْ يُقَالَ**: لَهُ أَعْضَاءٌ كَثِيرَةٌ لَا كَأَعْضَائِهِمْ، كَمَا قِيلَ: لَهُ وَجْهٌ لَا كَوُجُوهِهِمْ، وَيَدَانِ لَا كَأَيْدِيهِمْ. حَتَّىٰ يَذْكُرَ الْمَعِدَةَ وَالْأَمْعَاءَ وَالذَّكَرَ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا يَتَعَالَىٰ اللهُ عَزَّوَجَلَّ عَنْهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا.

**فَإِنَّهُ يُقَالُ**: لِمَنْ نَفَىٰ ذَلِكَ مَعَ إِثْبَاتِ الصِّفَاتِ الْخَبَرِيَّةِ وَغَيْرِهَا مِنْ الصِّفَاتِ: مَا الْفَرْقُ بَيْنَ هَذَا وَمَا أَثْبَتَّهُ، إِذَا نَفَيْت التَّشْبِيهَ، وَجَعَلْت مُجَرَّدَ نَفْيِ التَّشْبِيهِ كَافِيًا فِي الْإِثْبَاتِ، فَلَا بُدَّ مِنْ إِثْبَاتِ فَرْقٍ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ.

**فَإِنْ قَالَ**: الْعُمْدَةُ فِي الْفَرْقِ هُوَ السَّمْعُ، فَمَا جَاءَ بِهِ السَّمْعُ أَثْبَتَهُ، دُونَ مَا لَمْ يَجِئْ بِهِ



السَّمْعُ.

**قِيلَ لَهُ:** **أَوَّلًا:** السَّمْعُ هُوَ خَبَرُ الصَّادِقِ عَمَّا هُوَ الْأَمْرُ عَلَيْهِ فِي نَفْسِهِ، فَمَا أَخْبَرَ بِهِ الصَّادِقُ فَهُوَ حَقٌّ مِنْ نَفْيٍ أَوْ إِثْبَاتٍ، وَالْخَبَرُ دَلِيلٌ عَلَىٰ الْمُخْبَرِ عَنْهُ، وَالدَّلِيلُ لَا يَنْعَكِسُ، فَلَا يَلْزَمُ مِنْ عَدَمِهِ عَدَمُ الْمَدْلُولِ عَلَيْهِ، فَمَا لَمْ يَرِدْ بِهِ السَّمْعُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ثَابِتًا فِي نَفْسِ الْأَمْرِ، وَإِنْ لَمْ يَرِدْ بِهِ السَّمْعُ، إِذَا لَمْ يَكُنْ نَفَاهُ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ السَّمْعَ لَمْ يَنْفِ هَذِهِ الْأُمُورَ بِأَسْمَائِهَا الْخَاصَّةِ، فَلَا بُدَّ مِنْ ذِكْرِ مَا يَنْفِيهَا مِنَ السَّمْعِ، وَإِلَّا فَلَا يَجُوزُ حِينَئِذٍ نَفْيُهَا، كَمَا لَا يَجُوزُ إِثْبَاتُهَا.

**وَأَيْضًا:** فَلَا بُدَّ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ مِنْ فَرْقٍ بَيْنَ مَا يُثْبَتُ لَهُ وَيُنْفَىٰ عَنْهُ، فَإِنَّ الْأُمُورَ الْمُتَمَاثِلَةَ فِي الْجَوَازِ وَالْوُجُوبِ وَالِامْتِنَاعِ، يَمْتَنِعُ اخْتِصَاصُ بَعْضِهَا دُونَ بَعْضٍ فِي الْجَوَازِ وَالْوُجُوبِ وَالِامْتِنَاعِ، فَلَا بُدَّ مِنِ اخْتِصَاصِ الْمَنْفِيِّ عَنِ الْمُثْبَتِ بِمَا يَخُصُّهُ بِالنَّفْيِ، وَلَا بُدَّ مِنِ اخْتِصَاصِ الثَّابِتِ عَنِ الْمَنْفِيِّ بِمَا يَخُصُّهُ بِالثُّبُوتِ.

وَقَدْ يُعَبَّرُ عَنْ ذَلِكَ بِأَنْ يُقَالَ: لَا بُدَّ مِنْ أَمْرٍ يُوجِبُ نَفْيَ مَا يَجِبُ نَفْيُهُ عَنِ اللهِ، كَمَا أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ أَمْرٍ يُثْبِتُ لَهُ مَا هُوَ ثَابِتٌ، وَإِنْ كَانَ السَّمْعُ كَافِيًا كَانَ مُخْبِرًا عَمَّا هُوَ الْأَمْرُ عَلَيْهِ فِي نَفْسِهِ، فَمَا الْفَرْقُ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ بَيْنَ هَذَا وَهَذَا؟

**فَيُقَالُ:** كُلَّمَا نَفَىٰ صِفَاتُ الْكَمَالِ الثَّابِتَةِ لِلَّهِ فَهُوَ مُنَزَّهٌ عَنْهُ، فَإِنَّ ثُبُوتَ أَحَدِ الضِّدَّيْنِ يَسْتَلْزِمُ نَفْيَ الْآخَرِ، فَإِذَا عُلِمَ أَنَّهُ مَوْجُودٌ وَاجِبُ الْوُجُودِ بِنَفْسِهِ، وَأَنَّهُ قَدِيمٌ وَاجِبُ الْقِدَمِ: عُلِمَ امْتِنَاعُ الْعَدَمِ وَالْحُدُوثِ عَلَيْهِ، وَعُلِمَ أَنَّهُ غَنِيٌّ عَمَّا سِوَاهُ، فَالْمُفْتَقِرُ إِلَىٰ مَا سِوَاهُ فِي بَعْضِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ نَفْسُهُ لَيْسَ هُوَ مَوْجُودًا بِنَفْسِهِ، بَلْ بِنَفَسِهِ وَبِذَلِكَ الْآخَرِ الَّذِي أَعْطَاهُ مَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ نَفْسُهُ، فَلَا يُوجَدُ إِلَّا بِهِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ غَنِيٌّ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ، فَكُلُّ مَا نَافَىٰ غِنَاهُ فَهُوَ مُنَزَّهٌ عَنْهُ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ قَدِيرٌ قَوِيٌّ فَكُلُّ مَا نَافَىٰ قُدْرَتَهُ وَقُوَّتَهُ فَهُوَ مُنَزَّهٌ عَنْهُ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ حَيٌّ قَيُّومٌ فَكُلُّ مَا نَافَىٰ حَيَاتَهُ وَقَيُّومِيَّتِهِ فَهُوَ مُنَزَّهٌ عَنْهُ.

وَبِالْجُمْلَةِ فَالسَّمْعُ قَدْ أَثْبَتَ لَهُ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَىٰ وَصِفَاتِ الْكَمَالِ مَا قَدْ وَرَدَ، فَكُلُّ مَا ضَادَّ ذَلِكَ فَالسَّمْعُ يَنْفِيهِ، كَمَا يَنْفِي عَنْهُ الْمِثْلَ وَالْكُفُؤَ، فَإِنَّ إِثْبَاتَ الشَّيْءِ نَفْيٌ لِضِدِّهِ. وَلِمَا يَسْتَلْزِمُ ضِدَّهُ وَالْعَقْلُ يَعْرِفُ نَفْيَ ذَلِكَ، كَمَا يَعْرِفُ إِثْبَاتَ ضِدِّهِ، فَإِثْبَاتُ أَحَدِ الضِّدَّيْنِ نَفْيٌ لِلْآخَرِ وَلِمَا يَسْتَلْزِمُهُ.

فَطُرُقُ الْعِلْمِ بِنَفْيِ مَا يُنَزَّهُ عَنْهُ الرَّبُّ مُتَّسِعَةٌ، لَا يُحْتَاجُ فِيهَا إِلَىٰ الِاقْتِصَارِ عَلَىٰ مُجَرَّدِ نَفْيِ



التَّشْبِيهِ وَالتَّجْسِيمِ كَمَا فَعَلَهُ أَهْلُ الْقُصُورِ وَالتَّقْصِيرِ، الَّذِينَ تَنَاقَضُوا فِي ذَلِكَ وَفَرَّقُوا بَيْنَ الْمُتَمَاثِلَيْنِ، حَتَّىٰ أَنَّ كُلَّ مَنْ أَثْبَتَ شَيْئًا احْتَجَّ عَلَيْهِ مَنْ نَفَاهُ بِأَنَّهُ يَسْتَلْزِمُ التَّشْبِيهَ.

وَكَذَلِكَ احْتَجَّ الْقَرَامِطَةُ عَلَىٰ نَفْيِ جَمِيعِ الْأُمُورِ حَتَّىٰ نَفَوْا النَّفْيَ، فَقَالُوا: لَا يُقَالُ لَا مَوْجُودَ وَلَا لَيْسَ بِمَوْجُودٍ، وَلَا حَيَّ وَلَا لَيْسَ بِحَيٍّ، لِأَنَّ ذَلِكَ تَشْبِيهٌ بِالْمَوْجُودِ أَوْ الْمَعْدُومِ. فَلَزِمَ نَفْيُ النَّقِيضَيْنِ، وَهُوَ أَظْهَرُ الْأَشْيَاءِ امْتِنَاعًا، ثُمَّ إِنَّ هَؤُلَاءِ يَلْزَمُهُمْ مِنْ تَشْبِيهِهِ بِالْمَعْدُومَاتِ وَالْمُمْتَنِعَاتِ وَالْجَمَادَاتِ: أَعْظَمُ مِمَّا فَرُّوا مِنْهُ مِنْ التَّشْبِيهِ بِالْأَحْيَاءِ الْكَامِلِينَ، فَطُرُقُ تَنْزِيهِهِ وَتَقْدِيسِهِ عَمَّا هُوَ مُنَزَّهٌ عَنْهُ مُتَّسِعَةٌ لَا تَحْتَاجُ إِلَىٰ هَذَا.

وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ مَا يُنْفَىٰ عَنْهُ سُبْحَانَهُ وتعالىٰ- يُنْفَىٰ لِتَضَمُّنِ النَّفْيِ الْإِثْبَاتَ، إِذْ مُجَرَّدُ النَّفْيِ لَا مَدْحٌ فِيهِ وَلَا كَمَالَ، فَإِنَّ الْمَعْدُومَ يُوصَفُ بِالنَّفْيِ، وَالْمَعْدُومَ لَا يُشْبِهُ الْمَوْجُودَ، وَلَيْسَ هَذَا مَدْحًا لَهُ، لِأَنَّ مُشَابَهَةَ النَّاقِصِ فِي صِفَاتِ النَّقْصِ نَقْصٌ مُطْلَقًا، كَمَا أَنَّ مُمَاثَلَةَ الْمَخْلُوقِ فِي شَيْءٍ مِنْ الصِّفَاتِ تَمْثِيلٌ وَتَشْبِيهٌ، يُنَزَّهُ عَنْهُ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وَالنَّقْصُ ضِدُّ الْكَمَالِ؛ وَذَلِكَ مِثْلُ أَنَّهُ قَدْ عُلِمَ أَنَّهُ حَيٌّ وَالْمَوْتُ ضِدُّ ذَلِكَ فَهُوَ مُنَزَّهٌ عَنْهُ، وَكَذَلِكَ النَّوْمُ وَالسِّنَةُ ضِدَّ كَمَالِ الْحَيَاةِ، فَإِنَّ النَّوْمَ أَخُو الْمَوْتِ، وَكَذَلِكَ اللُّغُوبُ نَقْصٌ فِي الْقُدْرَةِ وَالْقُوَّةِ، وَالْأَكْلُ وَالشُّرْبُ وَنَحْوُ ذَلِكَ مِنْ الْأُمُورِ فِيهِ افْتِقَارٌ، إِلَىٰ مَوْجُودٍ غَيْرِهِ كَمَا أَنَّ الِاسْتِعَانَةَ بِالْغَيْرِ وَالِاعْتِضَادَ بِهِ وَنَحْوَ ذَلِكَ تَتَضَمَّنُ الِافْتِقَارَ إِلَيْهِ وَالِاحْتِيَاجَ إِلَيْهِ، وَكُلُّ مَنْ يَحْتَاجُ إِلَىٰ مَنْ يَحْمِلُهُ أَوْ يُعِينُهُ عَلَىٰ قِيَامِ ذَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ فَهُوَ مُفْتَقِرٌ إِلَيْهِ لَيْسَ مُسْتَغْنِيًا عَنْهُ بِنَفْسِهِ، فَكَيْفَ مَنْ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ، وَالْآكِلُ وَالشَّارِبُ أَجْوَفُ، وَالْمُصْمَتُ الصَّمَدُ أَكْمَلُ مِنْ الْآكِلِ وَالشَّارِبِ، وَلِهَذَا كَانَتْ الْمَلَائِكَةُ صمدا لَا تَأْكُلُ وَلَا تَشْرَبُ.

وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ كُلَّ كَمَالٍ ثَبَتَ لِمَخْلُوقٍ فَالْخَالِقُ أَوْلَىٰ بِهِ، وَكُلُّ نَقْصٍ تَنَزَّهَ عَنْهُ الْمَخْلُوقُ فَالْخَالِقُ أَوْلَىٰ بِتَنْزِيهِهِ عَنْ ذَلِكَ. وَالسَّمْعُ قَدْ نَفَىٰ ذَلِكَ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ وَالصَّمَدُ الَّذِي لَا جَوْفَ لَهُ وَلَا يَأْكُلُ وَلَا يَشْرَبُ. وَهَذِهِ السُّورَةُ هِيَ نَسَبُ الرَّحْمَنِ، أَوْ هِيَ الْأَصْلُ فِي هَذَا الْبَابِ. وَقَالَ فِي حَقِّ الْمَسِيحِ وَأُمِّهِ: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ [المائدة:٧٥]، فَجَعَلَ ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَىٰ نَفْيِ الْأُلُوهِيَّةِ، فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَىٰ تَنْزِيهِهِ عَنْ ذَلِكَ بِطَرِيقِ الْأَوْلَىٰ وَالْأَحْرَىٰ.



وَالْكَبِدُ وَالطِّحَالُ وَنَحْوُ ذَلِكَ هِيَ أَعْضَاءُ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ، فَالْغَنِيُّ الْمُنَزَّهُ عَنْ ذَلِكَ مُنَزَّهٌ عَنْ آلَاتِ ذَلِكَ، بِخِلَافِ الْيَدِ فَإِنَّهَا لِلْعَمَلِ وَالْفِعْلِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ مَوْصُوفٌ بِالْعَمَلِ وَالْفِعْلِ، إِذْ ذَاكَ مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ، فَمَنْ يَقْدِرُ أَنْ يَفْعَلَ أَكْمَلُ مِمَّنْ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ الْفِعْلِ.

وَهُوَ سُبْحَانَهُ مُنَزَّهٌ عَنْ الصَّاحِبَةِ وَالْوَلَدِ وَعَنْ آلَاتِ ذَلِكَ وَأَسْبَابِهِ، وَكَذَلِكَ الْبُكَاءُ وَالْحُزْنُ هُوَ مُسْتَلْزِمٌ الضَّعْفَ وَالْعَجْزَ، الَّذِي يُنَزَّهُ اللهُ عَنْهُ، بِخِلَافِ الْفَرَحِ وَالْغَضَبِ فَإِنَّهُ مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ، فَكَمَا يُوصَفُ بِالْقُدْرَةِ دُونَ الْعَجْزِ، وَبِالْعِلْمِ دُونَ الْجَهْلِ، وَبِالْحَيَاةِ دُونَ الْمَوْتِ، وَبِالسَّمْعِ دُونَ الصَّمَمِ، وَبِالْبَصَرِ دُونَ الْعَمَىٰ، وَبِالْكَلَامِ دُونَ الْبُكْمِ - فَكَذَلِكَ يُوصَفُ بِالْفَرَحِ دُونَ الْحُزْنِ، وَبِالضَّحِكِ دُونَ الْبُكَاءِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

وَأَيْضًا فَقَدْ ثَبَتَ بِالْعَقْلِ مَا أَثْبَتَهُ السَّمْعُ مِنْ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَا كُفُؤَ لَهُ، وَلَا سَمِيَّ لَهُ، وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، فَلَا يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ حَقِيقَتُهُ كَحَقِيقَةِ شَيْءٍ مِنْ الْمَخْلُوقَاتِ، وَلَا حَقِيقَةِ شَيْءٍ مِنْ صِفَاتِهِ كَحَقِيقَةِ شَيْءٍ مِنْ صِفَاتِ الْمَخْلُوقَاتِ، فَيُعْلَمُ قَطْعًا أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ جِنْسِ الْمَخْلُوقَاتِ، لَا الْمَلَائِكَةِ وَلَا السَّمَوَاتِ وَلَا الْكَوَاكِبِ، وَلَا الْهَوَاءِ وَلَا الْمَاءِ وَلَا الْأَرْضِ، وَلَا الْآدَمِيِّينَ وَلَا أَبْدَانِهِمْ وَلَا أَنْفُسِهِمْ، وَلَا غَيْرِ ذَلِكَ، بَلْ يَعْلَمُ أَنَّ حَقِيقَتَهُ عَنْ مُمَاثَلَاتِ شَيْءٍ مِنْ الْمَوْجُودَاتِ أَبْعَدُ مِنْ سَائِرِ الْحَقَائِقِ، وَأَنَّ مُمَاثَلَتَهُ لِشَيْءٍ مِنْهَا أَبْعَدُ مِنْ مُمَاثَلَةِ حَقِيقَةِ شَيْءٍ مِنْ الْمَخْلُوقَاتِ لِحَقِيقَةِ مَخْلُوقٍ آخَرَ.

فَإِنَّ الْحَقِيقَتَيْنِ إِذَا تَمَاثَلَتَا جَازَ عَلَىٰ كُلِّ وَاحِدَةٍ مَا يَجُوزُ عَلَىٰ الْأُخْرَىٰ، وَوَجَبَ لَهَا مَا وَجَبَ لَهَا، فَيَلْزَمُ أَنْ يَجُوزَ عَلَىٰ الْخَالِقِ الْقَدِيمِ الْوَاجِبِ بِنَفْسِهِ مَا يَجُوزُ عَلَىٰ الْمُحْدَثِ الْمَخْلُوقِ مِنْ الْعَدَمِ وَالْحَاجَةِ، وَأَنْ يُثْبَتَ لِهَذَا مَا يُثْبَتُ لِذَلِكَ مِنْ الْوُجُوبِ وَالْغِنَىٰ، فَيَكُونُ الشَّيْءُ الْوَاحِدُ وَاجِبًا بِنَفْسِهِ غَيْرَ وَاجِبٍ بِنَفْسِهِ، مَوْجُودًا مَعْدُومًا، وَذَلِكَ جَمْعٌ بَيْنَ النَّقِيضَيْنِ.

وَهَذَا مِمَّا يُعْلَمُ بِهِ بُطْلَانُ قَوْلِ الْمُشَبِّهَةِ الَّذِينَ يَقُولُونَ: بَصَرٌ كَبَصَرِي، أَوْ يَدٌ كَيَدِي وَنَحْوِ ذَلِكَ، تَعَالَىٰ اللهُ عَنْ قَوْلِهِمْ عُلُوًّا كَبِيرًا.

وَلَيْسَ الْمَقْصُودُ هُنَا اسْتِيفَاءَ مَا يَثْبُتُ لَهُ، وَمَا يُنَزَّهُ عَنْهُ، وَاسْتِيفَاءَ طُرُقِ ذَلِكَ، لِأَنَّ هَذَا مَبْسُوطٌ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ، وَإِنَّمَا الْمَقْصُودُ هُنَا التَّنْبِيهُ عَلَىٰ جَوَامِعِ ذَلِكَ وَطُرُقِهِ، وَمَا سَكَتَ عَنْهُ السَّمْعُ نَفْيًا وَإِثْبَاتًا، وَلَمْ يَكُنْ فِي الْعَقْلِ مَا يُثْبِتُهُ وَلَا يَنْفِيهِ، سَكَتْنَا عَنْهُ فَلَا نُثْبِتُهُ وَلَا نَنْفِيهِ، فَنُثْبِتُ مَا عَلِمْنَا ثُبُوتَهُ، وَنَنْفِي مَا عَلِمْنَا نَفْيَهُ، وَنَسْكُتُ عَمَّا لَا نَعْلَمُ نَفْيَهُ وَلَا إِثْبَاتَهُ، وَاللهُ



ﷻ أَعْلَمُ.

**الْقَاعِدَةُ السَّابِعَةُ:** أَنْ يُقَالَ: إِنَّ كَثِيرًا مِمَّا دَلَّ عَلَيْهِ «**السَّمْعُ**» يُعْلَمُ «**بِالْعَقْلِ**» أَيْضًا، وَالْقُرْآنُ يُبَيِّنُ مَا يَسْتَدِلُّ بِهِ الْعَقْلُ، وَيُرْشِدُ إِلَيْهِ وَيُنَبِّهُ عَلَيْهِ، كَمَا ذَكَرَ اللهُ ذَلِكَ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ؛ فَإِنَّهُ ﷻ بَيَّنَ مِنْ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَيْهِ، وَعَلَىٰ وَحْدَانِيَّتِهِ، وَقُدْرَتِهِ، وَعِلْمِهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، مَا أَرْشَدَ الْعِبَادَ إِلَيْهِ وَدَلَّهُمْ عَلَيْهِ، كَمَا بَيَّنَ أَيْضًا مَا دَلَّ عَلَىٰ نُبُوَّةِ أَنْبِيَائِهِ، وَمَا دَلَّ عَلَىٰ الْمُعَادِ وَإِمْكَانِهِ.

**فَهَذِهِ الْمَطَالِبُ هِيَ شَرْعِيَّةٌ مِنْ جِهَتَيْنِ:** مِنْ جِهَةِ أَنَّ الشَّارِعَ أَخْبَرَ بِهَا، وَمِنْ جِهَةِ أَنَّهُ بَيَّنَ الْأَدِلَّةَ الْعَقْلِيَّةَ الَّتِي يَسْتَدِلُّ بِهَا عَلَيْهَا.

_ وَالْأَمْثَالُ الْمَضْرُوبَةُ فِي الْقُرْآنِ هِيَ «**أَقْيِسَةٌ عَقْلِيَّةٌ**»، وَقَدْ بُسِطَ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ _ وَهِيَ أَيْضًا عَقْلِيَّةٌ مِنْ جِهَةِ أَنَّهَا تُعْلَمُ بِالْعَقْلِ أَيْضًا.

وَكَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ يُسَمِّي هَذِهِ «**الْأُصُولَ الْعَقْلِيَّةَ**» لِاعْتِقَادِهِ أَنَّهَا لَا تُعْلَمُ إِلَّا بِالْعَقْلِ فَقَطْ؛ لِاعْتِقَادِهِ أَنَّهَا لَا تُعْلَمُ إِلَّا بِالْعَقْلِ فَقَطْ؛ فَإِنَّ السَّمْعَ هُوَ مُجَرَّدُ إِخْبَارِ الصَّادِقِ، وَخَبَرُ الصَّادِقِ_ الَّذِي هُوَ النَّبِيُّ _لَا يُعْلَمُ صِدْقُهُ إِلَّا بَعْدَ الْعِلْمِ بِهَذِهِ الْأُصُولِ بِالْعَقْلِ.

ثُمَّ إِنَّهُمْ قَدْ يَتَنَازَعُونَ فِي الْأُصُولِ الَّتِي تَتَوَقَّفُ إِثْبَاتُ النُّبُوَّةِ عَلَيْهَا:

**فَطَائِفَةٌ تَزْعُمُ** أَنَّ تَحْسِينَ الْعَقْلِ وَتَقْبِيحَهُ دَاخِلٌ فِي هَذِهِ الْأُصُولِ، وَأَنَّهُ لَا يُمْكِنُ إِثْبَاتُ النُّبُوَّةِ بِدُونِ ذَلِكَ، وَيَجْعَلُونَ التَّكْذِيبَ بِالْقَدَرِ مِمَّا يَنْفِيهِ الْعَقْلُ.

وطَائِفَةٌ تَزْعُمُ أَنَّ حُدُوثَ الْعَالَمِ مِنْ هَذِهِ الْأُصُولِ، وَأَنَّ الْعِلْمَ بِالصَّانِعِ لَا يُمْكِنُ إِلَّا بِإِثْبَاتِ حُدُوثِهِ، وَإِثْبَاتِ حُدُوثِهِ لَا يُمْكِنُ إِلَّا بِحُدُوثِ الْأَجْسَامِ، وَحُدُوثُهَا يُعْلَمُ إِمَّا بِحُدُوثِ الصِّفَاتِ، وَإِمَّا بِحُدُوثِ الْأَفْعَالِ الْقَائِمَةِ بِهَا فَيَجْعَلُونَ نَفْيَ أَفْعَالِ الرَّبِّ، وَنَفْيَ صِفَاتِهِ مِنْ الْأُصُولِ الَّتِي لَا يُمْكِنُ إِثْبَاتُ النُّبُوَّةِ إِلَّا بِهَا.

ثُمَّ هَؤُلَاءِ لَا يَقْبَلُونَ الِاسْتِدْلَالَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ عَلَىٰ نَقِيضِ قَوْلِهِمْ، لِظَنِّهِمْ أَنَّ الْعَقْلَ عَارَضُ السَّمْعِ - وَهُوَ أَصْلُهُ - فَيَجِبُ تَقْدِيمُهُ عَلَيْهِ، وَالسَّمْعُ إِمَّا أَنْ يُؤَوَّلَ، وَإِمَّا أَنْ يُفَوَّضَ.

وَهَمَ أَيْضًا عِنْدَ التَّحْقِيقِ لَا يَقْبَلُونَ الِاسْتِدْلَالِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ عَلَىٰ وَفْقِ قَوْلِهِم، لِمَا تَقَدَّمَ.

وَهَؤُلَاءِ يَضِلُّونَ مِنْ وُجُوهٍ:

مِنْهَا ظَنُّهُمْ أَنَّ السَّمْعَ بِطَرِيقِ الْخَبَرِ الْمُجَرَّدَ وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، بَلْ الْقُرْآنُ بَيَّنَ مِنْ



الدَّلَائِلِ الْعَقْلِيَّةِ الَّتِي تُعْلَمُ بِهَا الْمَطَالِبُ الدِّينِيَّةُ مَا لَا يُوجَدُ مِثْلُهُ فِي كَلَامِ أَئِمَّةِ النَّظَرِ، فَتَكُونُ هَذِهِ الْمَطَالِبُ شَرْعِيَّةً وعَقْلِيَّةً.

ومِنْهَا ظَنُّهُمْ أَنَّ الرَّسُولَ لَا يُعْلَمُ صِدْقُهُ إِلَّا بِالطَّرِيقِ الْمُعَيَّنَةِ الَّتِي سَلَكُوهَا، وَهُمْ مُخْطِئُونَ قَطْعًا فِي انْحِصَارِ طَرِيقِ تَصْدِيقِهِ فِيمَا ذَكَرُوهُ، فَإِنَّ طُرُقَ الْعِلْمِ بِصِدْقِ الرَّسُولِ كَثِيرَةٌ، كَمَا قَدْ بُسِطَ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ.

وَمِنْهَا ظَنُّهُمْ أَنَّ تِلْكَ الطَّرِيقَ الَّتِي سَلَكُوهَا صَحِيحَةٌ، وَقَدْ تَكُونُ بَاطِلَةً.

وَمِنْهَا ظَنُّهُمْ أَنَّ مَا عَارَضُوا بِهِ السَّمْعَ مَعْلُومٌ بِالْعَقْلِ، وَيَكُونُونَ غَالِطِينَ فِي ذَلِكَ، فَإِنَّهُ إِذَا وُزِنَ بِالْمِيزَانِ الصَّحِيحِ وُجِدَ مَا يُعَارِضُ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ مِنَ الْمَجْهُولَاتِ لَا مِنَ الْمَعْقُولَاتِ، وَقَدْ بُسِطَ الْكَلَامُ عَلَىٰ هَذَا فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ.

**وَالْمَقْصُودُ هُنَا**: أَنَّ مِنْ «**صِفَاتِ اللهِ تَعَالَىٰ**» مَا قَدْ يُعْلَمُ بِالْعَقْلِ، كَمَا يُعْلَمُ أَنَّهُ عَالِمٌ، وَأَنَّهُ قَادِرٌ، وَأَنَّهُ حَيٌّ، كَمَا أَرْشَدَ إِلَىٰ ذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ [المُلك:١٤].

وَقَدْ اتَّفَقَ النُّظَّارُ مِنْ مُثْبِتَةِ الصِّفَاتِ: عَلَىٰ أَنَّهُ يُعْلَمُ بِالْعَقْلِ -عِنْدَ الْمُحَقِّقِينَ- أَنَّهُ حَيٌّ عَلِيمٌ قَدِيرٌ مُرِيدٌ، وَكَذَلِكَ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ وَالْكَلَامُ يَثْبُتُ بِالْعَقْلِ عِنْدَ الْمُحَقِّقِينَ منهم.

بَلْ وَكَذَلِكَ الْحُبُّ وَالرِّضَا وَالْغَضَبُ يُمْكِنُ إِثْبَاتُهُ بِالْعَقْلِ.

وَكَذَلِكَ عُلُوُّهُ عَلَىٰ الْمَخْلُوقَاتِ وَمُبَايَنَتُهُ لَهَا مِمَّا يُعْلَمُ بِالْعَقْلِ، كَمَا أَثْبَتَهُ بِذَلِكَ الْأَئِمَّةُ مِثْلُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ وَغَيْرِهِ. وَمِثْلُ: عَبْدِ الْعَالِي الْمَكِّيِّ وَعَبْدِ اللهِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ كِلَابٍ.

بَلْ وَكَذَلِكَ إِمْكَانُ الرُّؤْيَةِ يَثْبُتُ بِالْعَقْلِ، لَكِنْ مِنْهُمْ مَنْ أَثْبَتَهَا بِأَنَّ كُلَّ مَوْجُودٍ تَصِحُّ رُؤْيَتُهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَثْبَتَهَا بِأَنَّ كُلَّ قَائِمٍ بِنَفْسِهِ يُمْكِنُ رُؤْيَتُهُ، وَهَذِهِ الطَّرِيقُ أَصَحُّ مِنْ تِلْكَ.

وَقَدْ يُمْكِنُ إِثْبَاتُ الرُّؤْيَةِ بِغَيْرِ هَذَيْنِ الطَّرِيقَيْنِ، بِتَقْسِيمٍ دَائِرٍ بَيْنَ النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ، كَمَا يُقَالُ: إِنَّ الرُّؤْيَةَ لَا تَتَوَقَّفُ إِلَّا عَلَىٰ أُمُورٍ وُجُودِيَّةٍ، فَإِنَّ مَا لَا يَتَوَقَّفُ إِلَّا عَلَىٰ أُمُورٍ وُجُودِيَّةٍ يَكُونُ الْمَوْجُودُ الْوَاجِبُ الْقَدِيمُ أَحَقَّ بِهِ مِنْ الْمُمْكِنِ الْمُحْدَثِ. وَالْكَلَامُ عَلَىٰ هَذِهِ الْأُمُورِ مَبْسُوطٌ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ.

**وَالْمَقْصُودُ هُنَا**: أَنَّ مِنْ الطُّرُقِ الَّتِي يَسْلُكُهَا الْأَئِمَّةُ وَمَنْ اتَّبَعَهُمْ مِنْ نُظَّارِ السُّنَّةِ فِي هَذَا الْبَابِ_ أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ مَوْصُوفًا بِإِحْدَىٰ الصِّفَتَيْنِ الْمُتَقَابِلَتَيْنِ لَلَزِمَ اتِّصَافُهُ بِالْأُخْرَىٰ، فَلَوْ لَمْ يُوصَفْ بِالْحَيَاةِ، لَوُصِفَ بِالْمَوْتِ، وَلَوْ لَمْ يُوصَفْ بِالْقُدْرَةِ لَوُصِفَ بِالْعَجْزِ، وَلَوْ لَمْ يُوصَفْ



بِالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَالْكَلَامِ لَوُصِفَ بِالصَّمَمِ وَالْخَرَسِ وَالْبُكْمِ.

وَطَرْدُ ذَلِكَ أَنَّهُ لَوْ لَمْ يُوصَفْ بِأَنَّهُ مُبَايِنٌ لِلْعَالَمِ لَكَانَ دَاخِلًا فِيهِ، فَسَلْبُ إِحْدَىٰ الصِّفَتَيْنِ الْمُتَقَابِلَتَيْنِ عَنْهُ يَسْتَلْزِمُ ثُبُوتَ الْأُخْرَىٰ، وَتِلْكَ صِفَةُ نَقْصٍ يُنَزَّهُ عَنْهَا الْكَامِلُ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ فَتَنْزِيهُ الْخَالِقِ عَنْهَا أَوْلَىٰ.

وَهَذِهِ الطَّرِيقُ غَيْرُ قَوْلِنَا: إِنَّ هَذِهِ صِفَاتُ كَمَالٍ يَتَّصِفُ بِهَا الْمَخْلُوقُ فَالْخَالِقُ أَوْلَىٰ، فَإِنَّ طَرِيقَ إِثْبَاتِ صِفَاتِ الْكَمَالِ بِأَنْفُسِهَا مُغَايِرٌ لِطَرِيقِ إِثْبَاتِهَا بِنَفْيِ مَا يُنَاقِضُهَا.

وَقَدْ اعْتَرَضَ طَائِفَةٌ مِنَ النُّفَاةُ عَلَىٰ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ بِاعْتِرَاضٍ مَشْهُورٍ لَبَّسُوا بِهِ عَلَىٰ النَّاسِ، حَتَّىٰ صَارَ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْإِثْبَاتِ يَظُنُّ صِحَّتَهُ وَيُضَعِّفُ الْإِثْبَاتَ بِهِ، مِثْلَ مَا فَعَلَ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنَ النُّظَّارِ حَتَّىٰ الْآمَادِي وأَمْثَالُهُ، أَمْسَىٰ مَعَ أَنَّهُ أَصْلُ قَوْلِ الْقَرَامِطَةِ الْبَاطِنِيَّةِ وَأَمْثَالِهِمْ مِنَ الْجَهْمِيَّةِ.

فَقَالُوا: «الْقَوْلُ بِأَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ مُتَّصِفًا بِهَذِهِ الصِّفَاتِ، كَالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَالْكَلَامِ، مَعَ كَوْنِهِ حَيًّا: لَكَانَ مُتَّصِفًا بِمَا يُقَابِلُهَا _فَالتَّحْقِيقُ فِيهِ مُتَوَقِّفٌ عَلَىٰ بَيَانِ حَقِيقَةِ الْمُتَقَابِلَيْنِ وَبَيَانُ أَقْسَامِهِمَا.

فَنَقُولُ: وأَمَّا الْمُتَقَابِلَانِ فَلَا يَجْتَمِعَانِ فِي شَيْءٍ وَاحِدٍ مِنْ جِهَةٍ وَاحِدَةٍ، وَهُوَ إِمَّا أَلَّا يَصِحَّ اجْتِمَاعُهُمَا فِي الصِّدْقِ وَلَا فِي الْكَذِبِ، أَوْ يَصِحَّ ذَلِكَ فِي أَحَدِ الطَّرَفَيْنِ.

وَلِأَنَّهُمَا مُتَقَابِلَانِ بِالسَّلْبِ وَالْإِيجَابِ، وَهُوَ تَقَابُلُ التَّنَاقُضِ، وَالتَّنَاقُضُ هُوَ اخْتِلَافُ الْقَضِيَّتَيْنِ بِالسَّلْبِ وَالْإِيجَابِ عَلَىٰ وَجْهٍ لَا يَجْتَمِعَانِ فِي الصِّدْقِ وَلَا فِي الْكَذِبِ لِذَاتَيْهِمَا كَقَوْلِنَا: زَيْدٌ حَيَوَانٌ، زَيْدٌ لَيْسَ بِحَيَوَانٍ، وَمِنْ خَاصَّةِ اسْتِحَالَةِ اجْتِمَاعِ طَرَفَيْهِ فِي الصِّدْقِ وَالْكَذِبِ، أَنَّهُ لَا وَاسِطَةَ بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ وَلَا اسْتِحَالَةَ لِأَحَدِ الطَّرَفَيْنِ».

مِنْ جِهَةٍ وَاحِدَةٍ وَلَا يَصِحُّ اجْتِمَاعُهُمَا فِي الصِّدْقِ وَلَا فِي الْكَذِبِ، إِذْ كَوْنُ الْمَوْجُودِ وَاجِبًا بِنَفْسِهِ وَمُمْكِنًا بِنَفْسِهِ لَا يَجْتَمِعَانِ وَلَا يَرْتَفِعَانِ.

**الْوَجْهُ الْأَوَّلُ:** أَنَّ هَذَا التَّقْسِيمَ غَيْرَ حَاصِلٍ، فَإِنَّهُ يُقَالُ بِالْمَوْجُودِ إِمَّا أَنْ يَكُونَ وَاجِبًا بِنَفْسِهِ وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ مُمْكِنًا بِنَفْسِهِ وَهَذَانِ الْوُجُودُ وَالْإِمْكَانُ لَا يَجْتَمِعَانِ فِي شَيْءٍ وَاحِدٍ مِنْ جِهَةٍ وَاحِدَةٍ، وَلَا يَصِحُّ اجْتِمَاعُهُمَا فِي الصِّدْقِ وَلَا فِي الْكَذِبِ؛ إِذْ كَوْنُ الْمَوْجُودِ وَاجِبًا بِنَفْسِهِ وَمُمْكِنًا بِنَفْسِهِ. لَا يَجْتَمِعَانِ وَلَا يَرْتَفِعَانِ.



فَإِذَا جَعَلْتُمْ هَذَا التَّقْسِيمَ: وَهُمَا «**النَّقِيضَانِ مَا لَا يَجْتَمِعَانِ وَلَا يَرْتَفِعَانِ**»، فَهَذَانِ لَا يَجْتَمِعَانِ وَلَا يَرْتَفِعَانِ، وَلَيْسَ هُمَا السَّلْبُ وَالْإِيجَابُ، فَلَا يَصِحُّ حَصْرُ النَّقِيضَيْنِ اللَّذَيْنِ لَا يَجْتَمِعَانِ وَلَا يَرْتَفِعَانِ فِي السَّلْبِ وَالْإِيجَابِ.

وَحِينَئِذٍ، فَقَدَ ثَبَتَ وَصْفَانِ: شَيْئَانِ لَا يَجْتَمِعَانِ وَلَا يَرْتَفِعَانِ، وَهُوَ خَارِجٌ عَنْ الْأَقْسَامِ الْأَرْبَعَةِ.

وَعَلَىٰ هَذَا فَمَنْ جَعَلَ الْمَوْتَ مَعْنًىٰ وُجُودِيًّا فَقَدْ يَقُولُ: إِنَّ كَوْنَ الشَّيْءِ لَا يَخْلُو مِنْ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ هُوَ مِنْ هَذَا الْبَابِ.

وَكَذَلِكَ الْعِلْمُ وَالْجَهْلُ، وَالصَّمَمُ، وَالْبُكْمُ، وَنَحْوُ ذَلِكَ.

**الْوَجْهُ الثَّانِي:** أَنْ يُقَالَ: هَذَا الْتَقْسِيمُ يَتَدَاخَلُ، فَإِنَّ الْعَدَمَ وَالْمَلَكَةَ يَدْخُلُ فِي السَّلْبِ وَالْإِيجَابِ، وَغَايَتُهُ أَنَّهُ نَوْعٌ مِنْهُ، وَالْمُتَضَايِفَانِ يَدْخُلَانِ فِي الْمُتَضَادَّيْنِ، إِنَّمَا هُمَا نَوْعٌ مِنْهُ.

**فَإِنْ قَالَ:** أَعْنِي بِالسَّلْبِ وَالْإِيجَابِ: فَلَا يَدْخُلُ فِي الْعَدَمِ وَالْمَلَكَةِ، وَهُوَ أَنْ يُسْلَبَ عَنْ الشَّيْءِ مَا لَيْسَ بِقَابِلٍ لَهُ، وَلِهَذَا جُعِلَ مِنْ خَوَاصِّهِ أَنَّهُ لَا اسْتِحَالَةَ لِأَحَدِ طَرَفَيْهِ إِلَىٰ الآخر.

**قِيلَ لَهُ: عَنْ هَذَا جَوَابَانِ:**

**أَحَدُهُمَا:** أَنَّ غَايَةَ هَذَا أَنَّ السَّلْبَ يَنْقَسِمُ إِلَىٰ نَوْعَيْنِ، **أَحَدُهُمَا:** سَلْبُ مَا يُمْكِنُ اتِّصَافُ الشَّيْءِ بِهِ، **وَالثَّانِي:** سَلْبُ مَا لَا يُمْكِنُ اتِّصَافُهُ بِهِ.

فَيُقَالُ الْأَوَّلُ إِثْبَاتُ مَا يُمْكِنُ اتِّصَافُهُ وَلَا يَجِبُ، وَالثَّانِي: إِثْبَاتُ مَا يَجِبُ اتِّصَافُهُ بِهِ، فَيَكُونُ الْمُرَادُ بِهِ سَلْبٌ الْمُمْتَنِعِ وَإِثْبَاتُ الْوَاجِبِ، كَقَوْلِنَا: زَيْدٌ حَيَوَانٌ، فَإِنَّ هَذَا إِثْبَاتٌ وَاجِبٌ، وَزَيْدٌ لَيْسَ بِحَجَرٍ، فَإِنَّ هَذَا سَلْبٌ مُمْتَنِعٌ.

وَعَلَىٰ هَذَا التَّقْدِيرِ، فَالْمُمْكِنَاتُ الَّتِي تَقْبَلُ الْوُجُودَ وَالْعَدَمَ، كَقَوْلِنَا: الْمُثَلَّثُ إِمَّا مَوْجُودٌ وَإِمَّا مَعْدُومٌ، يَكُونُ مِنْ قِسْمِ الْعَدَمِ وَالْمَلَكَةِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ، فَإِنَّ ذَلِكَ الْقِسْمَ يَخْلُو فِيهِ الْمَوْصُوفُ الْوَاحِدُ عَلَىٰ الْمُتَقَابِلَيْنِ جَمِيعًا، وَلَا يَخْلُو شَيْءٌ مِنْ الْمُمْكِنَاتِ عَنْ الْوُجُودِ وَالْعَدَمِ.

وَأَيْضًا فَإِنَّهُ عَلَىٰ هَذَا التَّقْدِيرِ، فَصِفَاتُ الرَّبِّ كُلُّهَا وَاجِبَةٌ لَهُ، فَإِذَا قِيلَ: إِمَّا أَنْ يَكُونَ حَيًّا أَوْ عَلِيمًا أَوْ سَمِيعًا أَوْ بَصِيرًا أَوْ مُتَكَلِّمًا، أَوْ لَا يَكُونُ - كَانَ مِثْلُ قَوْلِنَا: إِمَّا أَنْ يَكُونَ مَوْجُودًا وَإِمَّا أَلَّا يَكُونَ، وَهَذَا مُتَقَابِلٌ تَقَابُلَ السَّلْبِ وَالْإِيجَابِ، فَيَكُونُ الْآخَرُ مِثْلُهُ، وَبِهَذَا يَحْصُلُ



الْمَقْصُودُ.

**فَإِنْ قِيلَ**: هَذَا لَا يَصِحُّ حَتَّىٰ يُعْلَمَ إِمْكَانُ قَبُولِهِ لِهَذِهِ الصِّفَاتِ.

**قِيلَ لَهُ**: هَذَا إِنَّمَا اشْتَرَكَا فِيمَا أَمْكَنَ أَنْ يَثْبُتَ لَهُ وَيَزُولَ كَالْحَيَوَانِ، فَأَمَّا الرَّبُّ تَعَالَىٰ: فَإِنَّهُ بِتَقْدِيرِ ثُبُوتِهَا لَهُ فَهِيَ وَاجِبَةٌ ضَرُورَةً؛ فإنه لَا يُمْكِنُ اتِّصَافُهُ بِهَا وَبِعَدَمِهَا بِاتِّفَاقِ الْعُقَلَاءِ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُوجِبُ أَنْ يَكُونَ تَارَةً حَيًّا وَتَارَةً مَيِّتًا، وَتَارَةً أَصَمَّ وَتَارَةً سَمِيعًا، وَهَذَا يُوجِبُ اتِّصَافُهُ بِالنَّقَائِصِ، وَذَلِكَ مُنْتَفٍ قَطْعًا.

بِخِلَافِ مَنْ نَفَاهَا، وَقَالَ: إِنَّ نَفْيَهَا لَيْسَ بِنَقْصٍ، لِظَنِّهِ أَنَّهُ لَا يَقْبَلُ الِاتِّصَافَ بِهَا، فَإِنَّ مَنْ قَالَ هَذَا لَا يُمْكِنُهُ أَنْ يَقُولَ: إِنَّهُ مَعَ إِمْكَانِ الِاتِّصَافِ بِهَا لَا يَكُونُ نَفْيُهَا نَقْصًا. فَإِنَّ فَسَادَ هَذَا مَعْلُومٌ بِالضَّرُورَةِ.

وَقِيلَ لَهُ أَيْضًا: أَنْتَ فِي تَقَابُلِ السَّلْبِ وَالْإِيجَابِ، إِنْ اشْتَرَطْت الْعِلْمَ بِإِمْكَانِ الطَّرَفَيْنِ لَمْ يَصِحَّ أَنْ تَقُولَ: وَاجِبُ الْوُجُودِ إِمَّا مَوْجُودٌ وَإِمَّا مَعْدُومٌ، وَالْمُمْتَنِعُ الْوُجُودِ إِمَّا مَوْجُودٌ وَإِمَّا مَعْدُومٌ، لِأَنَّ أَحَدَ الطَّرَفَيْنِ هُنَا مَعْلُومُ الْوُجُوبِ، وَالْآخَرَ مَعْلُومُ الِامْتِنَاعِ.

وَإِنْ اشْتَرَطْت الْعِلْمَ بِإِمْكَانِ أَحَدِهِمَا صَحَّ أَنْ تَقُولَ: إِمَّا أَنْ يَكُونَ حَيًّا وَإِمَّا أَلَّا يَكُونَ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا وَإِمَّا أَلَّا يَكُونَ، لِأَنَّ النَّفْيَ إِنْ كَانَ مُمْكِنًا صَحَّ التَّقْسِيمُ، وَإِنْ كَانَ مُمْتَنِعًا كَانَ الْإِثْبَاتُ وَاجِبًا، وَحَصَلَ الْمَقْصُودُ.

**فَإِنْ قِيلَ**: هَذَا يُفِيدُ أَنَّ هَذَا التَّأْوِيلَ يُقَابِلُ السَّلْبَ وَالْإِيجَابَ وَنَحْنُ نُسَلِّمُ ذَلِكَ، كَمَا ذُكِرَ فِي الِاعْتِرَاضِ، لَكِنَّ غَايَتَهُ: أَنَّهُ إِمَّا سَمِيعٌ وَإِمَّا لَيْسَ بِسَمِيعٍ، وَإِمَّا بَصِيرٌ وَإِمَّا لَيْسَ بِبَصِيرٍ، وَالْمُنَازِعُ يَخْتَارُ النَّفْيَ.

**فَيُقَالُ لَهُ**: عَلَىٰ هَذَا التَّقْدِيرِ فَالْمُثْبَتُ وَاجِبٌ، وَالْمَسْلُوبُ مُمْتَنِعٌ، فَإِمَّا أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الصِّفَاتُ وَاجِبَةً لَهُ، وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ مُمْتَنِعَةً عَلَيْهِ، وَالْقَوْلُ بِالِامْتِنَاعِ لَا وَجْهَ لَهُ إِذْ لَا دَلِيلَ عَلَيْهِ بِوَجْهٍ.

**بَلْ قَدْ يُقَالُ**: نَحْنُ نَعْلَمُ بِالِاضْطِرَارِ بُطْلَانَ الِامْتِنَاعِ، فَإِنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُسْتَدَلَّ عَلَىٰ امْتِنَاعِ ذَلِكَ إِلَّا بِمَا يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَىٰ إِبْطَالِ أَصْلِ الصِّفَاتِ، وَقَدْ عُلِمَ فَسَادُ ذَلِكَ، وَحِينَئِذٍ فَيَجِبُ الْقَوْلُ بِوُجُوبِ هَذِهِ الصِّفَاتِ لَهُ.



وَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا يُمْكِنُ أَنْ يُجْعَلَ طَرِيقَةً مُسْتَقِلَّةً فِي إِثْبَاتِ صِفَاتِ الْكَمَالِ لَهُ، فَإِنَّهَا إِمَّا وَاجِبَةٌ لَهُ، وَإِمَّا مُمْتَنِعَةٌ عَلَيْهِ، وَالثَّانِي بَاطِلٌ فَتَعَيَّنَ الْأَوَّلُ، لِأَنَّ كَوْنَهُ قَابِلًا لَهَا خَالِيًا عَنْهَا يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ مُمْكِنًا، وَذَلِكَ مُمْتَنِعٌ فِي حَقِّهِ، وَهَذِهِ طَرِيقَةٌ مَعْرُوفَةٌ لِمَنْ سَلَكَهَا مِنْ النُّظَّارِ.

**الْجَوَابُ الثَّانِي**: أَنْ يُقَالَ فَعَلَىٰ هَذَا إِذَا قُلْنَا: زَيْدٌ إِمَّا عَاقِلٌ، وَإِمَّا غَيْرُ عَاقِلٍ، وَإِمَّا عَالِمٌ وَإِمَّا لَيْسَ بِعَالِمٍ، وَإِمَّا حَيٌّ وَإِمَّا غَيْرُ حَيٍّ، وَإِمَّا نَاطِقٌ وَإِمَّا غَيْرُ نَاطِقٍ، وَأَمْثَالُ ذَلِكَ مِمَّا فِيهِ سَلْبُ الصِّفَةِ عَنْ مَحَلٍّ قَابِلٍ لَهَا، لَمْ يَكُنْ هَذَا دَاخِلًا فِي قِسْمِ تَقَابُلِ السَّلْبِ وَالْإِيجَابِ.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ هَذَا خِلَافُ الْمَعْلُومِ بِالضَّرُورَةِ، وَخِلَافُ اتِّفَاقِ الْعُقَلَاءِ، وَخِلَافُ مَا ذَكَرُوهُ فِي الْمَنْطِقِ وَغَيْرِهِ.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ مِثْلَ هَذِهِ الْقَضَايَا تَتَنَاقَضُ بِالسَّلْبِ وَالْإِيجَابِ عَلَىٰ وَجْهٍ يَلْزَمُ مِنْهُ صِدْقُ إِحْدَاهُمَا كَذِبُ الْأُخْرَىٰ، فَلَا يَجْتَمِعَانِ فِي الصِّدْقِ وَالْكَذِبِ، فَهَذِهِ شُرُوطُ التَّنَاقُضِ مَوْجُودٌ فِيهَا.

وَغَايَةُ فِرَقِهِمْ أَنْ يَقُولُوا: إِذَا قُلْنَا: هُوَ إِمَّا بَصِيرٌ وَإِمَّا لَيْسَ بِبَصِيرٍ، كَانَ إِيجَابًا وَسَلْبًا، وَإِذَا قُلْنَا: إِمَّا بَصِيرٌ وَإِمَّا أَعْمَىٰ، كَانَ مَلَكَةً وَعَدَمًا.

وَهَذِهِ مُنَازَعَةٌ لَفْظِيَّةٌ، وَإِلَّا فَالْمَعْنَىٰ فِي الْمَوْضِعَيْنِ سَوَاءٌ، فَعُلِمَ أَنَّ ذَلِكَ نَوْعٌ مِنْ تَقَابُلِ السَّلْبِ وَالْإِيجَابِ، وَهَذَا يُبْطِلُ قَوْلَهُمْ فِي حَدِّ ذَلِكَ التَّقَابُلِ: أَنَّهُ لَا اسْتِحَالَةَ لِأَحَدِ الطَّرَفَيْنِ إِلَىٰ الْآخَرِ، فَإِنَّ الِاسْتِحَالَةَ هُنَا مُمْكِنَةٌ كَإِمْكَانِهَا إِذَا عُبِّرَ بِلَفْظِ «**الْعَمَىٰ**».

**الْوَجْهُ الثَّالِثُ**: أَنْ يُقَالَ: التَّقْسِيمُ الْحَاصِرُ أَنْ يُقَالَ: الْمُتَقَابِلَانِ إِمَّا أَنْ يَخْتَلِفَا بِالسَّلْبِ وَالْإِيجَابِ، وَإِمَّا أَلَّا يَخْتَلِفَا بِذَلِكَ، بَلْ يَكُونَانِ إِيجَابِيَّيْنِ أَوْ سَلْبِيَّيْنِ، فَالْأَوَّلُ هُوَ النَّقِيضَانِ، وَالثَّانِي: إِمَّا أَنْ يُمْكِنَ خُلُوُّ الْمَحَلِّ عَنْهُمَا، وَإِمَّا أَلَّا يُمْكِنَ، وَالْأَوَّلُ هُمَا الضِّدَّانِ كَالسَّوَادِ وَالْبَيَاضِ، وَالثَّانِي هُمَا فِي مَعْنَىٰ النَّقِيضَيْنِ وَإِنْ كَانَا ثُبُوتِيَّيْنِ كَالْوُجُوبِ وَالْإِمْكَانِ، وَالْحُدُوثِ وَالْقِدَمِ، وَالْقِيَامِ بِالنَّفْسِ، وَالْقِيَامِ بِالْغَيْرِ، وَالْمُبَايَنَةِ وَالْمُجَانَبَةِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْحَيَاةَ وَالْمَوْتَ، وَالصَّمَمَ وَالْبُكْمَ وَالسَّمْعَ، لَيْسَ مِمَّا إِذَا خَلَا الْمَوْصُوفُ عَنْهُمَا وُصِفَ بِوَصْفٍ ثَالِثٍ بَيْنِهِمَا كَالْحُمْرَةِ بَيْنَ السَّوَادِ وَالْبَيَاضِ، فَعُلِمَ أَنَّ الْمَوْصُوفَ لَا يَخْلُو عَنْ أَحَدِهِمَا فَإِذَا انْتَفَىٰ تَعَيَّنَ الْآخَرُ.

**الْوَجْهُ الرَّابِعُ**: الْمَحَلُّ الَّذِي لَا يَقْبَلُ الِاتِّصَافَ بِالْحَيَاةِ وَالْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ وَالْكَلَامِ وَنَحْوِهَا،



أَنْقَصُ مِنْ الْمَحَلِّ الَّذِي يَقْبَلُ ذَلِكَ وَيَخْلُو عَنْهَا، وَلِهَذَا كَانَ الْحَجَرُ وَنَحْوُهُ أَنْقَصَ مِنْ الْحَيِّ الْأَعْمَىٰ.

وَحِينَئِذٍ، فَإِذَا كَانَ الْبَارِئُ مُنَزَّهًا عَنْ نَفْيِ هَذِهِ الصِّفَاتِ- مَعَ قَبُولِهِ لَهَا- فَتَنْزِيهُهُ عَنْ امْتِنَاعِ قَبُولِهِ لَهَا أَوْلَىٰ وَأَحْرَىٰ، إذْ بِتَقْدِيرِ قَبُولِهِ لَهَا يَمْتَنِعُ مَنْعُ الْمُتَقَابِلَيْنِ، وَاتِّصَافُهُ بِالنَّقَائِصِ مُمْتَنِعٌ، فَيَجِبُ اتِّصَافُهُ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ، وَبِتَقْدِيرِ عَدَمِ قَبُولِهِ لَا يُمْكِنُ اتِّصَافُهُ لَا بِصِفَاتِ الْكَمَالِ وَلَا بِصِفَاتِ النَّقْصِ، وَهَذَا أَشَدُّ امْتِنَاعًا، فَثَبَتَ أَنَّ اتِّصَافَهُ بِذَلِكَ مُمْكِنٌ، وَأَنَّهُ وَاجِبٌ لَهُ، وَهُوَ الْمَطْلُوبُ، وَهَذَا فِي غَايَةِ الْحُسْنِ.

**الْوَجْهُ الْخَامِسُ:** أَنْ يُقَالَ: أَنْتُمْ جَعَلْتُمْ تَقَابُلَ الْعَدَمِ وَالْمَلَكَةِ فِيمَا يُمْكِنُ اتِّصَافُهُ بِثُبُوتِ، فَإِذَا عَنَيْتُمْ بِالْإِمْكَانِ الْإِمْكَانَ الْخَارِجِيَّ، وَهُوَ أَنْ يُعْلَمَ ثُبُوتُ ذَلِكَ فِي الْخَارِجِ، كَانَ هَذَا بَاطِلًا لِوَجْهَيْنِ:

**أَحَدُهُمَا:** أَنَّهُ يُلْزِمُكُمْ أَنْ تَكُونَ الْجَامِدَاتُ لَا تُوصَفُ بِأَنَّهَا لَا حَيَّةٌ وَلَا مَيِّتَةٌ، وَلَا نَاطِقَةٌ وَلَا صَامِتَةٌ، وَهُوَ قَوْلُكُمْ، لَكِنَّ هَذَا اصْطِلَاحٌ مَحْضٌ، وَإِلَّا فَالْعَرَبُ يَصِفُونَ هَذِهِ الْجَمَادَاتِ بِالْمَوْتِ وَالصَّمْتِ.

وَقَدْ جَاءَ الْقُرْآنُ بِذَلِكَ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـًٔا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ۝٢٠ أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖۖ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ۝٢١﴾، [النحل] فَهَذَا فِي «**الْأَصْنَامِ**» وَهِيَ مِنْ الْجَمَادَاتِ وَقَدْ وُصِفَتْ بِالْمَوْتِ.

وَالْعَرَبُ تُقَسِّمُ الْأَرْضَ إلَىٰ الْحَيَوَانِ وَالْمَوَتَانِ، قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ: الْمَوَتَانُ، بِالتَّحْرِيكِ: خِلَافُ الْحَيَوَانِ، يُقَالُ: اشْتَرِ الْمَوَتَانِ وَلَا تَشْتَرِ الْحَيَوَانَ، أَيْ اشْتَرِ الْأَرَضِينَ وَالدُّوْرَ، وَلَا تَشْتَرِ الرَّقِيقَ وَالدَّوَابَّ. وَقَالُوا أَيْضًا: الْمَوَاتُ: مَا لَا رُوحَ فِيهِ.

**فَإِنْ قِيلَ:** فَهَذَا إنَّمَا سُمِّيَ مَوَاتًا بِاعْتِبَارِ قَوْلِهِ: «**لِلْحَيَاةِ**»، الَّتِي هِيَ إحْيَاءُ الْأَرْضِ.

قِيلَ: وَهَذَا يَقْتَضِي أَنَّ الْحَيَاةَ أَعَمُّ مِنْ حَيَاةِ الْحَيَوَانِ، وَأَنَّ الْجَمَادَ يُوصَفُ بِالْحَيَاةِ إذَا كَانَ قَابِلًا لِلزَّرْعِ وَالْعِمَارَةِ.

وَالْخَرَسُ ضِدُّ النُّطْقِ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ «**لَبَنٌ أَخْرَسُ**»، أَيْ خَاثِرٌ لَا صَوْتَ لَهُ فِي الْإِنَاءِ، «**وَسَحَابَةٌ خَرْسَاءُ**»، لَيْسَ فِيهَا رَعْدٌ وَلَا بَرْقٌ، «**وَعَلَمٌ أَخْرَسُ**»، إذَا لَمْ يُسْمَعْ لَهُ فِي الْجَبَلِ صَوْتُ صَدًىٰ، وَيُقَالُ: «**كَتِيبَةٌ خَرْسَاءُ**»، قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: هِيَ الَّتِي صَمَتَتْ مِنْ كَثْرَةِ الدُّرُوعِ



لَيْسَ لَهُ فَقَاقِعُ.

وَأَبْلَغُ مِنْ ذَلِكَ الصَّمْتُ وَالسُّكُوتُ، فَإِنَّهُ يُوصَفُ بِهِ الْقَادِرُ عَلَىٰ النُّطْقِ إِذَا تَرَكَهُ، بِخِلَافِ الْخَرَسِ فَإِنَّهُ عَجْزٌ عَنْ النُّطْقِ، وَمَعَ هَذَا فَالْعَرَبُ تَقُولُ: «**مَا لَهُ صَامِتٌ وَلَا نَاطِقٌ**»، فَالصَّامِتُ الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ، وَالنَّاطِقُ الْإِبِلُ وَالْغَنَمُ، فَالصَّامِتُ مِنْ اللَّبَنِ: الْخَاثِرُ، وَالصَّمُوتُ: الدِّرْعُ الَّتِي صُبت إِذَا لَمْ يُسْمَعْ لَهُ صَوْتٌ.

وَيَقُولُونَ: دَابَّةٌ عَجْمَاءُ، وَخَرْسَاءُ، لِمَا لَا تَنْطِقُ وَلَا يُمَكَّنُ مِنْهُ النُّطْقُ فِي الْعَادَةِ، وَمِنْهُ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «**الْعَجْمَاءُ جُبَارٌ**».

وَكَذَلِكَ فِي «**الْعَمْيَاءِ**»، تَقُولُ الْعَرَبُ: عَمَىٰ الْمَوْجُ يَعْمِي عَمْيًا إِذَا رَمَىٰ بِالْقَذَىٰ وَالزَّبَدِ، و «**الأعميان**»: السَّيْلُ وَالْجَمَلُ الْهَائِجُ، وَعَمَىٰ عَلَيْهِ الْأَمْرُ إِذَا الْتَبَسَ، وَمِنْهُ قَوْله تَعَالَىٰ: ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ﴾ [القصص:٦٦].

وَهَذِهِ الْأَمْثِلَةُ قَدْ يُقَالُ فِي بَعْضِهَا: إِنَّهُ عَدَمٌ مَا يَقْبَلُ الْمَحَلَّ الِاتِّصَافَ بِهِ كَالصَّوْتِ، وَلَكِنْ فِيهَا مَا لَا يَقْبَلُ كَمَوْتِ الْأَصْنَامِ.

**الثَّانِي**: أَنَّ الْجَامِدَاتِ يُمْكِنُ اتِّصَافُهَا بِذَلِكَ، فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ قَادِرٌ أَنْ يَخْلُقَ فِي الْجَمَادَاتِ حَيَاةً، كَمَا جَعَلَ عَصَىٰ مُوسَىٰ حَيَّةً تَبْتَلِعُ الْحِبَالَ وَالْعِصِيَّ.

وَإِذَا كَانَ فِي إِمْكَانِ الْعَادَاتِ: كَانَ ذَلِكَ مِمَّا قَدْ عُلِمَ بِالتَّوَاتُرِ، وَأَنْتُمْ أَيْضًا قَائِلُونَ بِهِ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ.

وَإِذَا كَانَ الْجَمَادَاتُ يُمْكِنُ اتِّصَافُهَا بِالْحَيَاةِ وَتَوَابِعِ الْحَيَاةِ ثَبَتَ أَنَّ جَمِيعَ الْمَوْجُودَاتِ يُمْكِنُ اتِّصَافُهَا بِذَلِكَ، فَيَكُونُ الْخَالِقُ أَوْلَىٰ بِهَذَا الْإِمْكَانِ.

وَإِنْ عَنَيْتُمْ الْإِمْكَانَ الذِّهْنِيَّ، وَهُوَ عَدَمُ الْعِلْمِ بِالِامْتِنَاعِ فَهَذَا حَاصِلٌ فِي حَقِّ اللهِ، فَإِنَّهُ لَا يُعْلَمُ امْتِنَاعُ اتِّصَافِهِ بِالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَالْكَلَامِ.

**الْوَجْهُ السَّادِسُ**: أَنْ يُقَالَ: هَبْ أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ الْعِلْمِ بِالْإِمْكَانِ الْخَارِجِيِّ، فَإِمْكَانُ الْوَصْفِ لِلشَّيْءِ يُعْلَمُ تَارَةً بِوُجُوهِ لَهُ، أَوْ بِوُجُودِهِ لِنَظِيرِهِ، أَوْ بِوُجُودِهِ لِمَا هُوَ الشَّيْءُ أَوْلَىٰ بِذَلِكَ مِنْهُ.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْحَيَاةَ وَالْعِلْمَ وَالْقُدْرَةَ وَالسَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْكَلَامَ ثَابِتٌ لِلْمَوْجُودَاتِ الْمَخْلُوقَةِ، وَمُمْكِنَةٌ لَهَا، فَإِمْكَانُهَا لِلْخَالِقِ تَعَالَىٰ أَوْلَىٰ وَأَحْرَىٰ، فَإِنَّهَا صِفَاتُ كَمَالٍ، وَهُوَ قَابِلٌ لِلِاتِّصَافِ بِالصِّفَاتِ، وَإِذَا كَانَتْ مُمْكِنَةً فِي حَقِّهِ فَلَوْ لَمْ يَتَّصِفْ بِهَا لَاتَّصَفَ بِأَضْدَادِهَا.



**الْوَجْهُ السَّابِعُ**: أَنْ يُقَالَ: مُجَرَّدُ سَلْبِ هَذِهِ الصِّفَاتِ نَقْصٌ لِذَاتِهِ، سَوَاءٌ سُمِّيَتْ عَمًى وَصَمَمًا وَبُكْمًا، أَوْ لَمْ تُسَمَّ، وَالْعِلْمُ بِذَلِكَ ضَرُورِيٌّ، فَأَمَّا إِذَا قَدَّرْنَا مَوْجُودَيْنِ، أَحَدُهُمَا يَسْمَعُ وَيُبْصِرُ وَيَتَكَلَّمُ، وَالْآخَرُ لَيْسَ كَذَلِكَ- كَانَ الْأَوَّلُ أَكْمَلَ مِنَ الثَّانِي.

وَلِهَذَا عَابَ اللهُ سُبْحَانَهُ مَنْ عَبَدَ مَا تَنْتَفِي فِيهِ هَذِهِ الصِّفَاتُ، فَقَالَ تَعَالَىٰ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾﴾[مريم]، وَقَالَ أَيْضًا فِي قِصَّتِهِ: ﴿فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾﴾[الأنبياء]، وَقَالَ تَعَالَىٰ عَنْهُ: ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الشُّعراء].

وَكَذَلِكَ فِي قِصَّةِ مُوسَىٰ فِي الْعِجْلِ: ﴿أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًاۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾﴾ [الأعراف]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾﴾[النَّحل]، فَقَابَلَ بَيْنَ الْأَبْكَمِ الْعَاجِزِ وَبَيْنَ الْآمِرِ بِالْعَدْلِ: الَّذِي هُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.

## فصلٌ

**وَأَمَّا الْأَصْلُ الثَّانِي**، وَهُوَ التَّوْحِيدُ فِي الْعِبَادَاتِ الْمُتَضَمِّنُ لِلْإِيمَانِ بِالشَّرْعِ وَالْقَدَرِ جَمِيعًا- فَنَقُولُ: لَا بُدَّ مِنَ الْإِيمَانِ بِخَلْقِ اللهِ وَأَمْرِهِ، فَيَجِبُ الْإِيمَانُ بِأَنَّ اللهَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَرَبُّهُ وَمَلِيكُهُ، وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَنَّهُ مَا شَاءَ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، وَقَدْ عَلِمَ مَا سَيَكُونُ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ، وَقَدَّرَ الْمَقَادِيرَ وَكَتَبَهَا حَيْثُ شَاءَ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۚ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾[الحج]، وَفِي الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ قَدَّرَ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَىٰ الْمَاءِ**».

وَيَجِبُ الْإِيمَانُ بِأَنَّ اللهَ أَمَرَ بِعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، كَمَا خَلَقَ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ لِعِبَادَتِهِ، وَبِذَلِكَ أَرْسَلَ رُسُلَهُ، وَأَنْزَلَ كُتُبَهُ.



وَعِبَادَتُهُ تَتَضَمَّنُ كَمَالُ الذُّلِّ وَالْحُبِّ لَهُ، وَذَلِكَ يَتَضَمَّنُ كَمَالَ طَاعَتِهِ، ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء:٨٠]، وَقَدْ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [النساء:٦٤]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران:٣١].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الزُّخرُف]، وَقَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ [الشورىٰ:١٣]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾﴾ [المؤمنون]، فَأَمَرَ الرُّسُلَ بِإِقَامَةِ الدِّينِ وَأَلَّا يَتَفَرَّقُوا فِيهِ، وَلِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «**إِنَّا مَعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ دِينُنَا وَاحِدٌ، وَالْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ، وَإِنَّ أَوْلَىٰ النَّاسِ بِابْنِ مَرْيَمَ لَأَنَا؛ إِنَّهُ لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ**».

وَهَذَا الدِّينُ هُوَ دِينُ الْإِسْلَامِ، الَّذِي لَا يَقْبَلُ اللهُ دِينًا غَيْرَهُ، لَا مِنْ الْأَوَّلِينَ وَلَا مِنْ الآخرين، فَإِنَّ جَمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَىٰ دِينِ الْإِسْلَامِ، قَالَ تَعَالَىٰ عَنْ نُوحٍ :﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ﴾[يونس:٧١]، إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾﴾[يونس]. وَقَالَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ؛ ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾﴾إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾[البقرة]، وَقَالَ عَنْ مُوسَىٰ: ﴿يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾[يونس:٨٤]، وَقَالَ فِي خَبَرِ الْمَسِيحِ: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾﴾[المائدة]، وَقَالَ فِيمَنْ تَقَدَّمَ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ: ﴿يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟﴾[المائدة:٤٤]، وَقَالَ عَنْ بَلْقِيسَ أَنَّهَا قَالَتْ: ﴿رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾[النمل].



**فَالْإِسْلَامُ** يَتَضَمَّنُ الِاسْتِسْلَامَ لِلَّهِ وَحْدَهُ، فَمَنْ اسْتَسْلَمَ لَهُ وَلِغَيْرِهِ كَانَ مُشْرِكًا، وَمَنْ لَمْ يَسْتَسْلِمْ لَهُ كَانَ مُسْتَكْبِرًا عَنْ عِبَادَتِهِ، وَالْمُشْرِكُ بِهِ وَالْمُسْتَكْبِرُ عَنْ عِبَادَتِهِ كَافِرٌ، وَالِاسْتِسْلَامُ لَهُ وَحْدَهُ يَتَضَمَّنُ عِبَادَتَهُ وَحْدَهُ وَطَاعَتَهُ وَحْدَهُ.

فَهَذَا دِينُ الْإِسْلَامِ الَّذِي لَا يَقْبَلُ اللهُ غَيْرَهُ، وَذَلِكَ إِنَّمَا يَكُونُ بِأَنْ يُطَاعَ فِي كُلِّ وَقْتٍ بِفِعْلِ مَا أَمَرَ بِهِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، فَإِذَا أَمَرَ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ بِاسْتِقْبَالِ الصَّخْرَةِ، ثُمَّ أَمَرَ ثَانِيًا بِاسْتِقْبَالِ الْكَعْبَةِ، كَانَ كُلٌّ مِنَ الْفِعْلَيْنِ حِينَ أَمَرَ بِهِ دَاخِلًا فِي الْإِسْلَامِ، فَالدِّينُ هُوَ الطَّاعَةُ وَالْعِبَادَةُ لَهُ فِي الْفِعْلَيْنِ، وَإِنَّمَا تَنَوُّعُ بَعْضِ صُوَرِ الْفِعْلِ وَهُوَ وَجْهُ الْمُصَلِّي، فَكَذَلِكَ الرُّسُلُ دِينُهُمْ وَاحِدٌ، وَإِنْ تَنَوَّعَتْ الشِّرْعَةُ وَالْمِنْهَاجُ وَالْوَجْهُ وَالْمَنْسَكُ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَمْنَعُ أَنْ يَكُونَ الدِّينُ وَاحِدًا، كَمَا لَمْ يَمْنَعْ ذَلِكَ فِي شَرِيعَةِ الرَّسُولِ الْوَاحِدِ.

وَاللهُ تَعَالَىٰ جَعَلَ مِنْ دِينِ الرُّسُلِ: أَنَّ أَوَّلَهُمْ يُبَشِّرُ بِآخِرِهِمْ وَيُؤْمِنُ بِهِ، وَآخِرَهُمْ يُصَدِّقُ بِأَوَّلِهِمْ وَيُؤْمِنُ بِهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [آل عمران]، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: لَمْ يَبْعَثْ اللهُ نَبِيًّا إِلَّا أَخَذَ عَلَيْهِ الْمِيثَاقَ لَئِنْ بُعِثَ مُحَمَّدٌ وَهُوَ حَيٌّ لَيُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَيَنْصُرُنَّهُ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَأْخُذَ الْمِيثَاقَ عَلَىٰ أُمَّتِهِ لَئِنْ بُعِثَ مُحَمَّدٌ وَهُمْ أَحْيَاءٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَيَنْصُرُنَّهُ.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ﴾ [المائدة:٤٨].

وَجَعَلَ الْإِيمَانَ مُتَلَازِمًا، وَكَفَّرَ مَنْ قَالَ: إِنَّهُ آمَنَ بِبَعْضٍ وَكَفَرَ بِبَعْضٍ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ﴾ [النساء]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [البقرة]، وَقَدْ قَالَ لَنَا: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ



إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾ [البقرة]، فَأَمَرَنَا أَنْ نَقُولَ آمَنَّا بِهَذَا كُلِّهِ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ، فَمَنْ بَلَغَتْهُ رِسَالَةُ مُحَمَّدٍ ﷺ فَلَمْ يُقِرَّ بِمَا جَاءَ بِهِ لَمْ يَكُنْ مُسْلِمًا وَلَا مُؤْمِنًا، بَلْ يَكُونُ كَافِرًا، وَإِنْ زَعَم أَنَّهُ مُسْلِمٌ أَوْ مُؤْمِنٌ.

كَمَا ذَكَرُوا أَنَّهُ لَمَّا أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾[آل عمران]، قَالَتْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ: فَنَحْنُ مُسْلِمُونَ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ﴾ فَقَالُوا: لَا نَحُجُّ فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾[آل عمران]، فَإِنَّ الِاسْتِسْلَامَ لِلَّهِ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِالْإِقْرَارِ بِمَا لَهُ عَلَىٰ عِبَادِهِ مِنْ حِجِّ الْبَيْتِ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَىٰ خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ، وَحَجِّ الْبَيْتِ**»، وَلِهَذَا لَمَّا وَقَفَ النَّبِيُّ ﷺ بِعَرَفَةَ أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ﴾[المائدة:٣].

وَقَدْ تَنَازَعَ النَّاسُ فِيمَنْ تَقَدَّمَ مِنْ أُمَّةِ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ هَلْ هُمْ مُسْلِمُونَ أَمْ لَا؟ «**وَهُوَ نِزَاعٌ لَفْظِيٌّ**»، فَإِنَّ الْإِسْلَامَ الْخَاصَّ الَّذِي بَعَثَ اللهُ بِهِ مُحَمَّدًا ﷺ، الْمُتَضَمِّنُ لِشَرِيعَةِ الْقُرْآنِ- لَيْسَ عَلَيْهِ إِلَّا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَالْإِسْلَامُ الْيَوْمَ عِنْدَ الْإِطْلَاقِ يَتَنَاوَلُ هَذَا، وَأَمَّا الْإِسْلَامُ الْعَامُّ، الْمُتَنَاوِلُ لِكُلِّ شَرِيعَةٍ بَعَثَ اللهُ بِهَا نَبِيًّا- فَإِنَّهُ يَتَنَاوَلُ إِسْلَامَ كُلِّ أُمَّةٍ مُتَّبِعَةٍ لِنَبِيٍّ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ.

وَرَأْسُ الْإِسْلَامِ مُطْلَقًا شَهَادَةُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَبِهَا بُعِثَ جَمِيعُ الرُّسُلِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ﴾ [النحل:٣٦]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء]، وَقَالَ عَنْ الْخَلِيلِ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الزُّخرُف]، ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الزُّخرُف] وَقَالَ تَعَالَىٰ عَنْهُ: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الشعراء]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ



مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَاوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة:٤]، وَقَالَ ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾[الزُّخرُف]؟ وَذَكَرَ عَنْ رُسُلِهِ: كَنُوحٍ وَهُودٍ وَصَالِحٍ وَغَيْرِهِمْ أَنَّهُمْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ: ﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف:٥٩]، وَقَالَ عَنْ أَهْلِ الْكَهْفِ: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾﴾ [الكهف]، إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [الأعراف:٣٧]، وَقَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨]، ذَكَرَ ذَلِكَ فِي مَوْضِعَيْنِ مِنْ كِتَابِهِ.

وَقَدْ بَيَّنَ فِي كِتَابِهِ الشِّرْكَ بِالْمَلَائِكَةِ، وَالشِّرْكَ بِالْأَنْبِيَاءِ، وَالشِّرْكَ بِالْكَوَاكِبِ، وَالشِّرْكَ بِالْأَصْنَامِ - وَأَصْلُ الشِّرْكِ، الشِّرْكُ بِالشَّيْطَانِ - فَقَالَ عَنْ النَّصَارَىٰ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [التوبة]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ﴾ [المائدة]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران:٧٩]، إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [آل عمران]؟ فَبَيَّنَ أَنَّ اتِّخَاذَ الْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا كُفْرٌ.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ أَحَدًا مِنْ الْخَلْقِ لَمْ يَزْعُمْ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ وَالْأَحْبَارَ وَالرُّهْبَانَ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ شَارَكُوا اللهَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، بَلْ وَلَا زَعَمَ أَحَدٌ مِنْ النَّاسِ أَنَّ الْعَالَمَ لَهُ صَانِعَانِ مُتَكَافِئَانِ فِي الصِّفَاتِ وَالْأَفْعَالِ، بَلْ وَلَا أَثْبَتَ أَحَدٌ مِنْ بَنِي آدَمَ إِلَهًا مُسَاوِيًا لِلَّهِ فِي جَمِيعِ صِفَاتِهِ، بَلْ عَامَّةُ الْمُشْرِكِينَ بِاللهِ مُقِرُّونَ بِأَنَّهُ لَيْسَ شَرِيكُهُ مِثْلَهُ: بَلْ عَامَّتُهُمْ يُقِرُّونَ أَنَّ الشَّرِيكَ مَمْلُوكٌ لَهُ سَوَاءٌ كَانَ مَلَكًا أَوْ نَبِيًّا أَوْ كَوْكَبًا أَوْ صَنَمًا، كَمَا كَانَ مُشْرِكُو الْعَرَبِ يَقُولُونَ فِي



تَلْبِيَتِهِمْ: «لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَك، إلَّا شَرِيكًا هُوَ لَك، تَمْلِكُهُ وَمَا مَلَكَ» فَأَهَلَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالتَّوْحِيدِ وَقَالَ: «لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْك، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَك لَبَّيْكَ، إنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَك وَالْمُلْكَ، لَا شَرِيكَ لَك».

وَقَدْ ذَكَرَ أَرْبَابُ الْمَقَالَاتِ مَا جَمَعُوا مِنْ مَقَالَاتِ الْأَوَّلِينَ والآخرين فِي الْمِلَلِ وَالنِّحَلِ وَالْآرَاءِ وَالدِّيَانَاتِ، فَلَمْ يَنْقُلُوا عَنْ أَحَدٍ إثْبَاتَ شَرِيكٍ مُشَارِكٍ لَهُ فِي خَلْقِ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ، وَلَا مُمَاثِلَ لَهُ فِي جَمِيعِ الصِّفَاتِ، بَلْ مِنْ أَعْظَمِ مَا نَقَلُوا فِي ذَلِكَ قَوْلَ الثنوية، الَّذِينَ يَقُولُونَ بِالْأَصْلَيْنِ: «النُّورِ» و«الظُّلْمَةِ» وَأَنَّ النُّورَ خَلَقَ الْخَيْرَ، وَالظُّلْمَةَ خَلَقَتْ الشَّرَّ، ثُمَّ ذَكَرُوا لَهُمْ فِي الظُّلْمَةِ قَوْلَيْنِ: أَحَدُهُمَا أَنَّهَا مُحْدَثَةٌ فَتَكُونُ مِنْ جُمْلَةِ الْمَخْلُوقَاتِ لَهُ، وَالثَّانِي أَنَّهَا قَدِيمَةٌ، لَكِنَّهَا لَمْ تَفْعَلْ إلَّا الشَّرَّ، فَكَانَتْ نَاقِصَةً فِي ذَاتِهَا وَصِفَاتِهَا وَمَفْعُولَاتِهَا عَنْ النُّورِ.

وَقَدْ أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ عَنْ الْمُشْرِكِينَ مِنْ إقْرَارِهِمْ بِأَنَّ اللهَ خَالِقُ الْمَخْلُوقَاتِ مَا بَيَّنَهُ فِي كِتَابِهِ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ۝٣٨﴾[الزُّمَر:٣٨]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٨٤ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٨٥ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۝٨٦ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٨٧﴾ إلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ۝٨٩﴾ إلَىٰ قَوْلِهِ :﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝٩١﴾ [المؤمنون]، وَقَالَ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ۝١٠٦﴾ [يوسف:١٠٦].

وَبِهَذَا وَغَيْرِهِ يُعْرَفُ مَا وَقَعَ مِنْ الْغَلَطِ فِي مُسَمَّىٰ «التَّوْحِيدِ»، فَإِنَّ عَامَّةَ الْمُتَكَلِّمِينَ الَّذِينَ يُقَرِّرُونَ التَّوْحِيدَ فِي كُتُبِ الْكَلَامِ وَالنَّظَرِ - غَايَتُهُمْ أَنْ يَجْعَلُوا التَّوْحِيدَ ثَلَاثَةَ أَنْوَاعٍ، فَيَقُولُونَ: هُوَ وَاحِدٌ فِي ذَاتِهِ لَا قَسِيمَ لَهُ، وَوَاحِدٌ فِي صِفَاتِهِ لَا شَبِيهَ لَهُ، وَوَاحِدٌ فِي أَفْعَالِهِ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَرُ الْأَنْوَاعِ الثَّلَاثَةِ عِنْدَهُمْ هُوَ الثَّالِثُ: وَهُوَ «تَوْحِيدُ الْأَفْعَالِ» وَهُوَ أَنَّ خَالِقَ الْعَالَمِ وَاحِدٌ، وَهُمْ يَحْتَجُّونَ عَلَىٰ ذَلِكَ بِمَا يَذْكُرُونَهُ مِنْ دَلَالَةِ التَّمَانُعِ وَغَيْرِهَا، وَيَظُنُّونَ أَنَّ هَذَا هُوَ التَّوْحِيدُ



الْمَطْلُوبُ، وَأَنَّ هَذَا هُوَ مَعْنَىٰ قَوْلِنَا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ حَتَّىٰ قَدْ يَجْعَلُوا مَعْنَىٰ الْإِلَهِيَّةِ الْقُدْرَةَ عَلَىٰ الِاخْتِرَاعِ.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ مِنْ الْعَرَبِ الَّذِينَ بُعِثَ إِلَيْهِمْ مُحَمَّدٌ ﷺ أَوَّلًا - لَمْ يَكُونُوا يُخَالِفُونَهُ فِي هَذَا، بَلْ كَانُوا يُقِرُّونَ بِأَنَّ اللهَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، حَتَّىٰ إِنَّهُمْ كَانُوا يُقِرُّونَ بِالْقَدَرِ أَيْضًا، وَهُمْ مَعَ هَذَا مُشْرِكُونَ.

وَقَدْ تَبَيَّنَ أَنْ لَيْسَ فِي الْعَالَمِ مَنْ يُنَازِعُ فِي أَصْلِ هَذَا الشِّرْكِ، وَلَكِنْ غَايَةُ مَا يُقَالُ: إِنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ جَعَلَ بَعْضَ الْمَوْجُودَاتِ خَلْقًا لِغَيْرِ اللهِ، كَالْقَدَرِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ، لَكِنَّ هَؤُلَاءِ يُقِرُّونَ بِأَنَّ اللهَ خَالِقُ الْعِبَادِ وَخَالِقُ قُدْرَتِهِمْ، وَإِنْ قَالُوا: إِنَّهُمْ خَلَقُوا أَفْعَالَهُمْ.

وَكَذَلِكَ أَهْلُ الْفَلْسَفَةِ وَالطَّبْعِ وَالنُّجُومِ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ أَنَّ بَعْضَ الْمَخْلُوقَاتِ مُبْدِعَةٌ لِبَعْضِ الْأُمُورِ، هُمْ مَعَ الْإِقْرَارِ بِالصَّانِعِ يَجْعَلُونَ هَذِهِ الْفَاعِلَاتِ مَصْنُوعَةً مَخْلُوقَةً، لَا يَقُولُونَ إِنَّهَا غَنِيَّةٌ عَنْ الْخَالِقِ، مُشَارِكَةٌ لَهُ فِي الْخَلْقِ.

فَأَمَّا مَنْ أَنْكَرَ الصَّانِعَ فَذَاكَ جَاحِدٌ مُعَطِّلٌ لِلصَّانِعِ، كَالْقَوْلِ الَّذِي أَظْهَرَهُ فِرْعَوْنُ، وَالْكَلَامُ الْآنَ مَعَ الْمُشْرِكِينَ بِاللهِ الْمُقِرِّينَ بِوُجُودِهِ، وَالْكَلَامُ الْآنَ مَعَ الْمُشْرِكِينَ بِاللهِ الْمُقِرِّينَ بِوُجُودِهِ، فَإِنَّ هَذَا التَّوْحِيدَ الَّذِي قَرَّرُوهُ لَا يُنَازِعُهُمْ فِيهِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ، بَلْ يُقِرُّونَ بِهِ مَعَ أَنَّهُمْ مُشْرِكُونَ، كَمَا ثَبَتَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ، وَكَمَا عُلِمَ بِالِاضْطِرَارِ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ.

وَكَذَلِكَ «**النَّوْعُ الثَّانِي**»، وَهُوَ قَوْلُهُمْ: لَا شَبِيهَ لَهُ فِي صِفَاتِهِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ فِي الْأُمَمِ مَنْ أَثْبَتَ قَدِيمًا مُمَاثِلًا لَهُ فِي ذَاتِهِ سَوَاءٌ قَالَ إِنَّهُ يُشَارِكُهُ، أَوْ قَالَ: إِنَّهُ لَا فِعْلَ لَهُ، بَلْ مَنْ شَبَّهَ بِهِ شَيْئًا مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ فَإِنَّمَا يُشَبِّهُهُ بِهِ فِي بَعْضِ الْأُمُورِ.

وَقَدْ عُلِمَ بِالْعَقْلِ امْتِنَاعُ أَنْ يَكُونَ لَهُ مِثْلٌ فِي الْمَخْلُوقَاتِ، يُشَارِكُهُ فِيمَا يَجِبُ أَوْ يَجُوزُ أَوْ يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَسْتَلْزِمُ الْجَمْعَ بَيْنَ النَّقِيضَيْنِ كَمَا تَقَدَّمَ، وَعُلِمَ أَيْضًا بِالْعَقْلِ أَنَّ كُلَّ مَوْجُودَيْنِ قَائِمَيْنِ بِأَنْفُسِهِمَا فَلَا بُدَّ بَيْنَهُمَا مِنْ قَدْرٍ مُشْتَرَكٍ، كَاتِّفَاقِهِمَا فِي مُسَمَّىٰ الْوُجُودِ وَالْقِيَامِ بِالنَّفْسِ وَالذَّاتِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَإِنَّ نَفْيَ ذَلِكَ يَقْتَضِي التَّعْطِيلَ الْمَحْضَ، وَإِنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ إِثْبَاتِ خَصَائِصِ الرُّبُوبِيَّةِ. وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَىٰ ذَلِكَ.



ثُمَّ إنَّ الْجَهْمِيَّةَ مِنْ الْمُعْتَزِلَةِ وَغَيْرِهِمْ أَدْرَجُوا نَفْيَ الصِّفَاتِ فِي مُسَمَّىٰ «التَّوْحِيدِ»، فَصَارَ مَنْ قَالَ: إنَّ لِلَّهِ عِلْمًا أَوْ قُدْرَةً، أَوْ إنَّهُ يُرَىٰ فِي الْآخِرَةِ، أَوْ إنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ مُنَزَّلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ -يَقُولُونَ: إنَّهُ مُشَبِّهٌ لَيْسَ بِمُوَحِّدٍ.

وَزَادَ عَلَيْهِمْ غُلَاةُ الْفَلَاسِفَةِ وَالْقَرَامِطَةِ فَنَفَوْا أَسْمَاءَهُ الْحُسْنَىٰ، وَقَالُوا: مَنْ قَالَ: إنَّ اللهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ عَزِيزٌ حَكِيمٌ، فَهُوَ مُشَبِّهٌ لَيْسَ بِمُوَحِّدٍ.

وَزَادَ عَلَيْهِمْ غُلَاةُ الْغُلَاةِ، وَقَالُوا: لَا يُوصَفُ بِالنَّفْيِ وَلَا الْإِثْبَاتِ، لِأَنَّ فِي كُلٍّ مِنْهُمَا تَشْبِيهًا لَهُ.

وَهَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ وَقَعُوا مِنْ جِنْسِ التَّشْبِيهِ فِيمَا هُوَ شَرٌّ مِمَّا فَرُّوا مِنْهُ، فَإِنَّهُمْ شَبَّهُوهُ بِالْمُمْتَنِعَاتِ وَالْمَعْدُومَاتِ وَالْجَمَادَاتِ فِرَارًا مِنْ تَشْبِيهِهِمْ - بِزَعْمِهِمْ - لَهُ بِالْأَحْيَاءِ.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ هَذِهِ الصِّفَاتِ الثَّابِتَةَ لِلَّهِ لَا تَثْبُتُ لَهُ عَلَىٰ حَدٍّ مَا يَثْبُتُ لِمَخْلُوقٍ أَصْلًا، وَهُوَ ﷻ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ لَا فِي ذَاتِهِ وَلَا فِي صِفَاتِهِ وَلَا فِي أَفْعَالِهِ، فَلَا فَرْقَ بَيْنَ إثْبَاتِ الذَّاتِ وَإِثْبَاتِ الصِّفَاتِ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ فِي إثْبَاتِ الذَّاتِ إثْبَاتُ مُمَاثَلَةٍ لِلذَّوَاتِ: لَمْ يَكُنْ فِي إثْبَاتِ الصِّفَاتِ إثْبَاتُ مُمَاثَلَةٍ لَهُ فِي ذَلِكَ. فَصَارَ هَؤُلَاءِ الْجَهْمِيَّةُ الْمُعَطِّلَةُ يَجْعَلُونَ هَذَا تَوْحِيدًا، وَيَجْعَلُونَ مُقَابِلَ ذَلِكَ التَّشْبِيهَ، وَيُسَمُّونَ أَنْفُسَهُمْ «الْمُوَحِّدِينَ».

وَكَذَلِكَ «**النَّوْعُ الثَّالِثُ**»، وَهُوَ قَوْلُهُمْ: هُوَ وَاحِدٌ لَا قَسِيمَ لَهُ فِي ذَاتِهِ، أَوْ لَا جُزْءَ لَهُ، أَوْ لَا بَعْضَ لَهُ- لَفْظٌ مُجْمَلٌ، فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ أَحَدٌ صَمَدٌ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، فَيَمْتَنِعُ عَلَيْهِ أَنْ يَتَفَرَّقَ، أَوْ يَتَجَزَّأَ، أَوْ يَكُونَ قَدْ رُكِّبَ مِنْ أَجْزَاءٍ، لَكِنَّهُمْ يُدْرِجُونَ فِي هَذَا اللَّفْظِ نَفْيَ عُلُوِّهِ عَلَىٰ عَرْشِهِ، وَمُبَايَنَتَهُ لِخَلْقِهِ وَامْتِيَازَهُ عَنْهُمْ، وَنَحْوَ ذَلِكَ مِنْ الْمَعَانِي الْمُسْتَلْزِمَةِ لِنَفْيِهِ وَتَعْطِيلِهِ، وَيَجْعَلُونَ ذَلِكَ مِنْ التَّوْحِيدِ.

فَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ مَا يُسَمُّونَهُ «**تَوْحِيدًا**» فِيهِ مَا هُوَ حَقٌّ وَفِيهِ مَا هُوَ بَاطِلٌ، وَلَوْ كَانَ جَمِيعُهُ حَقًّا، فَإِنَّ الْمُشْرِكِينَ إذَا أَقَرُّوا بِذَلِكَ كُلِّهِ لَمْ يَخْرُجُوا مِنْ الشِّرْكِ الَّذِي وَصَفَهُمْ بِهِ الْقُرْآنِ، وَقَاتَلَهُمْ عَلَيْهِ الرَّسُولُ ﷺ، بَلْ لَا بُدَّ أَنْ يَعْتَرِفُوا بِأَنَّهُ لَا إلَهَ إلَّا اللهُ.

وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِـ«**الْإِلَهِ**» هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ الِاخْتِرَاعِ، كَمَا ظَنَّهُ مَنْ ظَنَّهُ مِنْ أَئِمَّةِ الْمُتَكَلِّمِينَ، حَيْثُ ظَنَّ أَنَّ الْإِلَهِيَّةَ هِيَ الْقُدْرَةُ عَلَىٰ الِاخْتِرَاعِ، وَأَنَّ مَنْ أَقَرَّ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ الِاخْتِرَاعِ



دُونَ غَيْرِهِ فَقَدْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، فَإِنَّ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا يُقِرُّونَ بِهَذَا وَهُمْ مُشْرِكُونَ، كَمَا تَقَدَّمَ بَيَانُهُ. بَلْ الْإِلَهُ الْحَقُّ هُوَ الَّذِي يَسْتَحِقُّ بِأَنْ يُعْبَدَ فَهُوَ إِلَهٌ بِمَعْنَىٰ مَأْلُوهٍ، لَا إِلَهَ بِمَعْنَىٰ آلِهٍ.

وَالتَّوْحِيدُ أَنْ يَعْبُدَ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَالْإِشْرَاكُ أَنْ يَجْعَلَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ.

وَإِذَا تَبَيَّنَ أَنَّ غَايَةَ مَا يُقَرِّرُهُ هَؤُلَاءِ النُّظَّارُ، أَهْلُ الْإِثْبَاتِ لِلْقَدَرِ، الْمُنْتَسِبُونَ إِلَىٰ السُّنَّةِ، إِنَّمَا هُوَ تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ، وَأَنَّ اللهَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ، وَمَعَ هَذَا فَالْمُشْرِكُونَ كَانُوا مُقِرِّينَ بِذَلِكَ مَعَ أَنَّهُمْ مُشْرِكُونَ -فَكَذَلِكَ طَوَائِفُ مِنْ أَهْلِ التَّصَوُّفِ وَالْمُنْتَسِبِينَ إِلَىٰ الْمَعْرِفَةِ وَالتَّحْقِيقِ وَالتَّوْحِيدِ، غَايَةُ مَا عِنْدَهُمْ مِنْ التَّوْحِيدِ هُوَ شُهُودُ هَذَا التَّوْحِيدِ، وَأَنْ يَشْهَدَ أَنَّ اللهَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكُهُ وَخَالِقُهُ، لَا سِيَّمَا إِذَا غَابَ الْعَارِفُ بِمَوْجُودِهِ عَنْ وُجُودِهِ، وَبِمَشْهُودِهِ عَنْ شُهُودِهِ، وَبِمَعْرُوفِهِ عَنْ مَعْرِفَتِهِ وَدَخَلَ فِي فَنَاءِ تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ، بِحَيْثُ يَفْنَىٰ مَنْ لَمْ يَكُنْ، وَيَبْقَىٰ مَنْ لَمْ يَزَلْ.

فَهَذَا عِنْدَهُمْ هُوَ الْغَايَةُ الَّتِي لَا غَايَةَ وَرَاءَهَا، وَمَعْلُومٌ أَنَّ هَذَا هُوَ تَحْقِيقُ مَا أَقَرَّ بِهِ الْمُشْرِكُونَ مِنْ التَّوْحِيدِ، وَلَا يَصِيرُ الرَّجُلُ بِمُجَرَّدِ هَذَا التَّوْحِيدِ مُسْلِمًا، فَضْلًا عَنْ أَنْ يَكُونَ وَلِيًّا لِلَّهِ أَوْ مِنْ سَادَاتِ الْأَوْلِيَاءِ.

**وَطَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ التَّصَوُّفِ** وَالْمَعْرِفَةِ يُقَرِّرُونَ هَذَا التَّوْحِيدَ مَعَ إِثْبَاتِ الصِّفَاتِ، فَيَفْنَوْنَ فِي تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ مَعَ إِثْبَاتِ الْخَالِقِ لِلْعَالَمِ الْمُبَايِنِ لِمَخْلُوقَاتِهِ.

وَآخَرُونَ يَضُمُّونَ هَذَا إِلَىٰ نَفْيِ الصِّفَاتِ فَيَدْخُلُونَ فِي التَّعْطِيلِ مَعَ هَذَا. وَهَذَا شَرٌّ مِنْ حَالِ كَثِيرٍ مِنْ الْمُشْرِكِينَ.

وَكَانَ **جَهْمٌ** يَنْفِي الصِّفَاتِ، وَيَقُولُ بِالْجَبْرِ، فَهَذَا تَحْقِيقُ قَوْلِ جَهْمٍ، لَكِنَّهُ إِذَا أَثْبَتَ الأَمْرَ وَالنَّهْيَ، وَالثَّوَابَ، وَالْعِقَابَ، فَارَقَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، لَكِنْ جَهْمًا وَمَنْ اتَّبَعَهُ يَقُولُ بِالْإِرْجَاءِ، فَيَضْعُفُ الْأَمْرُ وَالنَّهْيُ، وَالثَّوَابُ وَالْعِقَابُ عِنْدَه.

**وَالنَّجَارِيَةُ وَالضَّرَارِيَةُ وَغَيْرُهُمْ:** يَقْرَبُونَ مِنْ جَهْمٍ فِي مَسَائِلِ الْقَدَرِ وَالْإِيمَانِ، مَعَ مُقَارَبَتِهِمْ لَهُ أَيْضًا فِي نَفْيِ الصِّفَاتِ.

**وَالْكُلَّابِيَّةُ وَالْأَشْعَرِيَّةُ:** خَيْرٌ مِنْ هَؤُلَاءِ فِي بَابِ الصِّفَاتِ، فَإِنَّهُمْ يُثْبِتُونَ لِلَّهِ الصِّفَاتِ الْعَقْلِيَّةَ، وَأَئِمَّتُهُمْ يُثْبِتُونَ الصِّفَاتِ الْخَبَرِيَّةَ فِي الْجُمْلَةِ، كَمَا فُصِّلَتْ أَقْوَالُهُمْ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ. وَأَمَّا فِي بَابِ الْقَدَرِ، وَمَسَائِلِ الْأَسْمَاءِ وَالْأَحْكَامِ فَأَقْوَالُهُمْ مُتَقَارِبَةٌ.



وَالْكُلَّابِيَّةَ: هُمْ أَتْبَاعُ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ كِلَابٍ، الَّذِي سَلَكَ الْأَشْعَرِيُّ خَلفَهُ، وَأَصْحَابُ ابْنُ كِلَابٍ، كَالْحَارِثِ الْمُحَاسَبِيِّ، وَأَبِي الْعَبَّاسِ القلانسي وَنَحْوِهِمَا- خَيْرٌ مِنَ الْأَشْعَرِيَّةِ فِي هَذَا وَهَذَا، فَكُلَّمَا كَانَ الرَّجُلُ إِلَىٰ السَّلَفِ وَالْأَئِمَّةِ أَقْرَبَ كَانَ قَوْلُهُ أَعْلَىٰ وَأَفْضَلَ.

وَالْكَرَامِيَّةُ قَوْلُهُمْ فِي الْإِيمَانِ قَوْلٌ مُنْكَرٌ لَمْ يَسْبِقْهُمْ إِلَيْهِ أَحَدٌ، حَيْثُ جَعَلُوا الْإِيمَانَ قَوْلَ اللِّسَانِ، وَإِنْ كَانَ مَعَ عَدَمِ تَصْدِيقِ الْقَلْبِ فَيَجْعَلُونَ الْمُنَافِقَ مُؤْمِنًا، لَكِنَّهُ يَخْلُدُ فِي النَّارِ، فَخَالَفُوا الْجَمَاعَةَ فِي الِاسْمِ دُونَ الْحُكْمِ. وَأَمَّا فِي الصِّفَاتِ وَالْقَدَرِ، وَالْوَعِيدِ، فَهُمْ أَشْبَهُ مِنْ أَكْثَرِ طَوَائِفِ الْكَلَامِ الَّتِي فِي أَقْوَالِهَا مُخَالَفَةٌ لِلسُّنَّةِ.

وَأَمَّا الْمُعْتَزِلَةُ فَهُمْ يَنْفُونَ الصِّفَاتِ، وَيُقَارِبُونَ قَوْلَ جَهْمٍ، لَكِنَّهُمْ يَنْفُونَ الْقَدَرَ، فَهُمْ وَإِنْ عَظَّمُوا الْأَمْرَ وَالنَّهْيَ، وَالْوَعْدَ وَالْوَعِيدَ، وَغَلَوْا فِيهِ، فَهُمْ يُكَذِّبُونَ بِالْقَدَرِ، فَفِيهِمْ نَوْعٌ مِنَ الشِّرْكِ مِنْ هَذَا الْبَابِ.

وَالْإِقْرَارُ بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، وَالْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ، مَعَ إِنْكَارِ الْقَدَرِ، خَيْرٌ مِنَ الْإِقْرَارِ بِالْقَدَرِ مَعَ إِنْكَارِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ، وَلِهَذَا لَمْ يَكُنْ فِي زَمَنِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ مَنْ يَنْفِي الْأَمْرَ وَالنَّهْيَ، وَالْوَعْدَ وَالْوَعِيدَ، وَكَانَ قَدْ نَبَغَ فِيهِمْ الْقَدَرِيَّةُ، كَمَا نَبَغَ فِيهِمْ الْخَوَارِجُ الْحَرُورِيَّةُ، وَإِنَّمَا يَظْهَرُ مِنْ الْبِدَعِ أَوَّلًا مَا كَانَ أَخْفَىٰ، وَكُلَّمَا ضَعُفَ مَنْ يَقُومُ بِنُورِ النُّبُوَّةِ قَوِيَتْ الْبِدْعَةُ.

فَهَؤُلَاءِ الْمُتَصَوِّفُونَ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ الْحَقِيقَةَ الْكَوْنِيَّةَ، مَعَ إِعْرَاضِهِمْ عَنْ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ شَرٌّ مِنْ الْقَدَرِيَّةِ الْمُعْتَزِلَةِ وَنَحْوِهِمْ، أُولَئِكَ يُشْبِهُونَ الْمَجُوسَ، وَهَؤُلَاءِ يُشْبِهُونَ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ قَالُوا: ﴿لَوْ شَاءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام:١٤٨] وَالْمُشْرِكُونَ شَرٌّ مِنْ الْمَجُوسِ.

فَهَذَا أَصْلٌ عَظِيمٌ، عَلَىٰ الْمُسْلِمِ أَنْ يَعْرِفَهُ، فَإِنَّهُ أَصْلُ الْإِسْلَامِ الَّذِي يَتَمَيَّزُ بِهِ أَصْلُ الْإِيمَانِ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ، وَهُوَ الْإِيمَانُ بالوحدانية وَالرِّسَالَةِ شَهَادَةِ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ.

وَقَدْ وَقَعَ كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ فِي الْإِخْلَالِ بِحَقِيقَةِ هَذَيْنِ الْأَصْلَيْنِ، أَوْ أَحَدِهِمَا، مَعَ ظَنِّهِ أَنَّهُ فِي غَايَةِ التَّحْقِيقِ وَالتَّوْحِيدِ وَالْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ، فَإِقْرَارُ الْمُشْرِكِ بِأَنَّ اللهَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكُهُ



وَخَالِقُهُ: لَا يُنْجِيهِ مِنْ عَذَابِ اللهِ إنْ لَمْ يَقْتَرِنْ بِهِ إقْرَارُهُ بِأَنَّهُ لَا إلَهَ إلَّا اللهُ، فَلَا يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ أَحَدٌ إلَّا هُوَ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، فَيَجِبُ تَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، وَطَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، فَلَا بُدَّ مِنْ الْكَلَامِ فِي هَذَيْنِ الْأَصْلَيْنِ.

الْأَصْلُ الْأَوَّلُ: «**تَوْحِيدُ الْإِلَهِيَّةِ**»، فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ أَخْبَرَ عَنْ الْمُشْرِكِينَ كَمَا تَقَدَّمَ بِأَنَّهُمْ أَثْبَتُوا وَسَائِطَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ اللهِ يَدْعُونَهُمْ وَيَتَّخِذُونَهُمْ شُفَعَاءَ بِدُونِ إذْنِ اللهِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يونس]، فَأَخْبَرَ أَنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا هَؤُلَاءِ شُفَعَاءَ مُشْرِكُونَ وَقَالَ تَعَالَىٰ عَنْ مُؤْمِنِ يس: ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّيٓ إِذًا لَّفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [يس].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُاْۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾﴾[الأنعام]، فَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ عَنْ شُفَعَائِهِمْ أَنَّهُمْ زَعَمُوا أَنَّهُمْ فِيهِمْ شُرَكَاءُ، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُواْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًاۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الزُّمَر]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍۚ﴾ [السجدة:٤]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ [الأنعام:٥١]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦۚ﴾ [البقرة:٢٥٥]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًاۗ سُبْحَٰنَهُۥۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنبياء]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النجم]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ



ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورًا ﴿٥٧﴾﴾ [الإسراء].

قَالَ طَائِفَةٌ مِنْ السَّلَفِ: كَانَ قَوْمٌ يَدْعُونَ الْعُزَيْرَ وَالْمَسِيحَ وَالْمَلَائِكَةَ، فَأَنْزَلَ اللهُ هَذِهِ الْآيَةَ يُبَيِّنُ فِيهَا أَنَّ الْمَلَائِكَةَ وَالْأَنْبِيَاءَ يَتَقَرَّبُونَ إِلَىٰ اللهِ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ.

وَمِنْ تَحْقِيقِ التَّوْحِيدِ: أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ أَثْبَتَ لَهُ حَقًّا لَا يُشْرِكُهُ فِيهِ مَخْلُوقٌ، كَالْعِبَادَةِ وَالتَّوَكُّلِ وَالْخَوْفِ وَالْخَشْيَةِ وَالتَّقْوَىٰ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقۡعُدَ مَذۡمُومًا مَّخۡذُولًا ﴿٢٢﴾﴾ [الإسراء]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾﴾ [الزُّمَر]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾﴾ [الزُّمَر] وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلۡ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ أَيُّهَا ٱلۡجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزُّمَر]، وَكُلٌّ مِنْ الرُّسُلِ يَقُولُ لِقَوْمِهِ: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف:٥٩]، وَقَدْ قَالَ تَعَالَىٰ فِي التَّوَكُّلِ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [المائدة]، ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [التوبة]، وَقَالَ: ﴿قُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُۖ عَلَيۡهِ يَتَوَكَّلُ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الزُّمَر]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤۡتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾. فَقَالَ فِي الْإِتْيَانِ: ﴿مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ وَقَالَ فِي التَّوَكُّلِ: ﴿وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ﴾ [التوبة]، وَلَمْ يَقُلْ: وَرَسُولُهُ، لِأَنَّ الْإِتْيَانَ هُوَ الْإِعْطَاءُ الشَّرْعِيُّ، وَذَلِكَ يَتَضَمَّنُ الْإِبَاحَةَ وَالْإِحْلَالَ الَّذِي بَلَغَهُ الرَّسُولُ، فَإِنَّ الْحَلَالَ مَا أَحَلَّهُ، وَالْحَرَامَ مَا حَرَّمَهُ، وَالدِّينَ مَا شَرَعَهُ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾[الحشر:٧]، وَأَمَّا الحسب فَهُوَ الْكَافِي، وَاللهُ وَحْدَهُ كَافٍ عَبْدَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [آل عمران]، فَهُوَ وَحْدَهُ حَسْبُهُمْ كُلُّهُمْ، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [الأنفال]، أَيْ حَسْبُكَ وَحَسْبُ مَنْ اتَّبَعَكَ مِنْ



الْمُؤْمِنِينَ هُوَ اللهُ، فَهُوَ كَافِيكُمْ كُلُّكُمْ. وَلَيْسَ الْمُرَادُ أَنَّ اللهَ وَالْمُؤْمِنِينَ حَسْبُكَ، كَمَا يَظُنُّهُ بَعْضُ الْغَالِطِينَ، إِذْ هُوَ وَحْدَهُ كَافٍ نَبِيَّهُ وَهُوَ حَسْبُهُ، لَيْسَ مَعَهُ مَنْ يَكُونُ هُوَ وَإِيَّاهُ حسبا لِلرَّسُولِ. وَهَذَا فِي اللُّغَةِ كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

فَحَسْبُكَ وَالضَّحَّاكَ سَيْفٌ مُهَنَّدُ

وَتَقُولُ الْعَرَبُ: حَسْبُكَ وَزَيْدًا دِرْهَمٌ، أَيْ يَكْفِيك وَزَيْدًا جَمِيعًا دِرْهَمٌ.

وَقَالَ فِي الْخَوْفِ وَالْخَشْيَةِ وَالتَّقْوَىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ۝٥٢﴾ [النور]، فَأَثْبَتَ الطَّاعَةَ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ وَأَثْبَتَ الْخَشْيَةَ وَالتَّقْوَىٰ لِلَّهِ وَحْدَهُ كَمَا قَالَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٢ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣﴾ [نوح]، فَجَعَلَ الْعِبَادَةَ وَالتَّقْوَىٰ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَجَعَلَ الطَّاعَةَ لِلرَّسُولِ، فَإِنَّهُ مَنْ يُطِعْ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ.

وَقَدْ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾ [المائدة:٤٤]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١٧٥﴾ [آل عمران]، وَقَالَ الْخَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًاۚ فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٨١﴾ [الأنعام]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ۝٨٢﴾ [الأنعام].

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ شَقَّ ذَلِكَ عَلَىٰ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَقَالُوا: وَأَيُّنَا لَمْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّمَا هُوَ الشِّرْكُ، أَوَلَمْ تَسْمَعُوا إِلَىٰ قَوْلِ الْعَبْدِ الصَّالِحِ: إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**». وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ ۝٥١﴾ [النَّحل]، وَقَالَ: ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ۝٤١﴾ [البقرة].

وَمِنْ هَذَا الْبَابِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي خُطْبَتِهِ: «**مَنْ يُطِعْ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشَدَ، وَمَنْ يَعْصِهِمَا فَإِنَّهُ لا يَضُرُّ إِلَّا نَفْسَهُ وَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا**» وَقَالَ: «**وَلَا تَقُولُوا مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ، وَلَكِنْ قُولُوا مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شَاءَ مُحَمَّدٌ**»، فَفِي الطَّاعَةِ: قَرَنَ اسْمَ الرَّسُولِ بِاسْمِهِ بِحَرْفِ «**الْوَاوِ**»، وَفِي الْمَشِيئَةِ: أَمَرَ أَنْ يُجْعَلَ ذَلِكَ بِحَرْفِ «**ثُمَّ**»، وَذَلِكَ لِأَنَّ طَاعَةَ الرَّسُولِ طَاعَةٌ لِلَّهِ، فَمَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ. بِخِلَافِ الْمَشِيئَةِ، فَلَيْسَتْ مَشِيئَةُ أَحَدٍ مِنْ الْعِبَادِ



مَشِيئَةً لِلَّهِ، وَلَا مَشِيئَةُ اللهِ مُسْتَلْزِمَةً لِمَشِيئَةِ الْعِبَادِ؛ بَلْ مَا شَاءَ اللهُ كَانَ وَإِنْ لَمْ يَشَأْ النَّاسُ، وَمَا شَاءَ النَّاسُ لَمْ يَكُنْ إِنْ لَمْ يَشَأْ اللهُ.

**الْأَصْلُ الثَّانِي**: حَقُّ الرَّسُولِ ﷺ، فَعَلَيْنَا أَنْ نُؤْمِنَ بِهِ، وَنُطِيعَهُ، وَنَتَّبِعَهُ، وَنُرْضِيَهُ، وَنُحِبَّهُ، وَنُسَلِّمَ لِحُكْمِهِ، وَأَمْثَالُ ذَلِكَ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء:٨٠]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة:٦٢]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾[التوبة:٢٤]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران:٣١]، وَأَمْثَالُ ذَلِكَ.

## فصلٌ

وَإِذَا ثَبَتَ هَذَا فَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّهُ يَجِبُ الْإِيمَانُ بِخَلْقِ اللهِ وَأَمْرِهِ: بِقَضَائِهِ وَشَرْعِهِ.

وَأَهْلُ الضَّلَالِ الْخَائِضُونَ فِي الْقَدَرِ انْقَسَمُوا إِلَىٰ ثَلَاثِ فِرَقٍ: مَجُوسِيَّةٍ، وَمُشْرِكِيَّةٌ، وَإِبْلِيسِيَّةٌ.

**فَالْمَجُوسِيَّةُ**: الَّذِينَ كَذَّبُوا بِقَدَرِ اللهِ، وَإِنْ آمَنُوا بِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، فَغُلَاتُهُمْ أَنْكَرُوا الْعِلْمَ وَالْكِتَابَ، وَمُقْتَصِدُوهُمْ أَنْكَرُوا عُمُومَ مَشِيئَتِهِ، وَخَلْقِهِ وَقُدْرَتِهِ، وَهَؤُلَاءِ هُمْ الْمُعْتَزِلَةُ وَمَنْ وَافَقَهُمْ.

**وَالْفِرْقَةُ الثَّانِيَةُ**: الْمُشْرِكِيَّةُ، الَّذِينَ أَقَرُّوا بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ، وَأَنْكَرُوا الْأَمْرَ وَالنَّهْيَ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام:١٤٨]، فَمَنْ احْتَجَّ عَلَىٰ تَعْطِيلِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ بِالْقَدَرِ فَهُوَ مِنْ هَؤُلَاءِ، وَهَذَا قَدْ كَثُرَ فِيمَنْ يَدَّعِي الْحَقِيقَةَ مِنْ الْمُتَصَوِّفَةِ.



**وَالْفِرْقَةُ الثَّالِثَةُ:** وَهُمْ الإِبْلِيسِيَّةُ، الَّذِينَ أَقَرُّوا بِالْأَمْرَيْنِ، لَكِنْ جَعَلُوا هَذَا مُتَنَاقِضًا مِنْ الرَّبِّ - ﷻ - وَطَعَنُوا فِي حِكْمَتِهِ وَعَدْلِهِ، كَمَا يُذْكَرُ ذَلِكَ عَنْ إِبْلِيسَ مُقَدِّمِهِمْ، كَمَا نَقَلَهُ أَهْلُ الْمَقَالَاتِ، وَنُقِلَ عَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ.

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ هَذَا مِمَّا تَقَوَّلَهُ أَهْلُ الضَّلَالِ، وَأَمَّا أَهْلُ الْهُدَىٰ وَالْفَلَاحِ فَيُؤْمِنُونَ بِهَذَا وَهَذَا، وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللهَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَرَبُّهُ وَمَلِيكُهُ، وَمَا شَاءَ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا، وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ.

وَيَتَضَمَّنُ هَذَا الْأَصْلُ مِنْ إِثْبَاتِ عِلْمِ اللهِ، وَقُدْرَتِهِ، وَمَشِيئَتِهِ، وَوَحْدَانِيَّتِهِ، وَرُبُوبِيَّتِهِ، وَأَنَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَرَبُّهُ وَمَلِيكُهُ مَا هُوَ مِنْ أُصُولِ الْإِيمَانِ.

وَمَعَ هَذَا فَلَا يُنْكِرُونَ مَا خَلَقَهُ اللهُ مِنْ الْأَسْبَابِ، الَّتِي يَخْلُقُ بِهَا الْمُسَبَّبَاتِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا ثِقَالٗا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ﴾ [الأعراف:٥٧]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [المائدة:١٦]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ﴾ [البقرة:٢٦]، فَأَخْبَرَ أَنَّهُ يَفْعَلُ بِالْأَسْبَابِ.

وَمَنْ قَالَ: إِنَّهُ يَفْعَلُ عِنْدَهَا لَا بِهَا، فَقَدْ خَالَفَ مَا جَاءَ بِهِ الْقُرْآنُ، وَأَنْكَرَ مَا خَلَقَهُ اللهُ مِنْ الْقُوَىٰ وَالطَّبَائِعِ، وَهُوَ شَبِيهٌ بِإِنْكَارِ مَا خَلَقَهُ اللهُ مِنْ الْقُوَىٰ الَّتِي فِي الْحَيَوَانِ، الَّتِي يَفْعَلُ الْحَيَوَانُ بِهَا مِثْلَ قُدْرَةِ الْعَبْدِ.

كَمَا أَنَّ مَنْ جَعَلَهَا هِيَ الْمُبْدِعَةَ، لِذَلِكَ فَقَدْ أَشْرَكَ بِاللهِ، وَأَضَافَ فِعْلَهُ إِلَىٰ غَيْرِهِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ مَا مِنْ سَبَبٍ مِنْ الْأَسْبَابِ إِلَّا وَهُوَ مُفْتَقِرٌ إِلَىٰ سَبَبٍ آخَرَ فِي حُصُولِ مُسَبَّبِهِ، وَلَا بُدَّ مِنْ مَانِعٍ يَمْنَعُ مُقْتَضَاهُ إِذَا لَمْ يَدْفَعْهُ اللهُ عَنْهُ، فَلَيْسَ فِي الْوُجُودِ شَيْءٌ وَاحِدٌ يَسْتَقِلُّ بِفِعْلِ شَيْءٍ إِذَا شَاءَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ۝٤٩﴾ [الذاريات]، أَيْ فَتَعْلَمُونَ أَنَّ خَالِقَ الْأَزْوَاجِ وَاحِدٌ.

وَلِهَذَا مَنْ قَالَ: إِنَّ اللهَ لَا يَصْدُرُ عَنْهُ إِلَّا وَاحِدٌ، لِأَنَّ الْوَاحِدَ لَا يَصْدُرُ عَنْهُ إِلَّا وَاحِدٌ - كَانَ جَاهِلًا، فَإِنَّهُ لَيْسَ فِي الْوُجُودِ وَاحِدٌ صَدَرَ عَنْهُ وَحْدَهُ شَيْءٌ، لَا وَاحِدَ وَلَا اثْنَانِ، إِلَّا اللهُ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ، فَالنَّارُ الَّتِي جَعَلَ اللهُ فِيهَا حَرَارَةً، لَا يَحْصُلُ الْإِحْرَاقُ إِلَّا بِهَا وَبِمَحَلٍّ يَقْبَلُ الِاحْتِرَاقَ، فَإِذَا وَقَعَتْ عَلَىٰ



السَّمَنْدَلِ وَالْيَاقُوتِ وَنَحْوِهِمَا لَمْ تُحْرِقْهُمَا، وَقَدْ يُطْلَىٰ الْجِسْمُ بِمَا يَمْنَعُ إِحْرَاقَهُ، وَالشَّمْسُ الَّتِي يَكُونُ عَنْهَا الشُّعَاعُ لَا بُدَّ مِنْ جِسْمٍ يَقْبَلُ انْعِكَاسَ الشُّعَاعِ عَلَيْهِ، وَإِذَا حَصَلَ حَاجِزٌ مِنْ سَحَابٍ أَوْ سَقْفٍ: لَمْ يَحْصُلْ الشُّعَاعُ تَحْتَهُ، وَقَدْ بُسِطَ هَذَا فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ.

وَالْمَقْصُودُ هُنَا: أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنَ «**الْإِيمَانِ بِالْقَدَرِ**»، فَإِنَّ الْإِيمَانَ بِالْقَدَرِ مِنْ تَمَامِ التَّوْحِيدِ، كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُوَ نِظَامُ التَّوْحِيدِ، فَمَنْ وَحَّدَ اللهَ وَآمَنَ بِالْقَدَرِ تَمَّ تَوْحِيدُهُ، وَمَنْ وَحَّدَ اللهَ، وَكَذَّبَ بِالْقَدَرِ نَقَضَ تَوْحِيدَهُ.

وَلَا بُدَّ مِنْ الْإِيمَانِ بِالشَّرْعِ، وَهُوَ الْإِيمَانُ بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، وَالْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ، كَمَا بَعَثَ اللهُ بِذَلِك رُسُلَهُ، وَأَنْزَلَ كُتُبَهُ.

وَالْإِنْسَانُ مُضْطَرٌّ إِلَىٰ شَرْعٍ فِي حَيَاتِهِ الدُّنْيَا، فَإِنَّهُ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ حَرَكَةٍ يَجْلِبُ بِهَا مَنْفَعَتَهُ، وَحَرَكَةٍ يَدْفَعُ بِهَا مَضَرَّتَهُ؛ وَالشَّرْعُ هُوَ الَّذِي يُمَيِّزُ بَيْنَ الْأَفْعَالِ الَّتِي تَنْفَعُهُ، وَالْأَفْعَالِ الَّتِي تَضُرُّهُ، وَهُوَ عَدْلُ اللهِ فِي خَلْقِهِ وَنُورُهُ بَيْنَ عِبَادِهِ؛ فَلَا يُمْكِنُ لِلْآدَمِيِّينَ أَنْ يَعِيشُوا بِلَا شَرْعٍ يُمَيِّزُونَ بِهِ بَيْنَ مَا يَفْعَلُونَهُ وَيَتْرُكُونَهُ.

وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِالشَّرْعِ مُجَرَّدَ الْعَدْلِ بَيْنَ النَّاسِ فِي مُعَامَلَاتِهِمْ؛ بَلْ الْإِنْسَانُ الْمُنْفَرِدُ لَا بُدَّ لَهُ مَنْ فِعْلٍ وَتَرْكٍ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ هَمَّامٌ حَارِثٌ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَصْدَقُ الْأَسْمَاءِ حَارِثٌ وَهَمَّامٌ**»، وَهُوَ مَعْنَىٰ قَوْلِهِمْ مُتَحَرِّكٌ بِالْإِرَادَاتِ، فَإِذَا كَانَ لَهُ إِرَادَةٌ فَهُوَ مُتَحَرِّكٌ بِهَا وَلَا بُدَّ أَنْ يَعْرِفَ مَا يُرِيدُهُ هَلْ هُوَ نَافِعٌ لَهُ أَوْ ضَارٌّ؟ وَهَلْ يُصْلِحُهُ أَوْ يُفْسِدُهُ؟

وَهَذَا قَدْ يَعْرِفُ بَعْضَهُ النَّاسُ بِفِطْرَتِهِمْ، كَمَا يَعْرِفُونَ انْتِفَاعَهُمْ بِالْأَكْلِ وَالشُّرْبِ، وَكَمَا يَعْرِفُونَ مَا يَعْرِفُونَ مِنْ الْعُلُوم الضَّرُورِيَّةِ بِفِطْرَتِهِمْ، وَبَعْضُهُمْ يَعْرِفُونَهُ بِالِاسْتِدْلَالِ الَّذِي يَهْتَدُونَ بِهِ بِعُقُولِهِمْ، وَبَعْضُهُ لَا يَعْرِفُونَهُ إِلَّا بِتَعْرِيفِ الرُّسُلِ وَبَيَانِهِمْ لَهُمْ، وَهِدَايَتِهِمْ لَهُمْ.

وَفِي هَذَا الْمَقَامِ تَكَلَّمَ النَّاسُ فِي الْأَفْعَالَ هَلْ يُعْرَفُ حُسْنُهَا وَقُبْحُهَا بِالْعَقْلِ، أَمْ لَيْسَ لَهَا حَسَنٌ وَقَبِيحٌ يُعْرَفُ بِالْعَقْلِ؟ كَمَا قَدْ بُسِطَ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ، وَبَيَّنَّا مَا وَقَعَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ مِنْ الِاشْتِبَاهِ، فَإِنَّهُمْ اتَّفَقُوا عَلَىٰ أَنَّ كَوْنَ الْفِعْلِ يُلَائِمُ الْفَاعِلَ أَوْ يُنَافِرُهُ يُعْلَمُ بِالْعَقْلِ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ الْفِعْلُ سَبَبًا لِمَا يُحِبُّهُ الْفَاعِلُ وَيَلْتَذُّ بِهِ، وَسَبَبًا لِمَا يُبْغِضُهُ وَيُؤْذِيه.

وَهَذَا الْقَدْرُ يُعْلَمُ بِالْعَقْلِ تَارَةً، وَبِالشَّرْعِ أُخْرَىٰ، وَبِهِمَا جَمِيعًا أُخْرَىٰ، لَكِنَّ مَعْرِفَةُ ذَلِكَ عَلَىٰ وَجْهِ التَّفْصِيلِ، وَمَعْرِفَةُ الْغَايَةِ الَّتِي تَكُونُ عَاقِبَةُ الْأَفْعَالِ مِنْ السَّعَادَةِ وَالشَّقَاوَةِ فِي الدَّارِ



الْآخِرَةِ لَا يُعْلَمُ إِلَّا بِالشَّرْعِ، فَمَا أَخْبَرَتْ بِهِ الرُّسُلُ مِنْ تَفَاصِيلِ الْيَوْمِ الْآخِرِ، وَأَمَرَتْ بِهِ مِنْ تَفَاصِيلِ الشَّرَائِعِ لَا يَعْلَمُهُ النَّاسُ بِعُقُولِهِمْ، كَمَا أَنَّ مَا أَخْبَرَتْ بِهِ الرُّسُلُ مِنْ تَفْصِيلِ أَسْمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِهِ لَا يَعْلَمُهُ النَّاسُ بِعُقُولِهِمْ، وَإِنْ كَانُوا قَدْ يَعْلَمُونَ بِعُقُولِهِمْ جُمَلَ ذَلِكَ.

وَهَذَا التَّفْصِيلُ الَّذِي يَحْصُلُ بِهِ الْإِيمَانُ، وَجَاءَ بِهِ الْكِتَابُ هُوَ مِمَّا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ﴾[الشورى:٥٢]، وقَوْله تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِىۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ۝٥٠﴾ [سبأ]، وقَوْله تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِۚ﴾ [الأنبياء:٤٥].

وَلَكِنْ طَائِفَةٌ تَوَهَّمَتْ أَنَّ لِلْحُسْنِ وَالْقُبْحِ مَعْنًىٰ غَيْرَ هَذَا، وَأَنَّهُ يُعْلَمُ بِالْعَقْلِ، وَقَابَلَتْهُمْ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ ظَنَّتْ أَنَّ مَا جَاءَ بِهِ الشَّرْعُ مِنْ الْحُسْنِ وَالْقُبْحِ يَخْرُجُ عَنْ هَذَا، فَكِلَا الطَّائِفَتَيْنِ اللَّتَيْنِ أَثْبَتَتَا الْحُسْنَ وَالْقُبْحَ الْعَقْلِيَّيْنِ أَوْ الشَّرْعِيَّيْنِ وَأَخْرَجَتَاهُ عَنْ هَذَا الْقِسْمِ غَلِطَتْ.

ثُمَّ إِنَّ كِلْتَا الطَّائِفَتَيْنِ لَمَّا كَانَتَا تُنْكِرُ أَنْ يُوصَفَ اللهُ بِالْمَحَبَّةِ وَالرِّضَا وَالسُّخْطِ وَالْفَرَحِ وَنَحْوَ ذَلِكَ مِمَّا جَاءَتْ بِهِ النُّصُوصُ الْإِلَهِيَّةُ، وَدَلَّتْ عَلَيْهِ الشَّوَاهِدُ الْعَقْلِيَّةُ- تَنَازَعُوا بَعْدَ اتِّفَاقِهِمْ عَلَىٰ أَنَّ اللهَ لَا يَفْعَلُ مَا هُوَ مِنْهُ قَبِيحٌ، وَالْقَوْلَانِ فِي الِانْحِرَافِ مِنْ جِنْسِ الْقَوْلَيْنِ الْمُتَقَدِّمَيْنِ، أُولَئِكَ لَمْ يُفَرِّقُوا فِي خَلْقِهِ وَأَمْرِهِ بَيْنَ الْهُدَىٰ وَالضَّلَالِ، وَالطَّاعَةِ وَالْمَعْصِيَةِ، وَالْأَبْرَارِ وَالْفُجَّارِ، وَأَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ، وَالرَّحْمَةِ وَالْعَذَابِ، فَلَا جَعَلُوهُ مَحْمُودًا عَلَىٰ مَا فَعَلَهُ مِنْ الْعَدْلِ أَوْ تَرَكَهُ مِنْ الظُّلْمِ، وَلَا مَا فَعَلَهُ مِنْ الْإِحْسَانِ وَالنِّعْمَةِ وَمَا تَرَكَهُ مِنْ التَّعْذِيبِ وَالنِّقْمَةِ.

وَالْآخَرُونَ نَزَّهُوهُ بِنَاءً عَلَىٰ الْقُبْحِ الْعَقْلِيِّ الَّذِي أَثْبَتُوهُ وَلَا حَقِيقَةَ لَهُ وَسَوَّوْهُ بِخَلْقِهِ فِيمَا يَحْسُنُ وَيَقْبُحُ، وَشَبَّهُوهُ بِعِبَادِهِ فِيمَا يَأْمُرُ بِهِ وَيَنْهَىٰ عَنْهُ.

فَمَنْ نَظَرَ إِلَىٰ الْقَدَرِ فَقَطْ، وَعَظَّمَ الْفَنَاءَ فِي تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَوَقَفَ عِنْدَ الْحَقِيقَةِ الْكَوْنِيَّةِ، لَمْ يُمَيِّزْ بَيْنَ الْعِلْمِ وَالْجَهْلِ، وَالصِّدْقِ وَالْكَذِبِ، وَالْبِرِّ وَالْفُجُورِ، وَالْعَدْلِ وَالظُّلْمِ، وَالطَّاعَةِ وَالْمَعْصِيَةِ، وَالْهُدَىٰ وَالضَّلَالِ، وَالرَّشَادِ وَالْغَيِّ، وَأَوْلِيَاءِ اللهِ وَأَعْدَائِهِ، وَأَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ، وَهَؤُلَاءِ مَعَ أَنَّهُمْ مُخَالِفُونَ بِالضَّرُورَةِ لِكُتُبِ اللهِ وَدِينِهِ وَشَرَائِعِهِ، فَهُمْ مُخَالِفُونَ أَيْضًا لِضَرُورَةِ الْحِسِّ وَالذَّوْقِ، وَضَرُورَةِ الْعَقْلِ وَالْقِيَاسِ، فَإِنَّ أَحَدَهُمْ لَا بُدَّ أَنْ يَلْتَذَّ بِشَيْءٍ وَيَتَأَلَّمَ



بِشَيْءٍ، فَيُمَيِّزَ بَيْنَ مَا يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ، وَمَا لَا يَأْكُلُ وَلَا يَشْرَبُ، وَبَيْنَ مَا يُؤْذِيهِ مِنْ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ، وَمَا لَيْسَ كَذَلِكَ، وَهَذَا التَّمْيِيزُ بَيْنَ مَا يَنْفَعُهُ وَيَضُرُّهُ هُوَ الْحَقِيقَةُ الشَّرْعِيَّةُ الدِّينِيَّةُ.

وَمَنْ ظَنَّ أَنَّ الْبَشَرَ يَنْتَهِي إِلَىٰ حَدٍّ يَسْتَوِي عِنْدَهُ الْأَمْرَانِ دَائِمًا فَقَدْ افْتَرَىٰ، وَخَالَفَ ضَرُورَةَ الْحِسِّ، وَلَكِنْ قَدْ يَعْرِضُ لِلْإِنْسَانِ بَعْضَ الْأَوْقَاتِ عَارِضٌ كَالسُّكْرِ وَالْإِغْمَاءِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا يَشْغَلُ عَنْ الْإِحْسَاسِ بِبَعْضِ الْأُمُورِ، فَأَمَّا أَنْ يَسْقُطَ إِحْسَاسُهُ بِالْكُلِّيَّةِ مَعَ وُجُودِ الْحَيَاةِ فِيهِ فَهَذَا مُمْتَنِعٌ، فَإِنَّ النَّائِمَ لَمْ يَسْقُطْ إِحْسَاسَ نَفْسِهِ، بَلْ يَرَىٰ فِي مَنَامِهِ مَا يَسُوءُهُ تَارَةً وَمَا يَسُرُّهُ أُخْرَىٰ، فَالْأَحْوَالُ الَّتِي يُعَبَّرُ عَنْهَا بِالِاصْطِلَامِ وَالْفَنَاءِ وَالسُّكْرِ وَنَحْوِ ذَلِكَ إِنَّمَا تَتَضَمَّنُ عَدَمَ الْإِحْسَاسِ بِبَعْضِ الْأَشْيَاءِ دُونَ بَعْضٍ، فَهِيَ مَعَ نَقْصِ صَاحِبِهَا - لِضَعْفِ تَمْيِيزِهِ - لَا تَنْتَهِي إِلَىٰ حَدٍّ يَسْقُطُ فِيهِ التَّمْيِيزُ مُطْلَقًا.

وَمَنْ نَفَىٰ التَّمْيِيزَ فِي هَذَا الْمَقَامِ مُطْلَقًا، وَعَظَّمَ هَذَا الْمَقَامَ فَقَدْ غَلِطَ فِي الْحَقِيقَةِ الْكَوْنِيَّةِ وَالدِّينِيَّةِ قَدْرًا وَشَرْعًا: غَلِطَ فِي خَلْقِ اللهِ وَفِي أَمْرِهِ حَيْثُ ظَنَّ أَنَّ وُجُودَ هَذَا؛ لَا وُجُودَ لَهُ، وَحَيْثُ ظَنَّ أَنَّهُ مَمْدُوحٌ، وَلَا مَدْحَ فِي عَدَمِ التَّمْيِيزِ الْعَقْلُ وَالْمَعْرِفَةُ.

وَإِذَا سَمِعْت بَعْضَ الشُّيُوخِ يَقُولُ: أُرِيدُ أَلَّا أُرِيدَ، أَوْ أَنَّ الْعَارِفَ لَا حَظَّ لَهُ، وَأَنَّهُ يَصِيرُ كَالْمَيِّتِ بَيْنَ يَدَيْ الْغَاسِلِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ فَهَذَا إِنَّمَا يُمْدَحُ مِنْهُ سُقُوطُ إِرَادَتِهِ الَّتِي يُؤْمَرُ بِهَا، وَعَدَمُ حَظِّهِ الَّذِي لَا يُؤْمَرُ بِطَلَبِهِ وَأَنَّهُ كَالْمَيِّتِ فِي طَلَبِ مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِطَلَبِهِ، وَتَرْكِ دَفْعِ مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِدَفْعِهِ.

وَمَنْ أَرَادَ بِذَلِكَ أَنَّهُ تَبْطُلُ إِرَادَتُهُ بِالْكُلِّيَّةِ، وَأَنَّهُ لَا يُحِسُّ بِاللَّذَّةِ وَالْأَلَمِ، وَالنَّافِعِ وَالضَّارِّ، فَهَذَا مُخَالِفٌ لِضَرُورَةِ الْحِسِّ وَالْعَقْلِ، وَمَنْ مَدَحَ هَذَا فَهُوَ مُخَالِفٌ لِضَرُورَةِ الدِّينِ وَالْعَقْلِ.

**وَالْفَنَاءُ يُرَادُ بِهِ ثَلَاثَةُ أُمُورٍ:**

**أَحَدُهَا:** هُوَ الْفَنَاءُ الدِّينِيُّ الشَّرْعِيُّ، الَّذِي جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ، وَأُنْزِلَتْ بِهِ الْكُتُبُ، وَهُوَ أَنْ يَفْنَىٰ عَمَّا لَمْ يَأْمُرْ اللهُ بِهِ بِفِعْلِ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ، فَيَفْنَىٰ عَنْ عِبَادَةِ غَيْرِهِ بِعِبَادَتِهِ، وَعَنْ طَاعَةِ غَيْرِهِ بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ، وَعَنْ التَّوَكُّلِ عَلَىٰ غَيْرِهِ بِالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ، وَعَنْ مَحَبَّةِ مَا سِوَاهُ بِمَحَبَّتِهِ وَمَحَبَّةِ رَسُولِهِ، وَعَنْ خَوْفِ غَيْرِهِ بِخَوْفِهِ، بِحَيْثُ لَا يَتَّبِعُ الْعَبْدُ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًىٰ مِنْ اللهِ، وَبِحَيْثُ يَكُونُ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ



كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ﴾ [التوبة:٢٤]، فَهَذَا كُلُّهُ هُوَ مِمَّا أَمَرَ اللهُ بِهِ وَرَسُولُهُ.

**وَأَمَّا الْفَنَاءُ الثَّانِي**: وَهُوَ الَّذِي يَذْكُرُهُ بَعْضُ الصُّوفِيَّةِ، وَهُوَ أَنْ يَفْنَىٰ عَنْ شُهُودِ مَا سِوَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، فَيَفْنَىٰ بِمَعْبُودِهِ عَنْ عِبَادَتِهِ، وَبِمَذْكُورِهِ عَنْ ذِكْرِهِ، وَبِمَعْرُوفِهِ عَنْ مَعْرِفَتِهِ، بِحَيْثُ قَدْ يَغِيبُ عَنْ شُهُودِ نَفْسِهِ لِمَا سِوَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ فَهَذَا حَالٌ نَاقِصٌ، قَدْ يَعْرِضُ لِبَعْضِ السَّالِكِينَ، وَلَيْسَ هُوَ مِنْ لَوَازِمِ طَرِيقِ اللهِ وَلِهَذَا لَمْ يُعْرَفْ مِثْلُ هَذَا لِلنَّبِيِّ ﷺ وَلِلسَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ.

وَمَنْ جَعَلَ هَذَا نِهَايَةَ السَّالِكِينَ فَهُوَ ضَالٌّ ضَلَالًا مُبِينًا، وَكَذَلِكَ مَنْ جَعَلَهُ مِنْ لَوَازِمِ طَرِيقِ اللهِ فَهُوَ مُخْطِئٌ، بَلْ هُوَ مِنْ عَوَارِضِ طَرِيقِ اللهِ الَّتِي تَعْرِضُ لِبَعْضِ النَّاسِ دُونَ بَعْضٍ، لَيْسَ هُوَ مِنَ اللَّوَازِمِ الَّتِي تَحْصُلُ لِكُلِّ سَالِكٍ.

**وَأَمَّا الثَّالِثُ**: فَهُوَ الْفَنَاءُ عَنْ وُجُودِ السِّوَيِّ، بِحَيْثُ يَرَىٰ أَنَّ وُجُودَ الْمَخْلُوقِ هُوَ عَيْنُ وُجُودِ الْخَالِقِ، وَأَنَّ الْوُجُودَ وَاحِدٌ بِالْعَيْنِ، فَهُوَ قَوْلُ أَهْلِ الْإِلْحَادِ وَالِاتِّحَادِ، الَّذِينَ هُمْ مِنْ أَضَلِّ الْعِبَادِ.

وَأَمَّا مُخَالَفَتُهُمْ لِضَرُورَةِ الْعَقْلِ وَالْقِيَاسِ، فَإِنَّ الْوَاحِدَ مِنْ هَؤُلَاءِ لَا يُمْكِنُهُ أَنْ يَطْرُدَ قَوْلَهُ، فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ مُشَاهِدًا لِلْقَدَرِ مِنْ غَيْرِ تَمْيِيزٍ بَيْنَ الْمَأْمُورِ وَالْمَحْظُورِ، فَعُومِلَ بِمُوجِبِ ذَلِكَ مِثْلَ أَنْ يُضْرَبَ وَيُجَاعَ حَتَّىٰ يُبْتَلَىٰ بِعَظِيمِ الْأَوْصَابِ وَالْأَوْجَاعِ- فَإِنْ لَامَ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ بِهِ وَعَابَهُ فَقَدْ نَقَضَ قَوْلَهُ، وَخَرَجَ عَنْ أَصْلِ مَذْهَبِهِ، وَقِيلَ لَهُ: هَذَا الَّذِي فَعَلَهُ مَقْضِيٌّ مَقْدُورٌ، فَخَلْقُ اللهِ وَقَدَرُهُ وَمَشِيئَتُهُ مُتَنَاوِلٌ لَكَ وَلَهُ، وَهُوَ يَعُمُّكُمَا، فَإِنْ كَانَ الْقَدَرُ حُجَّةً لَكَ فَهُوَ حُجَّةٌ لِهَذَا، وَإِلَّا فَلَيْسَ بِحُجَّةٍ لَا لَكَ وَلَا لَهُ. فَقَدْ تَبَيَّنَ بِضَرُورَةِ الْعَقْلِ فَسَادُ قَوْلِ مَنْ يَنْظُرُ إِلَىٰ الْقَدَرِ، وَيُعْرِضُ عَنْ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ.

وَالْمُؤْمِنُ مَأْمُورٌ بِأَنْ يَفْعَلَ الْمَأْمُورَ، وَيَتْرُكَ الْمَحْظُورَ، وَيَصْبِرَ عَلَىٰ الْمَقْدُورِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ﴾ [آل عمران:١٢٠]، وَقَالَ فِي قِصَّةِ يُوسُفَ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [يوسف]، فَالتَّقْوَىٰ فِعْلُ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ وَتَرْكُ مَا نَهَىٰ اللهُ عَنْهُ وَلِهَذَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ﴿٥٥﴾﴾ [غافر]، فَأَمَرَهُ مَعَ الِاسْتِغْفَارِ بِالصَّبْرِ، فَإِنَّ الْعِبَادَ لَا بُدَّ لَهُمْ مِنَ الِاسْتِغْفَارِ أَوَّلَهُمْ وَآخِرَهُمْ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْحَدِيثِ



الصَّحِيحِ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرِ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةٍ» وَقَالَ: «إِنَّهُ ليغان عَلَىٰ قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرِ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ». وَكَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطَئِي وَعَمْدِي، وَهَزْلِي وَجِدِّي، وَكُلَّ ذَلِكَ عِنْدِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْت وَمَا أَخَّرْت، وَمَا أَسْرَرْت وَمَا أَعْلَنْت، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ لا إله إلَّا أنت».

وَقَدْ ذُكِرَ عَنْ آدَمَ أَبِي الْبَشَرِ أَنَّهُ اسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَتَابَ، إِلَيْهِ فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَاهُ، وَعَنْ إبْلِيسَ أَبِي الْجِنِّ أَنَّهُ أَصَرَّ مُتَعَلِّقًا بِالْقَدَرِ فَلَعَنَهُ وَأَقْصَاهُ، فَمَنْ أَذْنَبَ فَتَابَ وَنَدِمَ فَقَدْ أَشْبَهَ أَبَاهُ، وَمَنْ أَشْبَهَ أَبَاهُ فَمَا ظَلَمَ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾﴾ [الأحزاب].

وَلِهَذَا قَرَنَ اللهُ سُبْحَانَهُ بَيْنَ التَّوْحِيدِ وَالِاسْتِغْفَارِ فِي غَيْرِ آيَةٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد:١٩]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ﴾[فُصِّلَت:٦] وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾[هود] .

وَفِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ ابْنُ أَبِي عَاصِمٍ وَغَيْرُهُ: «يَقُولُ الشَّيْطَانُ أَهْلَكْتُ النَّاسَ بِالذُّنُوبِ، وَأَهْلَكُونِي بِلَا إلَهَ إلَّا اللهُ وَالِاسْتِغْفَارِ، فَلَمَّا رَأَيْت ذَلِكَ بَثَثْتُ فِيهِمْ الْأَهْوَاءَ، فَهُمْ يُذْنِبُونَ وَلَا يَتُوبُونَ لِأَنَّهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا».

وَقَدْ ذَكَرَ سُبْحَانَهُ عَنْ ذِي النُّونِ أَنَّهُ نَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَلَّا إلَهَ إلَّا أَنْتَ سُبْحَانَك إنِّي كُنْت مِنْ الظَّالِمِينَ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء]، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «دَعْوَةُ أَخِي ذِي النُّونِ مَا دَعَا بِهَا مَكْرُوبٌ إلَّا فَرَّجَ اللهُ كُرْبَتَهُ».

وَجِمَاعُ ذَلِكَ أَنَّهُ لَا بُدَّ لَهُ فِي الْأَمْرِ مَنْ أَصْلَيْنِ، وَلَا بُدَّ لَهُ فِي الْقَدَرِ مِنْ أَصْلَيْنِ، فَفِي «الْأَمْرِ» عَلَيْهِ الِاجْتِهَادُ فِي الِامْتِثَالِ عِلْمًا وَعَمَلًا، فَلَا تَزَالُ تَجْتَهِدُ فِي الْعِلْمِ بِمَا أَمَرَ اللهُ بِهِ، وَالْعَمَلِ بِذَلِكَ. ثُمَّ عَلَيْهِ أَنْ يَسْتَغْفِرَ وَيَتُوبَ مِنْ تَفْرِيطِهِ فِي الْمَأْمُورِ، وَتَعَدِّيهِ لِلْحُدُودِ وَلِهَذَا



كَانَ مِنْ الْمَشْرُوعِ أَنْ يَخْتِمَ جَمِيعَ الْأَعْمَالِ بِالِاسْتِغْفَارِ فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إذَا انْصَرَفَ مِنْ صِلَاتِهِ اسْتَغْفَرَ ثَلَاثًا وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ١٧﴾ [آل عمران]، فَقَامُوا بِاللَّيْلِ وَخَتَمُوهُ بِالِاسْتِغْفَارِ، وَآخِرُ سُورَةٍ نَزَلَتْ قَوْلُهُ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ٣﴾ [النصر]، وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ، أَنَّهُ كَانَ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «**سُبْحَانَك اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي**» يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ.

وَأَمَّا فِي «**الْقَدَرِ**» فَعَلَيْهِ أَنْ يَسْتَعِينَ بِاَللهِ فِي فِعْلِ مَا أَمَرَ بِهِ، وَيَتَوَكَّلَ عَلَيْهِ وَيَدْعُوَهُ، وَيَرْغَبَ إلَيْهِ، وَيَسْتَعِيذَ بِهِ، وَيَكُونَ مُفْتَقِرًا إلَيْهِ فِي طَلَبِ الْخَيْرِ وَتَرْكِ الشَّرِّ، وَعَلَيْهِ أَنْ يَصْبِرَ عَلَىٰ الْمَقْدُورِ، وَيَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ، وَإِذَا آذَاهُ النَّاسُ عَلِمَ أَنَّ ذَلِكَ مُقَدَّرٌ عَلَيْهِ.

وَمِنْ هَذَا الْبَابِ احْتِجَاجُ آدَمَ وَمُوسَىٰ، لَمَّا قَالَ: يَا آدَمَ أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ وَنَفَخَ فِيك مِنْ رُوحِهِ وَأَسْجَدَ لَك مَلَائِكَتَهُ، لِمَاذَا أَخْرَجْتنَا وَنَفْسَكَ مِنْ الْجَنَّةِ؟ فَقَالَ لَهُ آدَمَ: أَنْتَ مُوسَىٰ الَّذِي اصْطَفَاك اللهُ بِكَلَامِهِ، فَبِكَمْ وَجَدْتَ مَكْتُوبًا عَلَيَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ أُخْلَقَ: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ١٢١﴾ [طه]، قَالَ: بِكَذَا وَكَذَا فَحَجَّ آدَمَ مُوسَىٰ. وَذَلِكَ أَنَّ مُوسَىٰ لَمْ يَكُنْ عَتَبُهُ لِآدَمَ لِأَجْلِ الذَّنْبِ، فَإِنَّ آدَمَ قَدْ كَانَ تَابَ مِنْهُ، وَالتَّائِبُ مِنْ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ وَلَكِنْ لِأَجْلِ الْمُصِيبَةِ الَّتِي لَحِقَتْهُمْ مِنْ ذَلِكَ، وَهُمْ مَأْمُورُونَ أَنْ يَنْظُرُوا إلَىٰ الْقَدَرِ فِي الْمَصَائِبِ وَأَنْ يَسْتَغْفِرُوا مِنْ الْمَعَائِبِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [غافر:٥٥].

فَمَنْ رَاعَىٰ الْأَمْرَ وَالْقَدَرَ -كَمَا ذُكِرَ- كَانَ عَابِدًا للهِ، مُطِيعًا لَهُ، مُسْتَعِينًا بِهِ، مُتَوَكِّلًا عَلَيْهِ، مِنْ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ النَّبِيِّينَ، وَالصِّدِّيقِينَ، وَالشُّهَدَاءِ، وَالصَّالِحِينَ.

وَقَدْ جَمَعَ اللهُ سُبْحَانَهُ بَيْنَ هَذَيْنِ الْأَصْلَيْنِ فِي مَوَاضِعَ، كَقَوْلِهِ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ٥﴾ [الفاتحة]، وَقَوْلِهِ: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِۚ﴾[هود:١٢٣]، وَقَوْلِهِ: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ١٠﴾ [الشورىٰ]، وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ٣﴾ [الطلاق]، فَالْعِبَادَةُ لِلَّهِ وَالِاسْتِعَانَةُ بِهِ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ عِنْدَ



الْأُضْحِيَّةِ: «اللَّهُمَّ مِنْك وَلَك» فَمَا لَمْ يَكُنْ بِاَللهِ لَا يَكُونُ، فَإِنَّهُ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إلَّا بِاَللهِ، وَمَا لَمْ يَكُنْ بِاَللهِ فَلَا يَنْفَعُ وَلَا يَدُومُ.

**وَلَا بُدَّ فِي عِبَادَتِهِ مِنْ أَصْلَيْنِ:**

**أَحَدُهُمَا**: إخْلَاصُ الدِّينِ لَهُ، **وَالثَّانِي**: مُوَافَقَةُ أَمْرِهِ الَّذِي بَعَثَ بِهِ رُسُلَهُ، وَلِهَذَا كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: اللَّهُمَّ اجْعَلْ عَمَلِي كُلَّهُ صَالِحًا، وَاجْعَلْهُ لِوَجْهِك خَالِصًا، وَلَا تَجْعَلْ لِأَحَدٍ فِيهِ شَيْئًا. وَقَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ﴾ [المُلك:٢]، قَالَ: أَخْلَصُهُ وَأَصْوَبُهُ. قَالُوا يَا أَبَا عَلِيٍّ: مَا أَخْلَصُهُ وَأَصْوَبُهُ؟ قَالَ: إنَّ الْعَمَلَ إذَا كَانَ خَالِصًا وَلَمْ يَكُنْ صَوَابًا لَمْ يُقْبَلْ، وَإِذَا كَانَ صَوَابًا وَلَمْ يَكُنْ خَالِصًا لَمْ يُقْبَلْ، حَتَّىٰ يَكُونَ خَالِصًا صَوَابًا، وَالْخَالِصُ أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ، وَالصَّوَابُ أَنْ يَكُونَ عَلَىٰ السُّنَّةِ.

وَلِهَذَا ذَمَّ اللهُ الْمُشْرِكِينَ فِي الْقُرْآنِ عَلَىٰ اتِّبَاعِ مَا شَرَعَ لَهُمْ شُرَكَاؤُهُمْ مِنْ الدِّينِ الَّذِي لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللهُ مِنْ عِبَادَةِ غَيْرِهِ، وَفِعْلِ مَا لَمْ يَشْرَعْهُ مِنْ الدِّينِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ﴾ [الشورىٰ:٢١]، كَمَا ذَمَّهُمْ عَلَىٰ أَنَّهُمْ حَرَّمُوا مَا لَمْ يُحَرِّمْهُ اللهُ، وَالدِّينُ الْحَقُّ أَنَّهُ لَا حَرَامَ إلَّا مَا حَرَّمَهُ اللهُ، وَلَا دِينَ إلَّا مَا شَرَعَهُ اللهُ.

**ثُمَّ إنَّ النَّاسَ فِي عِبَادَتِهِ وَاسْتِعَانَتِهِ عَلَىٰ أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ:**

فَالْمُؤْمِنُونَ الْمُتَّقُونَ هُمْ لَهُ وَبِهِ يَعْبُدُونَهُ وَيَسْتَعِينُونَهُ.

وَطَائِفَةٌ تَعْبُدُهُ مِنْ غَيْرِ اسْتِعَانَةٍ وَلَا صَبْرٍ، فَتَجِدُ عِنْدَ أَحَدِهِمْ تَحَرِّيًا لِلطَّاعَةِ وَالْوَرَعِ، وَلُزُومِ السُّنَّةِ؛ لَكِنْ لَيْسَ لَهُمْ تَوَكُّلٌ وَاسْتِعَانَةٌ وَصَبْرٌ، بَلْ فِيهِمْ عَجْزٌ وَجَزَعٌ.

وَطَائِفَةٌ فِيهِمْ اسْتِعَانَةٌ وَتَوَكُّلٌ وَصَبْرٌ، مِنْ غَيْرِ اسْتِقَامَةٍ عَلَىٰ الْأَمْرِ وَلَا مُتَابَعَةٍ لِلسُّنَّةِ، فَقَدْ يُمَكَّنُ أَحَدُهُمْ، وَيَكُونُ لَهُ نَوْعٌ مِنْ الْحَالِ بَاطِنًا وَظَاهِرًا، وَيُعْطَىٰ مِنْ الْمُكَاشَفَاتِ وَالتَّأْثِيرَاتِ مَا لَمْ يُعْطَهُ الصِّنْفُ الْأَوَّلُ، وَلَكِنْ لَا عَاقِبَةَ لَهُ، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ الْمُتَّقِينَ، وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ، فَالْأَوَّلُونَ لَهُمْ دِينٌ ضَعِيفٌ، وَلَكِنَّهُ مُسْتَمِرٌّ بَاقٍ إنْ لَمْ يُفْسِدْهُ صَاحِبُهُ بِالْجَزَعِ وَالْعَجْزِ، وَهَؤُلَاءِ لِأَحَدِهِمْ حَالٌ وَقُوَّةٌ، وَلَكِنْ لَا يَبْقَىٰ لَهُ إلَّا مَا وَافَقَ فِيهِ الْأَمْرَ، وَاتَّبَعَ فِيهِ السُّنَّةَ.

وَشَرُّ الْأَقْسَامِ مَنْ لَا يَعْبُدُهُ وَلَا يَسْتَعِينُهُ، فَهُوَ لَا يَشْهَدُ أَنَّ عَمَلَهُ لِلَّهِ، وَلَا أَنَّهُ بِاَللهِ.



فَالْمُعْتَزِلَةُ وَنَحْوُهُمْ - مِنْ الْقَدَرِيَّةِ الَّذِينَ أَنْكَرُوا الْقَدَرَ - هُمْ فِي تَعْظِيمِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ خَيْرٌ مِنْ هَؤُلَاءِ الْجَبْرِيَّةِ الْقَدَرِيَّةِ الَّذِينَ يُعْرِضُونَ عَنْ الشَّرْعِ وَالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، وَالصُّوفِيَّةُ هُمْ فِي الْقَدَرِ وَمُشَاهَدَةِ تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ خَيْرٌ مِنْ الْمُعْتَزِلَةِ، وَلَكِنْ فِيهِمْ مَنْ فِيهِ نَوْعُ بِدَعٍ مَعَ إعْرَاضٍ عَنْ بَعْضِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، وَالْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ، حَتَّىٰ يَجْعَلُوا الْغَايَةَ هِيَ مُشَاهَدَةُ تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ وَالْفَنَاءِ فِي ذَلِكَ، وَيَصِيرُونَ أَيْضًا مُعْتَزِلِينَ لِجَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ وَسُنَّتِهِمْ، فَهُمْ مُعْتَزِلَةٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ وَقَدْ يَكُونُ مَا وَقَعُوا فِيهِ مِنْ الْبِدْعَةِ شَرًّا مِنْ بِدْعَةِ أُولَئِكَ الْمُعْتَزِلَةِ، وَكِلْتَا الطَّائِفَتَيْنِ نَشَأَتْ مِنْ الْبَصْرَةِ.

وَإِنَّمَا دِينُ اللهِ مَا بَعَثَ بِهِ رُسُلَهُ، وَأَنْزَلَ بِهِ كُتُبَهُ، وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، وَهُوَ طَرِيقَةُ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، خَيْرِ الْقُرُونِ، وَأَفْضَلِ الْأُمَّةِ، وَأَكْرَمِ الْخَلْقِ عَلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ بَعْدَ النَّبِيِّينَ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾ [التوبة:١٠٠]، فَرَضِيَ عَنْ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ رِضًا مُطْلَقًا، وَرَضِيَ عَنْ التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ: «**خَيْرُ الْقُرُونِ الْقَرْنُ الَّذِي بُعِثْت فِيهِمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**»، وَكَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَقُولُ: مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُسْتَنًّا فَلْيَسْتَنَّ بِمَنْ قَدْ مَاتَ، فَإِنَّ الْحَيَّ لَا تُؤْمَنُ عَلَيْهِ الْفِتْنَةُ، أُولَئِكَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَبَرُّ هَذِهِ الْأُمَّةِ قُلُوبًا، وَأَعْمَقُهَا عِلْمًا، وَأَقَلُّهَا تَكَلُّفًا، قَوْمٌ اخْتَارَهُمْ اللهُ لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ ﷺ، وَإِقَامَةِ دِينِهِ، فَاعْرِفُوا لَهُمْ حَقَّهُمْ، وَتَمَسَّكُوا بِهَدْيِهِمْ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا عَلَىٰ الْهُدَىٰ الْمُسْتَقِيمِ. وَقَالَ حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: يَا مَعْشَرَ الْقُرَّاءِ اسْتَقِيمُوا وَخُذُوا طَرِيقَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَوَاللهِ لَئِنْ اتَّبَعْتُمُوهُمْ لَقَدْ سَبَقْتُمْ سَبْقًا بَعِيدًا، وَلَئِنْ أَخَذْتُمْ يَمِينًا وَشِمَالًا لَقَدْ ضَلَلْتُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا.

وَقَدْ قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ خَطًّا، وَخَطَّ حَوْلَهُ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: «**هَذَا سَبِيلُ اللهِ وَهَذِهِ سُبُلٌ عَلَىٰ كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إلَيْهِ، ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ [الأنعام:١٥٣]**»».

وَقَدْ أَمَرَنَا سُبْحَانَهُ أَنْ نَقُولَ فِي صَلَاتِنَا: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة]، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:



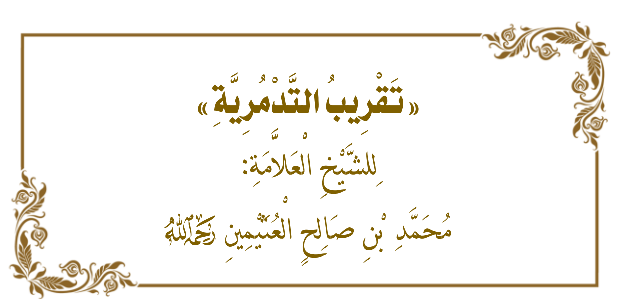
«الْيَهُودُ مَغْضُوبٌ عَلَيْهِمْ وَالنَّصَارَىٰ ضَالُّونَ»، وَذَلِكَ أَنَّ الْيَهُودَ عَرَفُوا الْحَقَّ وَلَمْ يَتَّبِعُوهُ، وَالنَّصَارَىٰ عَبَدُوا اللهَ بِغَيْرِ عِلْمٍ. وَلِهَذَا كَانَ يُقَالُ: تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ فِتْنَةِ الْعَالِمِ الْفَاجِرِ وَالْعَابِدِ الْجَاهِلِ، فَإِنَّ فِتْنَتَهُمَا فِتْنَةٌ لِكُلِّ مَفْتُونٍ. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ۝١٢٣﴾ [طه]، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: تَكَفَّلَ اللهُ لِمَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ، وَعَمِلَ بِمَا فِيهِ أَلَّا يَضِلَّ فِي الدُّنْيَا وَلَا يَشْقَىٰ فِي الْآخِرَةِ، وَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ.

وَكَذَلِكَ قَوْله تَعَالَىٰ: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾ [البقرة]، فَأَخْبَرَ أَنَّ هَؤُلَاءِ مُهْتَدُونَ مُفْلِحُونَ، وَذَلِكَ خِلَافُ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَالضَّالِّينَ.

فَنَسْأَلُ اللهَ الْعَظِيمَ أَنْ يَهْدِيَنَا وَسَائِرَ إِخْوَانِنَا صِرَاطَهُ الْمُسْتَقِيمَ: صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ النَّبِيِّيْنِ والصديقين وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِك رَفِيقًا، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ خَيْرِ خَلْقِهِ عَبْدَهُ وَرَسُولُهُ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا إِلَىٰ يَوْمَ الدِّينِ.








بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أرسله الله تعالىٰ بالهدىٰ ودين الحق، فبلغ الرسالة وأدىٰ الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، وترك أمته علىٰ محجة بيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، فصلوات الله وسلامه عليه وعلىٰ آله وأصحابه، وأئمته الهدىٰ من بعدهم، ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين.

**أما بعد؛**

فإن رسول الله ﷺ بيّن للناس ما نزل إليهم من ربهم بيانًا كاملًا شاملًا في دقيق أمورهم وجليلها، وظاهرها وخفيها، حتىٰ علمهم ما يحتاجون إليه في مآكلهم، ومشاربهم، ومناكحهم، وملابسهم، ومساكنهم.

فعلمهم آداب الأكل والشرب، والتخلي منهما، وآداب النكاح، واللباس ودخول المنزل والخروج منه.

كما علمهم ما يحتاجون إليه في عبادة الله عَزَّ وَجَلَّ كالطهارة، والصلاة، والزكاة، والصوم، والحج ... وغير ذلك.

وما يحتاجون إليه في معاملة الخلق من بر الوالدين، وصلة الأرحام وحسن الصحبة والجوار ... وغير ذلك.



وعلمهم كيف يتعاملون بينهم في البيع والشراء، والرهن والارتهان، والتأجير والاستئجار، والهبة والاتهاب ... وغير ذلك.

حتىٰ قال أبو ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لقد توفي رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علمًا».

وفي صحيح مسلم عن سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قيل له: قد علمكم نبيكم كل شيء حتىٰ الخراءة؟ قال: أجل، لقد نهانا أن نستقبل القبلة بغائط أو بول وذكر تمام الحديث.

هذا فضلًا عن أسس هذه العبادات والأخلاق والمعاملات، وهو ما يعتقده العباد في إلههم ومعبودهم؛ في ذاته، وأسمائه، وصفاته وأفعاله، وما ينشأ عن ذلك من أحكامه الكونية والشرعية المبنية علىٰ بالغ الحكمة وغاية الرحمة.

فأخذ عنه ذلك الصحابة معينًا صافيًا نقيًّا مبنيًا علىٰ التوحيد الكامل المتضمن لركنين أساسيين: **نفي، وإثبات**.

**فأما الإثبات فهو**: إثبات ما يجب لله تعالىٰ من الربوبية، والألوهية والأسماء والصفات، والأفعال.

**وأما النفي فهو**: نفي مشاركة غير الله تعالىٰ فيما يجب له.

ومضىٰ عليه التابعون لهم بإحسان ممن أدركوا زمن الصحابة أو جاءوا بعدهم من أئمة الهدىٰ المستحقين لرضا الله عَزَّوَجَلَّ حيث يقول الله تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝١٠٠﴾[التوبة] ثم خلف خلوف عموا عن الحق أو تعاموا عنه فضلوا وأضلوا قصورًا أو تقصيرًا، أو عدوانًا وظلمًا، فأحدثوا في دين الله تعالىٰ ما ليس منه في العقيدة، والعبادة، والسلوك، وحرفوا من أجل ذلك نصوص الكتاب والسنة، أو كذبوها - إن أمكنهم ذلك -.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «واعلم أن عامة البدع المتعلقة بالعلوم والعبادات إنما وقع في الأمة في أواخر خلافة الخلفاء الراشدين كما أخبر به النبي ﷺ حيث قال: «**مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَىٰ اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي...**»



**إلىٰ أن قال:** «فلما ذهبت دولة الخلفاء الراشدين، وصار ملكًا ظهر النقص في الأمراء؛ فلابد أن يظهر أيضًا في أهل العلم والدين فحدث في آخر خلافة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بدعتا الخوارج والرافضة إذ هي متعلقة بالإمامة والخلافة وتوابع ذلك من الأعمال والأحكام الشرعية.

وكان ملك معاوية ملكًا ورحمة، فلما ذهب وجاءت إمارة يزيد وجرت فيها فتنة قتل الحسين بالعراق، وفتنة أهل الحرة بالمدينة، وحصروا مكة لما قام عبد الله بن الزبير، ثم مات يزيد وتفرقت الأمة: ابن الزبير بالحجاز، وبنو الحكم بالشام، ووثب المختار بن أبي عبيد وغيره بالعراق وذلك في أواخر عصر الصحابة، وقد بقي فيهم مثل عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وجابر بن عبد الله، وأبي سعيد الخدري، وغيرهم حدثت بدعة القدرية والمرجئة فردها بقايا الصحابة مع ما كانوا يردونه هم وغيرهم من بدعة الخوارج والروافض.

**وعامة ما كانت القدرية إذ ذاك يتكلمون فيه**: أعمال العباد، كما يتكلم فيها المرجئة، فصار كلامهم في الطاعة والمعصية، والمؤمن والفاسق، ونحو ذلك من مسائل الأسماء، والأحكام، والوعد، والوعيد.

ولم يتكلموا بعد في ربهم، ولا في صفاته إلا في أواخر عصر صغار التابعين، من حين أواخر الدولة الأموية حين شرع القرن الثالث - تابعو التابعين - ينقرض أكثرهم؛ فإن الاعتبار بالقرون الثلاثة بجمهور أهل القرن - وهم وسطه -.

وجمهور الصحابة انقرضوا بانقراض خلافة الخلفاء الأربعة، حتىٰ إنه لم يكن بقي من أهل بدر إلا نفر قليل.

وجمهور التابعين بإحسان انقرضوا في أواخر عصر أصاغر الصحابة في إمارة ابن الزبير وعبد الملك.

وجمهور تابعي التابعين في أواخر الدولة الأموية وأوائل الدولة العباسية.

وصار في ولاة الأمور كثير من الأعاجم، وخرج كثير من الأمور عن ولاية العرب، وعربت بعض الكتب العجمية من كتب الفرس، والهند، والروم، وظهر ما قاله النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ثُمَّ يَفْشُوا الْكَذِبُ حَتَّىٰ يَشْهَدَ الرَّجُلُ وَلَا يُسْتَشْهَدَ، وَيَحْلِفَ وَلَا يُسْتَحْلَفَ**».

**حدث ثلاثة أشياء**: الرأي، والكلام، والتصوف، وحدث التجهم - وهو نفي الصفات -



وبإزائه التمثيل.

**إلىٰ أن قال**: «فإن معرفة أصول الأشياء ومبادئها ومعرفة الدين وأصله، وأصل ما تولد فيه» من أعظم العلوم نفعًا، إذ المرء ما لم يحط علمًا بحقائق الأشياء التي يحتاج إليها يبقىٰ في قلبه حسكة» اهـ.

**وقال ابن القيم رحمه الله تعالىٰ** : «بدعة القدر أدركت آخر عصر الصحابة، فأنكرها من كان منهم حيًّا كعبد الله بن عمر وابن عباس وأمثالهما رضي الله عنهم ثم حدثت بدعة الإرجاء بعد انقراض عصر الصحابة، فتكلم فيها كبار التابعين الذين أدركوها، ثم حدثت بدعة التجهم بعد انقراض عصر التابعين واستفحل أمرها واستطار شرها في زمن الأئمة كالإمام أحمد وذويه، ثم حدثت بعد ذلك بدعة الحلول وظهر أمرها في زمن الحسين الحلاج، وكلما أظهر الشيطان بدعة من هذه البدع وغيرها أقام الله لها من حزبه وجنده من يردها، ويحذر المسلمين منها نصيحة لله، ولكتابه، ولرسوله ولأهل الإسلام» ا.هـ.

وقال ابن حجر رحمه الله في شرح البخاري: «فمما حدث: تدوين الحديث، ثم تفسير القرآن، ثم تدوين المسائل الفقهية المولدة من الرأي المحض، ثم تدوين ما يتعلق بأعمال القلوب.

**فأما الأول**؛ فأنكره عمر وأبو موسىٰ وطائفة، ورخص فيه الأكثرون.

**وأما الثاني**؛ فأنكره جماعة من التابعين كالشعبي.

**وأما الثالث**؛ فأنكره الإمام أحمد وطائفة يسيرة، وكذا اشتد إنكار أحمد للذي بعده.

ومما حدث أيضًا تدوين القول في أصول الديانات فتصدىٰ لها المثبتة والنفاة، فبالغ الأول حتىٰ شبه، وبالغ الثاني حتىٰ عطل، واشتد إنكار السلف لذلك كأبي حنيفة، وأبي يوسف، والشافعي. وكلامهم في ذم أهل الكلام مشهور. وسببه أنهم تكلموا فيما سكت عنه النبي ﷺ وأصحابه.

وثبت عن مالك أنه لم يكن في عهد النبي ﷺ وأبي بكر وعمر شيء من الأهواء يعني بدع الخوارج، والروافض، والقدرية.

وقد توسع من تأخر عن القرون الثلاثة الفاضلة في غالب الأمور التي أنكرها أمة التابعين وأتباعهم.



ولم يقتنعوا بذلك حتىٰ مزجوا مسائل الديانة بكلام اليونان، وجعلوا كلام الفلاسفة أصلًا يردون إليه ما خالفه من الآثار بالتأويل ولو مستكرهًا.

ثم لم يكتفوا بذلك حتىٰ زعموا أن الذي تربوه هو أشرف العلوم وأولاها بالتحصيل، وأن من لم يستعمل ما اصطلحوا عليه فهو عامي جاهل، فالسعيد من تمسك بما كان عليه السلف، واجتنب ما أحدث الخلف، وإن لم يكن له منه بد فليكتف منه بقدر الحاجة، ويجعل الأول المقصود بالأصالة» ا. هـ.

ولما كان من حكمة الله البالغة أن يجعل للحق معارضين يتبين بمعارضتهم صواب الحق وظهوره علىٰ الباطل، فإن خالص الذهب لا يظهر إلا بعرضه علىٰ النار، قبض الله جل وعلا بقدرته التامة ولطفه الواسع وقهره الغالب من يدحض حجج هؤلاء المعارضين ويبين زيف شبههم وأنها كما قيل:

حُجَجٌ تَهَافَتُ كَالزُّجَاجِ تَخَالُهَا ... حَقًّا وَكُلٌّ كَاسِرٌ مَكْسُورُ

وقال الإمام أحمد رحمه الله في خطبة كتاب «الرد علىٰ الجهمية»: «الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلىٰ الهدىٰ، ويصبرون منهم علىٰ الأذىٰ، يحيون بكتاب الله الموتىٰ، ويبصرون بنور الله أهل العمىٰ، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضال تائه هدوه، فما أحسن أثرهم علىٰ الناس وما أقبح أثر الناس عليهم ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين الذين عقدوا ألوية البدعة وأطلقوا عنان الفتنة، فهم مختلفون في الكتاب مخالفون للكتاب، مجمعون علىٰ مخالفة الكتاب، يقولون علىٰ الله وفي الله وفي كتاب الله بغير علم، يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون الجهال بما يشبهون عليهم، فنعوذ بالله من فتن المضلين» اهـ.

وكان من جملة من قيضهم الله تعالىٰ لنصرة دينه والذب عنه باللسان والبنان والسنان شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيميه المولود في حران يوم الاثنين العاشر من شهر ربيع الأول سنة إحدىٰ وستين وستمائة، المتوفىٰ محبوسًا ظلمًا في قلعة دمشق ليلة الاثنين الموافق العشرين من شهر ذي القعدة سنة ثمان وعشرين



وسبعمائة، وصلي عليه في الجامع الأموي بعد صلاة الظهر ولم يتم دفنه – لكثرة الزحام – إلا قبل العصر بيسير، رحمه الله تعالىٰ رحمة واسعة، وجمعنا به مع من أنعم الله عليهم في جنات النعيم.

ولقد كان له رحمه الله مصنفات كثيرة في مجادلة أهل البدع ومجالدة أفكارهم ما بين مطولة ومتوسطة وقليلة، وحصل بذلك نفع كبير.

أشار ابن القيم رحمه الله إلىٰ شيء منها في النونية حيث قال:

وَإِذَا أَرَدْتَ تَرَى مَصَارِعَ مَنْ خَلَا ... مِنْ أُمَّةِ التَّعْطِيلِ وَالْكُفْرَانِ

إلىٰ أن قال:

فَاقْرَأْ تَصَانِيفَ الْإِمَامِ حَقِيقَةً ... شَيْخِ الْوُجُودِ الْعَالِمِ الرَّبَّانِي

أَعْنِي أَبَا الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ ذَلِكَ الْـ ... بَحْرِ الْمُحِيطِ بِسَائِرِ الْخُلْجَانِ

وَاقْرَأْ كِتَابَ الْعَقْلِ وَالنَّقْلِ الَّذِي ... مَا فِي الْوُجُودِ لَهُ نَظِيرٌ ثَانِ

وَكَذَاكَ مِنْهَاجٌ لَهُ فِي رَدِّهِ ... قَوْلَ الرَّوَافِضِ شِيعَةِ الشَّيْطَانِ

ثم ذكر عدة من كتبه ورسائله وقال:

هِيَ فِي الْوَرَى مَبْثُوثَةٌ مَعْلُومَةٌ ... تُبْتَاعُ بِالْغَالِي مِنَ الْأَثْمَانِ

إلىٰ أن قال:

وَلَهُ الْمَقَامَاتُ الشَّهِيرَةُ فِي الْوَرَى ... قَدْ قَامَهَا لِلَّهِ غَيْرَ جَبَانِ

نَصَرَ الْإِلَهَ وَدِينَهُ وَكِتَابَهُ ... وَرَسُولَهُ بِالسَّيْفِ وَالْبُرْهَانِ

أَبْدَى فَضَائِحَهُمْ وَبَيَّنَ جَهْلَهُمْ ... وَأَرَى تَنَاقُضَهُمْ بِكُلِّ زَمَانِ

إلىٰ أن قال:

وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنْ بِسِلَاحِهِمْ ... أَرْدَاهُمُ تَحْتَ الْحَضِيضِ الدَّانِي

كَانَتْ نَوَاصِينَا بِأَيْدِيهِمْ فَمَا ... يَلْقَوْنَنَا إِلَّا بِحَبْلِ أَمَانِ



فَغَـــدَتْ نَوَاصِـــيهِمْ بِأَيْـــدِينَا فَمَـــا يَلْقَوْنَنَـــا إِلَّا بِحَبْـــلِ أَمَـــانِ
وَغَـــدَتْ مُلُـــوكُهُمُ مَمَـــالِيكًا لِأَنْـــصَـــارِ الرَّسُـــولِ بِمِنَّـــةِ الـــرَّحْمَنِ

وكان من جملة رسائل الشيخ رحمه الله رسالة: «تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع» المعروفة باسم: «التدمرية».

الظاهر أن هذه الرسالة ضمن أجوبة أجاب بها الشيخ أهل تدمر.

وكانت هذه الرسالة من أحسن وأجمع ما كتبه في موضوعها علىٰ اختصارها.

ومن أجل ذلك فإني أستعين الله عَزَّوَجَلَّ في: لم شعثها وجمع شملها وتقريب معانيها لقارئها مع زيادة ما تدعو الحاجة إليه، وحذف ما يمكن الاستغناء عنه علىٰ وجه لا يخل بالمقصود، وسميته: «تقريب التدمرية».

وأسأل الله تعالىٰ أن يجعل عملي خالصًا لوجهه موافقًا لمرضاته نافعًا لعباده إنه جواد كريم.

### بيان سبب تأليف هذه الرسالة التدمرية:

بين المؤلف سبب تأليف هذه الرسالة بقوله: «أما بعد: فقد سألني من تعينت إجابتهم أن أكتب لهم مضمون ما سمعوه مني في بعض المجالس من الكلام في التوحيد والصفات، وفي الشرع والقدر».

### ثم علل وجوب إجابتهم بأمرين:

**أحدهما**: مسيس الحاجة إلىٰ تحقيق هذين الأصلين؛ لأنه لابد أن يخطر علىٰ القلب في هذين الأصلين ما يحتاج معه إلىٰ بيان الهدىٰ من الضلال والحق من الباطل.

**الثاني**: كثرة اضطراب أقوال الناس فيهما، والخوض فيهما بالحق تارة وبالباطل تارات؛ فيلتبس الحق بالباطل علىٰ كثير من الناس، ومن ثم احتيج إلىٰ البيان.

## فصلٌ: الكلام في التوحيد والصفات وفي الشرع والقدر

**الكلام في التوحيد والصفات من باب الخبر**: الدائر بين النفي والإثبات من قبل المتكلم،



المقابل بالتصديق أو التكذيب من قبل المخاطب؛ لأنه خبر عما يجب لله تعالىٰ من التوحيد وكمال الصفات، وعما يستحيل عليه من الشرك والنقص ومماثلة المخلوقات.

مثال ذلك قوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾ [البقرة:٢٥٥]؛ ففي قوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: إثبات التوحيد، وفي قوله ﴿ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾: إثبات كمال الصفات، وفي قوله: ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾: نفي النقائص عن الله المتضمن لإثبات الكمالات.

**وأما الكلام في الشرع والقدر فهو من باب الطلب**: الدائر بين الأمر والنهي من قبل المتكلم، المقابل بالطاعة أو المعصية من قبل المخاطب؛ لأن المطلوب إما محبوب لله ورسوله فيكون مأمورًا به، وإما مكروه لله ورسوله فيكون منهيًا عنه.

مثال ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [النساء:٣٦] ففي قوله: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾: الأمر بعبادة الله، وفي قوله: ﴿وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾: النهي عن الإشراك به.

والفرق بين الخبر والطلب في حقيقتيهما وحكمهما معلوم.

فالواجب علىٰ العباد إزاء خبر الله ورسوله: التصديق والإيمان به علىٰ ما أراد الله ورسوله تصديقًا لا تكذيب معه؛ وإيمانًا لا كفر معه، ويقينًا لا شك معه؛ لقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٣٦﴾ [النساء].

والواجب علىٰ العباد إزاء الطلب: امتثاله علىٰ الوجه الذي أراد الله ورسوله من غير غلو ولا تقصير، فيقومون بالمأمور ويجتنبون المحظور لقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ٢٠ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ٢١ ۞إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ٢٢ وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ٢٣﴾ [الأنفال].

**وإذا تبين ذلك؛ فها هنا أصلان:**

**الأصل في الصفات وهو**: أن يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفته به رسوله إثباتًا



بلا تمثيل، وتنزيهًا بلا تعطيل كما جمع الله تعالىٰ بينهما في قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورىٰ].

فقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾: نفي متضمن لكمال صفاته مبطل لمنهج أهل التمثيل.

وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾: إثبات لأسمائه وصفاته وإبطال لمنهج أهل التحريف والتعطيل.

فنثبت ما أثبته الله لنفسه وننفي ما نفىٰ الله عن نفسه من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

وهذا هو المنهج السليم الواجب المبني علىٰ العلم والحكمة والسداد في القول والاعتقاد.

**وله دليلان**: أثري ونظري، وإن شئت فقل: سمعي وعقلي.

**أما الأثري السمعي** فمنه قوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف]. وقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورىٰ].

وقوله: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [النحل]. ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء].

**وأما النظري العقلي** فلأن القول في أسماء الله وصفاته من باب الخبر المحض الذي لا يمكن للعقل إدراك تفاصيله، فوجب الوقوف فيه علىٰ ما جاء به السمع.

## فصلٌ

والجمع بين النفي والإثبات في باب الصفات هو حقيقة التوحيد فيه؛ وذلك لأن التوحيد مصدر «وحد/ يوحد» ولا يمكن صدق حقيقته إلا بنفي وإثبات، لأن الاقتصار علىٰ النفي المحض تعطيل محض. والاقتصار علىٰ الإثبات المحض لا يمنع المشاركة.

**مثال ذلك**: لو قلت: ما زيد بشجاع؛ فقد نفيت عنه صفة الشجاعة وعطلته منها.

**ولو قلت**: زيد شجاع. فقد أثبت له صفة الشجاعة، لكن ذلك لا يمنع أن يكون غيره



شجاعًا أيضًا.

**ولو قلت**: لا شجاع إلا زيد. فقد أثبت له صفة الشجاعة، ونفيت أن يشاركه غيره فيها، فكنت موحدًا له في صفة الشجاعة.

إذن؛ لا يمكن توحيد أحد بشيء إلا بالجمع بين النفي والإثبات.

واعلم أن الصفات الثبوتية التي وصف الله بها نفسه كلها صفات كمال، والغالب فيها التفصيل، لأنه كلما كثر الإخبار عنها وتنوعت دلالتها ظهر من كمال الموصوف بها ما لم يكن معلومًا من قبل؛ ولهذا كانت الصفات الثبوتية التي أخبر الله بها عن نفسه أكثر من الصفات المنفية التي نفاها الله عن نفسه.

وأما الصفات المنفية التي نفاها الله عن نفسه فكلها صفات نقص ولا تليق به كالعجز، والتعب، والظلم، ومماثلة المخلوقين، والغالب فيها الإجمال؛ لأن ذلك أبلغ في تعظيم الموصوف وأكمل في التنزيه. فإن تفصيلها لغير سبب يقتضيه فيه سخرية وتنقص للموصوف.

ألا ترىٰ أنك لو مدحت ملكًا فقلت له: أنت كريم، شجاع محنك، قوي الحكم، قاهر لأعدائك ... إلىٰ غير ذلك من صفات المدح، لكان هذا من أعظم الثناء عليه، وكان فيه من زيادة مدحه وإظهار محاسنه ما يجعله محبوبًا محترمًا؛ لأنك فصلت في الإثبات.

**ولو قلت**: أنت ملك لا يساميك أحد ملوك الدنيا في عصرك؛ لكان ذلك مدحًا بالغًا؛ لأنك أجملت في النفي.

**ولو قلت**: أنت ملك غير بخيل، ولا جبان، ولا فقير، ولا بقال، ولا كناس ولا بيطار، ولا حجام ... وما أشبه ذلك من التفصيل في نفي العيوب التي لا تليق به؛ لعد ذلك استهزاء به وتنقصًا لحقه.

وقد يأتي الإجمال في أسماء الله تعالىٰ وصفاته الثبوتية كقوله تعالىٰ في الأسماء: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:١٨٠] وقوله في الصفات ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل:٦٠]؛ أي: الوصف الأعلىٰ.

**وقد يأتي التفصيل في الصفات المنفية لأسباب منها:**

١- نفي ما ادعاه في حقه الكاذبون المفترون كقوله تعالىٰ: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا



كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ﴾ [المؤمنون: ٩١].

٢- دفع توهم نقص في كماله كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾ [قٓ].

**الأمثلة علىٰ التفصيل في الإثبات كثيرة جدًّا:**

قوله تعالىٰ في سورة الحشر: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ﴾ إلىٰ آخر السورة، [الحشر:٢٢ – ٢٤] فقد تضمنت هذه الآيات أكثر من خمسة عشر اسمًا، وكل اسم منها قد تضمن صفة أو صفتين أو أكثر.

وكقوله تعالىٰ في سورة الحج: ﴿لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾﴾ إلىٰ قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾ [الحج] فهذه سبع آيات متوالية، ختمت كل آية منها باسمين من أسماء الله عَزَّوَجَلَّ وكل اسم منها متضمن لصفة أو صفتين أو أكثر.

وأما أمثلة الإجمال في النفي فمنها قوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ﴾ [الشورىٰ:١١]. وقوله تعالىٰ: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم]. وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص].

## فصلٌ

واعلم أن الاشتراك في الأسماء والصفات لا يستلزم تماثل المسميات والموصوفات، كما دل علىٰ ذلك السمع، والعقل، والحس.

**أما السمع**: فقد قال الله عن نفسه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [النساء]. وقال عن الإنسان: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾﴾ [الإنسان]. ونفي أن يكون السميع كالسميع والبصير كالبصير فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورىٰ].

وأثبت لنفسه علمًا وللإنسان علمًا، فقال عن نفسه: ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾ [البقرة:٢٣٥] وقال عن الإنسان: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّۖ﴾ [الممتحنة:١٠]. وليس علم الإنسان كعلم الله تعالىٰ، فقد



قال الله عن علمه: ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الأنعام: ٨٠]. وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ۝٥﴾ [آل عمران]. وقال عن علم الإنسان: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ۝٨٥﴾ [الإسراء].

**وأما العقل:** فمن المعلوم بالعقل أن المعاني والأوصاف تتقيد وتتميز بحسب ما تضاف إليه، فكما أن الأشياء مختلفة في ذواتها فإنها كذلك مختلفة في صفاتها وفي المعاني المضافة إليها، فإن صفة كل موصوف تناسبه لا يفهم منها ما يقصر عن موصوفها أو يتجاوزه.

ولهذا نصف الإنسان باللين، والحديد المنصهر باللين، ونعلم أن اللين متفاوت المعنىٰ بحسب ما أضيف إليه.

**وأما الحس:** فإننا نشاهد للفيل جسمًا وقدمًا وقوة، وللبعوضة جسمًا وقدمًا وقوة، ونعلم الفرق بين جسميهما، وقدميهما، وقوتيهما.

فإذا علم أن الاشتراك في الاسم والصفة في المخلوقات لا يستلزم التماثل في الحقيقة مع كون كل منها مخلوقًا ممكنًا، فانتفاء التلازم في ذلك بين الخالق والمخلوق أولىٰ وأجلىٰ، بل التماثل في ذلك بين الخالق والمخلوق ممتنع غاية الامتناع.

## فصلٌ: في الزائغين عن سبيل الرسل وأتباعهم في أسماء الله وصفاته

**الزائغون عن سبيل الرسل وأتباعهم في أسماء الله وصفاته قسمان:** ممثلة، ومعطلة، وكل منهم غلا في جانب، وقصر في جانب. فالممثلة غلوا في جانب الإثبات، وقصروا في جانب النفي. والمعطلة غلوا في جانب النفي. وقصروا في جانب الإثبات، فخرج كل منهم عن الاعتدال في الجانبين.

### فالقسم الأول: الممثلة:

**وطريقتهم:** أنهم اثبتوا لله الصفات علىٰ وجه يماثل صفات المخلوقين، فقالوا: لله وجه، ويدان، وعينان، كوجوهنا، وأيدينا، وأعيننا ... ونحو ذلك.

**وشبهتهم في ذلك:** أن الله تعالىٰ خاطبنا في القرآن بما نفهم ونعقل قالوا: ونحن لا نفهم ولا نعقل إلا ما كان مشاهدًا، فإذا خاطبنا عن الغائب بشيء وجب حمله علىٰ المعلوم في الشاهد.



**ومذهبهم** باطل مردود بالسمع، والعقل، والحس:

**أما السمع**: فقد قال الله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورىٰ] وقال: ﴿فَلَا تَضْرِبُواْ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَۚ﴾ [النحل: ٧٤]. ففي الآية الأولىٰ نفىٰ أن يكون له مماثل مع إثبات السمع والبصر له. وفي الثانية نهىٰ أن تضرب له الأمثال، فجمع في هاتين الآيتين بين النفي والنهي.

**وأما العقل**: فدلالته علىٰ بطلان التمثيل من وجوه:

**الأول**: التباين بين الخالق والمخلوق في الذات والوجود، وهذا يستلزم التباين في الصفات، لأن صفة كل موصوف تليق به، فالمعاني والأوصاف تتقيد وتتميز بحسب ما تضاف إليه.

**الثاني**: أن القول بالمماثلة بين الخالق والمخلوق يستلزم نقص الخالق سبحانه؛ لأن تمثيل الكامل بالناقص يجعله ناقصًا.

**الثالث**: أن القول بمماثلة الخالق للمخلوق يقتضي بطلان العبودية الحق؛ لأنه لا يخضع عاقل لأحد وبذل له علىٰ وجه التعظيم المطلق إلا أن يكون أعلىٰ منه.

**وأما الحس**: فإننا نشاهد في المخلوقات ما تشترك أسماؤه وصفاته في اللفظ وتتباين في الحقيقة، فللفيل جسم وقوة، وللبعوضة جسم وقوة، والتباين بين جسميهما وقوتيهما معلوم، فإذا جاز هذا التباين بين المخلوقات كان جوازه بين الخالق والمخلوق من باب أولىٰ، بل التباين بين الخالق والمخلوق واجب، والتماثل ممتنع غاية الامتناع.

**وأما قولهم**: «إن الله تعالىٰ خاطبنا بما نعقل ونفهم» فصحيح؛ لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾﴾ [الزخرف]. وقوله: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص]. وقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْۖ﴾ [إبراهيم:٤]. ولولا أن الله أراد من عباده عقل وفهم ما جاءت به الرسل لكان لسان قومه ولسان غيرهم سواء، ولما حصل البيان الذي تقوم به الحجة علىٰ الخلق.

**وأما قولهم**: «إذا خاطبنا عن الغائب بشيء وجب حمله علىٰ المعلوم في الشاهد» فجوابه من وجهين:



**أحدهما**: أن ما أخبر الله به عن نفسه إنما أخبر به مضافًا إلىٰ نفسه المقدسة، فيكون لائقًا به لا مماثلًا لمخلوقاته، ولا يمكن لأحد أن يفهم منه المماثلة إلا من لم يعرف الله تعالىٰ، ولم يقدره حق قدره، ولم يعرف مدلول الخطاب الذي يقتضيه السياق.

**الثاني**: أنه قد علم بضرورة العقل والشرع ما بين الخالق والمخلوق من التباين العظيم في الذات والوجود فكيف يتصور مؤمن أو عاقل أن يكون بينهما تماثل في الصفات فضلا عن أن يعتقد ذلك في الله عَزَّوَجَلَّ وعلا.

## فصلٌ

**القسم الثاني: المعطلة** وهم الذين أنكروا ما سمىٰ الله تعالىٰ ووصف به نفسه إنكارًا كليًّا أو جزئيًّا، وحرفوا من أجل ذلك نصوص الكتاب والسنة، فهم محرفون للنصوص، معطلون للصفات.

**وقد انقسم هؤلاء إلىٰ أربع طوائف:**

**الطائفة الأولىٰ**: الأشاعرة ومن ضاهاهم من الماتريدية وغيرهم:

**وطريقتهم**: أنهم أثبتوا لله الأسماء، وبعض الصفات، ونفوا حقائق أكثرها، وردوا ما يمكنهم رده من النصوص، وحرفوا ما لا يمكنهم رده، وسموا ذلك التحريف تأويلًا؛ فأثبتوا لله من الصفات سبع صفات: الحياة، والعلم، والقدرة، والإرادة، والكلام، والسمع، والبصر، علىٰ خلاف بينهم وبين السلف في كيفية إثبات بعض هذه الصفات.

**وشبهتهم فيما ذهبوا إليه**: أنهم اعتقدوا فيما نفوه أن إثباته يستلزم التشبيه أي التمثيل. وقالوا فيما أثبتوه: إن العقل قد دل عليه؛ فإن إيجاد المخلوقات يدل علىٰ القدرة، وتخصيص بعضها بما يختص به يدل علىٰ الإرادة، وإحكامها يدل علىٰ العلم، وهذه الصفات «القدرة، والإرادة، والعلم» تدل علىٰ الحياة لأنها لا تقوم إلا بحي، والحي إما أن يتصف بالكلام والسمع والبصر - وهذه صفات كمال - أو بضدها - وهو الخرس والصمم والعمىٰ - وهذه صفات ممتنعة علىٰ الله تعالىٰ، فوجب ثبوت الكلام، والسمع، والبصر.

**والرد عليهم من وجوه:**



**الأول**: أن الرجوع إلىٰ العقل في هذا الباب مخالف لما كان عليه سلف الأمة من الصحابة، والتابعين، وأئمة الأمة من بعدهم، فما منهم أحد رجع إلىٰ العقل في ذلك وإنما يرجعون إلىٰ الكتاب والسنة، فيثبتون لله تعالىٰ من الأسماء والصفات ما أثبته لنفسه، أو أثبته له رسله إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيهًا بلا تعطيل.

**قال إمام أهل السنة أحمد بن حنبل**: «نصف الله بما وصف به نفسه، ولا نتعدىٰ القرآن والحديث».

**الثاني**: أن الرجوع إلىٰ العقل في هذا الباب مخالف للعقل؛ لأن هذا الباب من الأمور الغيبية التي ليس للعقل فيها مجال، وإنما تتلقىٰ من السمع، فإن العقل لا يمكنه أن يدرك بالتفصيل ما يجب ويجوز ويمتنع في حق الله تعالىٰ؛ فيكون تحكيم العقل في ذلك مخالفًا للعقل.

**الثالث**: أن الرجوع في ذلك إلىٰ العقل مستلزم للاختلاف والتناقض، فإن لكل واحد منهم عقلًا يرىٰ وجوب الرجوع إليه كما هو الواقع في هؤلاء، فتجد أحدهم يثبت ما ينفيه الآخر، وربما يتناقض الواحد منهم فيثبت في مكان ما ينفيه - أو ينفي نظيره - في مكان آخر، فليس لهم قانون مستقيم يرجعون إليه.

**قال المؤلف رحمه الله في الفتوىٰ الحموية**: «فيا ليت شعري بأي عقل يوزن الكتاب والسنة؟ فرضي الله عنه الإمام مالك بن أنس حيث قال: أوكلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا ما جاء به جبريل إلىٰ محمد ﷺ لجدل هؤلاء».

ومن المعلوم أن تناقض الأقوال دليل علىٰ فسادها.

**الرابع**: أنهم إذا صرفوا النصوص عن ظاهرها إلىٰ معنىٰ زعموا أن العقل يوجبه، فإنه يلزمهم في هذا المعنىٰ نظير ما يلزمهم في المعنىٰ الذي نفوه مع ارتكابهم تحريف الكتاب والسنة.

**مثال ذلك**: إذا قالوا المراد بيد الله عَزَّ وَجَلَّ: القوة دون حقيقة اليد؛ لأن إثبات حقيقة اليد يستلزم التشبيه بالمخلوق الذي له يد.

**فنقول لهم**: يلزمكم في إثبات القوة نظير ما يلزمكم في إثبات اليد الحقيقية؛ لأن للمخلوقات قوة، فإثبات القوة لله تعالىٰ يستلزم التشبيه علىٰ قاعدتكم.



**ومثال آخر**: إذا قالوا المراد بمحبة الله تعالىٰ إرادة ثواب المحبوب أو الثواب نفسه دون حقيقة المحبة؛ لأن إثبات حقيقة المحبة يستلزم التشبيه.

**فنقول لهم**: إذا فسرتم المحبة بالإرادة لزمكم في إثبات الإرادة نظير ما يلزمكم في إثبات المحبة، لأن للمخلوق إرادة، فإثبات الإرادة لله تعالىٰ يستلزم التشبيه علىٰ قاعدتكم، وإذا فسرتموها بالثواب، فالثواب مخلوق مفعول لا يقوم إلا بخالق فاعل، والفاعل لابد له من إرادة الفعل، وإثبات الإرادة مستلزم للتشبيه علىٰ قاعدتكم.

**ثم نقول**: إثباتكم إرادة الثواب أو الثواب نفسه مستلزم لمحبة العمل المثاب عليه، ولولا محبة العمل ما أثيب فاعله، فصار تأويلكم مستلزمًا لما نفيتم؛ فإن أثبتموه علىٰ الوجه المماثل للمخلوق ففي التمثيل وقعتم، وإن أثبتموه علىٰ الوجه المختص بالله واللائق به أصبتم ولزمكم إثبات جميع الصفات علىٰ هذا الوجه.

**الخامس**: أن قولهم فيما نفوه: «إن إثباته يستلزم التشبيه» ممنوع لأن الاشتراك في الأسماء والصفات لا يستلزم تماثل المسميات والموصوفات كما تقرر سابقًا، ثم إنه منقوض بما أثبتوه من صفات الله، فإنهم يثبتون لله تعالىٰ الحياة، والعلم، والقدرة، والإرادة، والكلام، والسمع، والبصر، مع أن المخلوق متصف بذلك، فإثباتهم هذه الصفات لله تعالىٰ مع اتصاف المخلوق بها مستلزم للتشبيه علىٰ قاعدتهم.

**فإن قالوا**: إننا نثبت هذه الصفات لله تعالىٰ علىٰ وجه يختص به ولا يشبه ما ثبت للمخلوق منها.

**قلنا**: هذا جواب حسن سديد، فلماذا لا تقولون به فيما نفيتموه فتثبتوه لله علىٰ وجه يختص به، ولا يشبه ما ثبت للمخلوق منه؟

**فإن قالوا**: ما أثبتناه فقد دل العقل علىٰ ثبوته فلزم إثباته.

**قلنا: عن هذا ثلاثة أجوبة:**

**أحدها**: أنه لا يصح الاعتماد علىٰ العقل في هذا الباب كما سبق.

**الثاني**: أنه يمكن إثبات ما نفيتموه بدليل عقلي يكون في بعض المواضع أوضح من أدلتكم فيما أثبتموه.

**مثال ذلك**: الرحمة التي أثبتها الله تعالىٰ لنفسه في قوله: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾



[الكهف:٥٨]. وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ١٠٧﴾ [يونس]. فإنه يمكن إثباتها بالعقل كما دل عليها السمع فيقال: الإحسان إلىٰ الخلق بما ينفعهم ويدفع عنهم الضرر يدل علىٰ الرحمة، كدلالة التخصيص علىٰ الإرادة، بل هو أبين وأوضح لظهوره لكل أحد.

**الثالث**: أن نقول: علىٰ فرض أن العقل لا يدل علىٰ ما نفيتموه فإن عدم دلالته عليه لا يستلزم انتفاء في نفس الأمر، لأن انتفاء الدليل المعين لا يستلزم انتفاء المدلول، إذ قد يثبت بدليل آخر، فإذا قدرنا أن الدليل العقلي لا يثبته فإن الدليل السمعي قد أثبته، وحينئذ يجب إثباته بالدليل القائم السالم عن المعارض المقاوم.

**فإن قالوا**: بل العقل يدل علىٰ انتفاء ذلك لأن إثباته يستلزم التشبيه، والعقل يدل علىٰ انتفاء التشبيه.

**قلنا**: إن كان إثباته يستلزم التشبيه فإن إثبات ما أثبتموه يستلزم التشبيه أيضًا، فإن منعتم ذلك لزمكم منعه فيما نفيتموه إذ لا فرق.

وحينئذ إما أن تقولوا بالإثبات في الجميع فتوافقوا السلف، وإما أن تقولوا بالنفي في الجميع فتوافقوا المعتزلة ومن ضاهاهم، وأما التفريق فتناقض ظاهر.



## فصلٌ

### الطائفة الثانية: المعتزلة ومن تبعهم من أهل الكلام وغيرهم:

**وطريقتهم**: أنهم يثبتون لله تعالىٰ الأسماء دون الصفات، ويجعلون الأسماء أعلامًا محضة، ثم منهم من يقول إنها مترادفة فالعليم، والقدير والسميع، والبصير شيء واحد، ومنهم من يقول إنها متباينة، ولكنه عليم بلا علم، قدير بلا قدرة، سميع بلا سمع، بصير بلا بصر ... ونحو ذلك.

**وشبهتهم**: أنهم اعتقدوا أن إثبات الصفات يستلزم التشبيه؛ لأنه لا يوجد شيء متصف بالصفات إلا جسم، والأجسام متماثلة، فإثبات الصفات يستلزم التشبيه.

**والرد عليهم من وجوه:**

**الأول**: أن الله تعالىٰ سمىٰ نفسه بأسماء، ووصف نفسه بصفات، فإن كان إثبات الصفات يستلزم التشبيه فإثبات الأسماء كذلك، وإن كان إثبات الأسماء لا يستلزم التشبيه



فإثبات الصفات كذلك، والتفريق بين هذا وهذا تناقض، فإما أن يثبتوا الجميع فيوافقوا السلف، وإما أن ينفوا الجميع فيوافقوا غلاة الجهمية والباطنية، وإما أن يفرقوا فيقعوا في التناقض.

**الثاني**: أن الله تعالىٰ وصف أسماءه بأنها حسنىٰ، وأمرنا بدعائه بها فقال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ﴾ [لأعراف:١٨٠]. وهذا يقتضي أن تكون دالة علىٰ معاني عظيمة تكون وسيلة لنا في دعائنا، ولا يصح خلوها عنها ولو كانت أعلامًا محضة لكانت غير دالة علىٰ معنىٰ سوىٰ تعيين المسمىٰ، فضلًا عن أن تكون حسن ووسيلة في الدعاء.

**الثالث**: أن الله تعالىٰ أثبت لنفسه الصفات إجمالًا وتفصيلًا مع نفي المماثلة فقال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰۚ﴾ [النحل:٦٠]. وقال: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [الشورىٰ]. وهذا يدل علىٰ أن إثبات الصفات لا يستلزم التمثيل، ولو كان يستلزم التمثيل لكان كلام الله متناقضًا.

**الرابع**: أن من لا يتصف بصفات الكمال لا يصلح أن يكون ربًّا ولا إلهًا، ولهذا عاب إبراهيم عليه الصلاة والسلام أباه باتخاذه ما لا يسمع ولا يبصر إلهًا فقال: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ٤٣﴾ [مريم].

**الخامس**: أن كل موجود لابد له من صفة، ولا يمكن وجود ذات مجردة عن الصفات، وحينئذٍ لابد أن يكون الخالق الواجب الوجود متصفًا بالصفات اللائقة به.

**السادس**: أن القول بأن أسماء الله أعلام محضة مترادفة لا تدل إلا علىٰ ذات الله فقط قول باطل؛ لأن دلالات الكتاب والسنة متضافرة علىٰ أن كل اسم منها دال علىٰ معناه المختص به مع اتفاقها علىٰ مسمىٰ، واحد، وموصوف واحد. فالله تعالىٰ هو الحي القيوم، السميع البصير، العليم القدير، فالمسمىٰ والموصوف واحد، والأسماء والصفات متعددة. ألا ترىٰ أن الله تعالىٰ يسمي نفسه باسمين أو أكثر في موضع واحد كقوله: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ﴾ [الحشر:٢٣]؟ فلو كانت الأسماء مترادفة ترادفًا محضًا لكان ذكرها مجتمعة لغوًا من القول لعدم الفائدة.

**السابع**: أن القول بأن الله تعالىٰ عليم بلا علم، وقدير بلا قدرة وسميع بلا سمع ... ونحو ذلك؛ قول باطل مخالف لمقتضىٰ اللسان العربي وغير العربي، فإن من المعلوم في



لغات جميع العالم أن المشتق دال علىٰ المعنىٰ المشتق منه، وأنه لا يمكن أن يقال عليم لمن لا علم له، ولا قدير لمن لا قدرة له، ولا سميع لمن لا سمع له ... ونحو ذلك.

وإذا كان كذلك تعين أن تكون أسماء الله تعالىٰ دالة علىٰ ما تقتضيه من الصفات اللائقة به؛ فيتعين إثبات الأسماء والصفات لخالق الأرض والسَّمٰوات.

**الثامن**: أن قولهم: «لا يوجد شيء متصف بالصفات إلا جسم»: ممنوع؛ فإننا نجد من الأشياء ما يصح أن يوصف وليس بجسم، فإنه يقال: ليل طويل، ونهار قصير، وبرد شديد، وحر خفيف ... ونحو ذلك، وليست هذه أجسامًا.

علىٰ أن إضافة لفظ الجسم إلىٰ الله تعالىٰ إثباتًا أو نفيًا من الطرق البدعية التي يتوصل بها أهل التعطيل إلىٰ نفي الصفات التي أثبتها الله لنفسه.

**التاسع**: أن قولهم: «الأجسام متماثلة»: باطل ظاهر البطلان، فإن تفاوت الأجسام ظاهر لا يمكن إنكاره. قال الشيخ المؤلف: «ولا ريب أن قولهم بتماثل الأجسام قول باطل».

## فصلٌ

### الطائفة الثالثة: غلاة الجهمية، والقرامطة، والباطنية ومن تبعهم:

**وطريقتهم**: أنهم ينكرون الأسماء والصفات، ولا يصفون الله تعالىٰ إلا بالنفي المجرد عن الإثبات، ويقولون: إن الله هو الموجود المطلق بشرط الإطلاق فلا يقال: هو موجود، ولا حي، ولا عليم، ولا قدير، وإنما هذه أسماء لمخلوقاته أو مجاز، لأن إثبات ذلك يستلزم تشبيهه بالموجود الحي، العليم، القدير ويقولون: إن الصفة عين الموصوف، وإن كل صفة عين الصفة الأخرىٰ، فلا فرق بين العلم والقدرة، والسمع والبصر ... ونحو ذلك.

**وشبهتهم**: أنهم اعتقدوا أن إثبات الأسماء والصفات يستلزم التشبيه والتعدد.

ووجه ذلك في الأسماء: أنه إذا سمي بها لزم أن يكون متصفًا بمعنىٰ الاسم. فإذا أثبتنا «الحي» مثلًا لزم أن يكون متصفًا بالحياة؛ لأن صدق المشتق يستلزم صدق المشتق منه، وذلك يقتضي قيام الصفات به وهو تشبيه.

وأما في الصفات فقالوا: إن إثبات صفات متغايرة مغايرة للموصوف يستلزم التعدد، وهو تركيب ممتنع مناقض للتوحيد.



والرد عليهم من وجوه:

**الأول**: أن الله تعالىٰ جمع فيما سمىٰ ووصف به نفسه بين النفي والإثبات «وقد سبق أمثلة من ذلك» فمن اقر بالنفي وأنكر الإثبات فقد آمن ببعض الكتاب دون بعض، والكفر ببعض الكتاب كفر بالكتاب كله. قال الله تعالىٰ منكرًا علىٰ بني إسرائيل: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [البقرة]. وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾﴾ [النساء].

**الثاني**: أن الموجود المطلق بشرط الإطلاق لا وجود له في الخارج المحسوس، وإنما هو أمر يفرضه الذهن ولا وجود له في الحقيقة، فتكون حقيقة القول به نفي وجود الله تعالىٰ إلا في الذهن، وهذا غاية التعطيل والكفر.

**الثالث**: قولهم: «إن الصفة عين الموصوف، وإن كل صفة عين الصفة الأخرىٰ» مكابرة في المعقولات، سفسطة في البدهيات، فإن من المعلوم بضرورة العقل والحس أن الصفة غير الموصوف، وأن كل صفة غير الصفة الأخرىٰ، فالعلم غير العالم، والقدرة غير القادر، والكلام غير المتكلم، كما أن العلم والقدرة والكلام صفات متغايرة.

**الرابع**: أن وصف الله تعالىٰ بصفات الإثبات أدل علىٰ الكمال من وصفه بصفات النفي، لأن الإثبات أمر وجودي يقتضي تنوع الكمالات في حقه، وأما النفي فأمر عدمي لا يقتضي كمالًا إلا إذا تضمن إثباتًا، وهؤلاء النفاة لا يقولون بنفي يقتضي الإثبات.

**الخامس**: قولهم: «إن إثبات صفات متغايرة مغايرة للموصوف يستلزم التعدد..» قول باطل مخالف للمعقول والمحسوس. فإنه لا يلزم من تعدد الصفات تعدد الموصوف، فها هو الإنسان الواحد يوصف بأنه حي، سميع، بصير، عاقل، متكلم ... إلىٰ غير ذلك من صفاته ولا يلزم من ذلك تعدد ذاته.

**السادس**: قولهم في الأسماء: «إن إثباتها يستلزم أن يكون متصفًا بمعنىٰ الاسم فيقتضي أن يكون إثباتها تشبيهًا»: جوابه: أن المعاني التي تلزم من إثبات الأسماء صفات لائقة بالله



تعالىٰ غير مستحيلة عليه، والمشاركة في الاسم أو الصفة لا تستلزم تماثل المسميات والموصوفات.

**السابع**: قولهم: «إن الإثبات يستلزم تشبيهه بالموجودات»: جوابه: أن النفي الذي قالوا به يستلزم تشبيهه بالمعدومات علىٰ قياس قولهم، وذلك أقبح من تشبيهه بالموجودات، وحينئذ فإما أن يقروا بالإثبات فيوافقوا الجماعة، وإما أن ينكروا النفي كما أنكروا الإثبات فيوافقوا غلاة الغلاة من القرامطة والباطنية وغيرهم.

وأما التفريق بين هذا وهذا فتناقض ظاهر.



## فصلٌ

**الطائفة الرابعة: غلاة الغلاة من الفلاسفة، والجهمية، والقرامطة، والباطنية، وغيرهم:**

**وطريقتهم**: أنهم أنكروا في حق الله تعالىٰ الإثبات والنفي، فنفوا عنه الوجود، والعدم، والحياة، والموت، والعلم، والجهل ... ونحوها، وقالوا: إنه لا موجود، ولا معدوم، ولا حي، ولا ميت، ولا عالم، ولا جاهل ... ونحو ذلك.

**وشبهتهم**: أنهم اعتقدوا أنهم: إن وصفوه بالإثبات شبهوه بالموجودات، وإن وصفوه بالنفي شبهوه بالمعدومات.

**والرد عليهم من وجوه:**

**الأول**: أن تسمية الله ووصفه بما سمىٰ ووصف به نفسه ليس تشبيهًا ولا يستلزم التشبيه، فإن الاشتراك في الاسم والصفة لا يستلزم تماثل المسميات والموصوفات، وتسميتكم ذلك تشبيهًا ليس تمويهًا وتلبيسًا علىٰ العامة والجهال، ولو قبلنا مثل هذه الدعوىٰ الباطلة لأمكن كل مبطل أن يسمي الشيء الحق بأسماء ينفر بها الناس عن قبوله.

**الثاني**: أنه قد علم بضرورة العقل والحس أن الموجود الممكن لابد له من موجد واجب الوجود، فإننا نعلم حدوث المحدثات ونشاهدها، ولا يمكن أن تحدث بدون محدث، ولا أن تحدث نفسها بنفسها لقوله تعالىٰ: ﴿أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ٣٥﴾ [الطور]. فتعين أن يكون لها خالق واجب الوجود وهو الله تعالىٰ.

**ففي الوجود إذن موجودان:**



**أحدهما**: أزلي واجب الوجود نفسه.

**الثاني**: محدث ممكن الوجود، موجود بغيره.

ولا يلزم من اتفاقهما في مسمىٰ الوجود أن يتفقا في خصائصه، فإن وجود الواجب يخصه، ووجود المحدث يخصه:

**وجود الخالق**: واجب أزلي ممتنع الحدوث، أبدي ممتنع الزوال.

**ووجود المخلوق**: ممكن حادث بعد العدم قابل للزوال.

فمن لم يثبت ما بينهما من الاتفاق والافتراق لزمه أن تكون الموجودات كلها إما أزلية واجبة الوجود بنفسها أو محدثة ممكنة الوجود بغيرها، وكلاهما معلوم الفساد بالاضطرار.

**الثالث**: أن إنكارهم الإثبات والنفي يستلزم نفي النقيضين معًا وهذا ممتنع، لأن النقيضين لا يمكن اجتماعهما ولا ارتفاعهما، بل لابد من وجود أحدهما وحده، فيلزم – علىٰ قياس قولهم – تشبيه الله بالممتنعات لأنه يمتنع أن يكون الشيء لا موجودًا، ولا معدومًا، ولا حيًّا، ولا ميتًا، إلا أمرًا يقدره الذهن ولا حقيقة له، ووصف الله سبحانه بهذا – مع كونه مخالفًا لبداهة العقول – كفر صريح بما جاء به الرسول.

**فإن قالوا**: نفي النقيضين ممتنع عما كان قابلًا لهما، أما ما كان غير قابل لهما – كالجماد الذي لا يقبل الاتصاف بالسمع والصمم – فإنه يمكن نفيهما عنه فيقال: ليس بسميع ولا أصم.

**قلنا**: **فالجواب من أربعة أوجه**:

**الوجه الأول**: أن هذا لا يصح فيما قالوه من نفي الوجود والعدم؛ فإن تقابلهما تقابل سلب وإيجاب باتفاق العقلاء، فإذا انتفىٰ أحدهما لزم ثبوت الآخر، فإذا قيل ليس بموجود، لزم أن يكون معدومًا، وإذا قيل ليس بمعدوم لزم أن يكون موجودًا، فلا يمكن نفيهما معًا ولا إثباتهما معًا.

**الوجه الثاني**: أن قولهم في الجماد: إنه لا يقبل الاتصاف بالحياة، والموت، والعمىٰ، والبصر، والسمع، والصمم ... ونحوها مما يكون تقابله تقابل عدم، وملكه قول اصطلاحي لا يغير الحقائق، مردود بما ثبت من جعل الجماد حيًا، كما جعل الله عصا موسىٰ حية تلقف ما صنعه السحرة، وقد وصف الله تعالىٰ الجماد بأنه ميت في قوله:



﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ۝٢٠ أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖۖ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ۝٢١﴾ [النحل]. وأخبر أن الأرض يوم القيامة تحدث أخبارها - وهي ما عمل عليها من خير وشر وهذا يستلزم سمعها لما قيل ورؤيتها لما فعل.

**الوجه الثالث**: أن الذي يقبل الاتصاف بالكمال أكمل من الذي لا يقبله، فما يقبل أن يوصف بالعلم، والقدرة، والسمع، والبصر - ولو كان خاليًا منه - أكمل مما لا يقبل ذلك، فقولكم إن الرب لا يقبل أن يتصف بذلك يستلزم أن يكون أنقص من الإنسان القابل لذلك حيث شبهتموه بالجماد الذي لا يقبله.

**الوجه الرابع**: أنه إذا كان يمتنع انتفاء الوجود والعدم، فانتفاء عدم قبول ذلك أشد، وعلىٰ هذا يكون قولهم: إن الرب لا يقبل الاتصاف بالوجود والعدم مستلزمًا لتشبيهه بأشد الممتنعات.



## فصلٌ

**المحاذير التي وقعت فيها هذه الطوائف:**

علم مما سبق أن كل طائفة من هؤلاء الطوائف الأربع واقعون في محاذير:

**الأول**: مخالفة طريق السلف.

**الثاني**: تعطيل النصوص عن المراد بها.

**الثالث**: تحريفها إلىٰ معان غير مرادة بها.

**الرابع**: تعطيل الله عن صفات الكمال التي تضمنتها هذه النصوص.

**الخامس**: تناقض طريقتهم فيما أثبتوه وفيما نفوه.

**فنقول لكل واحد منهم في جانب الإثبات**: أثبت ما نفيت مع نفي التشبيه، كما أثبت ما أثبت مع نفي التشبيه.

**ونقول له في جانب النفي**: انف ما أثبت خوفًا من التشبيه، كما نفيت ما نفيت خوفًا من التشبيه وإلا كنت متناقضًا.

والقول الفصل المطرد السالم من التناقض: ما كان عليه سلف الأمة وأئمتها من: إثبات ما أثبته الله تعالىٰ لنفسه من الأسماء والصفات، إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيهًا بلا تعطيل، وإجراء



النصوص علىٰ ظاهرها علىٰ الوجه اللائق بالله عَزَّوَجَلَّ، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

**ويتبين هذا بأصلين، ومثلين، وخاتمة:**

**فأما الأصلان:**

**فأحدهما**: أن يقال لمن يثبت بعض الصفات دون بعض: القول في بعض الصفات كالقول في بعض.

أي: أن من أثبت شيئًا مما أثبته الله لنفسه من الصفات ألزم بإثبات الباقي، ومن نفىٰ شيئًا منه ألزم بنفي ما أثبته وإلا كان متناقضًا.

**مثال ذلك**: إذا كان المخاطب يثبت لله تعالىٰ حقيقة الإرادة، وينفي حقيقة الغضب ويفسره: إما بإرادة الانتقام، وإما بالانتقام نفسه.

**فيقال له**: لا فرق بين ما أثبته من حقيقة الإرادة وما نفيته من حقيقة الغضب، فإن كان إثبات حقيقة الغضب يستلزم التمثيل، فإثبات حقيقة الإرادة يستلزمه أيضًا.

وإن كان إثبات حقيقة الإرادة لا يستلزمه، فإثبات الغضب لا يستلزمه أيضًا، لأن القول في أحدهما كالقول في الآخر، وعلىٰ هذا يلزمك إثبات الجميع، أو نفي الجميع.

**فإن قال**: الإرادة التي أثبتها لا تستلزم التمثيل، لأنني أعني بها إرادة تليق بالله عَزَّوَجَلَّ لا تماثل إرادة المخلوق.

**قيل له**: فأثبت لله غضبًا يليق به ولا يماثل غضب المخلوق.

**فإن قال**: الغضب غليان دم القلب لطلب الانتقام وهذا لا يليق بالله تعالىٰ.

**قيل له**: والإرادة ميل النفس إلىٰ جلب منفعة أو دفع مضرة وهذا لا يليق بالله سبحانه وتعالىٰ.

**فإن قال**: هذه إرادة المخلوق، وأما إرادة الله فتليق به.

**قيل له**: والغضب بالمعنىٰ الذي قلت غضب المخلوق، وأما غضب الله فيليق به.

وهكذا القول في جميع الصفات التي نفاها يقال له فيها ما يقوله هو فيما أثبته.

**فإن قال**: أثبت ما أثبته من الصفات بدلالة العقل عليه.

أجبنا عنه بثلاثة أجوبة سبق ذكرها عند الرد علىٰ الطائفة الأولىٰ.



**الأصل الثاني**: أن يقال لمن يقر بذات الله تعالىٰ ويمثل في صفاته أو ينفيها: القول في الصفات كالقول في الذات.

يعني أن من أثبت لله تعالىٰ ذاتًا لا تماثل ذوات المخلوقين لزمه أن يثبت له صفات لا تماثل صفات المخلوقين، لأن القول في الصفات كالقول في الذات وهذا الأصل يخاطب به أهل التمثيل، وأهل التعطيل من المعتزلة ونحوهم.

فيقال لأهل التمثيل: ألستم لا تثبتون ذات الله ذاتا بلا تمثي؟ فأثبتوا له صفات بلا تمثيل.

ويقال لأهل التعطيل من المعتزلة ونحوهم: ألستم تقولون بوجود ذات لا تشبه الذوات؟ فكذلك قولوا بصفات لا تشبه الصفات.

**مثال ذلك**: إذا قال: إن الله استوىٰ علىٰ العرش فكيف استواؤه؟

**فيقال له**: القول في الصفات كالقول في الذات فأخبرنا كيف ذاته؟

**فإن قال**: لا أعلم كيفية ذاته.

**قيل له**: ونحن لا نعلم كيفية استوائه.

وحينئذ؛ يلزمه أن يقر باستواء حقيقي غير مماثل لاستواء المخلوقين، ولا معلوم الكيفية، كما أقر بذات حقيقية غير مماثلة لذوات المخلوقين، ولا معلومة الكيفية، كما قال مالك وشيخه ربيعة وغيرهما في الاستواء: «الاستواء معلوم والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة».

**فقوله**: «الاستواء معلوم» أي: معلوم المعنىٰ في اللغة العربية التي نزل بها القرآن وله معان بحسب إطلاقه وتقييده بالحرف، فإذا قيد بـ «علىٰ» كان معناه العلو والاستقرار كما قال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ﴾ [المؤمنون:٢٨] وقال: ﴿لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾ [الزخرف:١٣]. فاستواء الله تعالىٰ علىٰ عرشه علوه عليه علوًّا خاصًّا يليق به، علىٰ كيفية لا نعلمها، وليس هو العلو المطلق علىٰ سائر المخلوقات.

**وقوله**: «والكيف مجهول» أي أن كيفية استواء الله علىٰ عرشه مجهولة لنا وذلك لوجوه ثلاثة:

**الأول**: أن الله أخبرنا أنه استوىٰ علىٰ عرشه ولم يخبرنا كيف استوىٰ.



**الثاني**: أن العلم بكيفية الصفة فرع عن العلم بكيفية الموصوف وهو الذات، فإذا كنا لا نعلم كيفية ذات الله، فكذلك لا نعلم كيفية صفاته.

**الثالث**: أن الشيء لا تعلم كيفيته إلا بمشاهدته، أو مشاهدة نظيره أو الخبر الصادق عنه، وكل ذلك منتف في استواء الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ عرشه، وهذا يدل علىٰ أن السلف يثبتون للاستواء كيفية لكنها مجهولة لنا.

**وقوله**: «والإيمان به واجب»؛ أي: أن الإيمان بالاستواء علىٰ هذا الوجه واجب، لأن الله تعالىٰ أخبر به عن نفسه، وهو أعلم بنفسه، وأصدق قولًا وأحسن حديثًا، فاجتمع في خبره كمال العلم، وكمال الصدق، وكمال الإرادة وكمال الفصاحة والبيان فوجب قبوله والإيمان به.

**وقوله**: «والسؤال عنه – أي: عن كيفيته بدعة»؛ لأن السؤال عنها لم يعرف في عهد النبي ﷺ ولا خلفائه الراشدين، وهو من الأمور الدينية فكان إيراده بدعة، ولأن السؤال عن مثل ذلك من سمات أهل البدع

ثم إن السؤال عنه مما لا تمكن الإجابة عليه فهو من التنطع في الدين، وقد قال النبي ﷺ: «هلك المتنطعون».

وهذا القول الذي قاله مالك وشيخه يقال في صفة نزول الله تعالىٰ إلىٰ السماء الدنيا وغيره من الصفات: إنها معلومة المعنىٰ، مجهولة الكيفية، وإن الإيمان بها علىٰ الوجه المراد بها واجب، والسؤال عن كيفيتها بدعة.



## فصلٌ

**وأما المثلان:**

**فأحدهما**: نعيم الجنة: فقد أخبر الله تعالىٰ أن في الجنة طعامًا وشرابًا ولباسًا، وزوجات، ومساكن، ونخلًا، ورمانًا، وفاكهة، ولحمًا، وخمرًا، ولبنًا، وعسلًا، وماءً، وحلية من ذهب ولؤلؤ وفضة ... وغير ذلك.

وكله حق علىٰ حقيقته، وهو في الاسم موافق لما في الدنيا من حيث المعنىٰ لكنه مخالف له في الحقيقة.



**أما موافقته** لما في الدنيا في المعنىٰ فلأن الله تعالىٰ قال عن القرآن: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣﴾ [الزخرف]. ولولا موافقته له في المعنىٰ؛ ما فهمناه ولا عقلناه.

**وأما مخالفته** له في الحقيقة فلقوله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝١٧﴾ [السجدة]. وقوله في الحديث القدسي: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر علىٰ قلب بشر» قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «ليس في الدنيا شيء مما في الجنة إلا الأسماء» فإذا كانت هذه الأسماء دالة علىٰ مسمياتها حقيقة، وكان اتفاقها مع ما في الدنيا من الأسماء لا يستلزم اتفاق المسميات في الحقيقة، بل بينهما من التباين ما لا يعلمه إلا الله، فإن مباينة الخالق للمخلوق أعظم وأظهر من مباينة المخلوق للمخلوق؛ لأن التباين بين المخلوقات تباين بين مخلوق ومخلوق مثله، فإذا ظهر التباين بينها كان بينها وبين الخالق أظهر وأولىٰ.

وقد انقسم الناس في هذا المقام مقام الإيمان بالله واليوم الآخر إلىٰ ثلاث فرق:

**الفرقة الأولىٰ**: السلف والأئمة وأتباعهم: آمنوا بما أخبر الله به عن نفسه، وعن اليوم الآخر، وأنه حق علىٰ حقيقته مع اعتقادهم التباين بين ما في الدنيا وما في الآخرة، وأن التباين بين الخالق والمخلوق أولىٰ وأعظم وأبين؛ لقوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورىٰ].

**الفرقة الثانية**: طوائف من أهل الكلام يؤمنون بما أخبر الله به عن اليوم الآخر من الثواب والعقاب، وينفون كثيرًا مما أخبر الله به عن نفسه من الصفات.

**الفرقة الثالثة**: القرامطة، والباطنية، والفلاسفة لا يؤمنون بما أخبر الله به عن نفسه، ولا عن اليوم الآخر، بل ينكرون حقائق هذا وهذا.

فمذهبهم فيما أخبر الله به عن نفسه وعن اليوم الآخر أنه تخييل لا حقيقة له.

وأما في الأمر والنهي فكثير منهم يجعلون للمأمورات والمنهيات تأويلات باطنة تخالف ما يعرفه المسلمون منها، **فيقولون**: المراد بالصلوات معرفة أسرارهم، وبالصيام كتمان أسرارهم، وبالحج السفر إلىٰ شيوخهم ... ونحو ذلك مما يعلم بالضرورة من دين الإسلام أنه كذب وافتراء وكفر وإلحاد.

**وقد يقولون**: إن الشرائع تلزم العامة دون الخاصة، فإذا وصل الرجل إلىٰ درجة



العارفين والمحققين عندهم ارتفعت عنه التكاليف، فسقطت عنه الواجبات وحلت له المحظورات.

وقد يوجد في المنتسبين إلىٰ التصوف والسلوك من يدخل في بعض هذه المذاهب.

وهؤلاء الباطنية هم الملاحدة، الذين أجمع المسلمون علىٰ أنهم أكفر من اليهود والنصارىٰ لعظم إلحادهم ومخالفتهم لجميع الشرائع الإلهية.

**المثل الثاني**: الروح التي بها الحياة: وهي أقرب شيء إلىٰ الإنسان، بل هي قوام الإنسان، وقد وصفت في النصوص بأنها تقبض من البدن، ويصعد بها إلىٰ السماء، وتعاد إلىٰ البدن، ولا ينكر أحد وجودها حقيقة.

وقد عجز الناس عن إدراك كنهها وحقيقتها، إلا ما علموه عن طريق الوحي، واضطربوا فيها اضطرابًا كثيرًا لكونهم لا يشاهدون لها نظيرًا:

**فمنهم طوائف من أهل الكلام**: جعلوها البدن، أو جزءًا منه، أو صفة من صفاته.

**ومنهم طوائف من أهل الفلسفة وصفوها بأمور لا يتصف بها إلا ممتنع الوجود، فقالوا**: لا هي داخل البدن ولا خارجه، ولا مداخلة له ولا مباينة، ولا متحركة ولا ساكنة، ولا تصعد ولا تهبط، ولا هي جسم ولا عرض. وقد يقولون إنها لا داخل العالم ولا خارجه، ولا مباينة له ولا مداخلة، كما يصفون بذلك الخالق الواجب الوجود.

**فإذا قيل لهم**: إثبات هذا القول ممتنع في العقل ضرورة.

**قالوا**: هذا ممكن، بدليل أن الكليات ممكنة موجودة وهي غير مشار إليها. وقد غفلوا عن كون الكليات لا توجد كلية إلا في الأذهان لا في الأعيان، فإن الذهن يفرض أشياء في الخيال لا يمكن وجودها في الخارج، كأن يتخيل ارتفاع النقيضين أو اجتماعهما مع أن هذا ممتنع.

**واعلم أن اضطراب المتكلمين والفلاسفة في الروح كثير وله سببان:**

**أحدهما**: قلة بضاعتهم مما جاء به الوحي في صفاتها.

**والثاني**: أنهم لا يشاهدون لها نظيرًا، فإن الروح ليست من جنس هذا البدن، ولا من جنس العناصر والمولدات منها، وإنما هي من جنس آخر مخالف لهذه الأجناس.

فعرفها الفلاسفة بالأسلوب التي توجب مخالفتها للأجسام المشهودة، وجعلها



المتكلمون من جنس الأجسام المشهودة.

فطريق الفلاسفة فيها تعطيل، وطريق المتكلمين فيها تمثيل، وكلا الطريقين خطأ.

وقد صح عن النبي ﷺ أن الروح إذا قبضت اتبعها البصر وأن الملائكة تجعلها في كفن وتصعد بها إلىٰ السماء، ومع هذا فالعقول قاصرة عن إدراك كنهها وحقيقتها كما قال تعالىٰ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء].

فإذا كانت الروح حقيقة، واتصافها بما وصفت به في الكتاب والسنة حقيقة، مع أنها لا تماثل الأجسام المشهودة، كان اتصاف الخالق بما يستحقه من صفات الكمال مع مباينته للمخلوقات من باب أولىٰ، وكان عجز أهل العقول عن أن يحدوا الله أو يكيفوه أبين من عجزهم عن حد الروح وتكييفها.

وإذا كان من نفىٰ صفات الروح جاحدًا معطلًا، ومن مثلها بما يشاهد من المخلوقات جاهلًا بها ممثلًا، فالخالق سبحانه أولىٰ أن يكون من نفىٰ صفاته جاحدًا معطلًا، ومن قاسه بخلقه جاهلًا به ممثلًا.



## الخاتمة

### القاعدة الأولىٰ: في أن الله تعالىٰ موصوف بالنفي والإثبات:

**هذه الخاتمة تشتمل علىٰ قواعد عظيمة مفيدة:**

**القاعدة الأولىٰ**: في أن الله تعالىٰ موصوف بالنفي والإثبات: يعني أن الله تعالىٰ جمع فيما وصف به نفسه بين النفي والإثبات؛ كما قال تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورىٰ].

وإنما جمع الله تعالىٰ لنفسه بين النفي والإثبات؛ لأنه لا يتم كمال الموصوف إلا بنفي صفات النقص، وإثبات صفات الكمال.

وكل الصفات التي نفاها الله عن نفسه صفات نقص كالإعياء، واللغوب، والعجز، والظلم، ومماثلة المخلوقين ... وكل ما أثبته الله تعالىٰ لنفسه فهو صفات كمال كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰۚ﴾ [النحل:٦٠] سواء كانت من الصفات الذاتية التي يتصف بها



أزلًا وأبدًا، أم من الصفات الفعلية التي يتصف بها حيث تقتضيها حكمته، وإن كان أصل هذه الصفات الفعلية ثابتًا له أزلًا، وأبدًا، فإن الله تعالىٰ لم يزل ولا يزال فعالًا لما يريد.

## فصلٌ

**فمن صفات الله تعالىٰ التي أثبتها لنفسه**: الحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والإرادة والكلام والعزة، والحكمة، والمغفرة، والرحمة.

**فحياته تعالىٰ**: حياة كاملة مستلزمة لكل صفات الكمال، لم يسبقها عدم، ولا يلحقها فناء، كما قال تعالىٰ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان:٥٨]. وقال: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾ [الحديد:٣]. وقال: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ﴾ [البقرة:٢٥٥].

**وعلمه تعالىٰ**: كامل شامل لكل: صغير وكبير، وقريب وبعيد، لم يسبقه جهل، ولا يلحقه نسيان، كما قال الله تعالىٰ عن موسىٰ حين سأله فرعون: ما بال القرون الأولىٰ؟ ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾﴾ [طه]. وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ [التوبة].

**وقدرته تعالىٰ**: كاملة، لم تسبق بعجز ولا يلحقها تعب، قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾﴾ [فاطر]. وقال: ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق]. وقال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾ [قٓ].

**وحكمته تعالىٰ**: حكمة بالغة، منزهة عن العبث، شاملة لخلقه وشرعه، قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الدخان]. وقال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ﴾ [الملك:٢]. وقال: ﴿ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الممتحنة].

وحكمته كسائر صفاته لا يحيط بها الخلق، فقد نعجز عن إدراك الحكمة فيما خلقه أو شرعه، وقد ندرك منها ما يفتح الله به علينا.



وعلىٰ هذا تجري سائر الصفات التي أثبتها الله تعالىٰ لنفسه، فكلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه.

## فصلٌ

ومن الصفات التي نفاها الله تعالىٰ عن نفسه: الموت والجهل والنسيان والعجز والسنة والنوم، واللغوب، والإعياء، والظلم.

**قال الله تعالىٰ**: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان:٥٨].

وقال عن موسىٰ: ﴿فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ۝٥٢﴾ [طه].

وقال: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ﴾ [فاطر:٤٤].

وقال: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ﴾ [البقرة:٢٥٥].

وقال: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ۝٣٨﴾ [قٓ]. وقال: ﴿وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ﴾ [الأحقاف:٣٣].

وقال: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ۝٤٩﴾ [الكهف].

**وكل صفة نفاها الله تعالىٰ عن نفسه فإنها متضمنة لشيئين:**

**أحدهما**: انتفاء تلك الصفة.

**الثاني**: ثبوت كمال ضدها.

ألا ترىٰ إلىٰ قوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ۝٤٤﴾ [فاطر]؛ فإن الله تعالىٰ لما نفىٰ عن نفسه العجز بين أن ذلك لكمال علمه وقدرته؟

وعلىٰ هذا فنفي الظلم عن نفسه متضمن لكمال عدله. ونفي اللغوب والعي متضمن لكمال قوته. ونفي السنة والنوم متضمن لكمال حياته وقيوميته؛ ونفي الموت متضمن لكمال حياته وعلىٰ هذا تجري سائر الصفات المنفية.

ولا يمكن أن يكون النفي في صفات الله عَزَّوَجَلَّ نفيًا محضًا، بل لابد أن يكون لإثبات كمال وذلك للوجوه التالية:

**الأول**: أن الله تعالىٰ قال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ﴾ [النحل:٦٠]. أي الوصف الأكمل، وهذا معدوم في النفي المحض.



**الثاني**: أن النفي المحض عدم محض، والعدم المحض ليس بشيء، وما ليس بشيء فكيف يكون مدحًا وكمالًا؟

**الثالث**: أن النفي إن لم يتضمن كمالًا فقد يكون لعدم قابلية الموصوف لذلك المنفي أو ضده، لا لكمال الموصوف، كما إذا قيل: «الجدار لا يظلم، فنفي الظلم عن الجدار ليس لكمال الجدار، ولكن لعدم قابلية اتصافه بالظلم أو العدل، وحينئذ لا يكون نفي الظلم عنه مدحًا له ولا كمالًا فيه.

**الرابع**: أن النفي؛ إن لم يتضمن كمالًا؛ فقد يكون لنقص الموصوف أو لعجزه عنه كما لو قيل عن شخص عاجز عن الانتصار لنفسه ممن ظلمه: «**إنه لا يجزي السيئة بالسيئة**» فإن نفي مجازاته السيئة بمثلها ليس لكمال عفوه، ولكن لعجزه عن الانتصار لنفسه، وحينئذ يكون نفي ذلك عنه نقصًا وذمًا لا كمالًا ومدحًا.

ألم تر إلىٰ قول الحماسي يهجو قومه:

لَوْ كُنْتُ مِنْ مَازِنٍ لَمْ تُسْتَبَحْ إِبِلِي ... بَنُو اللَّقِيطَةِ مِنْ ذُهْلِ بْنِ شَيْبَانَا

**إلىٰ أن قال:**

لَكِنَّ قَوْمِي وَإِنْ كَانُوا ذَوِي عَدَدٍ ... لَيْسُوا مِنَ الشَّرِّ فِي شَيْءٍ وَإِنْ هَانَا

يَجْزُونَ مَنْ ظُلْمِ أَهْلِ الظُّلْمِ مَغْفِرَةً ... وَمِنْ إِسَاءَةِ أَهْلِ السُّوءِ إِحْسَانَا

يريد بذلك ذمهم ووصفهم بالعجز لا مدحهم بكمال العفو بدليل قوله بعد:

فَلَيْتَ لِي بِهِمُ قَوْمًا إِذَا رَكِبُوا ... شَنُّوا الْإِغَارَةَ رُكْبَانًا وَفُرْسَانَا

وبهذا علم أن الذين لا يصفون الله تعالىٰ إلا بالنفي المحض لم يثبتوا في الحقيقة إلهًا محمودًا، بل ولا موجودًا؛ كقولهم في الله عَزَّوَجَلَّ: إنه ليس بداخل العالم، ولا خارجه، ولا مباين، ولا محايث، ولا فوق، ولا تحت، ولا متصل، ولا منفصل ... ونحو ذلك.

ولهذا قال محمود بن سبكتكين لمن أدعىٰ ذلك في الخالق جل وعلا: «ميز لنا بين هذا الرب الذي تثبته وبين المعدوم» ولقد صدق رحمه الله فإنه لن يوصف المعدوم بوصف أبلغ من هذا الوصف الذي وصفوا به الخالق جل وعلا:

**فمن قال**: لا هو مباين للعالم، ولا مداخل للعالم فهو بمنزلة من قال: لا هو قائم بنفسه،



ولا بغيره، ولا قديم، ولا محدث، ولا متقدم علىٰ العالم، ولا مقارن له.

**ومن قال**: ليس بحي، ولا سميع، ولا بصير، ولا متكلم، لزمه أن يكون ميتًا، أصم، أعمىٰ، أبكم.

## فصلٌ

**القاعدة الثانية: في وجوب الإيمان بما أخبر الله به ورسوله سواء عرف معناه أم لم يعرف:**

ما أخبر الله تعالىٰ به في كتابه، أو أخبر به رسوله ﷺ وجب علينا الإيمان به، سواء عرفنا معناه، أم لم نعرفه:

**لقوله تعالىٰ**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ﴾ [النساء:١٣٦]. وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلۡحَقِّ مِن رَّبِّكُمۡ فَـَٔامِنُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١٧٠﴾ [النساء].

ولأن خبر الله تعالىٰ صادر عن علم تام، فهو أعلم بنفسه وبغيره كما قال الله تعالىٰ: ﴿قُلۡ ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ﴾ [البقرة:١٤٠].

ولأن خبر الله تعالىٰ أصدق الأخبار كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ٨٧﴾ [النساء].

ولأن كلام الله تعالىٰ أفصح الكلام، وأبلغه، وأبينه كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا ٣٣﴾ [الفرقان]. وقال: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ﴾ [الزمر:٢٣]. متشابهًا: يشبه بعضه بعضًا في الكمال والبيان. وقال تعالىٰ: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ١٩٥﴾ [الشعراء].

ولأن الله تعالىٰ يريد بما أنزل إلىٰ عباده من الوحي أن يهتدوا ولا يضلوا كما قال تعالىٰ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ وَيَهۡدِيَكُمۡ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ [النساء:٢٦]. وقال: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ١٧٦﴾ [النساء].

وهكذا خبر النبي ﷺ صادر عن علم فإنه ﷺ أعلم الناس بربه وأسمائه وصفاته



وأحكامه وخبره أصدق أخبار البشر، وكلامه أفصح كلام البشر، وقصده أفضل مقصود البشر، فهو أنصح الخلق للخلق.

فقد اجتمع في خبر الله تعالىٰ وخبر رسوله كمال العلم، وكمال الصدق وكمال البيان، وكمال القصد والإرادة، وهذه هي مقومات قبول الخبر.

ولهذا لو صدر الخبر عن جاهل، أو كاذب، أو عيي، أو سيئ قصد لم يكن مقبولًا لفقد مقومات القبول أو أحدها.

فإذا كانت مقومات قبول الخبر تامة علىٰ أكمل وجه في خبر الله ورسوله وجب الإيمان به وقبوله سواء كان نفيًا أم إثباتًا، ولم يبق عذر لمعتذر في رده، أو تحريفه، أو الشك في مدلوله، لاسيما في أسماء الله تعالىٰ وصفاته.

وكذلك ما ثبت باتفاق سلف الأمة وأئمتها وجب قبوله.

وعامة هذا الباب «باب الأسماء والصفات» منصوص عليه في الكتاب والسنة متفق عليه بين سلف الأمة.

وأما ما تنازع فيه المتأخرون مما ليس في الكتاب والسنة ولا عند سلف الأمة فليس علىٰ أحد، بل وليس لأحد أن يثبت لفظه أو ينفيه لعدم ورود السمع به، وليس له أن يقبل معناه أو يرده حتىٰ يعلم المراد منه. فإن كان حقًّا وجب قبوله، وإن كان باطلًا وجب رده.

**ولذلك أمثلة منها:**

**المثال الأول**: الجهة: أي لو قال قائل: إن الله في جهة، أو هل لله جهة؟

**فيقال له**: لفظ «الجهة» ليس في الكتاب والسنة إثباته ولا نفيه، فليس فيهما أنه في جهة، أو له جهة، ولا أنه ليس في جهة، أو ليس له جهة، وفي النصوص ما يغني عنه كالعلو، والفوقية، والاستواء علىٰ العرش، وصعود الأشياء إليه ونزولها منه.

وقد اضطرب المتأخرون في إثباته ونفيه.

**فإذا أجريناه علىٰ القاعدة قلنا:**

أما اللفظ فلا نثبته ولا ننفيه لعدم ورود ذلك.

وأما المعنىٰ فنري ماذا يراد بالجهة؟

أيراد بالجهة شيء مخلوق محيط بالله عَزَّوَجَلَّ؟ فهذا معنىٰ باطل لا يليق بالله سبحانه، فإن



الله لا يحيط به شيء من مخلوقاته، فقد وسع كرسيه السَّمٰوات والأرض، ولا يؤوده حفظهما، ولا يمكن أن يكون داخل شيء من مخلوقاته.

أم يراد بالجهة ما فوق العالم؟ فهذا حق ثابت لله عَزَّوَجَلَّ، فإن الله تعالىٰ فوق خلقه عال عليهم، كما دل علىٰ ذلك الكتاب، والسنة، والإجماع، والعقل، والفطرة، وفي صحيح مسلم من حديث معاوية بن الحكم السلمي أن النبي ﷺ قال لجارية كانت له: «أين الله؟» قالت: في السماء. قال: «من أنا؟» قالت: أنت رسول الله. قال: «أعتقها فإنها مؤمنة».

**المثال الثاني**: الحيز أو المتحيز:

**فإذا قال قائل**: هل نصف الله تعالىٰ بأنه متحيز أو في حيز؟

**قلنا**: لفظ «التحيز» أو «الحيز» ليس في الكتاب والسنة ثابتة ولا نفيه عن الله تعالىٰ، فليس فيهما أنه في حيز، أو متحيز، ولا أنه ليس كذلك، وفي النصوص ما يغني عنه مثل الكبير المتعال.

وقد اضطرب المتأخرون في إثبات ذلك لله تعالىٰ أو نفيه عنه.

فإذا أجريناه علىٰ القاعدة قلنا:

أما اللفظ فلا نثبته ولا ننفيه لعدم ورود السمع به.

وأما المعنىٰ؛ فينظر ماذا يراد بالحيز أو المتحيز؟

أيراد به أن الله تعالىٰ تحوزه المخلوقات وتحيط به؟ فهذا معنىٰ باطل منفي عن الله تعالىٰ لا يليق به، فإن الله أكبر وأعظم وأجل من أن تحيط به المخلوقات وتحوزه كيف وقد وسع كرسيه السَّمٰوات والأرض، والأرض جميعًا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه؟! وفي الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**يَقْبِضُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الْأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَطْوِي السَّمٰوَاتِ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ؟**». وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «مَا السَّمٰوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرَضُونَ السَّبْعُ وَمَا فِيهِنَّ فِي يَدِ الرَّحْمَنِ إِلَّا كَخَرْدَلَةٍ فِي يَدِ أَحَدِكُمْ».

**أم يراد بالحيز أو المتحيز**: أن الله منحاز عن المخلوقات أي مباين لها منفصل عنها ليس حالًا فيها، ولا هي حالة فيه، فهذا حق ثابت لله عَزَّوَجَلَّ، كما قال أئمة أهل السنة: هو فوق سمواته علىٰ عرشه، بائن من خلقه.



**تنبيه**: جاء في القاعدة أنه يجب علينا الإيمان بما أخبر الله به ورسوله سواء عرفنا معناه أم لا.

لكن؛ ليعلم أنه ليس في كلام الله ورسوله شيء لا يعرف معناه جميع الأمة، بل لابد أن يكون معروفًا لجميع الأمة أو بعضها؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النحل]. وقوله: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل]. ولأنه؛ لو كان فيه ما لا يعلم معناه أحد لكان بعض الشريعة مجهولًا للأمة.

ولكن المعرفة والخفاء أمران نسبيان، فقد يكون معروفًا لشخص ما كان خفيًّا علىٰ غيره: إما لنقص في علمه، أو قصور في فهمه، أو تقصير في طلبه، أو سوء في قصده.

## فصلٌ

### القاعدة الثالثة: في إجراء النصوص علىٰ ظاهرها:

**ظاهر النصوص**: ما يتبادر منها من المعاني بحسب ما تضاف إليه وما يحتف بها من القرآن.

والواجب في النصوص: إجراؤها علىٰ ظاهرها بدون تحريف لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء]. وقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾﴾ [الزخرف]. وقوله: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ [لأعراف:٣].

فإذا كان الله تعالىٰ أنزله باللسان العربي من أجل عقله وفهمه، وأمرنا باتباعه، وجب علينا إجراؤه علىٰ ظاهره بمقتضىٰ ذلك اللسان العربي، إلا أن تمنع منه حقيقة شرعية.

ولا فرق في هذا بين نصوص الصفات وغيرها، بل قد يكون وجوب التزام الظاهر في نصوص الصفات أولىٰ وأظهر؛ لأن مدلولها توقيفي محض لا مجال للعقول في تفاصيله.

**فإن قال قائل في نصوص الصفات**: لا يجوز إجراؤها علىٰ ظاهرها لأن ظاهرها غير مراد.



**فجوابه أن يقال**: ماذا تريد بالظاهر؟

أتريد ما يظهر من النصوص من المعاني اللائقة بالله من غير تمثيل؟ فهذا الظاهر مراد لله ورسوله قطعًا، وواجب علىٰ العباد قبوله، والإيمان به شرعًا؛ لأنه حق ولا يمكن أن يخاطب الله عباده بما يريد منهم خلاف ظاهره بدون بيان كيف، وقد قال: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [النساء:٢٦] وقال: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ﴾ [النساء:١٧٦] ويقول عن رسوله ﷺ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل:٤٤]. ويقول: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢﴾ [الشورىٰ]. ومن خاطب غيره بما يريد منه خلاف ظاهره بدون بيان فإنه لم يبين له ولم يهده.

أم تريد بالظاهر ما فهمته من التمثيل؟ فهذا غير مراد لكنه ليس ظاهر نصوص الكتاب والسنة؛ لأن هذا الظاهر الذي فهمته كفر وباطل بالنص والإجماع، ولا يمكن أن يكون ظاهر كلام الله ورسوله كفرًا وباطلًا، ولا يرتضي ذلك أحد من المسلمين.

وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها علىٰ أن نصوص الصفات تجري علىٰ ظاهرها اللائق بالله عَزَّوَجَلَّ من غير تحريف، وأن ظاهرها لا يقتضي تمثيل الخالق بالمخلوق.

**فاتفقوا علىٰ**: أن لله تعالىٰ حياة، وعلمًا، وقدرة، وسمعًا، وبصرًا، حقيقة، وأنه مستوٍ علىٰ عرشه حقيقة، وأنه يحب ويرضىٰ، ويكره ويغضب حقيقة، وأن له وجهًا ويدين حقيقة؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان:٥٨]. وقوله: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝١٠١﴾ [الأنعام]. ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ۝١٢٠﴾ [المائدة]. ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورىٰ]. وقوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه]. وقوله: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة:٥٤]. ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ [المائدة:١١٩]. ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾ [التوبة:٤٦]. ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ﴾ [النساء: ٩٣] وقوله: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝٢٧﴾ [الرحمن]. ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤].

فأجروا هذه النصوص وغيرها من نصوص الصفات علىٰ ظاهرها وقالوا: إنه مراد علىٰ الوجه اللائق بالله تعالىٰ فلا تحريف ولا تمثيل.

وبيان ذلك: أن من صفاتنا ما هو معان وأعراض قائمة بنا كالحياة والعلم والقدرة،



ومنها ما هو أعيان وأجسام وهي أبعاض لنا كالوجه واليدين. ومن المعلوم أن الله وصف نفسه بأنه حي، عليم، قدير، ولم يقل المسلمون إن المفهوم من حياته وعلمه وقدرته كالمفهوم من حياتنا وعلمنا وقدرتنا، فكذلك لما وصف نفسه بأن له وجهًا ويدين لم يكن المفهوم من وجهه ويديه كالمفهوم من وجوهنا وأيدينا. وإنما قال المسلمون إن المفهوم من صفات الله في هذا وهذا لا يماثل المفهوم منها في صفاتنا، بل كل صفة تناسب الموصوف وتليق به، فلما كانت ذات الخالق لا تماثل ذوات المخلوقين، فكذلك صفاته لا تماثل صفات المخلوقين.

وقد سبق أن القول في الصفات كالقول في الذات.

فتبين بذلك أن من قال: إن ظاهر نصوص الصفات غير مراد فقد أخطأ علىٰ كل تقدير، لأنه إن فهم من ظاهرها معنىٰ فاسدًا وهو التمثيل، فقد أخطأ في فهمه وأصاب في قوله «غير مراد»، وإن فهم من ظاهرها معنىٰ صحيحًا وهو المعنىٰ اللائق بالله، فقد أصاب في فهمه وأخطأ في قوله «غير مراد» فهو إن أصاب في معنىٰ ظاهرها أخطأ في نفي كونه مرادًا، وإن أخطأ في معنىٰ ظاهرها أصاب في نفي كونه مرادًا، فيكون قوله خطأ علىٰ كل تقدير.

والصواب الذي لا خطأ فيه: أن ظاهرها مراد، وأنه ليس إلا معنىٰ يليق بالله.



## فصلٌ

**والذين يجعلون ظاهر النصوص معنىٰ فاسدًا فينكرونه يكون خطؤهم علىٰ وجهين:**

**الأول**: أن يفسروا النص بمعنىٰ فاسد لا يدل عليه اللفظ فينكرونه لذلك، ويقولون: إن ظاهره غير مراد.

**مثال ذلك**: قوله تعالىٰ في الحديث القدسي: «**يَا ابْنَ آدَمَ! مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي، يَا ابْنَ آدَمَ! اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي، يَا ابْنَ آدَمَ! اسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِنِي ...**». الحديث رواه مسلم.

قالوا: فظاهر الحديث أن الله يمرض، ويجوع، ويعطش، وهذا معنىٰ فاسد فيكون غير مراد.

**فنقول**: لو أعطيتم النص حقه لتبين لكم أن هذا المعنىٰ الفاسد ليس ظاهر اللفظ، لأن سياق الحديث يمنع ذلك فقد جاء مفسرًا بقول الله تعالىٰ في الحديث نفسه: «**أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ**



عَبْدِي فُلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّه اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تُطْعِمْهُ؟ وَاسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ؟». وهذا صريح في أن الله سبحانه لم يمرض، ولم يجع، ولم يعطش، وإنما حصل المرض والجوع والعطش من عبد من عباده.

**ومثال آخر**: قوله تعالىٰ عن سفينة نوح: ﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾ [القمر:١٤].

**قالوا**: فظاهر الآية أن السفينة تجري في عين الله، وهذا معنىٰ فاسد فيكون غير مراد.

**فنقول**: دعواكم أن ظاهر الآية أن السفينة تجري في عين الله سبحانه مردودة من جهة التركيب اللفظي ومن جهة المعنىٰ أيضًا:

**أما التركيب اللفظي**: فإنه إذا قال القائل: فلان يسير بعيني لم يفهم أحد من هذا التركيب أنه يسير داخل عينيه، ولو أدعىٰ مدع أن هذا ظاهر لفظه لضحك منه السفهاء فضلًا عن العقلاء، وإنما يفهم منه أن عينيه تصحبه بالنظر والرعاية، لأن الباء هنا للمصاحبة وليست للظرفية.

**وأما المعنىٰ**: فإن من المعلوم أن نوحًا عليه الصلاة والسلام كان في الأرض، وأنه صنع السفينة في الأرض، وجرت علىٰ الماء في الأرض كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُۚ﴾ [هود:٣٨]. وقال: ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ ۝١٠ فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ ۝١١ وَفَجَّرۡنَا ٱلۡأَرۡضَ عُيُونٗا فَٱلۡتَقَى ٱلۡمَآءُ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ قَدۡ قُدِرَ ۝١٢ وَحَمَلۡنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ وَدُسُرٖ ۝١٣ تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا جَزَآءٗ لِّمَن كَانَ كُفِرَ ۝١٤﴾ [القمر].

ولا يمكن لأحد أن يدعي أن ظاهر اللفظ أن السفينة تجري في عين الله عَزَّ وَجَلَّ، لأن ذلك ممتنع غاية الامتناع في حق الله تعالىٰ، ولا يمكن لمن عرف الله وقدره حق قدره، وعلم أنه مستو علىٰ عرشه، بائن من خلقه، ليس حالًا في شيء من مخلوقاته، ولا شيء من مخلوقاته حالًا فيه أن يفهم من هذا اللفظ هذا المعنىٰ الفاسد.

وعلىٰ هذا؛ فمعنىٰ الآية الذي هو ظاهر اللفظ أن السفينة تجري والله تعالىٰ يكلؤها بعينه.

**ومثال ثالث**: في الأثر: «الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ يَمِينُ اللهِ فِي الْأَرْضِ، فَمَنْ صَافَحَهُ وَقَبَّلَهُ فَكَأَنَّمَا صَافَحَ اللهَ وَقَبَّلَ يَمِينَهُ».



**قالوا**: فظاهر الأثر أن الحجر نفسه يمين الله في الأرض، وهذا معنىٰ فاسد فيكون غير مراد.

**فنقول**: أولًا: هذا الأثر روي عن النبي ﷺ بإسناد لا يثبت والمشهور أنه عن ابن عباس.
قلت: قال ابن الجوزي: «هذا حديث لا يصح». وقال ابن العربي: «حديث باطل فلا يلتفت إليه» أهـ.

**ثانيًا**: أنه علىٰ تقدير صحته صريح في أن الحجر الأسود ليس نفس يمين الله لأنه قال: «يمين الله في الأرض» فقيده في الأرض ولم يطلق، وحكم اللفظ المقيد يخالف المطلق، ومعلوم أن الله تعالىٰ في السماء، ولأنه قال: «فمن صافحه وقبله فكأنما صافح الله وقبل يمينه» ومعلوم أن المشبه غير المشبه به.

فالأثر ظاهر في أن مستلم الحجر ليس مصافحًا لله، وليس الحجر نفس يمين الله، فكيف يجعل ظاهره كفرًا يحتاج إلىٰ تأويل؟

**الوجه الثاني**: أن يفسروا اللفظ بمعنىٰ صحيح موافق لظاهره، لكن يردونه لاعتقادهم أنه باطل وليس بباطل.

**مثال ذلك**: قوله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥﴾ [طه].

**قالوا**: فظاهر الآية أن الله علا علىٰ العرش، والعرش محدود فيلزم أن يكون الله سبحانه محدودًا، وهذا معنىٰ فاسد فيكون غير مراد.

**فنقول**: إن علو الله تعالىٰ علىٰ عرشه – وإن كان العرش محدودًا – لا يستلزم معنىٰ فاسدًا، فإن الله تعالىٰ قد علا علىٰ عرشه علوًّا يليق بجلاله وعظمته، ولا يماثل علو المخلوق علىٰ المخلوق، ولا يلزم منه أن يكون الله محدودًا، وهو علو يختص بالعرش، والعرش أعلىٰ المخلوقات فيكون الله

تعالىٰ عاليًا علىٰ كل شيء وهذا من كماله وكمال صفاته، فكيف يكون معنىٰ فاسدًا غير مراد؟

**مثال آخر**: قوله تعالىٰ: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ﴾ [المائدة:٦٤].

**قالوا**: فظاهر الآية أن الله تعالىٰ يدين حقيقتين وهما جارحة، وهذا معنىٰ فاسد فيكون غير مراد.



**فنقول**: إن ثبوت اليدين الحقيقيتين لله عَزَّوَجَلَّ لا يستلزم معنىٰ فاسدًا، فإن لله تعالىٰ يدين حقيقيتين تلقيان بجلاله وعظمته، وبهما يأخذ ويقبض، ولا تماثلان أيدي المخلوقين، وهذا من كماله وكمال صفاته.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ﴾ [الزمر: ٧].

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: «**مَا تَصَدَّقَ أَحَدٌ بِصَدَقَةٍ مِنْ طَيِّبٍ -وَلَا يَقْبَلُ اللهُ إِلَّا الطَّيِّبَ- إِلَّا أَخَذَهَا الرَّحْمَنُ بِيَمِينِهِ -وَإِنْ كَانَتْ تَمْرَةً-، فَتَرْبُو فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ حَتَّىٰ تَكُونَ أَعْظَمَ مِنَ الْجَبَلِ**».

فأي معنىٰ فاسد يلزم من ظاهر النص حتىٰ يقال إنه غير مراد؟

وقد يجتمع الخطأ من الوجهين: في مثال واحد مثل قوله ﷺ: «**إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ**».

**فقالوا علىٰ الوجه الأول**: ظاهر الحديث أن قلوب بني آدم بين أصابع الرحمن فيلزم منه المباشرة والمماسة، وأن تكون أصابع الله سبحانه داخل أجوافنا، وهذا معنىٰ فاسد فيكون غير مراد.

**وقالوا علىٰ الوجه الثاني**: ظاهر الحديث أن لله أصابع حقيقية والأصابع جوارح، وهذا معنىٰ فاسد فيكون غير مراد.

**فنقول علىٰ الوجه الأول**: إن كون قلوب بني آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن حقيقة لا يلزم منه المباشرة والمماسة، ولا أن تكون أصابع الله عَزَّوَجَلَّ داخل أجوافنا.

ألا ترىٰ إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [البقرة:١٦٤]؛ فإن السحاب لا يباشر السماء ولا الأرض ولا يماسهما.

**ويقال**: سترة المصلي بين يديه وليست مباشرة له ولا مماسة له.

فإذا كانت البينية لا تستلزم المباشرة والمماسة فيما بين المخلوقات فكيف بالبينية فيما بين المخلوق والخالق الذي وسع كرسيه السَّمٰوات والأرض وهو بكل شيء محيط؟

وقد دل السمع والعقل علىٰ أن الله تعالىٰ بائن من خلقه، ولا يحل في شيء من خلقه، ولا يحل فيه شيء من خلقه، وأجمع السلف علىٰ ذلك.

**ونقول على الوجه الثاني**: إن ثبوت الأصابع الحقيقية لله تعالى لا يستلزم معنى فاسدًا، وحينئذ يكون مرادًا قطعًا، فإن لله تعالى أصابع حقيقية تليق بالله عَزَّوَجَلَّ، ولا تماثل أصابع المخلوقين.

وفي صحيح البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، إنا نجد أن الله يجعل السَّموات على إصبع والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلائق على إصبع، فيقول: أنا الملك، فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقًا لقول الحبر، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ٦٧﴾ [الزمر]. هذا لفظ البخاري في تفسير سورة الزمر.

فأي معنى فاسد يلزم من ظاهر النص حتى يقال إنه غير مراد؟

**ويشبه هذا الخطأ أن يجعل اللفظ نظيرًا لما ليس مثله:**

كما قيل في قوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّۖ﴾ [ص:٧٥]. إنه مثل قوله تعالى: ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ [يس:٧١]. فيكون المراد باليد نفس الفاعل في الآيتين.

**وهذا غلط؛ فإن الفرق بينهما ثابت من وجوه ثلاثة:**

**الأول**: من حيث الصيغة، فإن الله قال في الآية الأولى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّۖ﴾ [ص: ٧٥] وهي تخالف الصيغة في الآية الثانية، فإن الله قال فيها: ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ [يس: ٧١] ولو كانت الأولى نظيرة للثانية لكان لفظها: «لما خلقت يداي» فيضاف الخلق إليهما، كما أضيف العمل إليهما في الثانية.

**الثاني**: أن الله تعالى أضاف في الآية الفعل إلى نفسه معدى بالباء إلى اليدين، فكان سبحانه هو الخالق وكان خلقه بيديه. ألا ترى إلى قول القائل: كتبت بالقلم؟ فإن الكاتب هو فاعل الكتابة، ومدخول الباء - وهو القلم - حصلت به الكتابة.

**وأما الآية الثانية**: ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ [يس: ٧١] فأضاف الفعل فيها إلى الأيدي المضافة إليه، وإضافة الفعل إلى الأيدي كإضافته إلى النفس فكأنه قال: مما عملنا. ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى:٣٠].



والمراد بما كسبتم؛ بدليل قوله في آية أخرىٰ: ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْۚ﴾ [الزمر:٥١].

**الوجه الثالث**: أن الله تعالىٰ أضاف الفعل في الآية الأولىٰ: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّۖ﴾ [ص: ٧٥] معدّىٰ بالباء إلىٰ يدين اثنتين، ولا يمكن أن يراد بهما نفسه لدلالة التثنية علىٰ عدد محصور باثنين، والرب جل وعلا إله واحد، فلا يمكن أن يذكر نفسه بصيغة التثنية لدلالة ذلك علىٰ صريح العدد وحصره، ولكنه تعالىٰ يذكر نفسه تارة بصيغة الإفراد للتوحيد، وتارة يذكر نفسه بصيغة الجمع للتعظيم، وربما يدل الجمع علىٰ معاني أسمائه.

أما في الآية الثانية فأضاف الفعل إلىٰ الأيدي المضافة إليه مجموعة للتعظيم، فصار المراد بها نفسه المقدسة جل وعلا.

وبهذا تبين الفرق بين قوله ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّۖ﴾ [ص: ٧٥]. وقوله: ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ [يس: ٧١]، وأنها ليست نظيرًا لها. وتبين أيضًا أن ظاهر النصوص في الصفات حق ثابت مراد لله تعالىٰ علىٰ الوجه اللائق به، وأنه لا يستلزم نقصًا في حقه ولا تمثيلًا له بخلقه.

لكن؛ لو كنا نخاطب شخصًا لا يفهم من ظاهرها إلا ما يقتضي التمثيل فإننا نقول له: إن هذا الظاهر الذي فهمته غير مراد، ثم نبين له أن هذا ليس ظاهر النصوص؛ لأنه باطل لا يقتضيه السياق كما سبق بيانه.

**القاعدة الرابعة: توهم بعض الناس في نصوص الصفات والمحاذير المترتبة علىٰ ذلك:**

اعلم أن كثيرًا من الناس يتوهم في بعض الصفات التي دلت عليها النصوص - أو كثير منها، أو أكثرها، أو كلها - أنها تماثل صفات المخلوقين، ثم

يريد أن ينفي ذلك الوهم الذي توهمه؛ فيقع في أربعة محاذير:

**الأول**: أنه فهم من النصوص صفات تماثل صفات المخلوقين، وظن أن ذلك هو مدلول النص، وهذا فهم خاطئ؛ فإن الصفة التي دلت عليها النصوص تناسب موصوفها وتليق به.

وتمثيل الخالق بالمخلوق كفر وضلال؛ لأنه تكذيب لقوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ﴾ [الشورىٰ:١١].

ولا يمكن أن يكون ظاهر النصوص الكفر والضلال؛ لقوله تعالىٰ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [النساء:٢٦]. وقوله: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن



تَضِلُّواْۗ﴾ [النساء:١٧٦].

**الثاني**: أنه جنىٰ علىٰ النصوص؛ حيث نفىٰ ما تدل عليه من المعاني الإلهية، ثم أثبت لها معاني من عنده لا يدل عليها ظاهر اللفظ، فكان جانيًا علىٰ النصوص من وجهين.

**الثالث**: أنه نفىٰ ما دلت عليه النصوص من الصفات بغير علم فيكون بذلك قائلًا علىٰ الله ما لا يعلم، وهذا محرم بالنص والإجماع، قال الله تعالىٰ: ﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٣﴾ [الأعراف].

**الرابع**: أنه إذا نفىٰ عن الله عَزَّوَجَلَّ ما تقتضيه النصوص من صفات الكمال لزم أن يكون الله سبحانه متصفًا بنقيضها من صفات النقص؛ وذلك لأنه ما من موجود إلا وهو متصف بصفة، ولا يمكن وجود ذات مجردة عن الصفات، فإذا انتفت صفة الكمال عنها، لزم اتصافها بصفات النقص.

وحينئذٍ؛ يكون من نفىٰ عن الله تعالىٰ ما تقتضيه النصوص من صفات الكمال متعديًا في حق الله تعالىٰ، حيث جمع بين نفي صفات الكمال عنه، وتمثيله بالمنقوصات والمعدومات، بل قد يرتقي به الغلو في النفي إلىٰ تمثيله بالممتنعات المستحيلات.

ويكون أيضًا جانيًا علىٰ النصوص حيث عطلها عما دلت عليه من صفات الكمال لله تعالىٰ، وأثبت لها معاني من عنده لا يدل عليها ظاهرها.

فيجمع بين النفي والتمثيل في صفات الله، وبين التحريف والتعطيل في نصوص الكتاب والسنة، ويكون ملحدًا في أسماء الله وآياته، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠﴾ [الأعراف]. وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيۡرٌ أَم مَّن يَأۡتِيٓ ءَامِنٗا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ٤٠﴾ [فصلت].

**مثال ذلك**: أن الله تعالىٰ أخبر عن نفسه أنه استوىٰ علىٰ العرش فيتوهم واهم أنه كاستواء الإنسان علىٰ ظهور الفلك والأنعام، وأنه محتاج إلىٰ العرش كحاجة الإنسان للأنعام والفلك، فلو عثرت الدابة لخر المستوي عليها، ولو انخرقت السفينة لغرق المستوي عليها، فقياس هذا أنه لو عدم العرش لسقط الرب - علىٰ قياسه الفاسد - فينفي بذلك



حقيقة الاستواء.

ومنشأ هذا الوهم الذي توهمه في استواء الله علىٰ عرشه ظنه أنه مثل استواء الإنسان علىٰ ظهور الأنعام والفلك، وهذا ظن فاسد؛ لأن الله تعالىٰ أضاف الاستواء إلىٰ نفسه الكريمة، لم يذكر استواء مطلقًا يصلح للمخلوق، ولا عامًا يتناول المخلوق، فتعين أن يكون استواءً خاصًا يليق به؛ كسائر صفاته

وأفعاله لا يماثل استواء المخلوقين، كما أن الله نفسه لا يماثل المخلوقين.

ألا ترىٰ إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٍ﴾ [الذاريات:٤٧]؟ هل يتوهم أحد أن بناءه إياها كبناء المخلوق سقف البيت، بحيث يحتاج إلىٰ زنبيل ومجارف وضرب لبن، وجبل طين ونحو ذلك، فإذا كان لا يحتاج إلىٰ ذلك في هذا الفعل من أفعاله، لزم ألا يكون محتاجًا إلىٰ العرش في استوائه عليه، بل هو سبحانه الغني عن العرش وغيره.

فتجد هذا نفي حقيقة الاستواء الذي هو ظاهر النصوص وقع في تلك المحاذير الأربعة:

فقد مثل ما فهمه من استواء الله علىٰ عرشه باستواء المخلوقين.

وعطل النصوص عما دلت عليه من صفة الاستواء اللائق بالله، ثم حرفها إلىٰ معان لا تدل عليها.

وكان نفيه لذلك وتعطيله بلا علم، بل عن جهل وظن فاسد.

ولزم من نفيه لصفة الكمال التي تضمنها الاستواء ثبوت صفة نقص بفوات هذا الكمال.

**مثال آخر**: قوله تعالىٰ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ١٦﴾ [الملك]. فيتوهم واهم أن الله تعالىٰ داخل السماء، وأن السماء تحيط به كما لو قلنا: فلان في الحجرة فإن الحجرة محيطة به، فينفي بناء علىٰ هذا الوهم كون الله تعالىٰ في السماء ويقول: إن الذي في السماء ملكه وسلطانه ... ونحو ذلك.

ومنشأ هذا الوهم ظنه أن «في» التي للظرفية تكون بمعنىٰ واحد في جميع مواردها، وهذا ظن فاسد؛ فإن «في» يختلق معناه بحسب متعلقها؛ فإنه يفرق بين كون الشيء في المكان، وكون العرض في الجسم، وكون الوجه في المرآة، وكون الكلام في الورق المكتوب فيه، فلو قيل: هل العرش في السماء أو في الأرض؟ لقيل: في السماء؛ مع أن العرش أكبر من السماء كثيرًا.



وعلىٰ هذا فيخرج قوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ علىٰ أحد وجهين:

إما أن تكون السماء بمعنىٰ العلو، فإن السماء يراد بها العلو كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ [النمل:٦٠]. والمطر ينزل من السحاب المسخر بين السماء والأرض لا من السماء نفسها، فيكون معنىٰ كونه تعالىٰ في السماء أنه في العلو المطلق فوق جميع المخلوقات، وليس هناك ظرف وجودي يحيط به إذ ليس فوق العالم شيء سوىٰ الله تعالىٰ.

وإما أن تكون «في» بمعنىٰ «علىٰ» كما جاءت بمعناها في مثل قوله تعالىٰ: ﴿فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [آل عمران:١٣٧]؛ أي علىٰ الأرض، وقوله عن فرعون: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ﴾ [طه: ٧١]؛ أي علىٰ جذوع النخل، وعلىٰ هذا فيكون معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك:١٦]؛ أي علىٰ السماء أي فوقه، والله تعالىٰ فوق السَّمٰوات وفوق كل شيء.

فتجد هذا الذي نفىٰ أن يكون الله في السماء حقيقة وقع في المحاذير الأربعة:

فقد مثل ما فهمه من كون الله تعالىٰ في السماء يكون المخلوق في الحجرة ونحو ذلك.

وعطل النصوص عما دلت عليه من علو الله في السماء، ثم حرفها إلىٰ معان لا تدل عليها.

وكان نفيه وتعطيله بلا علم، بل عن جهل وظن فاسد.

ولزم من نفيه لصفة الكمال التي تضمنها كونه في السماء ثبوت صفة النقص؛ لأن نفيه لصفة العلو يستلزم أحد أمرين ولابد:

فإما أن يكون الله تعالىٰ في كل مكان بذاته! والقول بهذا في غاية الضلال والكفر، لأنه يستلزم إما تعدد الخالق، وإما تبعضه، ويستلزم كذلك: أن يكون في محلات القذر والأذىٰ التي يتنزه عنها كل ذي مروءة، فضلًا عن الخالق.

وإما أن يكون الله تعالىٰ لا داخل العالم ولا خارجه، ولا فوق ولا تحت، ولا متصلًا ولا منفصلًا، ولا مباينًا ولا محايثًا ... ونحو ذلك من العبارات المتضمنة للتعطيل المحض، وحقيقة هذا نفي وجود الخالق جل وعلا.

**القاعدة الخامسة: في علمنا بما أخبر الله تعالىٰ به عن نفسه:**



ما أخبرنا الله به عن نفسه فهو معلوم لنا من جهة، ومجهول من جهة. معلوم لنا من جهة المعنىٰ، ومجهول لنا من جهة الكيفية.

أما كونه معلومًا لنا من جهة المعنىٰ فثابت بدلالة السمع؛ والعقل.

فمن أدلة السمع قوله تعالىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص]. وقوله: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء]. وقوله: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد] وقوله ﷺ: «**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**».

فحث الله تعالىٰ علىٰ تدبر القرآن كله ولم يستثن شيئًا منه، ووبخ من لم يتدبره، وبين أن الحكمة من إنزاله أن يتدبره الذين أنزل إليهم ويتعظ به أصحاب العقول، ولولا أن له معنىٰ يعلم بالتدبر لكان الحث علىٰ تدبره من لغو القول، ولكان الاشتغال بتدبره من إضاعة الوقت، ولفاتت الحكمة من إنزاله، ولما حسن التوبيخ علىٰ تركه.

والحث علىٰ تدبر القرآن شامل لتدبر جميع آياته الخبرية العلمية والحكمية العملية، فكما أننا مأمورون بتدبر آيات الأحكام لفهم معناها والعمل بمقتضاها، إذ لا يمكن العمل بها بدون فهم معناها - فكذلك نحن مأمورون بتدبر آيات الأخبار لفهم معناها، واعتقاد مقتضاها، والثناء علىٰ الله تعالىٰ بها، إذ لا يمكن اعتقاد ما لم نفهمه، أو الثناء علىٰ الله تعالىٰ به-.

**وأما دلالة العقل علىٰ فهم معاني ما أخبر الله تعالىٰ به عن نفسه فمن وجهين:**

**أحدهما**: أن ما أخبر الله به عن نفسه أعلىٰ مراتب الإخبار وأغلىٰ مطالب الأخيار، فمن المحال أن يكون ما أخبر الله به عن نفسه مجهول المعنىٰ، وما أخبر به عن فرعون، وهامان، وقارون، وعن قوم نوح، وعاد، وثمود، والذين من بعدهم، معلوم المعنىٰ من أن ضرورة الخلق لفهم معنىٰ ما أخبر الله به عن نفسه أعظم وأشد.

**الوجه الثاني**: أنه من المحال أن ينزل الله تعالىٰ علىٰ عباده كتابًا يعرفهم به بأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وأحكامه، ويصفه بأنه عليٌّ حكيم كريم عظيم مجيد مبين بلسان عربي ليعقل ويفهم ثم تكون كلماته في أعظم المطالب غير معلومة المعنىٰ، بمنزلة الحروف الهجائية التي لا يعلمها الناس إلا أماني، ولا يخرجون بعلمها عن صفة الأمية كما قال



تعالىٰ: ﴿وَمِنۡهُمۡ أُمِّيُّونَ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ [البقرة: ٧٨].

**فإن قلت**: ما الجواب عن قوله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٧﴾ [آل عمران: ٧]، فإن هذا يقتضي أن في القرآن آيات متشابهات لا يعلم تأويلهن إلا الله؟

**قلنا**: الجواب أن للسلف في الوقف في هذه الآية قولين:

**أحدهما**: الوقف عند قوله: ﴿إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾ وهو قول جمهور السلف والخلف، وبناء عليه يكون المراد بالتأويل في قوله: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾ [آل عمران: ٧] الحقيقة التي يؤول الكلام إليها، لا التفسير الذي هو بيان المعنىٰ. فتأويل آيات الصفات - علىٰ هذا - هو حقيقة تلك الصفات وكنهها، وهذا من الأمور الغيبية التي لا يدركها العقل ولم يرد بها السمع فلا يعلمها إلا الله.

**الثاني**: الوصل فلا يقفون علىٰ قوله: ﴿إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾ وهو قول جماعة من السلف والخلف، وبناء عليه يكون المراد بالتأويل في قوله: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾ [آل عمران: ٧] التفسير الذي هو بيان المعنىٰ. وهذا معلوم للراسخين في العلم كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: «أنا من الراسخين الذين يعلمون تأويله». وقال مجاهد: «عرضت المصحف علىٰ ابن عباس من فاتحته إلىٰ خاتمته أقفه عند كل آية وأسأله عن تفسيرها؟».

وبهذا تبين أن الآية لا تدل علىٰ أن في القرآن شيئًا لا يعلم معناه إلا الله تعالىٰ، وإنما تدل علىٰ أن في القرآن شيئًا لا يعلم حقيقته وكنهه إلا الله علىٰ قراءة الوقف، وتدل علىٰ أن الراسخين في العلم يعلمون معنىٰ المتشابه الذي يخفىٰ علىٰ كثير من الناس علىٰ قراءة الوصل.

وعلىٰ هذا؛ فلا تعارض مع ما ذكرناه من أنه ليس في القرآن شيء لا يعلم معناه.

## فصلٌ

وأما كون ما أخبرنا الله به عن نفسه مجهولًا لنا من جهة الكيفية فثابت بدلالة السمع



والعقل.

**فأما دلالة السمع فمن وجهين:**

**الأول**: قوله تعالىٰ: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾ [البقرة:٢٥٥]؛ فإن نفي الإحاطة علمًا شامل للإحاطة بذاته وصفاته، فلا يعلم حقيقة ذاته وكنهها إلا هو سبحانه وتعالىٰ، وكذلك صفاته.

**الثاني**: أن الله أخبرنا عن ذاته وصفاته، ولم يخبرنا عن كيفيتها، وعقولنا لا تدرك ذلك، فتكون الكيفية مجهولة، لنا، لا يحل لنا أن نتكلم فيها أو نقدرها بأذهاننا لقوله تعلىٰ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء] وقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف].

**وأما دلالة العقل علىٰ ذلك**: فلأن الشيء لا تدرك كيفيته إلا بمشاهدته، أو بمشاهدة نظير المساوي له، أو الخبر الصادق عنه، وكل هذه الطرق منتفية في كيفية ذات الله تعالىٰ وصفاته، فتكون كيفية ذات الله وصفاته مجهولة لنا.

وأيضًا؛ فإننا نقول: ما هي الكيفية التي تقدرها لذات الله تعالىٰ وصفاته؟! إن أي كيفية تقدرها في ذهنك، أو تنطق بها بلسانك فالله أعظم وأجل من ذلك، وإن أي كيفية تقدرها في ذهنك، أو تنطق بها بلسانك فستكون كاذبًا فيها؛ لأنه ليس لك دليل عليها.



## تتمَّةٌ

بهذا التقرير الذي تبين به أنه لا يمكن أن يكون في القرآن شيء لا يعلم معناه إلا الله — يتبين بطلان مذهب المفوضة الذين يفوضون علم معاني آيات الصفات، ويدعون أن هذا هو مذهب السلف، وقد ضلوا فيما ذهبوا إليه، وكذبوا فيما نسبوه إلىٰ السلف، فإن السلف إنما يفوضون علم الكيفية دون علم المعنىٰ، وقد تواتر القول عنهم بإثبات معاني هذه النصوص إجمالًا أحيانًا، وتفصيلًا أحيانًا، فمن الإجمال قوله: «أمروها كما جاءت بلا كيف» ومن التفصيل ما سبق عن مالك في الاستواء.



قال شيخ الإسلام ابن تيميه في كتابه «درء تعارض العقل والنقل» المعروف باسم «العقل والنقل» ١/ ١٦ المطبوع علىٰ هامش منهاج السنة ١/ ٢٠١ تحقيق رشاد سالم: «وأما التفويض؛ فمن المعلوم أن الله أمرنا

بتدبر القرآن، وحضنا علىٰ عقله وفهمه، فكيف يجوز مع ذلك أن يراد منا الإعراض عن فهمه ومعرفته وعقله؟».

إلىٰ أن قال: «فعلىٰ قول هؤلاء يكون الأنبياء والمرسلون لا يعلمون معاني ما أنزل الله عليهم من هذه النصوص، ولا الملائكة، ولا السابقون الأولون، وحينئذ فيكون ما وصف الله به نفسه في القرآن أو كثير مما وصف الله به نفسه لا يعلم الأنبياء معناه، بل يقولون كلامًا لا يعقلون معناه».

قال: «ومعلوم أن هذا قدح في القرآن والأنبياء إذ كان الله أنزل القرآن وأخبر أنه جعله هدىٰ وبيانًا للناس، وأمر الرسول أن يبلغ البلاغ المبين، وأن يبين للناس ما نزل إليهم، وأمر بتدبر القرآن وعقله، ومع هذا فأشرف ما فيه وهو ما أخبر به الرب عن صفاته، أو عن كونه خالقًا لكل شيء وهو بكل شيء عليم، أو عن كونه أمر ونهىٰ، ووعد وتوعد، أو عما أخبر به عن اليوم الآخر لا يعلم أحد معناه فلا يعقل، ولا يتدبر، ولا يكون الرسول بين الناس ما نزل إليهم، ولا بلغ البلاغ المبين.

وعلىٰ هذا التقدير؛ فيقول كل ملحد ومبتدع: الحق في نفس الأمر ما علمته برأيي وعقلي، وليس في النصوص ما يناقض ذلك، لأن تلك النصوص مشكلة متشابهة، ولا يعلم أحد معناها، وما لا يعلم أحد معناه لا يجوز أن يستدل به.

فيبقىٰ هذا الكلام سدًّا لباب الهدىٰ والبيان من جهة الأنبياء، وفتحًا لباب من يعارضهم ويقول: إن الهدىٰ والبيان في طريقنا لا في طريق الأنبياء؛ لأنا نحن نعلم ما نقول ونبينه بالأدلة العقلية، والأنبياء لم يعلموا ما يقولون، فضلًا عن أن يبينوا مرادهم، فتبين أن قول أهل التفويض الذين يزعمون أنهم متبعون للسنة والسلف من شر أقوال أهل البدع والإلحاد». أهـ كلامه رحمه الله.



## فصلٌ: في التأويل



**التأويل لغة**: ترجيع الشيء إلىٰ الغاية المرادة منه، من «الأول» وهو الرجوع.

**وفي الاصطلاح**: رد الكلام إلىٰ الغاية المرادة منه بشرح معناه أو حصول مقتضاه.

**ويطلق علىٰ ثلاثة معان:**

**الأول: التفسير**: وهو توضيح الكلام بذكر معناه المراد به، ومنه قوله تعالىٰ عن صاحبي السجن يخاطبان يوسف: ﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ﴾ [يوسف:٣٦]. وقول النبي ﷺ لابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ**» وسبق قول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أنا من الراسخين في العلم الذين يعلمون تأويله». ومنه قول ابن جرير وغيره من المفسرين «تأويل قوله تعالىٰ» أي: تفسيره.

والتأويل بهذا المعنىٰ معلوم لأهل العلم.

**المعنىٰ الثاني**: مآل الكلام إلىٰ حقيقته، فإن كان خبرًا فتأويله نفس حقيقة المخبر عنه - وذلك في حق الله كنه ذاته وصفاته التي لا يعلمها غيره - وإن كان طلبًا فتأويله امتثال المطلوب.

**مثال الخبر**: قوله تعالىٰ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ﴾ [الأعراف:٥٣]. أي ما ينتظر هؤلاء المكذبون إلا وقوع حقيقة ما أخبروا به من البعث والجزاء، ومنه قوله تعالىٰ عن يوسف: ﴿هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا﴾ [يوسف:١٠٠].

**ومثال الطلب**: قول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كان النبي ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: «**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي**» يتأول القرآن؛ أي: يمتثل ما أمره الله به في قوله: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ۝٣﴾ [النصر].

**وتقول**: فلان لا يتعامل بالربا يتأول قول الله تعالىٰ: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟﴾ [البقرة:٢٧٥].

والتأويل بهذا المعنىٰ مجهول حتىٰ يقع فيدرك واقعًا.

**فأما قوله تعالىٰ**: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ﴾ [آل عمران: ٧]. فيحتمل أن يكون المراد بالتأويل فيها التفسير، ويحتمل أن يكون المراد به مآل الكلام إلىٰ حقيقته بناء علىٰ الوقف فيها والوصل.



فعلىٰ قراءة الوقف عند قوله: ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾؛ يتعين أن يكون المراد به مآل الكلام إلىٰ حقيقته؛ لأن حقائق ما أخبر الله به عن نفسه وعن اليوم الآخر لا يعلمها إلا الله عَزَّوَجَلَّ.

وعلىٰ قراءة الوصل يتعين أن يكون المراد به التفسير، لأن تفسيره معلوم للراسخين في العلم فلا يختص علمه بالله تعالىٰ.

فنحن نعلم معنىٰ الاستواء أنه العلو والاستقرار، وهذا هو التأويل المعلوم لنا، لكننا نجهل كيفيته وحقيقته التي هو عليها، وهذا هو التأويل المجهول لنا.

وكذلك نعلم معاني ما أخبرنا الله به من أسمائه وصفاته، ونميز الفرق بين هذه المعاني فنعلم معنىٰ الحياة، والعلم، والقدرة، والسمع، والبصر ونحو ذلك

ونعلم أن الحياة ليس هي العلم، وأن العلم ليس هو القدرة، وأن القدرة ليس هي السمع، وأن السمع ليس هو البصر ... وهكذا بقية الصفات والأسماء، لكننا نجهل حقائق هذه المعاني وكنهها الذي هي عليه بالنسبة إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ.

وهذا المعنيان للتأويل هما المعنيان المعروفان في الكتاب والسنة وكلام السلف.

**المعنىٰ الثالث للتأويل**: صرف اللفظ عن المعنىٰ الراجح إلىٰ المعنىٰ المرجوح لدليل يقتضيه.

**وإن شئت فقل**: صرف اللفظ عن ظاهره إلىٰ معنىٰ يخالف الظاهر لدليل يقتضيه.

وهذا اصطلاح كثير من المتأخرين الذين تكلموا في الفقه وأصوله، وهو الذي عناه أكثر من تكلم من المتأخرين في تأويل نصوص الصفات وهل هو محمود أو مذموم؟ وهل هو حق أو باطل؟

**والتحقيق**: أنه إن دل عليه دليل صحيح فهو حق محمود يعمل به ويكون من المعنىٰ الأول للتأويل وهو التفسير؛ لأن تفسير الكلام تأويله إلىٰ ما أراده المتكلم به سواء كان علىٰ ظاهره، أم علىٰ خلاف ظاهره ما دمنا نعلم أنه مراد المتكلم.

**مثال ذلك**: قوله تعالىٰ: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ﴾ [النحل:١]. فإن الله تعالىٰ يخوف عباده بإتيان أمره المستقبل، وليس يخبرهم بأمر أتىٰ وانقضىٰ بدليل قوله: ﴿فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ﴾.

ومنه قوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ٩٨﴾



[النحل]؛ فإن ظاهر اللفظ إذا فرغت من القراءة، والمراد إذا أردت أن تقرأ؛ لأن النبي ﷺ كان يستعيذ إذا أراد أن يقرأ لا إذا فرغ من القراءة.

وإن لم يدل عليه دليل صحيح كان باطلًا مذمومًا، وجديرًا بأن يسمىٰ تحريفًا لا تأويلًا.

**مثال ذلك**: قوله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه]. فإن ظاهره أن الله تعالىٰ علا علىٰ العرش علوًا خاصًا يليق بالله عَزَّ وَجَلَّ، وهذا هو المراد، فتأويله إلىٰ أن معناه «استولىٰ» و«ملك» تأويل باطل مذموم، وتحريف للكلم عن مواضعه؛ لأنه ليس عليه دليل صحيح.

## فصلٌ

اعلم أن الله تعالىٰ وصف القرآن بأنه محكم، وبأنه متشابه، وبأن بعضه محكم وبعضه متشابه.

فالأول كقوله تعالىٰ: ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢﴾ [لقمان].

**والثاني كقوله**: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا﴾ [الزمر:٢٣].

**والثالث كقوله**: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ﴾ [آل عمران: ٧].

فالإحكام الذي وصف به جميع القرآن هو: الإتقان والجودة في اللفظ والمعنىٰ، فألفاظ القرآن كله في أكمل البيان والفصاحة والبلاغة، ومعانيه أكمل المعاني وأجلها وأنفعها للخلق حيث تتضمن كمال الصدق في الأخبار، وكمال الرشد والعدل في الأحكام، كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ﴾ [الأنعام:١١٥].

**والتشابه الذي وصف به جميع القرآن هو**: تشابه القرآن في الكمال والإتقان والائتلاف، فلا يناقض بعضه بعضًا في الأحكام، ولا يكذب بعضه بعضًا في الأخبار كما قال الله تعالىٰ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ۝٨٢﴾ [النساء].

**والإحكام الذي وصف به بعض القرآن هو**: الوضوح والظهور بحيث يكون معناه واضحًا بينًا لا يشتبه علىٰ أحد، وهذا كثير في الأخبار والأحكام.



**مثاله في الأخبار قوله تعالىٰ**: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البقرة:١٨٥]. فكل أحد يعرف شهر رمضان، وكل أحد يعرف القرآن.

**ومثاله في الأحكام قوله تعالىٰ**: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء:٢٣]. فكل أحد يعرف والديه، وكل أحد يعرف الإحسان.

**وأما التشابه الذي وصف به بعض القرآن فهو**: الاشتباه أي خفاء المعنىٰ بحيث يشتبه علىٰ بعض الناس دون غيرهم، فيعلمه الراسخون في العلم دون غيرهم.

**موقفنا من اختلاف هذه الأوصاف وكيفية الجمع بينها**:

موقفنا من اختلاف هذه الأوصاف وكيف نجمع بينها أن نقول: إن وصف القرآن جميعه بالإحكام، ووصفه جميعه بالتشابه لا يتعارضان والجمع بينهما: أن الكلام المحكم المتقن يشبه بعضه بعضًا في الكمال والصدق، فلا يتناقض في أحكامه، ولا يتكاذب في أخباره.

وأما وصف القرآن بأن بعضه محكم وبعضه متشابه فلا تعارض بينهما أصلًا؛ لأن كل وصف وارد علىٰ محل لم يرد عليه الآخر، فبعض القرآن محكم ظاهر المعنىٰ، وبعضه متشابه خفي المعنىٰ، وقد انقسم الناس في ذلك إلىٰ قسمين:

**فالراسخون في العلم يقولون**: آمنا به كل من عند ربنا، وإذا كان من عنده فلن يكون فيه اشتباه يستلزم ضلالًا أو تناقضًا، ويردون المتشابه إلىٰ المحكم فصار مآل المتشابه إلىٰ الإحكام.

**وأما أهل الضلال والزيغ** فاتبعوا المتشابه وجعلوه مثارًا للشك والتشكيك فضلوا وأضلوا، وتوهموا بهذا المتشابه ما لا يليق بالله عَزَّوَجَلَّ ولا بكتابه ولا برسوله.

**مثال الأول**: قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [يس:١٢]. وقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر] ... ونحوهما مما أضاف الله فيه الشيء إلىٰ نفسه بصيغة الجمع.

فاتبع النصراني هذا المتشابه وادعىٰ تعدد الآلهة وقال: إن الله ثالث ثلاثة، وترك المحكم الدال علىٰ أن الله واحد.

**وأما الراسخون في العلم**: فيحملون الجمع علىٰ التعظيم لتعدد صفات الله وعظمها، ويردون هذا المتشابه إلىٰ المحكم في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾



[البقرة:١٦٣] ويقولون للنصراني: إن الدعوىٰ التي ادعيت – بما وقع لك من الاشتباه – قد كفرك الله بها وكذبك فيها فاستمع إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [المائدة: ٧٣]؛ أي كفروا بقولهم إن الله ثالث ثلاثة.

**ومثال الثاني**: قوله تعالىٰ لنبيه ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص:٥٦]. وقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝﴾ [الشورىٰ].

ففي الآيتين موهم تعارض فيتبعه من في قلبه زيغ ويظن بينهما تناقضًا وهو النفي في الأولىٰ، والإثبات في الثانية. فيقول: في القرآن تناقض.

وأما الراسخون في العلم؛ فيقولون: لا تناقض في الآيتين فالمراد بالهداية في الآية الأولىٰ هداية التوفيق، وهذه لا يملكها إلا الله وحده فلا يملكها الرسول ولا غيره. والمراد بها في الآية الثانية هداية الدلالة، وهذه تكون من الله تعالىٰ ومن غيره فتكون من الرسل وورثتهم من العلماء الربانيين.

**ومثال الثالث**: قوله تعالىٰ لنبيه ﷺ: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ۝﴾ [يونس].

ففي الآية ما يوهم وقوع الشك من النبي ﷺ مما أنزل إليه فيتبعه من في قلبه زيغ فيدعي أن النبي ﷺ وقع منه ذلك فيطعن في رسول الله ﷺ.

وأما الراسخون في العلم؛ فيقولون: إن النبي ﷺ لم يقع منه شك ولا امتراء فيما أنزل إليه، كيف وقد شهد الله له بالإيمان في قوله تعالىٰ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة:٢٨٥]. وقوله: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝﴾ [الأعراف]؟

**ويقولون**: إن مثل هذا التعبير – ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ﴾ [يونس: ٩٤] – لا يلزم منه وقوع الشرط، بل ولا إمكانه كقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ۝﴾ [الزخرف: ٨١]؛ فإن وجود الولد لله ﷻ ممتنع غاية الامتناع كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ۝﴾ [مريم]. فكذلك الشك والامتراء من رسول الله ﷺ فيما أنزل



إليه ممتنع غاية الامتناع، ولكن جاءت العبارة بهذه الصيغة الشرطية لتأكيد امتناع الشك والامتراء من رسول الله ﷺ فيما أنزل إليه من الله عَزَّوَجَلَّ.

فإن قلت: ما الحكمة من كون بعض القرآن متشابهًا؟

فالجواب: أن الحكمة من ذلك ابتلاء العباد واختبارهم ليتبين الصادق في إيمانه من الشاك الجاهل الزائغ، فالصادق في إيمانه الراسخ في عمله الذي يؤمن بالله وكلماته، ويعلم أن كلام الله عَزَّوَجَلَّ ليس فيه تناقض، ولا اختلاف فيرد ما تشابه منه إلىٰ ما كان محكمًا، ليصير كله محكمًا. وأما من الشاك الجاهل الزائغ الذي يتبع ما تشابه منه، ليضرب كتاب الله تعالىٰ بعضه ببعض، فيضل ويضل، ويكون إمامًا في الضلال والشقاء فيفتن الناس في دينهم، ويوقعهم في الشك والحيرة، ويفتن بعضهم ببعض ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٧ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ۝٨﴾ [آل عمران] .

## تتمَّةٌ

**التشابه الواقع في القرآن نوعان: حقيقي ونسبي:**

- **فالحقيقي**: ما لا يعلمه إلا الله عَزَّوَجَلَّ مثل: حقيقة ما أخبر الله به عن نفسه، وعن اليوم الآخر فإنا – وإن كنا نعلم معاني تلك الأخبار – لا نعلم

حقائقها وكنهها كما قال الله تعالىٰ عن نفسه: ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا﴾ [طه:١١٠]. وقال: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ﴾ [الأنعام:١٠٣]. وقال عما في اليوم الآخر: ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝١٧﴾ [السجدة:]. وفي الحديث القدسي الثابت في الصحيحين عن النبي ﷺ أن الله قال: «**أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَىٰ قَلْبِ بَشَرٍ**».

فما أخبر الله به عن نفسه، وعن اليوم الآخر فيه ألفاظ متشابهة تشبه معانيها ما نعلمه في الدنيا، كما أخبر عن نفسه أنه حي، عليم، قدير، سميع، بصير ... ونحو ذلك.



ونحن نعلم أن ما دلت عليه هذه الأسماء من الصفات ليس مماثلًا في الحقيقة لما للمخلوق منها، فحقيقتها لا يعلم معناها إلا الله.

كما نعلم أن في الجنة لحمًا، ولبنًا، وعسلًا، وماء، وخمرًا ... ونحو ذلك، ولكن ليس حقيقة ذلك من جنب ما في الدنيا، وحينئذ لا يعلم حقيقتها إلا الله تعالىٰ.

والإخبار عن الغائب لا يفهم إن لم يعبر عنه بالأسماء المعلومة معانيها في الشاهد، ويعلم بها ما في الغائب بواسطة العلم بما في الشاهد، مع العلم بالفارق المميز، وأن ما أخبر الله به من الغيب أعظم مما يعلم في الشاهد.

وهذا النوع الذي لا يعلمه إلا الله لا يسأل عنه لتعذر الوصول إليه.

وأما النسبي؛ فهو ما يكون مشتبهًا علىٰ بعض الناس دون بعض، فيعلم منه الراسخون في العلم والإيمان ما يخفىٰ علىٰ غيرهم، إما لنقص في علمهم أو تقصير في طلبهم، أو قصور في فهمهم، أو سوء في قصدهم.

وهذا النوع يسأل عن بيانه، لأنه يمكن الوصول إليه، إذ ليس في القرآن شيء لا يتبين معناه لأحد من الناس، كيف وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النحل: ٨٩]. وقال: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾﴾ [آل عمران]. وقال: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ [القيامة]. وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾﴾ [النساء]. وقال: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة:١٨٥].

ولهذا النوع أمثلة كثيرة في المسائل العلمية الخبرية، والمسائل العملية الحكمية، وغالب المسائل التي اختلف الناس فيها أوكلها من هذا النوع.

فمن أمثلة ذلك في المسائل العلمية الخبرية: قوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورىٰ:١١]. حيث اشتبه علىٰ النفاة أهل التعطيل ففهموا منه انتفاء الصفات عن الله تعالىٰ، ظنًّا منهم أن إثباتها يستلزم مماثلة الله تعالىٰ للمخلوقين؛ فنفوا عن الله تعالىٰ ما وصف به نفسه أو بعضه، وأعرضوا عن الأدلة السمعية والعقلية الدالة علىٰ ثبوت صفات الكمال لله عَزَّوَجَلَّ، وغفلوا عن كون الاشتراك في أصل المعنىٰ لا يستلزم المماثلة في الحقيقة.



ثم لو أمعنوا في النظر في هذا المنفي: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ [الشورىٰ:١١] لتبين لهم أنه يدل علىٰ ثبوت الصفات لا علىٰ انتفائها، لأن نفي المماثلة يدل علىٰ ثبوت أصل المعنىٰ، لكن لكماله تعالىٰ لا يماثله شيء لا في ذاته، ولا في صفاته، ولولا ثبوت أصل الصفة لم يكن لنفي المثل فائدة.

ومن أمثلة ذلك في المسائل العملية الحكمية قوله ﷺ: «**صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي**».

حيث اشتبه علىٰ بعض الناس ففهموا منه أنه شامل للكمية والكيفية، وبنوا علىٰ ذلك أنه لا تجوز الزيادة في صلاة الليل علىٰ العدد الذي كان النبي ﷺ يقوم به، فلا يزاد في التراويح في رمضان علىٰ إحدىٰ عشرة، أو ثلاثة عشرة ركعة.

ولكن من تأمل الحديث وجده دالًّا علىٰ الكيفية فقط دون الكمية، إلا أن تكون الكمية في ضمن الكيفية كعدد الصلاة الواحدة.

ويدل لذلك ما ثبت في صحيح البخاري وغيره من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رجلًا سأل النبي ﷺ وهو علىٰ المنبر: ما ترىٰ في صلاة الليل؟ قال: «**مَثْنَىٰ مَثْنَىٰ، فَإِذَا خَشِيَ الصُّبْحَ صَلَّىٰ وَاحِدَةً فَأَوْتَرَتْ لَهُ مَا صَلَّىٰ**». وفي رواية: أن السائل قال: كيف صلاة الليل؟ ولو كان عدد قيام الليل محصورًا لبينه النبي ﷺ لهذا السائل، ولهذا كان الراجح أن يقتصر في قيام الليل علىٰ إحدىٰ عشرة أو ثلاثة عشرة وإن زاد علىٰ ذلك فلا بأس.

وأمثلة ذلك كثيرة، تعلم من كتب الفقه المعنية بذكر الخلاف والترجيح بين الأقوال والله المستعان.

**القاعدة السادسة: في ضابط ما يجوز لله ويمتنع عنه نفيًا وإثباتًا:** صفات الله تعالىٰ دائرة بين النفي والإثبات – كما سبق – فلابد من ضابط لهذا وذاك.

**فالضابط في النفي أن ينفىٰ عن الله تعالىٰ:**

**أولًا**: كل صفة عيب كالعمىٰ والصمم والخرس والنوم والموت ... ونحو ذلك.

**ثانيًا**: كل نقص في كماله كنقص حياته أو علمه أو قدرته أو عزته أو حكمته ... أو نحو ذلك.

**ثالثًا**: مماثلته للمخلوقين كأن يجعل علمه كعلم المخلوق، أو وجهه كوجه المخلوق، أو استواؤه علىٰ عرشه كاستواء المخلوق ... ونحو ذلك.



**فمن أدلة انتفاء الأول عنه**: قوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل:٦٠]. فإن ثبوت المثل الأعلىٰ له – وهو الوصف الأعلىٰ – يستلزم انتفاء كل صفة عيب.

**ومن أدلة انتفاء الثاني**: قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾ [قٓ:٣٨].

**ومن أدلة انتفاء الثالث**: قوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورىٰ:١١].

**وبهذا علم أنه لا يصح الاعتماد في ضابط النفي علىٰ مجرد نفي التشبيه وذلك لوجهين**:

**الأول**: أنه إن أريد بالنفي نفي التشابه المطلق أي: نفي التساوي من كل وجه بين الخالق والمخلوق فإن هذا لغو من القول إذ لم يقل أحد بتساوي الخالق والمخلوق من كل وجه، بحيث يثبت لأحدهما من الجائز والممتنع والواجب ما يثبت للآخر، ولا يمكن أن يقوله عاقل يتصور ما يقول، فإنه مما يعلم بضرورة العقل وبداهة الحس انتفاؤه، وإذا كان كذلك لم يكن لنفيه فائدة.

وإن أريد بالنفي مطلق التشابه أي: نفي التشابه من بعض الوجوه فهذا النفي لا يصح إذ ما من شيئين إلا وبينهما قدر مشترك يشتركان فيه، وقدر مختص يتميز به كل واحد عن الآخر، فيشتبهان من وجه، ويفترقان من وجه.

فالحياة – مثلًا – وصف مشترك بين الخالق والمخلوق، قال الله تعالىٰ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان:٥٨]. وقال: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ [الروم:١٩]. لكن حياة الخالق تختص به فهي حياة كاملة من جميع الوجوه لم تسبق بعدم ولا يلحقها فناء، بخلاف حياة المخلوق فإنها حياة ناقصة مسبوقة بعدم متلوة بفناء قال الله تعالىٰ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن].

فالقدر المشترك – وهو مطلق الحياة – كلي لا يختص بأحدهما دون الآخر، لكن ما يختص به كل واحد ويتميز به لم يقع فيه اشتراك، وحينئذ لا محذور من الاشتراك في هذا المعنىٰ الكلي، وإنما المحذور أن يجعل أحدهما مشاركًا للآخر فيما يختص به.

ثم إن إرادة ذلك – أعني: نفي مطلق التشابه – تستلزم التعطيل المحض، لأنه إذا نفي عن الله تعالىٰ صفة الوجود مثلًا – بحجة أن للمخلوق صفة وجود فإثباتها للخالق يستلزم



التشبيه علىٰ هذا التقدير - لزم علىٰ نفيه أن يكون الخالق معدومًا، ثم يلزمه علىٰ هذا اللازم الفاسد أن يقع في تشبيه آخر وهو تشبيه الخالق بالمعدوم لاشتراكهما في صفة العدم فيلزمه - علىٰ قاعدته - تشبيه بالمعدوم. فإن نفىٰ عنه الوجود والعدم وقع في تشبيه ثالث أشد وهو تشبيه بالممتنعات؛ لأن الوجود والعدم نقيضان يمتنع انتفاؤهما كما يمتنع اجتماعهما.

فإن قال قائل: إن الشيء إذا شارك غيره من وجه جاز عليه من ذلك الوجه ما يجوز علىٰ الآخر، وامتنع عليه ما يمتنع، ووجب له ما يجب؟

**فالجواب من وجهين:**

**أحدهما**: المنع، فيقال لا يلزم من اشتراك الخالق والمخلوق في أصل الصفة أن يتماثلا فيه فيما يجوز ويمتنع ويجب، لأن مطلق المشاركة لا يستلزم المماثلة.

**الثاني**: التسليم، فيقال هب أن الأمر كذلك، ولكن إذا كان ذلك القدر المشترك لا يستلزم إثبات ما يمتنع علىٰ الرب سبحانه، ولا نفي ما يستحقه لم يكن ممتنعًا، فإذا اشتركا في صفة الوجود، والحياة، والعلم، والقدرة، واختص كل موصوف بما يستحقه ويليق به كان اشتراكهما في ذلك أمرًا ممكنًا لا محذور فيه أصلًا، بل إثبات هذا من لوازم الوجود، فإن كل موجودين لابد بينهما من مثل هذا، ومن نفاه لزمه تعطيل وجود كل موجود، لأن نفي القدر المشترك يلزم منه التعطيل العام.

وهذا الموضع من فهمه فهمًا جيدًا وتدبره زالت عنه عامة الشبهات وانكشف له غلط كثير من الأذكياء في هذا المقام.



## فصلٌ

**الوجه الثاني**: مما يدل علىٰ أنه لا يصح الاعتماد في ضابط النفي علىٰ مجرد نفي التشبيه: أن الناس اختلفوا في تفسير التشبيه فقد يفسره بعضهم بما لا يراه الآخرون تشبيهًا.

**مثال ذلك مع المعتزلة ومن سلك طريقهم من النفاة**: أنهم جعلوا من أثبت لله تعالىٰ علمًا قديمًا، أو قدرة قديمة مشبهًا ممثلًا، لأن القدم أخص وصف الإله عند جمهورهم، فمن أثبت له علمًا قديمًا أو قدرة قديمة فقد أثبت له مثيلًا.

والمثبتون يجيبونهم تارة بالمنع، وبالتسليم تارة.



**أما المنع؛ فيقولون**: ليس القدم أخص وصف الإله، وإنما أخص وصف الإله ما لا يتصف به غيره، مثل: كونه رب العالمين، وأنه بكل شيء قدير، وأنه الإله ... ونحو ذلك.

والصفات وإن وصفت بالقدم كما توصف به الذات لا يقتضي ذلك أن تكون إلهًا أو ربًّا أو نحو ذلك، كما أن النبي - مثلًا - يوصف بالحدوث، وتوصف صفاته بالحدوث، ولا يقتضي ذلك أن تكون صفاته نبيًّا.

وعلىٰ هذا فلا يكون إثبات الصفات القديمة لله تعالىٰ تمثيلًا، ولا تشبيهًا.

وأما التسليم فيقولون: نحن وإن سلمنا أن هذا المعنىٰ قد يسمىٰ في اصطلاح بعض الناس تشبيهًا أو تمثيلًا فإنه لم ينفه عقل ولا سمع، وحينئذ فلا مانع من إثباته.

فالقرآن إنما نفىٰ مسمىٰ المثل، والكفء والند ... ونحو ذلك، والصفة في لغة العرب التي نزل بها القرآن ليست مثل الموصوف، ولا كفؤًا له، ولا ندًّا فلا تدخل فيما نفاه القرآن.

فالواجب نفي ما نفته الأدلة الشرعية والعقلية فقط.

**مثال آخر**: مع الأشاعرة ونحوهم ممن ينفي علوه علىٰ عرشه ونحوه دون صفة الحياة، والعلم، والقدرة ونحوها فيقول: إن هذه الصفات قد تقوم بما ليس بجسم بخلاف العلو فإنه لا يقوم إلا بجسم فلو أثبتناه لزم أن يكون جسمًا، والأجسام متماثلة فيلزم التشبيه.

والمثبتون يجيبونهم تارة بمنع المقدمة الأولىٰ وهي قولهم: «إن العلو لا يقوم إلا بجسم» وتارة بمنع المقدمة الثانية وهي قولهم: «إن الأجسام متماثلة» وتارة بمنع المقدمتين، وتارة بالاستفصال، فيقولون: إن أردتم بالجسم جسمًا مؤلفًا من لحم وعظم وأجزاء يفتقر بعضها إلىٰ بعض، أو يحتاج إلىٰ مقومات خارجية، فهذا ممتنع بالنسبة إلىٰ الله الغني الحميد، وليس بلازم من إثبات الصفات، وإن أردتم بالجسم ما كان قائمًا بنفسه موصوفًا بالصفات اللائقة به، فهذا حق ثابت لله ﷻ ولا يلزم عليه شيء من اللوازم الباطلة.

وإذا تبين اختلاف الناس في تفسير التشبيه صار الاعتماد علىٰ مجرد نفيه باطلًا، لأنه يلزم منه نفي صفات الكمال عن الله تعالىٰ عند من يرىٰ أن إثباتها يستلزم التشبيه.

وعلىٰ هذا فالضابط الصحيح فيما ينفىٰ عن الله تعالىٰ ما سبق في أول القاعدة.



## فصلٌ

فإذا تبين أنه لا يصح الاعتماد في ضابط النفي علىٰ مجرد نفي التشبيه وأنه طريق فاسد، فإن أفسد منه ما يسلكه بعض الناس حيث يعتمدون فيما ينفىٰ عن الله تعالىٰ علىٰ نفي التجسيم والتحيز ... ونحو ذلك، فتجدهم إذا أرادوا أن يحتجوا علىٰ من وصف الله تعالىٰ النقائص من: الحزن، والبكاء، والمرض والولادة ... ونحوها يقولون له: لو اتصف الله بذلك لكان جسمًا، أو متحيزًا، وهذا ممتنع، هذه حجتهم عليه وهذه طريقة فاسدة لا يحصل بها المقصود لوجوه:

**الأول**: أن لفظ «الجسم» و «الجوهر» و «التحيز» ونحوها عبارات مجملة مشتبهة لا تحق حقًّا، ولا تبطل باطلًا، ولذلك لم تذكر فيما وصف الله وسمىٰ به نفسه؛

لا نفيًا ولا إثباتًا، لا في كتاب الله تعالىٰ، ولا في سنة رسوله ﷺ، ولم يسلكه أحد من سلف الأمة وأئمتها، وإنما هي عبارات مبتدعة أنكرها السلف والأئمة.

**الثاني**: أو وصف الله تعالىٰ بهذه النقائض أظهر فسادًا في العقل والدين من وصفه بالتحيز والتجسيم، فإن كفر من وصفه بهذه النقائص معلوم بالضرورة من الدين، بخلاف التحيز والتجسيم لما فيهما من الاشتباه والخفاء.

وإذا كان وصف الله تعالىٰ بهذه النقائض أظهر فسادًا من وصفه بالحيز والجسم، فإنه لا يصح الاستدلال بالأخفىٰ علىٰ الأظهر؛ لأن الدليل مبين للمدلول ومثبت له فلابد أن يكون أبين وأظهر منه.

**الثالث**: أن من وصفوه بهذه النقائص يمكنهم أن يقولوا نحن نصفه بذلك، ولا نقول بالتجسيم والتحيز كما يقوله من يثبت لله صفات الكمال مع نفي القول بالتجسيم والتحيز، فيكون كلام من يصف الله بصفات الكمال ومن يصفه بصفات النقص واحدًا، ويبقىٰ الرد عليهما بطريق واحد وهو أن الإثبات مستلزم للتجسيم والتحيز، وهذا في غاية الفساد والبطلان.

**الرابع**: أن الذين اعتمدوا في ضابط ما ينفىٰ عن الله علىٰ نفي التجسيم والتحيز نفوا عن الله تعالىٰ صفات الكمال بهذه الطريقة. واتصاف الله تعالىٰ بصفات الكمال واجب ثابت بالسمع والعقل؛ فيكون كل ما اقتضىٰ نفيه باطلًا بالسمع والعقل، وبه يتبين فساد تلك



الطريقة وبطلانها.

**الخامس**: أن سالكي هذه الطريقة متناقضون، فكل من أثبت شيئًا ونفىٰ غيره ألزمه الآخر بما يوافقه فيه من الإثبات، وكل من نفىٰ شيئًا واثبت غيره ألزمه الآخر بما يوافقه فيه من النفي.

**مثال ذلك**: أن من أثبتوا لله تعلىٰ الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر، والكلام دون غيرها من الصفات قال لهم نفاة ذلك – كالمعتزلة -: إثبات هذه تجسيم؛ لأن هذه الصفات أعراض والعرض لا يقوم إلا بجسم.

فيرد عليهم أولئك بأنكم أنتم أثبتم أنه حي، عليم، قدير، وقلتم ليس بجسم مع أنكم لا تعرفون حيًّا عالمًا قادرًا إلا جسمًا، فأثبتموه علىٰ خلاف ما عرفتم، فكذلك نحن نثبت هذه الصفات ولا نقول إنه جسم فهذا تناقض المعتزلة.

أما تناقض خصومهم الذين أثبتوا الصفات السبع السابقة دون غيرها فقد قالوا لمن أثبت صفة الرضا، والغضب، ونحوها: إثبات الرضا والغضب، والاستواء، والنزول، والوجه، واليدين ونحوها تجسيم لأننا لا نعرف ما يوصف بذلك إلا ما هو جسم. فيرد عليهم المثبتة بأنكم أنتم وصفتموه بالحياة، والعلم، والقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام، ولا يعرف ما يوصف بذلك إلا ما هو جسم، فإن لزمنا التجسيم فيما أثبتناه لزمكم فيما أثبتموه، وإن لم يلزمكم فيما أثبتموه لم يلزمنا فيما أثبتناه وإن ألزمتمونا به، لأنه لا فرق بين الأمرين، وتفريقكم بينهما تناقض منكم.

## فصلٌ

**وأما الضابط في باب الإثبات**: فأن نثبت لله تعالىٰ ما أثبته لنفسه من صفات الكمال علىٰ وجه لا نقص فيه بأي حال من الأحوال لقوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ [النحل]. والمثل الأعلىٰ هو الوصف الأكمل الذي لا يماثله شيء.

فصفات الله تعالىٰ كلها صفات كمال، سواء كانت صفات ثبوت، أم صفات نفي. وقد سبق أن النفي المحض لا يوجد في صفات الله تعالىٰ، وأن المقصود بصفات النفي نفي تلك الصفة لا تصافه بكمال ضدها.



ولهذا لا يصح في ضابط الإثبات أن نعتمد علىٰ مجرد الإثبات بلا تشبيه؛ لأنه لـو صـح ذلك لجاز أن يثبت المفتري لله سبحانه كل صفة نقـص مـع نفـي التشـبيه فيصـفه بـالحزن والبكاء والجوع والعطش ... ونحوها مما ينزه الله عنه مع نفي التشبيه، فيقول: إن الله يحزن لا كحزن العباد، ويبكي لا كبكائهم، ويجوع لا كجوعهم، ويعطش لا كعطشهم، ويأكل لا كأكلهم، كما أنه يفرح لا كفرحهم، ويضحك لا كضحكهم، ويتكلم لا ككلامهم.

ولجاز أيضًا أن يثبت المفتري لله سبحانه أعضاء كثيرة مـع نفـي التشـبيه فيقـول: إن لله تعالىٰ كبدًا لا كأكباد العباد، وأمعاء لا كأمعائهم ... ونحو ذلك مما ينزه الله تعالىٰ عنه، كما أن له وجهًا لا كوجوههم، ويدين لا كأيديهم.

**ثم يقول المفتري لمن نفىٰ ذلك وأثبت الفرح، والضحك، والكلام، والوجـه، واليـدين:** أي فرق بين ما نفيت وما أثبت، إذا جعلت مجرد نفـي التشـبيه كافيًـا في الإثبـات؛ فأنـا لـم أخرج عن هذا الضابط فإني اثبت ذلك بدون تشبيه؟

**فإن قال النافي:** الفرق هو السمع أي الدليل من الكتاب والسنة فما جاء بـه الـدليل أثبتـه وما لم يجئ به لم أثبته.

**قال المفتري:** السمع خبر والخبر دليل علىٰ المخبر عنه، والدليل لا يـنعكس فـلا يلـزم من عدمه عدم المدلول عليه؛ لأنه قد يثبت بدليل آخر، فما لم يرد به السمع يجوز أن يكون ثابتًا في نفس الأمر وإن لم يرد به السمع، ومن المعلوم أن السـمع لـم يـرد بنفـي كـل هـذه الأمور بأسمائها الخاصة فلم يرد بنفي الحزن، والبكاء، والجوع، والعطش، ونفـي الكبـد، والمعدة، والأمعاء، وإذا لم يرد بنفيها جاز أن تكون ثابتة في نفس الأمر، فلا يجوز نفيها بلا دليل.

وبهذا ينقطع النافي لهذه الصفات حيث اعتمد فيما ينفيه علىٰ مجرد نفي التشبيه، ويعلـم أنه لا يصح الاعتماد عليها، وإنما الاعتماد علىٰ ما دل عليه السمع والعقل مـن وصـف الله تعالىٰ بصفات الكمال علىٰ وجه لا نقص فيه، وعلىٰ هذا فكـل مـا ينـافي صـفات الكمـال الثابتة لله، فالله منزه عنه؛ لأن ثبوت أحد الضدين نفي للآخر ولما يستلزمه.

وبهذا يمكن دفع ما أثبته هذا المفتري لله تعـالىٰ مـن صـفات الـنقص فيقـال: الحـزن، والبكاء، والجوع، والعطش صفات نقص منافية لكماله فتكون منتفية عن الله، ويقال أيضًا:



الأكل، والشرب مستلزم للحاجة والحاجة نقص، وما استلزم النقص فهو نقص، ويقال أيضًا، الكبد، والمعدة، والأمعاء آلات الأكل والشرب، والمنزه عن الأكل والشرب منزه عن آلات ذلك.

وأما الفرح، والضحك، والغضب، ونحوها فهي صفات كمال لا نقص فيها فلا تنتفي عنه لكنها لا تماثل ما يتصف به المخلوق منها فإنه سبحانه لا كفء له، ولا سمي، ولا مثل، فلا يجوز أن تكون حقيقة ذاته كحقيقة شيء من ذوات المخلوقين، ولا حقيقة شيء من صفاته كحقيقة شيء من صفات المخلوقين؛ لأنه ليس من جنس المخلوقات، لا الملائكة، ولا الآدميين، ولا السَّمٰوات، ولا الكواكب، ولا الهواء، ولا الأرض وغير ذلك.

بل يعلم أن حقيقته علىٰ مماثلة شيء من الموجودات أبعد من سائر الحقائق، لأن الحقيقتين إذا تماثلتا جاز علىٰ الواحدة ما يجوز علىٰ الأخرىٰ، ووجب لها ما يجب للأخرىٰ، وامتنع عليها ما يمتنع علىٰ الأخرىٰ، فيلزم أن يجوز علىٰ الخالق الواجب بنفسه ما يجوز علىٰ المخلوق المحدث، وأن يثبت لهذا المخلوق ما يثبت للخالق فيكون الشيء الواجد واجبًا بنفسه غير واجب بنفسه، موجودًا معدومًا، وهذا جمع بين النقيضين.

## الأصل الثاني في القدر والشرع

**القدر**: تقدير الله تعالىٰ لما كان وما يكون أزلًا وأبدًا.

والإيمان بالقدر أحد أركان الإيمان السنة التي بينها رسول الله ﷺ لجبريل حين سأله عن الإيمان فقال: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**».

والإيمان بالقدر والشرع من تمام الإيمان بربوبية الله تعالىٰ.

**وللإيمان بالقدر مراتب أربع:**

**المرتبة الأولىٰ**: الإيمان بأن الله تعالىٰ قد علم بعلمه الأزلي الأبدي ما كان وما يكون من صغير وكبير، وظاهر وباطن مما يكون من أفعاله، أو أفعال مخلوقاته.

**المرتبة الثانية**: الإيمان بأن الله تعالىٰ كتب في اللوح المحفوظ مقادير كل شيء حتىٰ تقوم الساعة، فما من شيء كان أو يكون إلا وهو مكتوب مقدر قبل أن يكون.



ودليل هاتين المرتبتين في كتاب الله تعالىٰ، وفي سنة رسوله ﷺ:

**أما الكتاب**: فمنه قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠].

وقوله: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام].

**وأما السنة**: فمنها قوله ﷺ: «**كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفِ سَنَةٍ**» قال: «**وَعَرْشُهُ عَلَىٰ الْمَاءِ**». أخرجه مسلم في «صحيحه» عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

وروىٰ البخاري في صحيحه من حديث عمران بن حصين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَىٰ الْمَاءِ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ**».

وروىٰ الإمام أحمد والترمذي من حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمُ، فَقَالَ: اكْتُبْ، قَالَ: رَبِّ؛ وَمَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ تَقُومَ السَّاعَةُ**». وهو حديث حسن.

**المرتبة الثالثة**: الإيمان بمشيئة الله تعالىٰ وأنها عامة في كل شيء، فما وجد موجود، ولا عدم معدوم من صغير وكبير، وظاهر وباطن في السَّمٰوات والأرض إلا بمشيئة الله عَزَّ وَجَلَّ سواء كان ذلك من فعله تعالىٰ أم من فعل مخلوقاته.

**المرتبة الرابعة**: الإيمان بخلق الله تعالىٰ وأنه خالق كل شيء من صغير وكبير، وظاهر وباطن، وأن خلقه شامل لأعيان هذه المخلوقات وصفاتها وما يصدر عنها من أقوال، وأفعال، وآثار.

**ودليل هاتين المرتبتين قوله تعالىٰ**: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ﴾ [الزمر]. وقوله: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾ [الفرقان]. وقوله: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات].



ولم يخلق شيئًا إلا بمشيئته؛ لأنه تعالىٰ لا مكره له لكمال ملكه وتمام سلطانه.

قال الله تعالىٰ مبينًا أن فعله بمشيئته: ﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ [إبراهيم]. وقال: ﴿ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ﴾ [القصص: ٨٢].

وقال مبينًا أن فعل مخلوقاته بمشيئته: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير]. وقال: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾ [البقرة].

والقدر لا ينافي الأسباب القدرية أو الشرعية التي جعلها الله تعالىٰ أسبابًا، فإن الأسباب من قدر الله تعالىٰ، وربط المسببات بأسبابها هو مقتضىٰ الحكمة التي هي من أجل صفات الله عَزَّوَجَلَّ، والتي أثبتها الله لنفسه في مواضع كثيرة من كتابه.

**فمن الأسباب القدرية قوله تعالىٰ**: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾ إلىٰ قوله: ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الروم].

**ومن الأسباب الشرعية قوله تعالىٰ**: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة].

وكل فعل رتب الله عليه عقابًا أو ثوابًا فهو من الأسباب الشرعية باعتبار كونه مطلوبًا من العبد، ومن الأسباب القدرية باعتبار وقوعه بقضاء الله وقدره.

### والناس في الأسباب طرفان ووسط:

**فالطرف الأول**: نفاة أنكروا تأثير الأسباب وجعلوها مجرد علامات يحصل الشيء عندها لا بها، حتىٰ قالوا: إن انكسار الزجاجة بالحجر إذا رميتها به حصل عند الإصابة لا بها. وهؤلاء خالفوا السمع، وكابروا الحس، وأنكروا حكمة الله تعالىٰ في ربط المسببات بأسبابها.

**والطرف الثاني**: غلاة أثبتوا تأثير الأسباب، لكنهم غلوا في ذلك وجعلوها مؤثرة بذاتها،

وهؤلاء وقعوا في الشرك، حيث أثبتوا موجدًا مع الله تعالىٰ وخالفوا السمع والحس. فقد دل الكتاب والسنة وإجماع الأمة علىٰ أنه لا خالق إلا الله، كما أننا نعلم بالشاهد المحسوس أن الأسباب قد تتخلف عنها مسبباتها بإذن الله، كما في تخلف إحراق النار لإبراهيم الخليل حين ألقي فيها فقال الله تعالىٰ: ﴿يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ۝٦٩﴾ [الأنبياء]. فكانت بردًا وسلامًا عليه ولم يحترق بها.

**وأما الوسط**: فهم الذين هدوا إلىٰ الحق وتوسطوا بين الفريقين وأخذوا بما مع كل واحد منهما من الحق، فأثبتوا للأسباب تأثيرًا في مسبباتها لكن لا بذاتها، بل بما أودعه الله تعالىٰ فيها من القوىٰ الموجبة.

وهؤلاء هم الطائفة الوسط الذين وفقوا للصواب وجمعوا بين المنقول والمعقول، والمحسوس.

وإذا كان القدر لا ينافي الأسباب الكونية والشرعية فهو لا ينافي أن يكون للعبد إرادة وقدرة يكون بهما فعله، فهو مريد قادر فاعل لقوله تعالىٰ: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ﴾ [آل عمران:١٥٢]. وقوله: ﴿وَغَدَوۡاْ عَلَىٰ حَرۡدٖ قَٰدِرِينَ ۝٢٥﴾ [القلم]. وقوله: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَشَدَّ تَثۡبِيتٗا ۝٦٦﴾ [النساء:٦٦]. وقوله: ﴿مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ﴾ [فصلت:٤٦].

لكنه غير مستقل بإرادته وقدرته وفعله، كما لا تستقل الأسباب بالتأثير في مسبباتها لقوله تعالىٰ: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢٩﴾ [التكوير]. ولأن إرادته وقدرته وفعله من صفاته وهو مخلوق، فتكون هذه الصفات مخلوقة أيضًا، لأن الصفات تابعة للموصوف، فخالق الأعيان خالق لأوصافها.

**فإن قال قائل**: أفلا يصح علىٰ هذا التقرير أن يحتج بالقدر من خالف الشرع؟

**فالجواب**: أن الاحتجاج بالقدر علىٰ مخالفة الشرع لا يصح كما دل علىٰ ذلك الكتاب والسنة والنظر:

**أما الكتاب**: فمن أدلته قوله تعالىٰ: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ﴾ [الأنعام:١٤٨] فأبطل الله حجتهم هذه بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ﴾ [الأنعام:١٤٨].



**ومنها قوله:** ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾ [النساء:١٦٥].

فبين الله تعالىٰ أن الحجة قامت علىٰ الناس بإرسال الرسل، ولا حجة لهم علىٰ الله بعد ذلك، ولو كان القدر حجة ما انتفت بإرسال الرسل.

**وأما السنة**: فمن أدلتها ما ثبت في الصحيحين عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ وَمَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ**». قالوا: يا رسول الله أفلا نتكل علىٰ كتابنا وندع العمل؟ قال: «**اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ، أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ**»، ثُمَّ قَرَأَ: «﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾[اللَّيل]».

**وأما النظر: فمن أدلته:**

١- أن تارك الواجب وفاعل المحرم يقدم علىٰ ذلك باختياره لا يشعر أن أحدًا أكرهه عليه، ولا يعلم أن ذلك مقدر؛ لأن القدر سر مكتوم فلا يعلم أحد أن شيئًا ما قدره الله تعالىٰ إلا بعد وقوعه.

فكيف يصح أن يحتج بحجة لا يعلمها قبل إقدامه علىٰ ما اعتذر بها عنه؟

ولماذا لم يقدر أن الله تعالىٰ كتبه من أهل السعادة، فيعمل بعملهم، دون أن يقدر أن الله كتبه من أهل الشقاوة، ويعمل بعملهم؟

٢- أن إقحام النفس في مآثم ترك الواجب وفعل المحرم ظلم لها وعدوان عليها، كما قال الله تعالىٰ عن المكذبين للرسل: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْۖ﴾ [هود:١٠١]. ولو أن أحدًا ظلم المحتج بالقدر علىٰ مخالفته، ثم قال له: ظلمي إياك كان بقدر الله. لم يقبل منه هذه الحجة، فكيف لا يقبل هذه الحجة بظلم غيره له، ثم يحتج بها بظلمه هو لنفسه؟

٣- أن هذا المحتج لو خير في السفر بين بلدين أحدهما: بلد آمن مطمئن فيه أنواع المآكل، والمشارب، والتنعم، والثاني: بلد خائف قلق، فيه أنواع البؤس، والشقاء، لاختار السفر إلىٰ البلد الأول ولا يمكن أن يختار الثاني محتجًا بالقدر، فلماذا يختار الأفضل في



مقر الدنيا، ولا يختاره في مقر الآخرة؟

**فإن قال قائل**: ما الجواب عن قوله تعالىٰ لرسوله ﷺ: ﴿ٱتَّبِعۡ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٦ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكُواْۗ﴾ [الأنعام]. فأخبر أن شركهم واقع بمشيئة الله تعالىٰ؟

**قيل له: الجواب عنه**: أن الله تعالىٰ أخبر أن شركهم واقع بمشيئته تسلية لرسوله ﷺ لا دفاعًا عنهم، وإقامة للعذر لهم، بخلاف احتجاج المشركين علىٰ شركهم بمشيئة الله، فإنما قصدوا به دفع اللوم عنهم وإقامة العذر علىٰ استمرارهم علىٰ الشرك؛ ولهذا أبطل الله احتجاجهم ولم يبطل أن شركهم واقع بمشيئته.

**فإن قال قائل**: ما الجواب عما ثبت في الصحيحين وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَىٰ**»، وفي لفظ: «**تَحَاجَّ آدَمُ وَمُوسَىٰ، فَقَالَ مُوسَىٰ: يَا آدَمُ! أَنْتَ أَبُونَا، خَيَّبْتَنَا، وَأَخْرَجْتَنَا مِنَ الْجَنَّةِ، فَقَالَ لَهُ آدَمُ: أَنْتَ مُوسَىٰ، اصْطَفَاكَ اللهُ بِكَلَامِهِ، وَخَطَّ لَكَ التَّوْرَاةَ بِيَدِهِ، أَتَلُومُنِي عَلَىٰ أَمْرٍ قَدَّرَهُ اللهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟ فَحَجَّ آدَمُ مُوسَىٰ، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَىٰ، ثَلَاثًا**». وعند أحمد: «**فَحَجَّهُ آدَمُ**». أي غلبه في الحجة.

**قيل له: الجواب من وجهين**:

**أحدهما**: أن احتجاج آدم بالقدر كان علىٰ المصيبة التي حصلت عليه وهي إخراجه وزوجه من الجنة، فإن موسىٰ عليه الصلاة والسلام لم يكن ليعتب علىٰ آدم في معصية تاب منها إلىٰ الله تعالىٰ فاجتباه ربه وتاب عليه وهدىٰ، فإن هذا بعيد جدًّا أن يقع من موسىٰ عليه الصلاة والسلام وهو أجل قدرًا من أن يلوم أباه ويعتب عليه في هذا، وإنما عنىٰ بذلك المصيبة التي حصلت لآدم وبنيه وهي الإخراج من الجنة الذي قدره الله عليه بسبب المعصية، فاحتج آدم علىٰ ذلك بالقدر من باب الاحتجاج بالقدر علىٰ المصائب، لا علىٰ المعايب فهو كقوله ﷺ: «**احْرِصْ عَلَىٰ مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللهُ وَمَا شَاءَ اللهُ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ**». رواه مسلم.

فقد أرشد النبي ﷺ إلىٰ تفويض الأمر إلىٰ قدر الله بعد فعل الأسباب التي يحصل بها المطلوب ثم يتخلف.



ونظير هذا أن يسافر شخص فيصاب بحادث في سفره فيقال له: لماذا تسافر؟ فيقول: هذا أمر مقدر والمقدر لا مفر منه، فإنه لا يحتج هنا بالقدر علىٰ السفر لأنه يعلم أنه لا مكره له وأنه لم يسافر ليصيبه الحادث، وإنما يحتج بالقدر علىٰ المصيبة التي ارتبطت به.

وهذا هو الوجه الذي اختاره الشيخ المؤلف في هذه العقيدة.

**الوجه الثاني**: أن الاحتجاج بالقدر علىٰ ترك الواجب، أو فعل المحرم بعد التوبة جائز مقبول، لأن الأثر المترتب علىٰ ذلك قد زال بالتوبة فانمحىٰ به توجه اللوم علىٰ المخالفة، فلم يبق إلا محض القدر الذي احتج به لا ليستمر علىٰ ترك الواجب، أو فعل المحظور، ولكن تفويضًا إلىٰ قدر الله تعالىٰ الذي لابد من وقوعه.

وقد أشار إلىٰ هذا ابن القيم في شفاء العليل وقال إنه لم يدفع بالقدر حقًّا ولا ذكره حجة له علىٰ باطل ولا محذور في الاحتجاج به، وأما الموضوع الذي يضر الاحتجاج به ففي الحال والمستقبل بأن يرتكب فعلًا محرمًا، أو يترك واجبًا فيلومه عليه لائم فيحتج بالقدر علىٰ إقامته عليه وإصراره، فيبطل بالاحتجاج به حقًّا ويرتكب باطلًا، كما احتج به المصرون علىٰ شركهم وعبادتهم غير الله فقالوا: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأنعام:١٤٨]. ﴿لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم﴾ [الزخرف:٢٠]. فاحتجوا به مصوبين لما هم عليه وأنهم لم يندموا علىٰ فعله ولم يعزموا علىٰ تركه ولم يقروا بفساده، فهذا ضد احتجاج من تبين له خطأ نفسه، وندم وعزم كل العز علىٰ ألا يعود ... ونكتة المسألة: أن اللوم إذا ارتفع صح الاحتجاج بالقدر، وإذا كان اللوم واقعًا فالاحتجاج بالقدر باطل، ثم ذكر حديث علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ حين طرقه النبي ﷺ وفاطمة ليلًا فقال: «ألا تصليان». الحديث. وأجاب عنه بأن احتجاج علي صحيح، ولذلك لم ينكر عليه النبي ﷺ وصاحبه يعذر فيه؛ فالنائم غير مفرط، واحتجاج غير المفرط بالقدر صحيح.

## فصلٌ: في ضرورة الإيمان بالقدر والشرع

لابد للإنسان من الإيمان بالقدر لأنه أحد أركان الإيمان الستة، ولأنه من تمام توحيد الربوبية، ولأن به تحقيق التوكل علىٰ الله تعالىٰ وتفويض الأمر إليه مع القيام بالأسباب الصحيحة النافعة، ولأن به اطمئنان الإنسان في



حياته حيث يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، ولأن به ينتفي الإعجاب بالنفس عند حصول المراد، لأنه يعلم أن حصوله بقدر الله، وأن عمله الذي حصل به مراده ليس إلا مجرد سبب يسره الله له، ولأن به يزول القلق والضجر عند فوات المراد أو حصول المكروه، لأنه يعلم أن الأمر كله لله فيرضىٰ ويسلم. وإلىٰ هذين الأمرين يشير قوله تعالىٰ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الحديد].

ولابد للإنسان أيضًا من الإيمان بالشرع وهو ما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام من أمر الله ونهيه، وما يترتب عليهما من الجزاء ثوابًا أو عقابًا، فيقوم بما يلزمه نحو الأمر والنهي، ويؤمن بما يترتب عليهما من الجزاء.

وذلك لأن الإنسان مريد فلابد له من فعل يدرك به ما يريد، ويدفع به ما لا يريد، ولابد له من ضابط يضبط تصرفه لئلا يقع فيما يضره، أو يفوته ما ينفعه من حيث لا يشعر.

والشرع الإلهي الذي جاءت به الرسل هو الذي يضبط ذلك، ويصدر الحكم به، ويكون به التمييز بين النافع والضار، والصالح والفاسد، لأنه من عند الله العليم، الرحيم، الحكيم.

والعقول وإن كانت تدرك النافع والضار في الجملة، لكن تفصيل ذلك والإحاطة به إحاطة تامة إنما يكون من جهة الشرع.

ولهذا نقول: النفع أو الضرر قد يكون معلومًا بالفطرة، وقد يكون معلومًا بالعقل، وقد يكون معلومًا بالتجارب، وقد يكون معلومًا بالشرع. فالشرع يأتي مؤيدًا لما شهدت به الفطرة والعقل والتجارب، وهذه تأتي شاهدة لما جاء به الشرع.

وفي هذا المقام اختلف الناس في الأعمال هل يعرف حسنها وقبحها بالشرع أو بالعقل والتحقيق: أن ذلك يعرف تارة بالشرع، وتارة بالعقل، وتارة بهما، لكن علم ذلك علىٰ وجه الشمول والتفصيل وعلم غايات الأعمال في الآخرة من سعادة، وشقاء ونحو ذلك لا يعلم إلا بالشرع.



## فصلٌ



إذا تبين أنه لابد للإنسان من الإيمان بالقدر والإيمان بالشرع، فاعلم أن الناس انقسموا في ذلك إلىٰ قسمين:

**القسم الأول**: أهل الهدىٰ والفلاح الذين آمنوا بقضاء الله وقدره علىٰ ما سبق بيانه من المراتب الأربع، وآمنوا أيضًا بشرعه فقاموا بأمره ونهيه وآمنوا بما ترتب علىٰ ذلك من جزاء، ولم يحتجوا بقدره علىٰ شرعه، أو بشرعه علىٰ قدره، ولم يجعلوا ذلك تناقضًا من الخالق، وهؤلاء هم أهل الحق الذين حققوا مقام ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة] المؤمنين بمقتضىٰ قوله تعالىٰ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [لأعراف:٥٤].

**القسم الثاني**: أهل الضلال والهلاك المخالفون للجماعة، وهم ثلاث فرق: مجوسية ... ومشركية ... وإبليسية.

**فالمجوسية هم**: القدرية الذين آمنوا بشرع الله، وكذبوا بقدره. فغلاتهم أنكروا عموم علم الله تعالىٰ وقالوا: إن الله تعالىٰ لم يقدر أعمال العباد ولا علم له بها قبل وقوعها، ومقتصدوهم آمنوا بعلم الله بها قبل وقوعها. وأنكروا أن تكون واقعة بقدر الله تعالىٰ وأن تكون مخلوقة له.

وهؤلاء هم المعتزلة ومن وافقهم. ومذهبهم باطل بما سبق في أدلة مراتب القدر.

**والمشركية هم**: الذين أقروا بقدر الله واحتجوا به علىٰ شرعه كما قال الله تعالىٰ عنهم: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأْسَنَاۗ﴾ [الأنعام:١٤٨].

والإبليسية هم: الذين أقروا بالأمرين بالقدر وبالشرع لكن جعلوا ذلك تناقضًا من الله عَزَّوَجَلَّ، وطعنوا في حكمته تعالىٰ، وقالوا: كيف يأمر العباد وينهاهم، وقد قدر عليهم ما قد يكون مخالفًا لما أمرهم به ونهاهم عنه؟ فهل هذا إلا التناقض المحض والتصرف المنافي للحكمة؟

وهؤلاء أتباع إبليس فقد احتج علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ حين أمره أن يسجد لآدم فقال إبليس: ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ۝١٢﴾ [الأعراف:١٢].

والرد علىٰ هاتين الفرقتين معلوم من الرد علىٰ المحتجين بالقدر علىٰ معصية الله تعالىٰ.



## فصلٌ

وأما الشرع فهو ما جاءت به الرسل من عبادة الله تعالىٰ التي من أجلها خلق الله الجن والإنس لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات]. وذلك هو الإسلام الذي لا يقبل الله من أحد دينًا سواه لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥] فالإسلام هو الاستسلام لله وحده بالطاعة فعلًا للمأمور وتركًا للمحظور في كل زمان ومكان كانت الشريعة فيه قائمة.

وهذا هو الإسلام بالمعنىٰ العام.

وعلىٰ هذا يكون أصحاب الملل السابقة مسلمين حين كانت شرائعهم قائمة لم تنسخ كما قال الله تعالىٰ عن نوح وهو يخاطب قومه: ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝٧٢﴾ [يونس] وقال عن إبراهيم: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝٦٧﴾ [آل عمران] وقال أيضًا: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٣١ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِۦمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝١٣٢﴾ [البقرة] وقال عن موسىٰ في مخاطبته قومه: ﴿يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ۝٨٤﴾ [يونس] وقال عن التوراة: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ﴾ [المائدة:٤٤] . وقال عن الحواريين أتباع عيسىٰ: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّۦنَ أَنْ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ۝١١١﴾ [المائدة:١١١]. وقال عن ملكة سبأ: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٤٤﴾ [النمل].

وأما الإسلام بالمعنىٰ الخاص فيختص بشريعة محمد ﷺ، قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝١٦٣﴾ [الأنعام]. وقال في أمته: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾ [الحج: ٧٨].

فلا إسلام بعد بعثته إلا باتباعه، لأن دينه مهيمن علىٰ الأديان كلها ظاهر عليها، وشريعته ناسخة للشرائع السابقة كلها.



قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝٨١﴾ [آل عمران]. والذي جاء مصدقًا لما مع الرسل قبله هو محمد ﷺ كما قال تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ﴾ [المائدة:٤٨]. وقال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [التوبة:٣٣]. وهذا يعم الظهور قدرًا وشرعًا.

فمن بلغته رسالة النبي ﷺ فلم يؤمن به ويتبعه لم يكن مؤمنًا ولا مسلمًا؛ بل هو كافر من أهل النار؛ لقول النبي ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ؛ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ**» يعني أمة الدعوة «**يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ؛ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**». أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وبهذا يعلم أن النزاع فيمن سبق من الأمم هل هم مسلمون أو غير مسلمين؟ نزاع لفظي، وذلك لأن الإسلام بالمعنىٰ العام يتناول كل شريعة قائمة بعث الله بها نبيًا فيشمل إسلام كل أمة متبعة لنبي من الأنبياء ما دامت شريعته قائمة غير منسوخة بالاتفاق كما دلت علىٰ ذلك النصوص السابقة، وأما بعد بعثة النبي محمد ﷺ فإن الإسلام يختص بما جاء به، فمن لم يؤمن به ويتبعه فليس بمسلم ومن زعم أن مع دين محمد ﷺ دينًا سواه قائمًا مقبولًا عند الله تعالىٰ من دين اليهود، أو النصارىٰ، أو غيرهما فهو مكذب؛ لقول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ [آل عمران:١٩] وقوله: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ۝٨٥﴾ [آل عمران].

وإذا كان الإسلام اتباع الشريعة القائمة؛ فإنه إذا نسخ شيء منها لم يكن المنسوخ دينًا بعد نسخه ولا اتباعه إسلامًا فاستقبال بيت المقدس –مثلًا– كان دينًا وإسلامًا قبل نسخه، ولم يكن دينًا ولا إسلامًا بعده. وزيارة القبور لم تكن دينًا ولا إسلامًا حين النهي عنها، وكانت دينًا وإسلامًا بعد الأمر بها.



## فصلٌ



مبنىٰ الإسلام علىٰ توحيد الله عَزَّوَجَلَّ، قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾﴾ [الأنبياء]. ولابد في التوحيد من الجمع بين النفي والإثبات، لأن النفي وحده تعطيل، والإثبات وحده لا يمنع المشاركة، فلا توحيد إلا بنفي وإثبات.

وقد قسمه العلماء – بالتتبع والاستقراء إلىٰ ثلاثة أقسام: توحيد الربوبية توحيد الألوهية توحيد الأسماء والصفات.

وقد جمع الله هذه الأقسام في قوله تعالىٰ: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم].

فأما توحيد الربوبية: فهو إفراد الله تعالىٰ بالخلق، والملك، والتدبير:

ومن أدلته قوله تعالىٰ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف]. وقوله: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ﴾ [آل عمران:١٨٩]. وقوله: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ﴾ [سبأ:٢٢].

وهذا قد أقر به المشركون الذين بعث فيهم رسول الله ﷺ كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ﴾ [الزخرف: ٨٧]. ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ﴾ [لقمان:٢٥]. وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ﴾ [يونس:٣١]. وقال تعالىٰ: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ﴾ إلىٰ قوله: ﴿بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [المؤمنون].

ولم يكن أحد من هؤلاء المشركين ولا غيرهم ممن يقر بالخالق يعتقد أن أحدًا من الخلق شارك الله تعالىٰ في خلق السَّمٰوات والأرض أو غيرهما، ولا أن للعالم صانعين متكافئين في الصفات والأفعال، ولم ينقل أرباب المقالات الذين جمعوا ما قبل في الملل والنحل والآراء والديانات عن أحد من الناس أنه قال بذلك.



وغاية ما نقلوا قول الثنوية القائلين بالأصلين: النور، والظلمة، وأن النور خلق الخير، والظلمة خلقت الشر، لكنهم لا يقولون بتساويهما وتكافئهما:

فالنور مضيء موافق للفطرة، بخلاف الظلمة.

والنور قديم، ولهم في الظلمة قولان: أحدهما: أنها محدثة مخلوقة للنور، فيكون النور أكمل منها. الثاني: أنها قديمة لكنها لا تخلق إلا الشر.

فصارت الظلمة ناقصة عن النور في مفعولاتها، كما أنها ناقصة عنه في وجودها وصفاتها.

وأما قول فرعون لقومه حين جمعهم فنادىٰ: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [النازعات]. وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾ [القصص:٣٨]؛ فمكابرة لم يصدر عن عقيدة، بل كان يعتقد في قرارة نفسه أن الله هو رب السَّمٰوات والأرض، ولهذا لم يكذب موسىٰ حين قال له: ﴿لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرۡعَوۡنُ مَثۡبُورٗا ﴿١٠٢﴾﴾ [الإسراء:١٠٢]. واقرأ قوله تعالىٰ عن فرعون وقومه: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾ [النمل].

وأما قول من قال من الناس: إن بعض الحوادث مخلوقة لغير الله كالقدرية الذين يقولون إن العباد خلقوا أفعالهم، فإنهم يقرون بأن العباد مخلوقون والله تعالىٰ هو خالقهم وخالق قدرتهم.

وكذلك أهل الفلسفة والطبع والنجوم الذين يجعلون بعض المخلوقات مبدعة لبعض الأمور يعتقدون أن هذه الفاعلات مخلوقة حادثة.

وبهذا يتقرر أنه لم يكن أحد من الناس يدعي أن للعالم صانعين متكافئين.



## فصلٌ

وأما توحيد الألوهية فهو: إفراد الله تعالىٰ بالعبادة بأن يعبد وحده ولا يعبد غيره من ملك، أو رسول، أو نبي، أو ولي، أو شجر، أو حجر، أو شمس، أو قمر، أو غير ذلك كائنًا من كان.

ومن أدلته قوله تعالىٰ: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [النساء:٣٦]. وقوله: ﴿وَمَآ



أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء].
وقوله: ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة]. وقوله: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران].

وهذا النوع قد أنكره المشركون الذين بعث فيهم رسول الله ﷺ كما قال الله تعالىٰ عنهم: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ ﴿٣٦﴾﴾ [الصافات]. وقال تعالىٰ: ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ﴿٦﴾﴾ [صٓ].

ومن أجل إنكارهم إياه قاتلهم النبي ﷺ واستباح دماءهم وأموالهم وسبي نسائهم وذرياتهم بإذن الله تعالىٰ وأمره، ولم يكن إقرارهم بتوحيد الربوبية مخرجًا لهم عن الشرك، ولا عاصمًا لدمائهم وأموالهم.

وتحقيق هذا النوع أن يعبد الله وحده لا شريك له بشرعه الذي جاءت به رسله كما قال الله تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف]. فمن لم يعبد الله تعالىٰ فهو مستكبر غير موحد، ومن عبده وعبد غيره فهو مشرك غير موحد، ومن عبده بما لم يشرعه فهو مبتدع ناقص التوحيد حيث جعل لله تعالىٰ شريكًا في التشريع.

**والعبادة تطلق علىٰ معنيين:**

**أحدهما**: التعبد، وهو فعل العابد فتكون بمعنىٰ التذلل للمعبود حبًّا وتعظيمًا. وهذان – أعني الحب والتعظيم – أساس العبادة؛ فبالحب يكون طلب الوصول إلىٰ مرضاة المعبود بفعل ما أمر به، وبالتعظيم يكون الهرب من أسباب غضبه بترك ما نهىٰ عنه.

**الثاني**: المتعبد به، فتكون اسمًا جامعًا لكل ما يتعبد بـه لله تعالىٰ كالطهارة، والصلاة، والصدقة، والصوم، والحج وبر الوالدين وصلة الأرحام ... وغير ذلك من أنواع العبادة.

**وللعبادة شرطان:**

**أحدهما**: الإخلاص لله ﷻ بألا يريد بها سوىٰ وجه الله والوصول إلىٰ دار كرامته،



وهذا من تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله.

**الثاني**: المتابعة لرسول الله صلىٰ الله بألا يتعبد لله تعالىٰ بغير ما شرعه، وهذا من تحقيق شهادة أن محمدًا رسول الله.

فالمشرك في العبادة لا تقبل عبادته، ولا تصح لفقد الشرط الأول.

والمبتدع فيها لا تقبل ولا تصح لفقد الشرط الثاني.

وقد دل علىٰ هذين الشرطين كتاب الله تعالىٰ وسنة رسوله ﷺ:

فمن أدلة اشتراط الإخلاص من كتاب الله: قوله تعالىٰ: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾ [الزمر]. وقوله: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة:٥]. وقوله: ﴿وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝٨٨﴾ [الأنعام]... إلىٰ غير ذلك من الآيات الكثيرة المتنوعة الدلالة.

ومن أدلته من السنة: ما أخرجه البخاري ومسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ؛ إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَىٰ، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَىٰ اللهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَىٰ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ هَاجَرَ إِلَىٰ دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَىٰ مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ**». هذا أحد ألفاظ البخاري.

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: أَنَا أَغْنَىٰ الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**».

ومن أدلة اشتراط المتابعة لرسول الله ﷺ من كتاب الله تعالىٰ: قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ [الأنعام:١٥٣] وقوله: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ۝٨٥﴾ [آل عمران]. وقوله في وصف النبي ﷺ: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝١٥٧﴾ [الأعراف]... إلىٰ غير ذلك من الآيات الكثيرة المتنوعة الدلالة.

ومن أدلته من السنة: ما أخرجه البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**». أي: مردود.

وفي «صحيح مسلم» عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان يقول إذا خطب الناس



يوم الجمعة: «أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ». وصح عنه ﷺ أنه قال: «إِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَىٰ اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ». رواه أحمد وأبو داود.

ولا تتحقق المتابعة إلا بموافقة العبادة للشرع في سببها، وجنسها، وقدرها، وكيفيتها، وزمانها، ومكانها.

**والعبادة أنواع كثيرة:**

فمنها الصلاة والذبح، لقوله تعالىٰ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾ [الكوثر]. وقوله: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝١٦٣﴾ [الأنعام]. فمن صلىٰ لغير الله فهو مشرك، ومن ذبح لغير الله تقربًا وتعظيمًا فهو مشرك.

ومنها التوكل لقوله تعالىٰ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٢٣﴾ [المائدة]. وقوله: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ﴾ [هود:١٢٣].

ولهذا لما كان التوكل خاصًّا به كان وحده هو الحسب كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ﴾ [الطلاق:٣].

فأما قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٦٤﴾ [الأنفال]. فمعناه أن الله هو حسبك وحسب من اتبعك من المؤمنين فقوله: ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ﴾ معطوف علىٰ الكاف في قوله: ﴿حَسْبُكَ﴾ وليس معطوفًا علىٰ ﴿ٱللَّهُ﴾ كما ظنه بعض الغالطين، فإن هذا يفسد به المعنىٰ إذ يكون المعنىٰ علىٰ هذا التقدير: أن الله والمؤمنين حسب النبي ﷺ وهذا باطل، فإن مقام النبي ﷺ أعلىٰ وأقوىٰ من مقام من اتبعه، فكيف يكون الأدنىٰ حسبًا للأعلىٰ والأقوىٰ؟

ومنها الخشية والخوف تعبدًا وتقربًا لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١٧٥﴾ [آل عمران]. وقوله: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ﴾ [المائدة:٣]. وقوله: ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١٣﴾



[التوبة] وقوله: ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ۝٤٠﴾ [البقرة]. فجعل الرهبة له وحده كما جعل العبادة له وحده في قوله: ﴿فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ۝٥٦﴾ [العنكبوت].

ومنها التقوىٰ تعبدًا وتقربًا لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ۝٤١﴾ [البقرة]. وقوله: ﴿أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ۝٥٢﴾ [النحل]. وقوله: ﴿أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ۝٥٢﴾ [النحل] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ۝٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ۝٧١﴾ [الأحزاب].

## فصلٌ

**وأما توحيد الأسماء والصفات**: فهو إفراد الله تعالىٰ بأسمائه وصفاته وذلك بإثبات ما أثبته الله لنفسه من الأسماء والصفات في كتابه أو علىٰ لسان رسوله ﷺ من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

فلا يجوز نفي شيء مما سمىٰ الله به نفسه، أو وصف به نفسه لقوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝١٨٠﴾ [الأعراف]. ولأن ذلك تعطيل يستلزم تحريف النصوص أو تكذيبها مع وصف الله تعالىٰ بالنقائص والعيوب.

ولا يجوز تسمية الله تعالىٰ أو وصفه بما لم يأت في الكتاب والسنة؛ لأن ذلك قول علىٰ الله تعالىٰ بلا علم وقد قال الله تعالىٰ: ﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ۝٣٣﴾ [الأعراف:٣٣]. وقال: ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ۝٣٦﴾ [الإسراء].

ولا يجوز إثبات اسم أو صفة لله تعالىٰ مع التمثيل لقوله تعالىٰ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورىٰ]. وقوله: ﴿فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ۝٧٤﴾ [النحل:٧٤]. ولأن ذلك إشراك بالله تعالىٰ يستلزم تحريف النصوص أو تكذيبها مع تنقص الله تعالىٰ بتمثيله بالمخلوق الناقص.

ولا يجوز إثبات اسم أو صفة لله تعالىٰ مع التكييف؛ لأن ذلك قول علىٰ الله تعالىٰ بلا



علم، يستلزم الفوضىٰ والتخبط في صفات الله تعالىٰ إذ كل واحد يتخيل كيفية معينة غير ما تخيله الآخر، ولأن ذلك محاولة لإدراك مالا يمكن إدراكه بالعقول، فإنك مهما قدرت من كيفية فالله أعلىٰ وأعظم.

وهذا النوع من التوحيد هو الذي كثر فيه الخوض بين **أهل القبلة فانقسموا في النصوص الواردة فيه إلىٰ ستة أقسام:**

**القسم الأول**: من أجروها علىٰ ظاهرها اللائق بالله تعالىٰ من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، وهؤلاء هم السلف، وهذا هو الصواب المقطوع به لدلالة الكتاب، والسنة، والعقل، والإجماع السابق عليه دلالة قطعية أو ظنية.

**القسم الثاني**: من أجروها علىٰ ظاهرها لكن جعلوها من جنس صفات المخلوقين. وهؤلاء هم الممثلة، ومذهبهم باطل بالكتاب، والسنة والعقل، وإنكار السلف.

**القسم الثالث**: من أجروها علىٰ خلال ظاهرها، وعينوا لها معاني بعقولهم، وحرفوا من أجلها النصوص. وهؤلاء هم أهل التعطيل فمنهم من عطل تعطيلًا كبيرًا كالجهمية والمعتزلة ونحوهم، ومنهم من عطل دون ذلك كالأشاعرة.

**القسم الرابع**: من قالوا: الله أعلم بما أراد بها، فوضوا علم معانيها إلىٰ الله وحده. وهؤلاء هم أهل التجهيل المفوضة، وتناقض بعضهم فقال: الله أعلم بما أراد، لكنه لم يرد إثبات صفة خارجية له تعالىٰ.

**القسم الخامس**: من قالوا: يجوز أن يكون المراد بهذه النصوص إثبات صفة تليق بالله تعالىٰ وألا يكون المراد ذلك. وهؤلاء كثير من الفقهاء وغيرهم.

**القسم السادس**: من أعرضوا بقلوبهم وأمسكوا بألسنتهم عن هذا كله واقتصروا علىٰ قراءة النصوص ولم يقولوا فيها بشيء.

وهذه الأقسام سوىٰ الأولىٰ باطلة كما قد تبين في غير هذا الموضع.



## فصلٌ

وبهذا التقرير عن أقسام التوحيد يتبين غلط عامة المتكلمين في مسمىٰ التوحيد حيث جعلوه ثلاثة أنواع:



**الأول**: أن الله واحد في ذاته لا قسيم له، أو لا جزء له، أو لا بعض له.

**الثاني**: أنه واحد في صفاته لا شبيه له.

**الثالث**: أنه واحد في أفعاله لا شريك له.

**وبيان غلطهم في وجوه:**

**أحدها**: أنهم لم يدخلوا فيه توحيد الألوهية، وهو أن الله تعالىٰ واحد في ألوهيته لا شريك له فيفرد وحده بالعبادة.

مع أن هذا النوع من التوحيد هو الذي من أجله خلق الجن والإنس؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات].

ومن أجله أرسلت الرسل وأنزلت الكتب لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ۝٢٥﴾ [الأنبياء]. وقوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦]. وقد قام الرسل عليهم الصلاة والسلام بذلك يدعون قومهم ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف: ٨٩]. أي: ما لكم من معبود حق غير الله، فجميع الآلهة سواه باطلة كما قال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ۝٣٠﴾ [لقمان].

ومن أجله قامت المعارك الكلامية والقتالية بين الرسل وأقوامهم المكذبين لهم كما قال الله تعالىٰ عن قوم نوح: ﴿قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٣٢﴾ [هود]. وقال عن قوم هود: ﴿قَالُوا۟ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ۝٥٣ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۝٥٤ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ۝٥٥﴾ [هود]. وقال في إبراهيم وقومه: ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ۝٦٦ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝٦٧ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ۝٦٨ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ۝٦٩﴾ [الأنبياء]. وقال عن المكذبين لمحمد ﷺ: ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾ [الأنبياء:٣٦] وقال: ﴿وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ



مِّنْهُمْۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ۝٤ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٥ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُواْ وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ۝٦﴾ [ص]. وقال في أعدائه: ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ ۝٢﴾ [الممتحنة].

والمهم أن هذا التوحيد الذي هذا شأنه قد أغفله عامة المتكلمين الذين يتكلمون في أنواع التوحيد، وهو أحد وجوه غلطهم في مسمىٰ التوحيد.

**الوجه الثاني**: قولهم: «إن الله واحد في ذاته لا قسيم له ...» الخ فيه إجمال:

فإن أرادوا به أن الله تعال لا يتجزأ ولا يتفرق ولا يكون مركبًا من أجزاء فهذا حق، فإن الله تعالىٰ أحد صمد، لم يلد ولم يكن له كفوًا أحد.

وإن أرادوا به مع ذلك نفي ما وصف به نفسه كعلوه واستوائه علىٰ عرشه، ووجهه، ويديه ونحو ذلك – وهذا مرادهم – فهو باطل، لأن الله تعالىٰ قد أثبت لنفسه من صفات الكمال من هذا وغيره ما هو أهل له. وتوحيده فيها إثباتها له علىٰ الوجه اللائق به بدون تمثيل لا أن تنفىٰ عنه بنوع من التحريف والتعطيل.

**الوجه الثالث**: قولهم: «واحد في صفاته لا شبيه له» فيه إجمال:

فإن أرادوا به إثبات صفات الله تعالىٰ علىٰ الوجه اللائق به من غير أن يماثله أحد فيما يختص به فهذا حق، وهو مذهب السلف لكن عامة المتكلمين لا يريدون ذلك.

وإن أرادوا به نفي أن يكون شيء من المخلوقات مماثلًا له من كل وجه، لهذا لغو لا حاجة إليه فهو كقول القائل: السماء فوقنا والأرض تحتنا، لأن مماثلة الخالق للمخلوق من كل وجه معلوم الانتفاء، - بل الامتناع – بضرورة العقل، والسمع، وإجماع العقلاء؛ ولهذا لم يثبت أحد من الأمم أحدًا مماثلًا لله تعالىٰ من كل وجه، وغاية من شبه به شيئًا أن يشبهه به في بعض الأمور.

وإن أرادوا به نفي أن يكون بين صفات الخالق والمخلوق قدر مشترك مع تميز كل منهما بما يختص به – وهذا مرادهم – فهو باطل، لأنه قد علم بضرورة العقل أن كل موجودين قائمين بأنفسهما لابد من قدر مشترك بينهما مع تميز كل واحد منهما بما يختص به، كاتفاقهما في مسمىٰ الوجود والذات والقيام بالنفس ... ونحو ذلك، ونفي هذا القدر



تعطيل محض.

والقول بهذا المراد لا يمنع نفي ما يجب لله تعالىٰ من صفات الكمال عند من يرىٰ أن إثبات ذلك يستلزم التشبيه، فقد سبق أن أهل التعطيل من الجهمية والمعتزلة وغيرهم أدخلوا نفي الصفات في مسمىٰ التوحيد وقالوا: من أثبت لله علمًا أو قدرة ونحو ذلك فهو مشبه غير موحد، وزاد عليهم غلاة الفلاسفة والقرامطة فأدخلوا فيه نفي الأسماء وقالوا: من قال إن الله عليم قدير ... ونحو ذلك فهو مشبه غير موحد، وزاد عليهم غلاة الغلاة فقالوا: إن الله لا يوصف بما يتضمن إثباتًا أو نفيًا، فمن نفىٰ عنه صفة، أو أثبت له صفة فهو مشبه غير موحد!

وقد سبق الرد علىٰ هؤلاء الطوائف في أول الرسالة ولله الحمد.

**الوجه الرابع**: قولهم: «واجد في أفعاله لا شريك له» وهذا أشهر أنواع التوحيد عندهم، ويعنون به أن خالق العالم واحد، ويظنون أن هذا هو التوحيد المطلوب وأن هذا معنىٰ «لا إله إلا الله» فيجعلون معناها: لا قار علىٰ الاختراع إلا الله.

**ومعلوم أن هذا خطأ من وجهين:**

**الأول**: أن هذا الذي قرروه قد أقر به المشركون الذين قاتلهم النبي ﷺ فإنهم لم يجعلوا لله شريكًا في أفعاله كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝٦١﴾ [العنكبوت]. ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]. ومع هذا لم يكونوا موحدين، بل هم مشركون بدلالة الكتاب والسنة والإجماع المعلوم بالضرورة من دين الإسلام لكونهم أنكروا توحيد الألوهية وقالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ [صّ] ولهذا قاتلهم النبي ﷺ مستبيحًا دماءهم وأموالهم، وسبىٰ ذراريهم ونساءهم.

**الثاني**: أن تفسيرهم «لا إله إلا الله» بهذا التفسير الذي ذكروه أي أنه لا قادر علىٰ الاختراع إلا الله، يقتضي أن من أقر بأن الله وحده هو القادر علىٰ الاختراع دون غيره فقد شهد أن لا إله إلا الله وعصم دمه وماله.

ومعلوم أن تفسيرها بهذا المعنىٰ باطل مخالف لما عرفه المسلمون منها فإن تفسيرها الصحيح: أن لا معبود حق إلا الله، هذا هو الذي يعرفه المسلمون من معناها، بل



والمشركون، ألا ترىٰ إلىٰ قول الله تعالىٰ فيهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾﴾ [الصافات]. وكانوا لا يستكبرون عن الإقرار بقلوبهم وألسنتهم بأن الله هو الخالق وحده، ولا يدعون أن آلهتهم تخلق شيئًا، فتبين بذلك أن المشركين أعلم وأفقه بمعنىٰ لا إله إلا الله من هؤلاء المتكلمين، وأن غاية ما يقرره هؤلاء المتكلمون من التوحيد توحيد الربوبية الذي لا يخلص الإنسان من الشرك، ولا يعصم به دمه وماله، ولا يسلم به من الخلود في النار.

وقد سلك هذا المسلك طوائف من أهل التصوف المنتسبين إلىٰ المعرفة والتحقيق والتوحيد، فكان غاية ما عندهم من التوحيد: أن يشهد المرء أن الله رب كل شيء، ومليكه، وخالقه لاسيما إذا غاب العارف بموجوده عن وجوده، وبمشهوده عن شهوده، وبمعروفه عن معرفته، ودخل في فناء توحيد الربوبية بحيث ينفىٰ من لم يكن ويبقىٰ من لم يزل.

ومعلوم أن هذه الغاية هي ما أقر به المشركون من التوحيد، وهي غاية لا يكون بها الرجل مسلمًا، فضلًا عن أن يكون من أولياء الله تعالىٰ وسادة خلقه.



## فصلٌ: في الفناء وأقسامه

**الفناء لغة**: الزوال. قال الله تعالىٰ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن].

**والفناء في الاصطلاح ثلاثة أقسام:**

**الأول**: ديني شرعي: وهو الفناء عن إرادة السوىٰ، أي: عن إرادة ما سوىٰ الله عَزَّوَجَلَّ بحيث يفنىٰ بالإخلاص لله عن الشرك، وبشريعته عن البدعة، وبطاعته عن معصيته، وبالتوكل عليه عن التعلق بغيره، وبمراد ربه عن مراد نفسه ... إلىٰ غير ذلك مما يشتغل به من مرضاة الله عما سواه.

**وحقيقته**: انشغال العبد بما يقربه إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ عما لا يقربه إليه وإن سمي فناء في اصطلاحهم.

وهذا فناء شرعي به جاءت الرسل، ونزلت الكتب، وبه قيام الدين، والدنيا، وصلاح الآخرة، والدنيا.



قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾ [الإسراء]. وقال: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل]. وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾﴾ [الرعد]. وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾﴾ [المنافقون].

وهذا هو الذوق الإيماني الحقيقي الذي لا يعادله ذوق:

ففي «الصحيحين» عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا للهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ**».

وفي «صحيح مسلم» عن العباس بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ رَسُولًا**».

**القسم الثاني**: صوفي بدعي: وهو: الفناء عن شهود السوىٰ، أي: عن شهود ما سوىٰ الله تعالىٰ، وذلك أنه بما ورد علىٰ قلبه من التعلق بالله عَزَّ وَجَلَّ وضعفه عن تحمل هذا الوارد ومقاومته غاب عن قلبه كل ما سوىٰ الله عَزَّ وَجَلَّ، ففني بهذه الغيبوبة عن شهود ما سواه، ففني بالمعبود عن العبادة وبالمذكور عن الذكر، حتىٰ صار لا يدري أهو في عبادة وذكر أم لا؟ لأنه غائب عن ذلك بالمعبود والمذكور لقوة سيطرة الوارد علىٰ قلبه.

وهذا فناء يحصل لبعض أرباب السلوك.

**وهو فناء ناقص من وجوه:**

**الأول**: أنه دليل علىٰ ضعف قلب الفاني، وأنه لم يستطع الجمع بين شهود المعبود والعبادة، والآمر والمأمور به، واعتقد أنه إذا شاهد العبادة والأمر اشتغل به عن المعبود والآمر، بل إذا ذكر العبادة والذكر كان ذلك اشتغالًا عن المعبود والمذكور.

**الثاني**: أنه يصل بصاحبه إلىٰ حال تشبه حال المجانين والسكارىٰ، حتىٰ إنه ليصدر عنه من الشطحات القولية والفعلية المخالفة للشرع ما يعلم هو وغيره غلطه فيها كقول بعضهم

في هذه الحال: سبحاني.. سبحاني ... أنا الله ... ما في الجبة إلا الله ... أنصب خيمتي علىٰ جهنم ... ونحو ذلك من الهذيان والشطح.

**الثالث**: أن هذا الفناء لم يقع من المخلصين الكمل من عباد الله؛ فلم يحصل للرسل ولا للأنبياء ولا للصديقين والشهداء.

فهذا رسول الله ﷺ رأىٰ ليلة المعراج من آيات الله اليقينية ما لم يقع لأحد من البشر وفي هذه الحال كان ﷺ علىٰ غاية من الثبات في قواه الظاهرة والباطنة كما قال الله تعالىٰ عن قواه الظاهرة: ﴿مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧﴾ [لنجم] وقال عن قواه الباطنة: ﴿مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١﴾ [النجم].

وهاهم الخلفاء الراشدون أبوبكر، وعمر، وعثمان، وعلي رضي الله عنهم أفضل البشر بعد الأنبياء، وسادات أوليائهم، لم يقع لهم مثل هذا الفناء.

وهاهم سائر الصحابة مع علو مقامهم وكمال أحوالهم لم يقع لهم مثل هذا الفناء.

وإنما حدث هذا في عصر التابعين، فوقع منه من بعض العباد والنساك ما وقع، فكان منهم من يصرخ، ومنهم من يصعق، ومنهم من يموت، وعرف هذا كثيرًا في بعض مشايخ الصوفية.

ومن جعل هذا نهاية السالكين فقد ضل ضلالًا مبينًا، ومن جعله من لوازم السير إلىٰ الله فقد أخطأ.

**وحقيقته**: أنه من العوارض التي تعرض لبعض السالكين لقوة الوارد علىٰ قلوبهم وضعفها عن مقاومته، وعن الجمع بين شهود العبادة والمعبود ونحو ذلك.

**القسم الثالث**: فناء إلحادي كفري: وهو الفناء عن وجود السوىٰ. أي: عن وجود ما سوىٰ الله عز وجل بحيث يرىٰ أن الخالق عين المخلوق، وأن الموجود عين الموجد، وليس ثمة رب ومربوب، وخالق ومخلوق، وعابد ومعبود، وآمر ومأمور، بل الكل شيء واحد وعين واحدة.

وهذا فناء أهل الإلحاد القائلين بوحدة الوجود كابن عربي، والتلمساني وابن سبعين، والقونوي ونحوهم.

**وهؤلاء أكفر من النصارىٰ من وجهين:**



**أحدهما**: أن هؤلاء جعلوا الرب الخالق عين المربوب المخلوق، وأولئك النصارىٰ جعلوا الرب متحدًا بعبده الذي اصطفاه بعد أن كانا غير متحدين.

**الثاني**: أن هؤلاء جعلوا اتحاد الرب ساريًا في كل شيء في الكلاب والخنازير، والأقذار، والأوساخ ... وأولئك النصارىٰ خصوه بمن عظموه كالمسيح.

وتصور هذا القول كاف في رده، إذ مقتضاه: أن الرب والعبد شيء واحد، والآكل والمأكول شيء واحد، والناكح والمنكوح شيء واحد، والخصم والقاضي شيء واحد، والمشهود له وعليه شيء واحد، وهذا غاية ما يكون من السفه والضلال.

**قال الشيخ رحمه الله**: ويذكر عن بعضهم أنه كان يأتي ابنه ويدعي أنه الله رب العالمين قبح الله طائفة يكون إلهها الذي تعبده هو موطؤها الذي تفترشه.

**وقال ابن القيم رحمه الله تعالىٰ في النونية عن هذه الطائفة:**

فَالْقَوْمُ مَا صَانُوهُ عَنْ إِنْسٍ وَلَا جِنٍّ وَلَا شَجَرٍ وَلَا حَيَوَانِ

لَكِنَّهُ الْمَطْعُومُ وَالْمَلْبُوسُ وَالْـ مَشْمُومُ وَالْمَسْمُوعُ بِالْآذَانِ

وَكَذَاكَ قَالُوا إِنَّهُ الْمَنْكُوحُ وَالْـ مَذْبُوحُ بَلْ عَيْنُ الْغَوِيِّ الزَّانِي

**إلىٰ أن قال:**

هَذَا هُوَ الْمَعْبُودُ عِنْدَهُمُ فَقُلْ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ ذَا السُّبْحَانِ

يَا أُمَّةً مَعْبُودُهَا مَوْطُوؤُهَا أَيْنَ الْإِلَهُ وَثَغْرَةُ الطَّعَّانِ

يَا أُمَّةً قَدْ صَارَ مِنْ كُفْرَانِهَا جُزْءًا يَسِيرًا جُمْلَةُ الْكُفْرَانِ

## فصلٌ

ولا يتم الإسلام إلا بالبراءة مما سواه كما قال الله تعالىٰ عن إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ



سَيَهۡدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الزخرف]. وبين أن لنا فيه أسوة حسنة فقال تعالىٰ: ﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة:٤]. وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ﴾ [الممتحنة:١]. وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [المائدة]. وقال تعالىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة].

**والبراءة نوعان**: براءة من عمل، براءة من عامل.

**فأما البراءة من العمل**: فتجب من كل عمل محرم سواء كان كفرًا أم دونه، فيبرأ المؤمن من الشرك، والزنىٰ، وشرب الخمر ونحو ذلك بحيث لا يرضاه ولا يقره، ولا يعمل به، لأن الرضا بذلك، أو إقراره، أو العمل به مضادة لله تعالىٰ ورضا بما لا يرضاه.

**وأما البراءة من العامل**: فإن كان عمله كفرًا وجبت البراءة منه بكل حال من كل وجه لما سبق من الآيات الكريمة، ولأنه لم يتصف بما يقتضي ولاءه.

وإن كان عمله دون الكفر وجبت البراءة منه من وجه دون وجه، فيوالىٰ بما معه من الإيمان والعمل الصالح، ويتبرأ منه بما معه من المعاصي؛ لأن الفسوق لا ينافي أصل الإيمان، فقد يكون في الإنسان خصال فسوق، وخصال طاعة، وخصال إيمان، وخصال كفر كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا



بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝١٠﴾ [الحجرات]. فجعل الله تعالىٰ الطائفتين المقتتلتين إخوة للطائفة المصلحة، ووصفهم بالإيمان مع أن قتال المؤمن لأخيه من خصال الكفر لقول النبي ﷺ: «**سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ**». ولم تكن هذه الخصلة الكفرية منافية لأصل الإيمان ولا رافعة للأخوة الإيمانية، ولا ريب أن الأخوة الإيمانية مقتضية للمحبة والولاية، ويقوىٰ مقتضاها بحسب قوة الإيمان والاستقامة.

وهذا الأصل – أعني: أنه قد يجتمع في الإنسان خصلة إيمان، وخصلة كفر – هو ما دل عليه الكتاب والسنة وكان عليه السلف والأئمة، فتكون المحبة والولاية تابعة لما معه من خصال الإيمان، والكراهة والعداوة تابعة لما عنده من خصال الكفر.



## فصلٌ

**المؤمن مأمور بفعل المأمور، وترك المحظور، والصبر علىٰ المقدور**: قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٢٠٠﴾ [آل عمران] وقال: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٩٠﴾ [يوسف]. وقال عن لقمان: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ۝١٧﴾ [لقمان:١٧]. وقال: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٥٥﴾ [البقرة].

**ومأمور في جانب الطاعة بالإخلاص والاستغفار**: قال الله تعالىٰ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ﴾ [محمد:١٩]. وقال: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ۝٢ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ﴾ [هود:٢ – ٣]. وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ﴾ [فصلت:٦].

وقال النبي ﷺ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ؛ فَإِنِّي أَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ**». وقال: «**إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَىٰ قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ**». أخرجهما مسلم.

وروىٰ البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة».



**والجامع لهذا**: أنه لابد في الأمر من أصلين، ولابد في القدر من أصلين أيضًا:

**أما الأصلان في الأمر فهما:**

**أصل قبل العمل أو مقارن له وهو**: الاجتهاد في الامتثال علمًا وعملًا، فيجتهد في العلم بالله تعالىٰ، وأسمائه وصفاته، وأحكامه، ثم يعمل بما يقتضيه ذلك العلم من تصديق الأخبار، والعمل بالأحكام فعلًا للمأمور، وتركًا للمحظور.

**والثاني: أصل بعد العمل**: وهو الاستغفار والتوبة من التفريط في المأمور، أو التعدي في المحظور، ولهذا كان من المشروع ختم الأعمال بالاستغفار كما قال الله تعالىٰ:

﴿وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ ١٧﴾ [آل عمران]. فقاموا الليل وختموه بالاستغفار.

وكان النبي ﷺ إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثا.

وآخر سورة نزلت عليه سورة النصر: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ٣﴾ [النصر]. فكان بعد نزولها يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: «**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي**». وكان نزولها إيذانًا بقرب أجله ﷺ كما قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في مجلس أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بمحضر من الصحابة فأقره عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقال: ما أعلم منها إلا ما تقول.

وفي صحيح مسلم عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول قبل أن يموت: «**سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ**». فجعل الاستغفار والتوبة خاتمة العمر كما جعلتا خاتمة العمل.

**وأما الأصلان في القدر فهما:**

**أصل قبل المقدور وهو**: الاستعانة بالله عَزَّ وَجَلَّ، والاستعاذة به ودعاؤه رغبة ورهبة، فيكون معتمدًا علىٰ ربه، ملتجئًا إليه في حصول المطلوب ودفع المكروه.

**والثاني: بعد المقدور وهو**: الصبر علىٰ المقدور حيث يفوت مطلوبه، أو يقع مكروهه فيوطن نفسه عليه بحيث يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن الحال لا يمكن أن تتغير عما قدره والحزن.

**كما قال الله تعالىٰ**: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ



وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ [التغابن]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: يهد قلبه لليقين فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه. وقال علقمة في الآية: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضىٰ ويسلم.

فإذا راعىٰ الأمر والقدر علىٰ الوجه الذين ذكرنا عابدًا لله تعالىٰ مستعينًا به متوكلًا عليه من الذين أنعم الله عليهم.

وقد جمع الله بين هذين الأصلين في أكثر من موضع كقوله تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الفاتحة]. وقوله: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ﴾ [هود:١٢٣]. وقوله: ﴿وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾ [هود].



## فصلٌ

### والناس في هذا المقام – مقام الشرع والقدر – أربعة أقسام:

**الأول**: من حققوا هذه الأصول الأربعة: أصلي الشرع، وأصلي القدر، وهم المؤمنون المتقون الذي كان عندهم من عبادة الله تعالىٰ والاستعانة به ما تصلح به أحوالهم، فكانوا لله، وفي الله، وهؤلاء أهل القسط والعدل الذين شهدوا مقام الربوبية والألوهية، وهم أعلىٰ الأقسام، فإن هذا مقام الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين، والشهداء، والصالحين.

**الثاني**: من فاتهم التحقيق في أصلي القدر، فكان عندهم من عبادة الله تعالىٰ والاستقامة في شرعه ما عندهم، لكن ليس عندهم قوة في الاستعانة بالله والصبر علىٰ أحكامه الكونية والشرعية، فيصيبهم عند العمل من العجز والكسل ما يمنعهم من العمل أو إكماله، ويلحقهم بعد العمل من العجب والفخر ما قد يكون سببًا لحبوط عملهم وخذلانهم، وهؤلاء أضعف ممن سبقهم وأدنىٰ مقامًا وأقل عدلًا، لأن شهودهم مقام الإلهية غالب علىٰ شهود مقام الربوبية.

**الثالث**: من فاتهم التحقيق في أصلي الشرع، فكانوا ضعفاء في الاستقامة علىٰ أمر الله تعالىٰ ومتابعة شرعه، لكن عندهم قوة في الاستعانة بالله والتوكل عليه، ولكن قد يكون ذلك في أمور عندهم قوة في الاستعانة بالله والتوكل عليه، ولكن قد يكون ذلك في أمور لا يحبها



الله تعالىٰ ولا يرضاها، فيعان ويمكن له بقدر حاله، ويحصل له من المكاشفات والتأثيرات ما لا يحصل للقسم الذي قبله، لكن ما يحصل له من هذه الأمور يكون من نصيب العاجلة الدنيا، أما عاقبته فعاقبة سيئة، لأنه ليس من المتقين وإنما العاقبة للمتقين.

قال الله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ۝٦٥ لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝٦٦﴾ [العنكبوت].

فالله تعالىٰ يعلم أن هؤلاء سيشركون بعد أن ينجيهم لكن لما كانوا في البحر كانوا مخلصين في دعائهم الله تعالىٰ أن ينجيهم صادقين في تفويض الأمر إليه حصل مرادهم، ولما لم يكن لهم عبادة لم يستقم أمرهم وكان عاقبة أمرهم خسرًا.

فالفرق بين هؤلاء وبين القسم الذين قبلهم: أن الذين قبلهم كان لهم دين ضعيف لضعف استعانتهم بالله وتوكلهم عليه، لكنه مستمر باق إن لم يفسده صاحبه بالعجز والجزع. وهؤلاء لهم حال وقوة لكن لا يبقىٰ لهم إلا ما وافقوا فيه الأمر واتبعوا فيه السنة.

**القسم الرابع**: من فاتهم تحقيق أصلي الشرع، وأصلي القدر، فليس عندهم عبادة لله تعالىٰ، ولا استعانة به ولا لجوء إليه عند الشدة فهم مستكبرون عن عبادة الله مستغنون بأنفسهم عن خالقهم، وربما لجئوا في الشدائد وإدراك مطالبهم إلىٰ الشياطين فأطاعوها فيما تريد وأعانتهم فيما يريدون، فيظن الظان أن هذا من باب الكرامات، وهو من باب الإهانات؛ لأن عاقبتهم الذل والهوان. وهذا القسم شر الأقسام.



## فصلٌ: في المفاضلة والمقارنة بين أرباب البدع

نظار المتكلمين الذين يدعون التحقيق وينتسبون إلىٰ السنة: يرون التوحيد عبارة عن تحقيق توحيد الربوبية.

وطوائف من أهل التصوف الذين ينتسبون إلىٰ التحقيق والمعرفة: غاية التوحيد عندهم شهود توحيد الربوبية. ومعلوم أن هذا هو ما أقر به المشركون، وأن الرجل لا يكون به مسلمًا، فضلًا عن أن يكون وليًا من أولياء الله، أو من سادات أولياء الله تعالىٰ.

وطائفة أخرىٰ: تقرر هذا التوحيد مع نفي الصفات، فيقعون في التقصير والتعطيل، وهذا شر من حال كثير من المشركين.



والجهم بن صفوان إمام الجهمية نفاة الصفات: يغلو في القضاء والقدر ويقول بالجبر، فيوافق المشركين في قولهم لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء، لكنه يثبت الأمر والنهي فيفارق المشركين إلا أنه يقول بالإرجاء فيضعف الأمر والنهي والعقاب عنده، لأن فاعل الكبيرة عنده مؤمن كامل الإيمان غير مستحق للعقاب.

**والنجارية – أتباع الحسين بن محمد النجار – والضرارية – أتباع ضرار ابن عمرو وحفص الفرد –**: يقربون من جهم في مسائل القدر والإيمان مع مقاربتهم له أيضًا في نفي الصفات.

**والكلابية – أتباع عبد الله بن سعيد بن كلاب – والأشعرية – المنتسبون لأبي الحسن الأشعري –**: خير من هؤلاء في باب الصفات، فإنهم يثبتون لله الصفات العقلية، وأئمتهم يثبتون الصفات الخبرية في الجملة، وأما في القدر ومسائل الأسماء والأحكام فأقوالهم متقاربة.

**وأصحاب ابن كلاب – كالحارث المحاسبي –**: خير من الأشعرية في هذا وهذا.

**والكرامية أتباع محمد بن كرام**: قولهم في الصفات، والقدر، والوعد، والوعيد أشبه من أكثر طوائف أهل الكلام التي في أقوالها مخالفة للسنة. وأما في الإيمان فقولهم منكر لم يسبقهم إليه أحد، فإنهم جعلوا الإيمان قول اللسان فقط وإن لم يكن معه تصديق القلب، فالمنافق عندهم مؤمن، ولكنه مخلد في النار.

**والمعتزلة – أتباع واصل بن عطاء الذي اعتزل مجلس الحسن البصري –**: يقاربون قول جهم في الصفات فيقولون بنفيها، وأما في القدر والأسماء والأحكام فيخالفونه:

**ففي القدر يقولون**: إن العبد مستقل بعمله كامل الإرادة فيه، ليس لله في عمله تقدير ولا خلق. ففيهم نوع من الشرك من هذا الباب وجهم يقول: إن العبد مجبر علىٰ عمله، وليس له إرادة فيه.

**وفي الأسماء والأحكام**: يقول المعتزلة: إن فاعل الكبيرة خارج عن الإيمان غير داخل في الكفر فهو في منزلة بين منزلتين، ولكنه مخلد في النار. ويقول جهم: إنه مؤمن كامل الإيمان غير مستحق لدخول النار.

والمعتزلة خير من الجهمية فيما خالفوهم فيه من القدر والأسماء والأحكام، فإن إثبات



الأمر والنهي، والوعد والوعيد، مع نفي القدر خير من إثبات القدر مع نفي الأمر والنهي، والوعد والوعيد.

ولهذا لم يوجد في زمن الصحابة والتابعين من ينفي الأمر والنهي، والوعد والوعيد ووجد في زمنهم القدرية والخوارج الحرورية وإنما يظهر من البدع أولًا ما كان أخف، وكلما ضعف من يقوم بنور النبوة قويت البدعة، وكلما كان الرجل إلىٰ السلف والأئمة أقرب كان قوله أعلىٰ وأفضل.

والمتصوفة الذين يشهدون الحقيقة الكونية مع إعراضهم عن الأمر والنهي شر من القدرية المعتزلة ونحوهم، لأن هؤلاء المتصوفة يشبهون المشركين الذين قالوا: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا﴾ [الأنعام:١٤٨]. والقدرية يشبهون المجوس الذين قالوا: إن للعالم خالقين. والمشركون شر من المجوس.

أما الصوفية الذين عندهم شيء من تعظيم الأمر والنهي مع مشاهدة توحيد الربوبية وإقرارهم بالقدر، فهم خير من المعتزلة، لكنهم معتزلة من وجه آخر حيث جعلوا غاية التوحيد مشاهدة توحيد الربوبية، والفناء فيه فاعتزلوا بذلك جماعة المسلمين وسنتهم. وقد يكون ما وقعوا فيه من البدعة شرًّا من بدعة أولئك المعتزلة.

وكل هذه الطوائف عندها من الضلال والبدع بقدر ما فارقت به جماعة المسلمين وسنتهم.

**ودين الله تعالىٰ**: ما بعث به رسله، وأنزل به كتبه، وهو الصراط المستقيم طريق رسول الله ﷺ وأصحابه خير الأمة التي هي خير الأمم.

وقد أمرنا الله تعالىٰ أن نقول في صلاتنا: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة]. فالمغضوب عليهم كاليهود عرفوا الحق فلم يتبعوه، والضالون كالنصارىٰ عبدوا الله بغير علم.

وكان يقال: تعوذوا بالله من فتنة العالم الفاجر، والعابد الجاهل.

وقال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: خط لنا رسول الله ﷺ خطًّا بيده ثم قال: «**هَذَا سَبِيلُ اللهِ مُسْتَقِيمًا**» وخط عن يمينه وشماله ثم قال: «**هَذِهِ السُّبُلُ لَيْسَ مِنْهَا سَبِيلٌ إِلَّا عَلَيْهِ شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ**» ثم قرأ: «﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ



عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ [الأنعام:١٥٣]».

**وقال حذيفة بن اليمان** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا معشر القراء استقيموا وخذوا طريق من قبلكم فوالله لئن اتبعتموهم لقد سبقتم سبقًا بعيدًا، ولئن أخذتم يمينًا وشمالًا لقد ضللتم ضلالًا بعيدًا.

**وقال عبد الله بن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: من كان منك مستنًا فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد ﷺ أبر هذه الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، قوم اختارهم الله تعالىٰ لصحبة نبيه ﷺ وإقامة دينه فاعرفوا لهم حقهم وتمسكوا بهديهم فإنهم علىٰ الهدىٰ المستقيم. نسأل الله تعالىٰ أن يجعلنا منهم، وألا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا، والحمد لله رب العالمين.

تم في ٢٢/ ٥/ ١٤١٠هـ.

